دكتور محمد عبد الغنى سعودى

أوراسيا



مكتبة الأنجلو المصرية

دكتور
محمد عبد الغنى سعودى
أستاذ الجغرافيه
معهد البحوث والدراسات الأفريقية
جامعة القاهرة

أوراسيا



مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ ش محمد فريد - القاهرة

أسم الكتــاب: أوراســيــا
أسم المؤلف: د/ محمد عبد الغني سعودي
أسم الناشر: مكتبة الانجلو المصرية
أسم الطــابع: مطبعة محمد عبد الكريم حسان
رقــم الايــداع: 9325 لسنة 2004
الترقيم الدولي: I-S-B-N 977-05-2045-4

أوروبا الجديدة

الفهــــــــرس

أولاً : أوروبـا الجــــديدة

الباب الأول : أوروبـــا

الباب الثانى : أوروبـــا الغربية

الباب الثالث : أوروبـــا الشمالية

الباب الرابع : أوروبـــا الوسطى

الباب الخامس : جنوب وسط أوروبا

الباب السادس : أوروبـــا المتوسطة

ثانياً : آســـيا الجـــديدة

الباب الأول : آســـيا

الباب الثانى : آسيا الشرقية

الباب الثالث : آسيا الجنوبية

الباب الرابع : آسيا الجنوبية الشرقية

الباب الخامس : آسيا الغربيـــة

الباب الأول : أوروبـــــــــا

الفصل الأول

في شخصية القارة الأوروبية

قارة أم نتوء آسيوي ضخم

هل أوربا قارة؟ الإجابة بنعم ولا في آن واحد، فتعريف القارة في الجغرافية، هي كتلة ضخمة من اليابس، وبالتالي فهي قارة، ومن ناحية أخرى إذا نظرنا إلى خريطة العالم القديم نرى أن أوروبا هي الامتداد الغربي لكتلة ضخمة من اليابس هي أوراسيا، حتى أن معظم الجغرافيين يعتبرها شبه جزيرة أو نتوء ضخم من الكتلة الأوراسية ممتدة نحو الغرب. ومع ذلك فنظرا لأهمية أوروبا في تاريخ العالم فقد اعتبرت قارة قائمة بذاتها.

وكما ذكرنا سابقاً (في كتابنا آسيا) أن الإغريق قديماً قسموا العالم إلى ثلاثة أقسام : قسم يعيشون فيه، وهذا بالنسبة لهم قلب العالم، وقسم واقع إلى الشرق منهم هو آسو Asu، أي الأرض التي تشرق فيها الشمس، وأطلقوا اسم إرب Ereb على القسم الغربي بمعني أرض غروب الشمس، من ثم فتسمية أوروبا وآسيا ترجع إلى عصر الإغريق.

ومازال الجغرافيون يناقشون حدود أوروبا الشرقية، أي أن تنتهي أوروبا وتبدأ آسيا، وإن كان معظمهم يرسمون خطا يسير مع جبال أورال، ونهري كارا وأورال، ثم يمتد الخط نظرياً إلى بحر قزوين، من ثم فالأرض الروسية منها ما هو أوروبي ومنها ما هو آسيوي، ومع ذلك فهذا الخط الوهمي ليس فاصلا حقيقيا بفضل ممرات جبال أورال، ويفضل امتداد السهول بينها وبين بحر قزوين.

يبلغ أقصى امتداد شمالي لأوروبا درجة ٨َ ٧١ْ في النرويج، على حين تبلغ جنوبا درجة عرض ٣٦ْ شمالا في رأس طريفة في أسبانيا، وإذا أضفنا الجزر، فتعطيها امتداداً أكبر قليلا. ذلك أن السواحل الجنوبية لجزيرة كريت تمتد إلى درجة ٣٥ْ شمالا، من ثم كانت امتداداتها الشمالية الجنوبية محدودة بالنسبة للقارات الأخرى مع عدا استراليشيا.

مساحة صغيرة ونقل متطور

تبلغ مساحة أوروبا نحو ١٠,٨٧٨,٠٠٠ كم٢ بما فيها روسيا الأوربية والجزر وبالتالي فهي تأتى اصغر قارات العالم بعد استراليا، ويتضح صغر المساحة إذا ما قورنت مساحتها بمساحة روسيا (أوروبية وآسيوية) والتي تبلغ ١٧,٠٧٠,٩٥٩ كم٢، والتي تمتد من بحر البلطيق أو خليج فنلند إلى بوغاز برنج في نحو ١٨٠ْ درجة طولية، أو بمعنى آخر في نحو نصف الكرة الأرضية، وإذا علمنا أن مساحة مصر هي مليون كم٢، فإن أوروبا القارة مساحتها أقل من ١١ ضعف مساحة مصر !!، بل ولا تزيد كثيرا على ثلثي مساحة الولايات المتحدة الأمريكية.

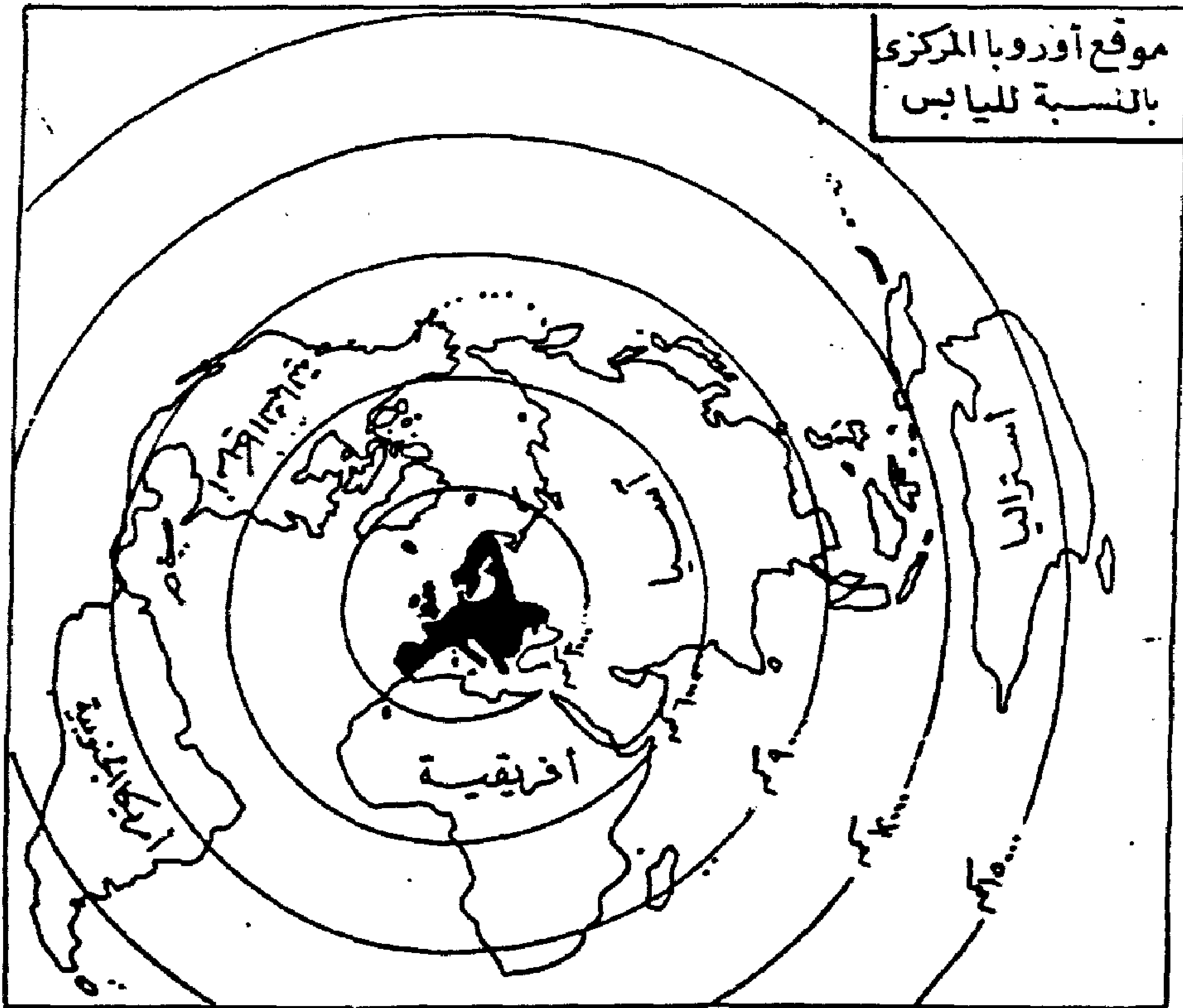
ومع صغر المسافات ساعد النقل المتطور على اختزالها مرة أخرى، إذ تحظى أوروبا اليوم في عهد السفر السريع والمواصلات الفائقة السرعة بشبكة من الطرق البرية: حديدية، وسيارات، ونهرية، وبحرية، كان الإنسان في العصور القديمة يستخدم الطرق التي مهدتها له الطبيعة كالأنهار وأوديتها، والأراضي التي لا تغطيها الغابات، والبحار الداخلية، ثم أضاف التقدم البشري عليها الكثير بعد أن دخلت أوروبا عصر الصناعة، فلم يعق الإنسان جبل، ولا خليج، ولا جليد، ولا عواصف بحرية، أو محيطية، وكل أنهار القارة الرئيسية لعبت دورا رئيسيا أو آخر، وتكملها الطرق البرية.

ولم تقف السلاسل الجبلية حواجز أمام حركة الإنسان والسلع، استغلت الممرات، ومهدت الأنفاق، فأصبحت طرقا برية، واخترقتها الخطوط الحديدية، فربطت بين مدن الشمال الإيطالي الصناعية وروما والفاتيكان بفرنسا، وألمانيا، وجنوب شرقي القارة، ولا ننسى خط سكك حديد الشرق السريع الذي يربط ما بين باريس واستانبول. وكانت التقنيات الحديثة والاستثمارات الضخمة التي شهدتها الموانئ الأوروبية التي تقع على مصبات الأنهار، ما حافظ على أهميتها، بل واستمرارها كمراكز عالمية في حركة التجارة الدولية.

بحرية في توجهها الاقتصادي والحضاري كما في مناخها

لعل علاقة أوروبا الحميمة بالبحر هي إحدى خصائصها الفريدة، من المحيط القطبي إلى المحيط الأطلنطي، والذي يمتد بأذرع فيها، والبحر المتوسط بأذرعه المختلفة ما يعطيها

سواحل أطول من سواحل أي قارة أخرى، بل أن أجزاء من بولند وسلوفاكيا لا تبعد أكــثر مــن ٥٠٠ كم عن البحر، بل ويعيش ٨٠% من سكان القارة في مدى ١٥٠ كم من البحـــر، وكــان البحر خير وبركة على سكان القارة منذ ما قبل التاريخ لإسهامه في تنميـــة التجــارة لا بيــن أجزائها فحسب، بل بين بعضها والعالم الخارجي. فلا يوجد مكان في أوروبا يبعد بعدا قصيا عن الماء بحرا كان أو محيطا، بل يتداخل اليابس والماء هنا وهناك، كما لا يوجد في أي قارة أخرى جزر وأشباه جزر بهذا العدد، حتى لقد قيل أن أوروبا أشبه بشبة جزيرة مكونة من أشباه جــزر Peninsula of Peninsulas : في الشمال شبه جزيرة اسكندناوه (السويد والنرويج)، جوتلند (الدانمرك) بريتاني في فرنسا وفي الجنوب أيبريا في أسبانيا والبرتغال، وإيطاليا، واليونان، بــل أن الجزر البريطانية ذاتها كانت من أشباه الجزر حتى طغي البحر على مضيق دوفر منذ بضعــة آلاف من السنين. ثم كانت امتداد أذرع من المحيط داخل اليابس الأوربــي ممثلــة فــي بحــر البلطيق. بحر الشمال، البحر المتوسط، البحر الأدرياتي وبحر إيجه.



شكل رقم (١)

وكان لتضافر موقعها المركزي بالنسبة لنصف الكرة القاري، أي مركزية الموقع في نصف الكرة المعمور مع موقعها بالنسبة للمسطحات المائية أن جمعت القارة بين الحسنيين، توسط نصف الكرة اليابس، وسهولة اتصالها بأجزاء الكرة الأرضية الأخرى بحرا مما كان له أثره في نشاط السكان وحيويتهم، ثم تدخل عامل آخر ليجعل توجه الأوروبيين بحريا وهو كثرة تعاريج السواحل مما لا يظهر في أي قارة أخرى بنفس الدرجة فسواحلها طويلة إذا ما قورنت بمساحتها،من ثم قامت المواني الطبيعية، وساعد على استمرار حركتها شتاء مناخ معتدل دفئ في جنوبيها، وفي غربيها وشمالها الغربي بفضل تيار الخليج الدافئ، من ثم كانت علاقة السكان بالبحر منذ القدم صيدا وتجارة واستعمارا منذ الفينيقيين إلى النرويجيين والسويديين (الفيكنج): وفي التاريخ الحديث من الهولنديين والأسبان والإنجليز.

تنوع جيولوجي وتضاريسي

رغم صغر مساحة أوروبا نسبيا، فهي تضم جميع السمات الجيولوجية المعروفة في العالم فهناك منطقة الدروع Shields القديمة حول بحر البلطيق، ومرتفعات وسط أوروبا الهرسينيه، وجبال الألب الالتوائية الحديثة. والسهول الممتدة حول البحار الشمالية والبلطيق. وتتفجر البراكين وتحدث الزلازل على طول البحر المتوسط، بينما معظم القارة ينجو من هذه المخاطر، وقد أدي التنوع الجيولوجي مع تقدم وسائل التعدين والنمو الصناعي في القارة إلى خلق بدايات علم الجيولوجيا الحديث. وعرفنا أن البحر المتوسط فهو بقايا بحر كبير احتل الإقليم الواقع بين أوروبا وأفريقية، ولكن انضغط إلى حجمه الحالي نتيجة تقارب الصفائح التكتونية، وفي هذا الإقليم تكونت الجبال الالتوائية الحديثة المعروفة بالألبية بقممها المتعددة التي تسمو على ٤٠٠٠ متر، وأعلاها في قمة مونت بلان ٤٨٠٧ متر على الحدود الفرنسية الإيطالية، فإذا ما تقدمنا شرقا مع هذه السلاسل يقل ارتفاعها في النمسا حيث لا تزيد كثير من القمم هناك على ٣٠٠٠ متر.

وعرفنا أيضاً أن سلاسل الالب هي جزء من سلاسل أخرى تشمل سيرانيفادا في جنوبي أسبانيا، والبرانس بين أسبانيا وفرنسا. والأبنين في شبه جزيرة إيطاليا وسلاسل الألب الديناريه في يوغسلافيا السابقة وبندس Pindus في اليونان، وهناك قوس الكربات في سلوفاكيا ورومانيا، ويمتد إلى جبال البلقان في بلغاريا. مثل هذه السلاسل هي التي خلقت مما

يعرف بالبيئة الألبية في أوروبا. أما المناطق السهلية في هذه المناطق الجبلية فهي قليلة تكاد تقتصر على أودية الأنهار التي تكونت بفعل تعرية هذه المرتفعات، وإلى الشمال من تلك الجبال الالتوائية الحديثة، نجد أن معظم أوروبا عبارة عن سهول يقل ارتفاع معظمها عن ٣٠٠ متر فوق سطح البحر، فهذه السهول تمتد شمالي ألمانيا وبولند، ودول البلطيق وجزء من السهل الأوروبي الشمالي الذي يمتد شرقا إلى روسيا حيث يزداد اتساعا.

قارة المعتدلات أم قارة العروض الوسطي والأعاصير والتقلبات المناخية

كان لوقوع أوروبا خارج المدارين، فضلا عن وقوع جزء صغير منها في أقصى الشمال داخل الدائرة القطبية، أن أصبح شائعا بأن أوروبا تقع داخل الأقاليم المعتدلة. ولكن في قارة مساحتها نحو ١١ مليون كم٢، فيها مواضع ذات مدى حراري ١٠°م بين متوسط شهري يوليه ويناير، بل ونحو ٤٠°م بين النهايتين الدنيا والعظمي للحرارة كما هو الحال في موسكو، وبالتالي يصبح لفظ معتدل يجانبه الصواب، ويصبح الأصوب أن نقول بأنها قارة العروض الوسطي middle latitude، والعروض العليا في طرفها الشمالي ومع ذلك فهناك التنوع كبير بالنسبة للمساحة واختلاف درجات العرض، وتباين الارتفاع، واتجاه الرياح السائدة، والموقع بعدا وقربا من المسطحات المائية. وتصبح صفة الاعتدال هي الغالبة على أجزائها الغربية الشمالية بسبب تيار الخليج الدافئ الذي تمر عليه الرياح الغربية فتدفأ الرياح وتنقل هذا الدفء إلى غربي القارة، أما إذا توغلنا شرقا فالتأثيرات القارية هي الأقوى، ويمكن أن نضيف إلى غربي أوروبا اعتدالا إقليم البحر المتوسط وبصفة خاصة سواحله، فهى أبعد عن البرودة شتاء كما يلطفها البحر صيفا.

ويمكن أن نضيف إلى هذا وذاك أنها قارة الأعاصير، فلا يوجد جزء في أوروبا وخارج تماما عن نطاق الأعاصير، حتى القسم الجنوبي (إقليم البحر المتوسط) لا يسلم منها إلا صيفا. هذا ومما يجعلنا نؤكد أنها قارة العروض الوسطي، ذلك انه مما يميز هذه العروض مرور الأعاصير وما يرتبط بها من ظروف جوية متغيرة تبعا لتغير اتجاهات الرياح في هذه الأعاصير، وبالتالي يصادف هذا تغيرات جوية ما بين الدفء والبرودة والمطر والجفاف، وأن كانت هذه بدورها يقل تأثيرها بالاتجاه نحو الشرق، فشرقي القارة أقلها تقلبا في ظروفه الجوية.

بنية أوروبا

صخور القاعدة (بركامبري)

الالتواءات الكاليدونية (أوائل الزمن الأول)

الالتواءات الهرسينية (أواخر الزمن الأول)

الالتواءات الألبية (الزمن الثالث)

شكل رقم (٢)

تنوع النبات الطبيعي على خريطة الأقاليم النباتية ومحدود على الطبيعة

تضم خريطة النبات الطبيعي تنوعا نباتيا تبعا لاختلاف ظروف المناخ والسطح والتربة، فبينما ترتبط المنخفضات في الأقاليم الباردة بالغابات النفضية لتربتها الجيدة تحل محلها الغابات الصنوبرية (التايبجا) في المرتفعات الفقيرة التربة من نباتات التندرا في أقصى الشمال إلى غابات التايبجا، والغابات النفضية وشجيرات البحر المتوسط، فضلا عن شريط ضيق شبه مداري في أقصى الجنوب الشرقي، إلى القمم الجبلية المرتفعة في القارة، ومع ذلك إذ أردت أن تطابق هذه الخريطة على الطبيعة لن تجد منها إلا آثار لكل نوع من هذه الأنواع خاصة على المرتفعات، وبقع هنا وهناك في الأراضي السهلية، ويرجع ذلك إلى تدخل الإنسان بشدة في تعديل هذه الخريطة نتيجة نشاطه الزائد زراعة وتعدين وصناعة.

تنوع بشري، ونمو صفري أو سلبي مع حضرية عالية ومستوى مرتفع

لا يقتصر التنوع في أوروبا على اشكال السطح والمناخ، بل يتعداه إلى التنوع البشري فهي تضم سلالات متعددة وأن كانت السلالة القوقازية هي الغالبة والتي بدروها تنقسم إلى ثلاث فروع: سلالة البحر المتوسط في الجنوب، والسلالة الألبية في الوسط، والسلالة الشمالية (النورد) في أقصى الشمال، ولكن هذا التعميم أيضا يسقط تفصيلات كغيره سواء في داخل هذه المجموعات الثلاث أو خارجها، فهناك أقليات متنوعة مثل الفن في الشمال وهناك الأصول المغولية في الشرق، وهناك أيضا ذووا الأصول الأفريقية فضلا عن المهاجرين من جنوبي وشرقي آسيا.

بلغ عدد سكان أوروبا ٧٢٨ مليون نسمة عام ٢٠٠٣ أو نحو ١٢% من سكان العالم، ومثل ذلك التجمع السكاني الثالث في العالم بعد شرقي آسيا وجنوبيها، كما أنها تحتل سكانيا المركز الثالث بين القارات بعد آسيا وأفريقية، وقد ارتبطت الزيادة السكانية في أوروبا بالقرنين التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وبداية هذه الزيادة كان الانقلاب الصناعي، غير أن الأمر اختلف منذ نهاية القرن العشرين بعد أن دخلت أوروبا المرحلة الديموغرافية التي تتميز بنسب مواليد منخفضة ونسب وفيات منخفضة أيضا، مما أدي إلى توازن سكاني أو مرحلة النمو الصفرى Zero growth وبل أحيانا إلى نمو سلبي negative growth لزيادة نسبة الوفيات على المواليد. على العموم يدور متوسط نسبة المواليد حول ١١ في الألف، وكذلك متوسط

نسبة الوفيات بوجه عام وأن زادت نسبة الوفيات في أوروبا الشرقية عنها في أوروبا الغربية الشمالية. وقد أدى ثبات السكان، بل واتجاهم نحو النقصان إلى مشكله سكانية في أوروبا، والمناداة بزيادة النسل عكس ما يحدث في المناطق الأخرى في العالم كالهند والصين ومصر، كما أدي هذا تشجيع الهجرة في مراحل معينه ، أتاها المهاجرون من كل حدب وصوب من داخل أوروبا ذاتها، ومن خارجها من أفريقية وآسيا ... الخ.

وتختلف الكثافة العامة بحسب نوع النشاط الاقتصادي، فإذا كانت الكثافة العامة قدرت بحوالي ٦٧ نسمة كم٢ فترتبط الكثافات العالية في أوروبا بالأقاليم الصناعية، من ثم امتد محورها الرئيسي مع المراكز الصناعية في روسيا واوكرانيا، وألمانيا. وفرنسا وبلجيكا وشرقي فرنسا، والمملكة المتحدة، فضلا عن بقاع هنا وهناك كسهل البو في إيطاليا، على حين تبلغ أقصى انخفاض لها حيث انخفاض الحرارة الشديدة كما في شمالي السويد والنرويج او في المناطق المرتفعة من السلاسل الألبية.

وتعتبر هولند أكثر الأقطار الأوربية كثافة، فكثافتها العامة حوالي ٤٢٥ نسمة كم٢ (رغم أنها زراعية) تليها بلجيكا ٣٣٠ نسمة كم٢ وهي ٩ نسمات في النمسا، ٣ نسمات في استونيا. وأوروبا من أكثر القارات حضرية إذ بلغت نسبتها ٧٤% عام ٢٠٠١، على حين أن نسبتها في العالم ٤٨%، وبطبيعة الحال ارتبطت زيادة الحضرية بالانقلاب الصناعي، الذي عمل على امتصاص فائض الريف البشري إلى المدن، بل تطورت وظائف المدن من المدن الصناعية إلى الخدمات، وهذه الوظيفة الأخيرة تعددت من تجارة وبنوك واتصالات الخ مما لا غنى لتعقد الحياة الحديثة.

وحدة حضارية أكثر منها وحدة طبيعية

يجب أن ننظر إلى أوروبا على انها وحدة حضارية **Cultural** أكثر منها وحدة أرضية **Terrainunit**، فرغم أنها قارة ينقصها الوحدة الأرضية، فهويتها الطبيعة الأرضية اقل من نظيرتها في شبه جزيرة الهند التي تنفصل عن القارة بالحوائط الجبلية المرتفعة. فمن بين حضارات العالم المتنوعة، بدأ أن الحضارة الغربية لها وضع مسيطر وتأثير كبير، ويقصد بالحضارة هنا معناها الواسع أي مجموع الثروة المادية والمعنوية التي كونتها الإنسانية من خلال الممارسات الاجتماعية على مر التاريخ، من ثم فالحضارة الغربية هي مرحلة من مراحل

الحضارات الإنسانية التي سبقتها. والحضارة الغربية اليوم التي كان أساسها أوروبا الغربية (*) استغرقت لتشكل قرونا عديدة بعد ألف عام من العصور الوسطي المظلمة، وكانت بدايتها عصر النهضة من القرن الرابع عشر إلى القرن السادس عشر، وأصبحت الروح الليبرالية (الحرية) هي الروح السائدة في أوروبا، وبعد ذلك مرت أوروبا بالتنوير والثورة العلمية والثورة التكنولوجية مما أدى إلى تطور ضخم في حياة وإنتاج المجتمع، ففي أوروبا نمت التجارة وتطورت الصناعة وظهرت المدن الكبرى والصغرى وتكون المجتمع المدني وظهرت الدولة القومية، وكل هذا أفرزه المجتمع الرأسمالي، وخلقت التغيرات في المجالات الاقتصادية والأيديولوجية ظروف مواتية للثورات السياسية (الثورة الإنجليزية، الثورة الفرنسية).

الإنسان سيد البيئة

إن نظرة فاحصة متأنية متأملة إلى البيئات الطبيعية والثقافية المتعددة التي تميز أوروبا لتؤكد تماما أن الإنسان يمكن أن يتغلب على عقبات البيئة بالعلم والمعرفة، ويصبح سيد الموقف، فكثير من الأراضي التي كانت تشغلها الغابات أصبحت مكتظة بالسكان كما أن تلك المساحات الشاسعة التي كانت تشغلها حشائش الاستبس والتي تمتد من الدانوب إلى جنوب روسيا ووسط آسيا لتربط بين سيبيريا وأوروبا، لم تعد تحت سيطرة رعاة الخيل كما كانت في الماضي، بل أصبحت من أجود الأراضي الزراعية، التي استقر فيها الإنسان، وتتخللها المستوطنات الصناعية، هكذا تعكس الصورة الحالية للقارة تاريخا من التغيرات المستمرة، وظهرت أشكال جديدة من استخدام الأرض حلت محل الغابات التي كانت تغطيها، وتحولت مساحاتها إلى حقول تجود بالغذاء، واللباس، ثم حلت الأقاليم الصناعية والمدن محل كثير من هذه الأراضي الزراعية ومن ثم فالهيئات الطبيعية Landscape في أوروبا هي نتيجة تغيرات عديدة ومستمرة من قبل الأوربيين لمواجهة التحديات التي واجهتهم. ومن مظاهر سيادة الإنسان للبيئة وإجراء التعديلات عليها عملية صرف المياه من الأراضي التي تغطيها البحيرات والمستنقعات ولعل ما حدث في الأراضي المنخفضة هو أنصع صورة حيث جففت مساحة ٨٥٠ ميلا مربعا تحولت إلى أراضي زراعية. وكان جزء منها تغطيها مياه البحر، وجزء آخر تغطيه

(*) يدخل في هذا أيضاً الحضارة الأمريكية لأن أصلها أوروبية غربية فأصلها هي التراث الانجلوسكوني الذي هو السمة المشتركة للحضارة الغربية الأمريكية، فإذا قلنا الحضارة الغربية فهي حضارة أوروبا الشمالية ودول هذه الحضارة هي المسيطرة على العالم.

مياه الأنهار جفف ٣/٢ هذه المساحة في القرن العشرين من بحر زويدر الذي أصبح بحيرة داخلية معروفة باسم يزلمير Iiselmeer، عن طريق عمل السدود التي تفصلها عن البحر ثم تجفيف الأرض خلفها، وقد تكرر هذا أيضا في شرقي إنجلترا، وكسبت إنجلترا منها بهذا نحو ١٥٠ ميلا مربعا، ومن المناطق الأخرى التي تم صرفها بهذه الطريقة أجزاء من بحر الشمال مقابل ألمانيا، وحوض البو في إيطاليا ودلتا الدانوب في رومانيا، كما نجحت عملية التجفيف هذه وكسب أرض جديدة للزراعة في مستنقعات بونتين جنوب غربي روما.

أوروبا الزراعية

عرفت أوروبا الزراعة متأخرة، عرفها الجنوب الأوروبي، ومن اليونان انتقلت إلى حوض الدانوب ثم شمالا بغرب نحو بحر بلطيق وما وراء حوض الدانوب ثم انتشرت أيضا في إقليم الاستبس الأوكراني، كما امتدت من شرقي البحر المتوسط إلى غربيه في أسبانيا وفرنسا والمرجح أن هذا حدث في ٤٠٠٠ ق.م وهناك حقيقتان أساسيتان تمثلان خلفية الزراعة الأوروبية اليوم أولها أن الزراعة الأوروبية اليوم تمثل قمة جهود بذلت ونضال مستمر لاستئناس بيئة لم تكن تصلح لقيام الزراعة، ذلك أن زراعة التربات الأوروبية أخذت من الأوروبيين جهدا في تطهير الأرض من الغابات، وتجفيف المستنقعات وتحسين خواص التربة ولم يكن الألمان ولا السلاف، ولا أهل اسكندناوة، ويتخلون عن غاباتهم بسهولة، فهي مصدر خشب الوقود والبناء، وهي مصدر العسل، وأطرافها تمثل أرض المراعي. وثانيها نظرا لأنها تعكس تقدما تكنولوجيا وعلميا مما أدي إلى حدوث ما يشبه الثورات الزراعية أكثر من مرة في الأجزاء المختلفة من القارة بين القرنيين السابع عشر والتاسع عشر.

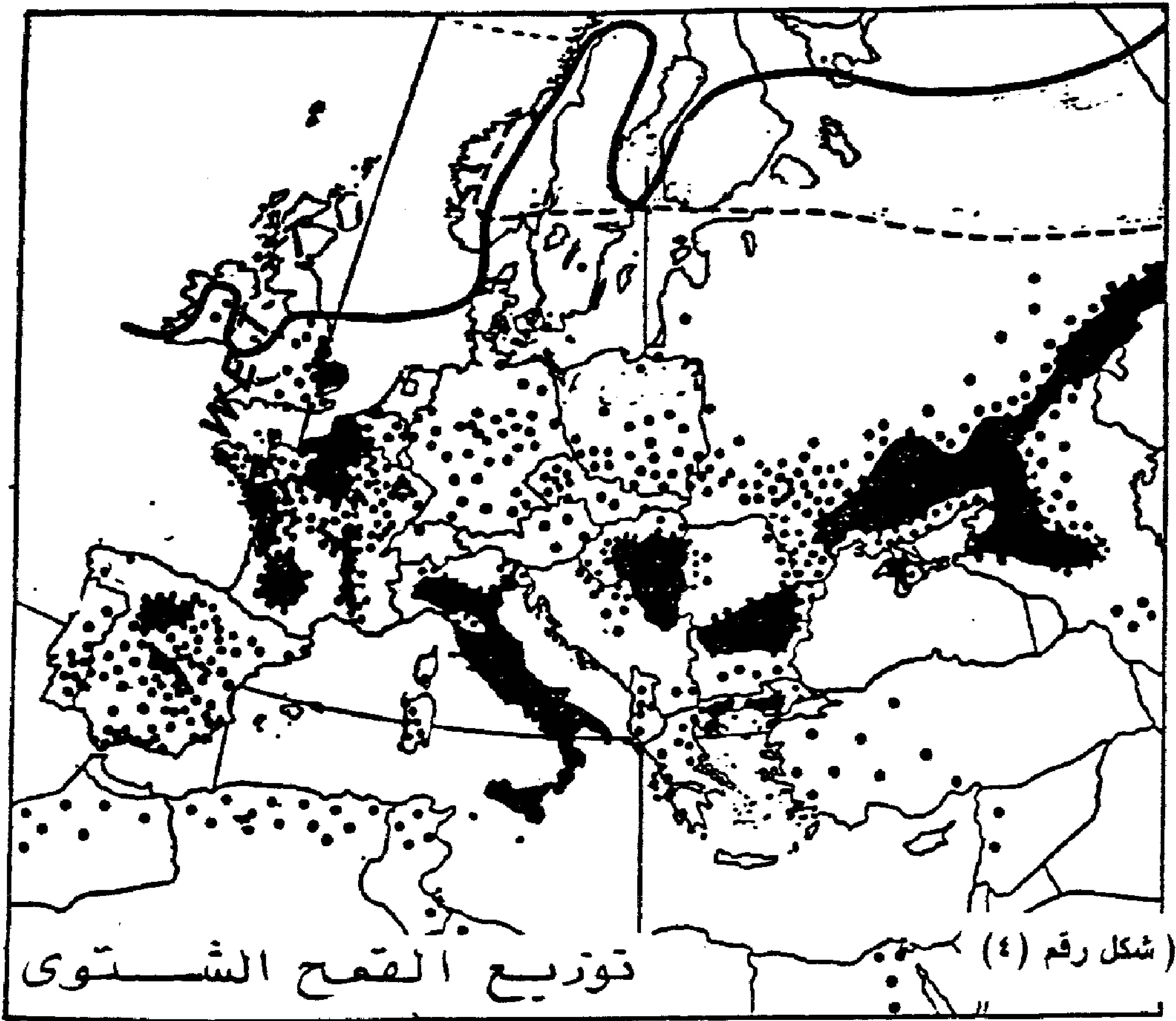
أسس علمية وتقنيات حديثة:

تتميز الزراعة الأوروبية بأنها تعتمد على الأسس العلمية والتقنيات الحديثة مثل استعمال البذور الجيدة، وانتخاب بذور جديدة عن طريق التهجين، مقاومة الأمراض، واستخدام الأسمدة مما يؤدي إلى ارتفاع إنتاجية الفدان التي في المتوسط تبلغ نحو ١٩٠٠ كيلو جرام، كما تتميز أيضا بأنها زراعة مختلطة بوجه عام، أي أن تربية الحيوان لها نصيب كبير إلى جانب إنتاج المحاصيل الزراعية، وفي هذا الخصوص أيضا يلقي الحيوان عناية ورعاية كثيرة بحيث يصبح وزن البقرة على سبيل المثال أضعاف وزنها في آسيا أو أفريقية، ويستفيد

الحيوان من مخلفات الإنتاج الزراعي، كما تستفيد الأرض مـــن مخلفـــات الحيـــوان، وتنتشـــر الزراعة المختلطة بصورة أكبر في وسط وغربي القارة أي في المنـــاخيين القـــاري الرطـــب، والبحري الرطب طول العام. وتعتبر الخنازير والماشـــية والأغنـــام أهـــم حيوانـــات المزرعـــة المختلطة. ورغم أن أوروبا شهرتها العريضة هي الصناعة فالزراعة مسئولة بطريـــق مباشـــر وغير مباشر عن حياة قطاع هام من السكان.

القمح : تحد زراعته في الشمال انخفاض درجة حرارة يوليه (الصيف) إلى ما دون الصفر فإلى الشمال من هذا الخط الصيف قصير للغاية والشتاء شديد الـــبرودة كذلـــك تختفـــي زراعته في الأقاليم الجبلية، كما في جبال الألب والكربات وتقل زراعته أيضا في غرب الجـــزر البريطانية وشمال غرب أسبانيا نظرا للرطوبة الزائدة ثم تأتي التربة الفقيرة كعامل رابع يحـــد من زراعته في سهول ألمانيا وبولند الشمالية، من ثم كانت اكثر الأقـــاليم مناســـبة لزراعتـــه الأجزاء الدفيئة والأقل رطوبة في الإقليم المعتدل البارد أي إقليم البحـــر المتوســـط والعـــروض الوسطي من القارة أو إقليم الاستيس.

وتأتي أوروبا في المركز الثاني بين القارات إنتاجا للقمح بعد آسيا، لكنها وحدها تنتـــج ما تتراوح بين $\frac{١}{٣}$ ، $\frac{١}{٤}$ الإنتاج العالمي نظرا لارتفاع إنتاجية الفدان.ويزرع فيـــــها النوعـــان القمح الشتوي في دول البحر المتوسط، على حين يزرع القمح الربيعي حيث تنخفض درجـــات الحرارة كما هو الحال في روسيا حيث تأتي روسيا واوكرانيا كأكبر دولتين منتجتيـــن لـــه فـــي شرقي أوروبا كما تأتي فرنسا كالمنتج الأول في غربي أوروبا، وتليها ألمانيا. وكـــانت إيطاليـــا تفوق على ألمانيا في إنتاجه، ولكن تراجع مركزها إلى المركز الثالث بعد توحيـــد الألمـــانيتين، وهو هنا أيضا يزرع في جهات متعددة، ولكن حوض البو والسهول الساحلية الشـــرقية أهميـــة خاصة في هذا السبيل. هذا وتعتبر فرنسا وألمانيا وروسيا دول مصـــــدرة للقمـــح، وان عـــانت الأخيرة من انخفاض إنتاجها بل وحاجتها إلى الاستيراد نتيجة ما يحدث من تغـــيرات مناخيـــة ممثلة في موجات برد شديد، أو جفاف غير متوقع بينما على رأس الدول الأوروبية المســـتوردة دول الشمال اسكندناوه وفنلند، فضلا عن المملكة المتحدة.



(شكل رقم (٤))

الشعير Barley : هو بدروه يكون إنتاجه ممتازا إذا زرع في أراضي القمح، ويتفادى المناخ الذي يغلب عليه الغيوم والمرتفع الرطوبة والذي يصلح لزراعة الشوفان فهو يحتاج إلى الشمس، نظرا لأنه يستفيد من طول النهار في فصل الصيف القصير، من ثم يزرع في الدائرة القطبية. تستورد بريطانيا، وألمانيا، وهولندا وبلجيكا كميات ضخمة منه لصناعة الجعة (البيرة).

الشليم أو الجودار Rye : ويطلق عليه القريب الفقير للقمح، وينمو جيدا في الأراضي التي يزرع فيها القمح، ومع ذلك من الناحية الفعلية يزرع في المناطق التي يأباها القمح من حيث التربة والمناخ، من ثم كانت المطالبة المتواضعة يتركز في سهول ألمانيا وبولندا وروسيا حيث توجد التربة الفقيرة.

الشوفان Oats : ويتطلب نفس المناخ الذي يزرع فيه القمح، ومع ذلك فهو يحتمـــل رطوبة أكثر وسطوع شمسي أقل، كما أنه لا يمكن زراعته في الأقاليم الجافة، ومن ثم فـــهو لا يظهر في حوض البحر المتوسط أو الاستبس، وبالتالي تصبح أوروبا الشمالية هـــي أرضـــه، ويستخدم معظمه في تغذية الخيل. فضلا عن الأبقار بصفة خاصة حول بحر البلطيق وإذا كـــانت رطوبة الصيف زائدة على الحد بحيث لا ينضج الشوفان والجودار، فيقطع أخضرا ويقدم علفـــا للحيوان، ولا يستخدم الشوفان في الغذاء إلا فـــي اسـكتلند (الجـــزر البريطانيـــة عمومـــا) واسكندناوه (على هيئة بليلة باللبن).

بنجر السكر Sugar Beet : ويلائم مناخ أوروبا زراعة بنجر السكر، من ثم تنتشـــر زراعته فيها، لحاجته إلى دفء صيفي وخريف بارد، كما أن المطر خاصة في أوروبا الغربيـــة طول العام، من ثم تسهم أوروبا بنحو نصف الإنتاج العالمي بفضل التســـميد الجيـــد والعنايـــة الفائقة لأنه بناء هام للإنسان لاستخراج السكر، واستخدام فضلاته غذاء للحيوان خاصـــة وان المزارع الأوروبية تجمع بين زراعة الأرض وتربية الحيوان.

ويأتي الاتحاد الروسي في مقدمة الدول الأوروبية إنتاجا للبنجر، خاصة اوكرانيا التـــي لها نحو معظم إنتاج الاتحاد الذي يبلغ نحو ٣٠% من الإنتاج العالمي. ويمتد نطاق البنجر مـــن شرقي إنجلترا إلى شمالي شرقي فرنسا وهولندا وبلجيكا وألمانيا وبولنده حتى الاتحاد الروسي، فضلا عن بقاع متناثرة هنا وهناك في إيطاليا وأسبانيا، وتأتى فرنسا في إنتاجـــه بعـــد روســـيا الاتحادية.

الذرة العريضة Maize-Corn : وتقتصر زراعة الذرة في أوروبا علـــى جنوبيـــها وشرقيها أيضا لحاجتها إلى صيف دافئ ومطر صيفي، من ثم كان حوض الدانوب وامتداده فـــي جنوبي أوكرانيا، اما في حوض البحر المتوسط وفي حوض البو وجنوبي غرب فرنسا وأسبانيا، فمعظمها يعتمد على الري الصيفي.

الأرز : ولا تسهم أوروبا في إنتاج الأرز إلا بقدر ضئيل نظرا لعدم توفـــر الظـــروف المناخية خاصة الحرارة اللازمة له، من ثم تقتصر زراعته على حوض البحر المتوسط.

البطاطس : يزرع في أقاليم عديدة، ولكنه يجود في التربات الخفيفـــة حيـــث يمكـــن

للدرنات أن تنمو وكذلك يشترط في التربة أن تكون جيدة الصرف، وحيث يميل المناخ إلى الاعتدال والمطر موزع توزيعا جيدا أثناء العام، من ثم كانت أراضيه هي تقريبا أراضي الشليم في السهول الشمالية في أوروبا.

الزيتون : ويجود في مناخ البحر المتوسط المناخي، حتى يمكن أن يحدد هو موقع الإقليم، على عكس الحمضيات كالبرتقال والليمون والتي تعتبر من محاصيل هذا الإقليم إلا أنها أكثر تركيزا، خاصة في إقليم فالنسيا في أسبانيا ونابلي في إيطاليا، ولا ننسي في هذا الشأن ليمون صقلية.

وتزرع كروم المائدة وكروم النبيذ، ومناخه المثالي هو مناخ البحر المتوسط أي في المناخ المشمس والأجزاء الدفيئة من أوروبا الغربية.

الحيوان : وفي توزيع الثروة الحيوانية، نجد أن الحصان هو حيوان الجر، أو حيوان المحراث في أوروبا الغربية وإقليم الاستبس، على حين أن البغال والحمير هي حيوانات الجر والحمل في الجنوب أي في حوض البحر المتوسط.

وتربي الماشية على المراعي الرطبة في شمالي وغربي القارة، مع تركز شديد لأبقار الألبان في بعض الدول مثل هولند والدانمرك وإقليم بريتاني في فرنسا. وتتركز الخنازير في الدانمرك وشمالي ألمانيا وهولندا وبلجيكا، تعتمد أساسا على الشعير والبطاطس والمنتجات الجانبية للألبان (اللبن المنزوع الدسم).

وتتركز الماعز في الأجزاء الجافة لتلال البلقان، بينما مجال الأغنام أكثر اتساعا من الجزر البريطانية في الشمال الغربي إلى البلقان في الجنوب الشرقي ومن هنا يمكن القول بأن الاعتبارات الاقتصادية تتفوق على الاعتبارات الجغرافية في التوزيع.

أسماك : من المعروف أن معظم مصائد الأسماك الرئيسية في العالم ترتبط بالمياه المعتدلة والباردة، وترتبط أيضاً بالمياه الضحلة التي يتخللها ضوء الشمس، لأن هذا يساعد على وفرة البلانكتون نباتي وحيواني والتي تتغذي عليها الأسماك، من ثم كانت الأرصفة القارية بيئة طبيعية جيدة. ونظراً لأن البلانكتون تتغذي على الأملاح المعدنية التي تجلبها مياه الأنهار، بالتالي يكثر البلانكتون بالقرب من السواحل. وكذلك حيث تتقابل التيارات الباردة بالتيارات

الدفينة، وتمثل البيئات الرئيسية لصيد الأسماك في شمال غرب أمريكا الشمالية، وكذلك شـــمال شرقي أمريكا الشمالية وسواحل اليابان، وتأتي سواحل الأطلنطي في شمال غربي أوروبا بمـــا فيها بحر الشمال من المناطق الرئيسية ، بل تعتبر ثاني مصائد الأسماك فـــي العـــالم، وتمتـــد أراضي الصيد من أقصى شمال النرويج حتى سواحل المغرب، وتضم أيضاً مياه ايسلند، وظلـــت مياه بحر الشمال هي أهم المصائد الأوروبية حتى تلوثت مياهه باستخراج بترول بحر الشـــمال من ناحية، ومن ناحية أخرى من النفايات التي تلقيها الأنهار الأوروبية، ويشترك في مياه بحـــر الشمال كل من المملكة المتحدة والنرويج وألمانيا والدانمرك. ومن أهم المنتجات السمكية لبحـــو الشمال الرنجه بالدرجة الأولي والبكالاه Cod والهالبوت، على حين يصيدون الهاردك في المياه العميقة، فضلا عن البلايس والمكريل في المياه الضحلة، أما مصائد أسبانيا والبرتغال وفرنســـا فتقل فيها هذه الأنواع ويزداد السردين من أقاليم الصيد الأخرى في الحـــوض الغربـــي للبحـــر المتوسط حيث السردين والأنشوجة والتونة، كما يكثر المحار Oyster في المصبات الخليجيـــة لأنهار التيمز والراين، هذا تسهم المصائد الأوروبية بما يتراوح ١/٥ بين ١/٦ ، الإنتـــاج الســـمكي العالمي البحري، أي تأتي في المكان الثاني بعد شرقي آسيا.

غنية في موارد الطاقة فقيرة في المعادن

تضم أوروبا العديد من الموارد المعدنية التي شكلت القاعدة للثورات التكنولوجية منـــذ عصر البرونز (نحاس + قصدير) إلى الثورة الصناعية الحديثة والتي بدأت معتمدة على الفحم والحديد، كما تتميز أوروبا بأن الإقليم الصحراوي غير ممثـــل فيـــها إلا فـــي أقصـــى الشـــمال (الصحراء الجليدية) وفي أقصى الجنوب الشرقي(شبه حراري) مـــن ثـــم تمـــيزت بوفـــرة مواردها المائية.

وتفاعل الإنسان مع الموارد الطبيعية، فاستخدمت المجاري المائية لتوليد الطاقة التـــي أدارت الطواحين، وصهر المعادن مع نهاية العصور الوسطي، وكانت المرتفعات بدورها مصـــدر للماء نتيجة تساقط الثلوج فوقها، ومن ثم أمكن تنمية توليد الطاقة الكهرومائية، ثم كان التقـــدم التكنولوجي مصاحبا للزيادة السكانية وشجعت الأنهار وأطوال السواحل على التجـــارة وتبـــادل الفكر وفي نفس الوقت بدات تقل أهمية بعض الموارد كالفحم الذي حل محله البـــترول والغـــاز الطبيعي نظرا لازدياد تكاليف استخراج الفحم من المناجم العميقة، فضلا عن تلوث البيئة نتيجـــة حرق الفحم.

المعادن الفلزية : أوروبا ليست غنية بالمعادن الفلزية بوجه عام، والموجود من هذه المعادن مرتبط بالصخور القديمة إلى الجنوب من سلاسل الألب في الجنوب والجزر كلها ساعدت على ثورة الصناعة في بريطانيا، من هذه التقنيات الحديثة، الآلات التي تعمل بالبخار، آلات النسيج جديدة، استخدم الكوك في صهر خام الحديد، ثم اكتشاف الصلب، ثم كانت هناك التطورات الكبيرة في الصناعات الكيماوية.

أوروبا الصناعية

يمكن تقسيم الصناعات الأوروبية إلى مجموعتين كبيرتين هما :

مجموعة الصناعات الاستخراجية Extractive، ومجموعة الصناعات التحويلية Manufacturing وتشمل الصناعات الاستخراجية التعدين والتحجير (من المحاجر) صيد الأسماك، وقطع الأشجار. وبطبيعة الحال تصبح الجيولوجيا الاقتصادية والجغرافية الاقتصادية مسئولة عن توطنها، ويمكن أن نضيف إلى هذه القائمة توليد الكهرومائية واستخلاص النتروجين من الهواء. وهذه نتيجة تطورات شهدتها الصناعات الاستخراجية في القرن العشرين.

أما الصناعات التحويلية أي تحويل الخامات إلى أشكال أخرى بقصد زيادة منفعتها، ومعظمها يتم الآن بالآلات وان كان بعضها ممثلا في الصناعات الخفيفة بما فيها صناعات الكماليات مازالت للأيدي العاملة اليد الطولي وخبرتها مثل النبيذ الفرنسي، والسجاد الإيراني، والدانتلا البلجيكي، واللعب الخشبية الألمانية، ومن ناحية أخرى هناك الصناعات الرئيسية التي تعتمد عليها الدول الصناعية، حيث تستخدم الآلات بشكل كبير مثل صناعات الصلب، الكيماويات، والهندسية، وبناء السفن.

مراكز صناعية جديدة : الناظر إلى خريطة نطاق الصناعة في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية يشهد تغيرات كثيرة عما كانت عليه قبل تلك الحرب، ذلك أن هذا النطاق أو الحزام يضم المراكز الرئيسية لصناعة الحديد والصلب والتي أدت بدورها إلى قيام مراكز للصناعات الهندسية والصناعات الكيماوية الثقيلة، لكن كان لتطور وسائل النقل وسرعتها، وكذلك وسائل الاتصال الأخرى، وتطور إنتاج الطاقة، مثل الطاقة (بترول ــ كهرباء)، ما أدى

إلى قيام مراكز صناعية جديدة خارج هذا الحزام. إذ نمت مراكز صناعية جديدة حول المدن الكبيرة، وحول المجتمعات الصناعية القديمة. ومن الظاهرات الصناعية الحديثة أن التوطن الصناعي بدأ يتجه نحو السواحل ليستفيد من اقتصاديات النقل البحري في أحجام الخامات المستوردة. من أمثلة هذا النوع صناعة الحديد والصلب في دنكرك (فرنسا) وفوس بالقرب من مارسيليا، وبريمن وإيميدن في ألمانيا، جنوه وتارنتو على ساحل إيطاليا الغربي، وميناء تالبوت ونيوبورت جنوبي ويلز، وكان لانتشار معامل تكرير البترول أثره في انتشار الصناعات الكيماوية أيضا على السواحل، من أمثلتها ميناء السهمبر والتيز في المملكة المتحدة، ويوروبورت في هولند.

وهناك الصناعات التي تعتمد على القوي الكهرومائية في وسط السويد، وجنوبي النرويج. وتلك التي تعتمد على الغاز الطبيعي في حوض البو شمالي إيطاليا، هذا بل أصبحت الصناعات الرئيسية التي تقع في حزام الصناعة المعروف حتى من قبل الحرب العالمية الثانية، أصبحت تعتمد على الخارج اعتمادا كبير بدورها، البترول، خام الحديد، خيوط النسيج، على سبيل المثال تعتمد دول أوروبا الشرقية في استيفاء هذه الواردات على روسيا الاتحادية، كما تعتمد ألمانيا على حديد السويد. وبترول وغاز روسيا. وتستمد فرنسا فحم الكوك من حوض الرور بألمانيا، وجزءا من الغاز الطبيعي من هولند. وتستورد إيطاليا أحيانا الفحم من الولايات المتحدة الأمريكية والبترول من روسيا والغاز الطبيعي من هولند والجزائر، وكانت صناعة التكرير فيما مضي هي صناعة الدول المنتجة فأصبحت صناعة الدول المستهلكة، وبالتالي قامت مجمعات البتروكيماويات معظمها في الموانئ الأوروبية هامبورج، روترادام، أنتورب، جنوة، مرسيليا، وتقدمت صناعة البتروكيماويات مستفيدة من مخلفات صناعات الحديد والصلب والفحم، والمعادن غير الفلزية لتقدم مجموعة من المنتجات التي لا غني عنها اليوم من المفرقعات إلى معجون الأسنان، ومن البلاستيك إلى مواد الصباغة، ومن السماد إلى الدواء. وتمثل الصناعات الخفيفة مجموعة أخرى من الصناعات التي تميل إلى أن تكون قريبة من الأسواق، ومن الانتشار في مساحات واسعة في العواصم والمدن الكبرى وحولها، وتنمو مثل هذه الصناعات بصورة كبيرة في المجمعات ذات المستوى المعيشي المرتفع وبالتالي يكون الطلب عليها مستمرا على هذه النوعية من الكماليات وأشباه الكماليات، كما أن هذه المدن الكبيرة تضم تسهيلات النقل والاتصال والخدمات كأعمال البنوك والتامين. وهذه بالتالي توجد في المدن الكبيرة لندن، فرانكفورت، باريس، زيوريخ. امستردام، كوبنهاجن. فيينا.

بين الأقاليم الصناعية القديمة والجديدة : هكذا ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين ظاهرتان رئيسيتان ميزت الجغرافية الاقتصادية لأوروبا وخاصة الغربية وهي *الأولى* نمو المراكز الصناعية الجديدة حيث الظروف ملائمة لاحتياجات التكنولوجيا المتطورة. وفي نفس الوقت ظلت مراكز الصناعية التقليدية القديمة مستمرة في الأقاليم القديمة، ذلك أن الاستثمارات في إقامة المصانع، والمساكن، والمهارات البشرية، والبنية الأساسية يجعل من نقل هذه الصناعات إلى أقاليم أخرى عملية مكلفة للغاية، فهناك مميزات لإنتاج سلع في أقاليم تتمتع بمهارة فنية عالية، ونظام متكامل للنقل والتوزيع ويدعمها توفر خدمات عديدة وكلها في صف ميزات المواقع الأصلية لهذه الصناعات . فالإبقاء على الإنتاج في أقاليم قد تكون فيها التكاليف أكثر ارتفاعا عنها في مناطق أخرى وترجع إلى أن نقل المراكز الصناعية إلى مراكز جديدة وتدهور المراكز القديمة لا يتأتي إلا إذا ارتفعت التكاليف بصورة كبيرة أو ظهور منتجات جديدة أو انخفاض الطلب على المنتجات الأصلية، فعلي سبيل المثال مازالت صناعة الحديد والصلب تعمل في تسين في ديسبرج بألمانيا حيث يلتقي الرور بالراين. مثل هذه الصناعة التي استطاعت البقاء أنفقت عليها استثمارات ضخمة في تحديث الآلات والأجهزة الحديثة وترتب على ذلك أن حاجتها للأيدي العاملة قلت كثيرا.

الثانية : كان هبوط الطلب على الوظائف Jobs في ميدان الصناعة بنحو ٢٠% بين عامي ١٩٧٠، ١٩٨٥. وهذا كان أكبر مما استوعبه ارتفاع نسبة العمالة في قطاع الخدمات، ذلك أنه لم يكن في الإمكان انتقال العمالة ذات الأردية الزرقاء التي كانت تعمل في المناجم والمصانع إلى عمالة ذات ياقات بيضاء تعمل في المعامل والمكاتب. والشركات، وبحكم السن كان من الصعب تدريبها.

الفصل الثاني
وجـــــه أوروبـــــا

الأرض ومناخها ونباتها

أقاليم جبلية ثلاثة ورابعها منخفضات : لا شك أن خمسة بلايين عاما من الحركات الأرضية كان أثرها واضحا في تشكيل سطح أوروبا، هضابا وجبالا وتلالا وسهولا، فهناك فترات تكوين الجبال المرتفعة، وهناك فترات الهدوء حين تقوم عوامل التعرية من رياح وأمطار ومياه جارية وجليد. فضلا عن الجاذبية الأرضية بنحت هذه المرتفعات، وإرساب ما تحمله إلى المنخفضات، يمكن فزيوغرافيا أن نميز أربعة نطاقات من الغرب إلى الشرق :

(١) أقاليم جبلية ثلاثة: وهي المرتفعات الشمالية الغربية، السلاسل الجبلية والهضاب الوسطي، السلاسل الجبلية الجنوبية.

(٢) يأتي الإقليم الفزيوغرافي الرابع ممثلا في السهل الأوربي العظيم الذي يمتد على هيئة مروحة يدها في فرنسا، وينفرد ريشها في السهول الروسية، ولا شك أيضاً أن هناك سهولا أقل اتساعا ممثلة في أودية وأحواض النطاقات الجبلية، وكذلك على طول سواحل البحر المتوسط والبحار الشمالية.

أصل الجبال :

ظهرت الجبال في أوروبا نتيجة عملية بناء الجبال Orogenesis والتي نتجت بدورها عن حركات الرفع والخفض التي أصابت القشرة الأرضية، أكثر منها نتيجة اندفاع اللابا من باطن الأرض مكونة الجبال البركانية، وإن كان هذا لا يعني أن أوروبا خالية منها تماماً، ولكنها محدودة كجيوب مبعثرة في وسط أوروبا وعلى طول الساحل الغربي لشبة جزيرة إيطاليا، ومازال نشطا منها حتى الآن فيزوف وإتنا، وسترومبولي في إيطاليا، فضلا السهل الجنوبي لجزيرة أيسلند.

ولقد حدث تجعد سطح القشرة الأرضية خلال ثلاث فترات رئيسية، وكانت عمليات الرفع التي حدثت ناتجة عن حركات ضغط من كتلة جندوانا في الجنوب في اتجاه كتلة أوراسيا Laurasia الصلبة في الشمال. أو ما عرف بعملية زحزحة القارات (الكتل القديمة) وضغطها

على الرواسب في قاع بحر تثيس.

الرصيف الروسي أو درع البلطيق : لعل المفتاح الرئيسي لهذه العملية هو وجود درع من صخور قديمة شديدة الصلابة (جرانيت ونيس وشست) والذي يكون الآن معظم سطح فنلند واسكندناوه والذي تغطيه رواسب احدث في بولند وروسيا، وكانت مقاومته للضغوط حوله سببا في رفع رواسب البحار لتصبح جبالا، أما سطح هذا الدرع فلا يزيد على ٢٠٠ متر فوق سطح البحر نظراً لطول فترة تحت عوامل التعرية له.

الحركة الكاليدونية (أواسط الزمن الأول) :

تمثل أقدم حركة رفع أو حركة بانيه للجبال Caledonian orogensis وترجع إلى ٤٥٠ مليون سنة، وقد أثرت أولاً في الأطراف الشمالية الغربية لدرع البلطيق، وتظهر جبالها في غربي شبة جزيرة اسكندناوه وشمالي اسكتلند وايرلند، وقد استطاعت عوامل التعرية من ذلك العهد السحيق أن تحولها إلى سهول تحاتية، وتنزل بها من علوها. من ثم يتراوح ارتفاعها بين ١٠٠٠، ١٣٠٠ متر. وإن زادت إلى ٢٥٠٠ متر في قمم جنوبي النرويج.

الحركة الهرسينية (أواخر الزمن الأول) : أما الفترة الثانية لتكوين الجبال فكانت من منذ ٢٠٠ مليون سنة وأدت بدورها إلى ظهور مرتفعات أوروبا الوسطي، من فرنسا إلى التشيك وتعرف بالحركة الهرسينية نسبة إلى التعبير اللاتيني هيرسينيا سيلفا Hercynia Silva الذي يطلق على غابة بوهيميا، وهذه بدورها مزقتها عوامل التعرية فقد كانت عند بداية تكوينها شديدة الارتفاع، ثم هبطت أجزائها ونمت عليها غابات شبه مدارية فوق الدلتاوات والمستنقعات الساحلية أثناء عملية الهبوط والتي تحولت بدورها إلى عروق الفحم التي تمتد على طول امتداد المرتفعات الهرسينية. وحينما حدثت الحركة الألبية في أثناء عصور الزمن الثالث، عملت الضغوط الهائلة الآتية من الجنوب على تكسر الالتواءات الهرسينيه، فارتفعت كتل، وهبطت أخرى. وتبدو الكتل التي رفعت في هيئة هضاب يتراوح ارتفاعها بين ٧٠٠ ، ٢٠٠٠ متر. ولما كانت حركات الضغط آتيه من الجنوب، كانت حوافها المواجهة لجبال الألب (الجنوبية) أشد انحدارا من أطرافها الشمالية.

كما صحب حركة رفع الكتل الهرسينية عمليات إنكسارية. ولهذا نجد العديد من تلك الكتل وقد قطعتها أودية عميقة كما هي الحال في هضبة فرنسا الوسطي ومرتفعات الراين.

وتمثل هذه الكتل بالإضافة إلى هضبة الأردن Ardennes، والفوج، والغابة السوداء. ومرتفعات الهارتز Harz، وهضبة بوهيميا على طول إمتداد شمالي سلاسل جبال الألب ومنها أيضا في أوروبا الجنوبية، هضبة المزيتا Messitaa في أسبانيا وجزيرة كورسيكا، وجزيرة سردينيا، وكتلة بيهور Bihor في تراتسلفانيا، وهضبة رودوب Rhodope في شبه جزيرة البلقان ومن أمثلة الأودية العميقة الأخاديد Grabens، مثل الوادي الأخدودي الذي يجري فيه نهر الراين. هذا كما صحب الحركات الانكسارية نشاط بركاني على طول الخطوط الانكسارية، ويتمثل الآن في براكين خامدة اكتسحت عوامل التعرية قسما كبيرا من تكويناتها، كما في هضبة فرنسا الوسطي وتعرف هناك باسم Puys.

الحركة الألبية (أواخر الزمن الثاني وأوائل الثالث) أكثر هذه الحركات حداثة، فقد بدأت منذ ٥٠ مليون سنة ومازالت، وهي المعروفة بالحركة الألبية، وهي لم تكن مسئولة عن تلك القمم العالية التي تشهدها سويسرا والنمسا وأشباه الجزر الجنوبية فحسب بل عملت أيضا على استعادة شباب النظم الجبلية السابقة. وقد ظهر هذا النظام الجبلي نتيجة تجمع كميات ضخمة من الرواسب الرملية والجيرية. وخاصة الأخيرة، ثم تحرك الكتل القارية ممثلة في الكتلة الأفريقية جنوباً والكتلة الأوراسية شمالاً مما أدي إلى ضغط هذه الرواسب والتواتها في هيئة ثنيات محدبة وأخرى مقعرة، بعضها بسيط وبعضها معقد، وانضغطت في الشمال على الكتل الهرسينية الصلبة لترتفع وتبرز فوق سطح البحر مكونة هذه السلاسل الضخمة من جبال أوروبا الجنوبية.

وقد نشأت المرتفعات الألبية في مجموعتين من السلاسل، إحداهما شمالية والأخرى جنوبية. أما المجموعة الشمالية فقد سميت بالمجموعة الألبيدية Alpides. وأما الجنوبية فتسمي بالديناريدية Dinarides. وفيما بين هاتين المجموعتين تنحصر كتل هرسينية كهضبة المزيتا، وهضبة رودوب، كما أن حوض المجر (أو حوض بنونيا Pannonian)، والبحر الأسود ما هي إلا نتيجة هبوط في الكتل الهرسينية.

ومن أمثلة هذه السلاسل الألبية البرانس وسيرانيفادا في أسبانيا وأبنين في إيطاليا والألب في فرنسا، وإيطاليا، والنمسا وسويسرا، والألب الدينارية والكربات في البلقان. ورغم أن هذه السلاسل الجبلية جيرية التكوين فقد فظهر فيها الصخور البلورية في أعلى القمم في سويسرا وفرنسا كمونت بلان (الجبل الأبيض) وتتميز السلاسل الألبية بشدة ارتفاعها مما يدل

على شبابها. فأعلى قمة فيها وهي مونت بلان على الحدود الفرنسية الإيطالية تبلغ ٤٨١٠ متر. ومونت روزا على الحدود السويسرية الإيطالية ٤٦٣٨ متر، كما يتراوح عرضها بين ١٠٠، ٢٥٠ كم في شمالي إيطاليا، وبين ١٠٠ ، ١٢٠ كم في الكربات.

والألب رغم ارتفاعها الشديد لم تمنع الاتصال بين السهل الأوروبي في الشمال وبين الجنوب الأوروبي. وذلك بفضل الممرات العديدة كراكسون، الرون / الساوون، مونت سني، سان جوثار. برنر. المورافا / فردار. هذا ولم تصل السلاسل الألبية إلى مرحلة الثبات، فما زال يعتريها النشاط البركاني والزلازل بل وأحيانا تستمر حركات الرفع وما يتبع ذلك من كوارث، فقد دمرت ديروفنيك (في عام ١٦٦٧) ودمرت لشبونه عام ١٧٧٥. وأعيد بناء سكوبي (مقدونيا) أربع مرات آخرها بعد زلزل عام ١٩٦٣، كما سوت الزلازل كثير من القري بسطح الأرض في شمال إيطاليا عام ١٩٧٦. وأدت إلى تدمير وخسائر فادحة في بوخارست نتج عنها هلاك نحو ١٥٠٠ نسمة، كما أن هناك بعض البراكين النشطة في إيطاليا وصقلية بصفة خاصة.

أقاليم المنخفضات : ما بين كتل المرتفعات الشمالية ومرتفعات أوروبا الوسطي تمتد السهول الأوربية والتي كانت من قبل تغطيها مياه البحر. من ثم تجمعت فيها الرواسب التي جلبتها عوامل التعرية من المرتفعات المجاورة فضلا عن التكوينات الجيرية المترسبة في قاع البحار حتى أصبح سمكها كبيراً. ثم ظهرت على السطح بعد عمليات الضغط مكونه طبقات شبة أفقية لذلك يتراوح تكوينها بين التكوينات الجيرية التي تكونت في قاع البحر بواسطة الكائنات العضوية والطين، والحصى. والرمال من المرتفعات. ثم أصبحت لها مكون آخر ممثل في النباتات التي ظهرت بكفاية كبيرة في مياه ضحلة، وهذه بدورها دفنت تحت تكوينات رسوبية أحدث، فتحولت إلى صخور عضوية Organic هي الفحم (*) ، وكان استغلال هذا النوع من الطاقة السبب الرئيسي في نهضة أوروبا الصناعية ورغم ظهور بدائل أخرى للطاقة، قامت عليها صناعات أوروبية جديدة، غير أن مناطق الفحم مازالت لها أهميتها كأقاليم صناعية، وارتبطت التكوينات البترولية أيضا بعمليات الإرساب في منخفضات السهل الأوربي شمالا وكذلك في إقليم بحر الشمال، ويعزى تكوينه إلى تحلل المواد العضوية في غياب الأوكسجين، وأدت طبيعتها كسائل إلى أن تتسرب من مكان إلى مكان في فجوات الصخور الرسوبية حتى تبلغ صخور غير منفذة للسوائل، ومن ثم تصبح هذه المنطقة مثل مصيدة Trap للبترول. وقد

(*) قدر أن عرق واحد من الفحم بسمك واحد قدم يلزمه ٣٠٠ عام من الارساب النباتي في المستنقعات

ظهرت فعلا حقول البترول في امتداد هذه السهول تحت سطح بحر الشمال.

ولا يخدعنا لفظ السهول. فالسهول الشمالية في أوروبا ليست مستوية تماما، فقد قطعتها المجاري المائية وعوامل التعرية الأخرى، هكذا أصبح لفظ المتموجه Rolling هو الأقرب إلى الصحة. كما أن حركات الرفع التي أصابت القارة لم تترك هذه السهول على حالها، فقد رفعت بعض المواضع وخفضت مواضع أخرى. ولما كانت عوامل التعرية مستمرة في أدائها فقد أزالت الصخور الرسوبية الأقل مقاومة مما أدي إلى ظهور الأودية والحافات المرتفعة جنبا إلى جنب، ورغم أن السهول الشمالية وامتدادها نحو الشرق تمتد في مساحات شاسعة، فهناك سهول أخرى في القارة تتمثل في أحواض الأنهار في المناطق الجبلية. وسهول ساحلية. ورغم أنها بمساحتها قليلة، فهي تضم أكبر تجمعات سكانية في الدول التي تقع فيها.

السهول الداخلية :

وترجع السهول الداخنية في القارة إلى هبوط قشرة الأرض، ثم تعرضت بعد ذلك للإرسابات التي أتتها من المرتفعات المجاورة. من أهم هذه السهول سهل البو في شمال إيطاليا، وحوض بانونيان Panonian الذي تشترك فيه المجر مع جيرانها. وسهول ولاشيا في رومانيا ومن أهمها أيضا سهول حوض الراين الذي يعتبر أخدوداً في جزئه الأعلى محصورا بين هضبتي الفوج (فرنسا) والغابة السوداء (ألمانيا).

السهول الساحلية :

وتتكون في معظمها من الإرسابات البحرية Coastal Plains وامتدادها مستمر تحت سطح البحر الآن فيما يعرف بالرصيف القاري Contental Shelf والتي يغطيها الماء بنحو ١٠٠ قامة (*) وكانت هذه الأرصفة القارية جزء من اليابس الأوروبي في ذروة الفترات الجليدية، فقد عمل هذا الجليد المتجمع على اليابس إلى خفض مستوي مياه البحر، ولكن في فترات الدفء (مثل الحالة الآن) تغمرها مياه البحر. وهي الآن المصدر الرئيسي لإمداد أوروبا بالأسماك.

(*) القامة = ٢ متر

من آثار العصور الجليدية في أشكال السطح

الركامات :

صاحب عمليات الرفع والخفض والنحت والإرساب عمليات أخرى نشطة قام بها الجليد منذ ما يتراوح بين مليون ونصف ، و ٢ مليون سنة مضت. وكانت هناك فترات تتجمع فيها الثلوج أكثر مما يذوب منها، مما يؤدي إلى أن يبلغ سمك الثلوج في بعض الأحيان أكثر من ٣٠٠ متر في أوروبا الشمالية، وفوق قمم أوروبا الوسطى. وكان ضغط هذه الثلوج على بعضها كبيرا بحيث تحولت إلى جليد. يتحرك لمئات الكيلومترات. وكان اخر هذه العصور الجليدية هو ذلك الذي بدأ منذ ٣٥ ألف عام، وبلغ ذروته منذ ما يتراوح بين ١٠ الاف. ١٥ ألف عام. ثم بدأت عملية الانحسار حتى انتهت تماما من ٩ ألاف عام ودخلت مرحلة الدفء التي نعيش فيها الآن. والمهم في هذه العملية بالنسبة للسطح أنه حين انحسر الجليد ترك ركامه Moraine المكون من خليط من طمي ورمل وحصى. بل وجلاميد. كونت هذه الركامات حافات Ridges ويمكن تتبعها في أوروبا خاصة في شمالي شرقي ألمانيا وبولند. حيث يزيد سمك هذه الركامات على ثلاثين مترا، بل وفي بعض المواضع يبلغ ٥٠ مترا. كما كان لثقل الجيد على سطح الأرض في كثير من المواضع أن هبطت قشرة الأرض تحتها لبضعة مئات من الأمتار. وبالتالي كانت أيضا مكانا لتجمع الإرسابات القارية فيما بعد.

تربة اللويس :

وكانت الإرساب الهوائية (اللويس Loess) هي من تراث العصر الجليدي الأخير. فقد عملت الاختلافات الحرارية الحادة بين الأراضي المكشوفة والأراضي المغطاة بالجليد على توليد تيارات هوائية قوية، تحمل معها الأتربة الناعمة من الركامات الجليدية وتعيد إرسابها بسمك كبير حين تضعف قوتها، وكان هذا بصفة خاصة في السهل الأوروبي الشمالي. ورغم أن تربة اللويس من السهل تعريتها، فقد أصبحت مادة جيدة لتكوين تربة خصبة: مسامية سهله الصرف، مما لا تشجع على نمو الغابات الكثيفة، من ثم كانت خيرا وبركة بالنسبة للانسان لسهولة الحركة وسهولة أعدادها للزراعة. وقامت فيها المراكز الرئيسية للاستيطان البشري شمال الألب في عصور ما قبل التاريخ. وكان من ميزاتها بالنسبة للانسان في ذلك الحين ان أمكنه عمل مساكن له بالحفر بسهولة.

أعلى القمم الجبلية في المرتفعات الأوروبية

القمة	الدولة	الارتفاع بالمتر
مونت بلان (الجبل الأبيض).	فرنسا ـ إيطاليا	٤٨١٠
مونت روزا.	سويسرا ـ إيطاليا	٤٦٣٨
ويسهورن.	سويسرا	٤٥٠٥
مترهورن.	سويسرا ـ إيطاليا	٤٤٨١
فينسترارهون.	سويسرا	٤٣٤٣
جنجفراو.	سويسرا	٤١٦٧
جران باراديسو.	إيطاليا	٤١٢٦
إتنا.	إيطاليا	٣٢١٣

مناخ أوروبا

أوروبا محظوظة بنسبة كبيرة من الأقاليم المناخية الملائمة للزراعة والتوطن البشري أكثر من أي قارة أخري رغم صغر حجمها، فوقوعها في العروض الوسطي وعلاقتها بالبحار والمحيطات المجاورة أدي إلى زيادة مساحة المناخات المعتدلة (قارن هذا بقارية آسيا) وكذلك بوفرة نسبية من المطر، ولا تقل فرص إستثمار الأرض والتوطن إلا في أعالي المرتفعات وفي الأطراف الشمالية للقارة.

العوامل المؤثرة في مناخ أوروبا.

موقعها في العروض الوسطي والعليا : ذلك أن أشعة الشمس تكون عليها أكثر ميلا عنها في الأقاليم المدارية، وبالتالي تكون أقل حرارة، فهذا الميل للأشعة يفقدها جزءا كبيرا من طاقتها الحرارية التي تمتصها طبقات الجو عما لو كانت عمودية، كما أنها تتوزع على الأرض على مساحات واسعة أكثر من العمودية، ومن ثم يقل تركيزها، لذلك فهناك فقد كبير من الأشعة الأرضية أكبر من الذي يأتيها من الشمس كلما اتجهنا في أوروبا نحو الشمال، ورغم أن هناك فارق قدره ٤٠ درجة عرضية بين أقصى جنوبي وأقصى شمالي القارة، فمتوسط درجة حرارة الصيف متقاربة في أجزائها يتراوح بين ١٥°م، ٢٤°م، ويعوض النقص في الإشعاع الشمسي كلما اتجهنا نحو الشمال طول النهار الذي يزداد شمالا، فلندن وكوبنهاجن يستمر النهار فيهما

نحو ١٦،٥ ساعة في منتصف الصيف، على حين تنخفض في روما إلى اقل من ١٥ ساعة حتى إذا ما وصلنا إلى القطب الشمالي نفسه نجد طول النهار قد بلغ ٦ شهور في ذلك الفصل، وعلى العكس في الانقلاب الشتوي يقل عدد ساعات سطوع الشمس كلما اتجهنا شمالا من ٩ ساعات في روما إلى اختفاء الإشعاع الشمسي حول القطب الشمالي، وتعكس متوسطات الحرارة لأبرد الشهور هذه الحقيقة، فهي تتراوح بين ١٠°م في جنوبي أسبانيا واليونان إلى أقل من الصفر في شمالي السويد.

التضاريس : ونظراً لامتداد المرتفعات في أوروبا غربية / شرقية، بالتالي ولا تقف حائلا دون توغل الرياح الأطلنطية إلى الشرق، ومع ذلك فتأثير المرتفعات الألبية واضح في منع الرياح الباردة من التوغل في حوض البحر المتوسط معظم الشتاء، وإن كانت تظهر أحيانا قليلة، ويعرفها السكان بتسميات محلية مثل المسترال Mistral في حوض الرون، والبورا Bora في حوض الأدرياتيك.

وفي كل مرة تعبر الجبهة الباردة Polar Front جبال الألب، تحول حوض البحر المتوسط إلى إقليم ذو مناخ إعصاري، وهذا يحدث حين يتحرك المرتفع الأزوري نحو الجنوب، كذلك تظهر التناقضات المحلية في الحرارة بين اليابس والماء وخاصة في خليج جنوا مما يؤدي إلى ظهور أعاصير محلية، وإن كانت الأعاصير لا تشهدها مياه البحر المتوسط صيفا، وتسود التيارات الهابطة على اليابس ولذلك لا نجد تغيرات ظاهرة في درجة الحرارة اليومية.

وفي بعض الأحيان قد تتدفق كتلا هوائية من البحر المتوسط نحو الشمال، ثم تنحدر على السفوح الشمالية للمرتفعات الألبية، ونتيجة ضغطها بعضها فوق بعض ترتفع حرارتها، وتعرف باسم رياح الفوهن Foehn في الربيع، وتسبب أحيانا انهيارات ثلجية وما يتبع ذلك من خسائر في المحاصيل، وقد تتسبب في إضرام النيران.

التيارات البحرية : تعمل التيارات البحرية الدفينة على رفع درجة حرارة القارة الأوربية ما بين ٢-٣°م بالنسبة للدرجات العرضية التي تقع فيها نظرا لتدفق المياه الدفينة نحو الشمال حتى مورمانسك بسبب مرور تيار الخليج الدافئ الذي يتحرك من خليج المكسيك شمالا بشرق نحو القارة الأوروبية وهو يعبر المحيط وكأنه نهر ذو مياه دفينة، وبالتالي يبعث الدفء في الرياح الهابة فوقه والمتجهة إلى إيرلند وسواحل اسكتلند والنرويج، وبتفرع تيار الخليج

الدافئ عند التقائه بأوروبا، فرع يتجه إلى الجنوب وهو المعروف بتيار كناري، وفي حركته جنوبا تكون درجة حرارته منخفضة عن المياه التى حوله، ومن ثم تبرد الرياح التي تمر فوقه، ويزداد هذا الأمر أنه في مضيق جبل طارق يدخل تيار سطحي من المحيط المضيق نحو البحر المتوسط، وبالتالي يسحب المياه السطحية وما يتبع ذلك من ظهور مياه باردة من الأعماق لتحل محل المياه السطحية التي سحبها التيار، هذا كما تقوم التأثيرات البحرية بتقليل أثر الفروقات الإقليمية والموسمية للإشعاع الشمسي، ذلك أن الرياح الدفيئة التي تمر عبر المحيط الأطلنطي، تقلل من انخفاض درجة الحرارة، كما هو الحال في أوروبا الغربية التي تقع في مهب الرياح الغربية التي تتوغل فيها وفي خلجانها المائية من بحر البلطيق إلى البحر المتوسط، فتعطيها دفءا شتاء وهواء معتدلا صيفا.

الضغط الجوي حول القارة : ممثلا ف الضغط المرتفع الأزوري، والضغط المنخفض الايسلندي، والضغط المرتفع السيبيري مما سيأتي ذكره فيما بعد.

عناصر المناخ

الحرارة :

الصيف الشمالي (يوليه) :

إذا نظرنا إلى خريطة خطوط الحرارة المتساوية في شهر يوليه نجد أن درجات الحرارة في هذا الشهر تبلغ أقصاها في جنوب القارة وأدناها في شمالها فتبلغ درجة الحرارة في بعض بقاع البحر المتوسط أكثر من ٢٧ درجة مئوية، بينما نجدها في سواحل المحيط المتجمد الشمالي لا تتعدي ٩ درجات مئوية. معني هذا ان الحرارة تتناقص كلما اتجهنا مع دائرة العرض صوب الشمال. وينبغي أن نلاحظ أيضاً أن طول النهار يزداد طولا كلما اتجهنا نحو الشمال، ومن ثم فإن درجات الحرارة في الصيف تزداد في العروض العليا بسبب طول فترة ظهور الشمس. وهذا يعني أن طول النهار يعوض انخفاض درجة الحرارة في الشمال حتى أنها لتسمح بنشاط زراعي في تلك البقاع الشمالية بمحاصيل تلائم قصر فترة الإنبات. ففي روسيا يزرع نوع معين من القمح في العروض العليا يستطيع أن يكمل دورة الإنبات في نحو تسعين يوما.

الشتاء الشمالي (يناير) : تتناقص درجات الحرارة كلما اتجهنا من سواحل المحيط

الأطلنطي بالاتجاه نحو الشرق. ويقصر النهار، وتسقط أشعة الشمس مائلة على القارة مما يقلل من تأثيرها الحراري، وتصبح تأثيرات المحيط الأطلنطي هي العامل الفعال في تلطيف مناخ القارة، إذ تهب من هذا المحيط كتل هوائية دافئة نسبيا عبر القارة، لذلك تخلو السواحل الأوروبية الغربية من تراكم الثلوج حتى في داخل الدائرة القطبية الشمالية في معظم السنين. فدرجة الحرارة في شهر يناير على السواحل الغربية للقارة تتراوح بين أكثر من ١٠° عند الساحل الغربي للبرتغال ونحو ٤° عند الرأس الشمالي North Cape في النرويج.

وكلما توغلنا في قارة أوروبا نحو الداخل إلى وسطها وشرقها تأخذ درجات الحرارة في الهبوط حتى لتصل إلى ما دون درجة التجمد. فنجد مثلا ان درجة حرارة بطرسبرج (لينينجراد) في شهر يناير تهبط إلى ٩,٤م تحت الصفر، ودرجة حرارة موسكو تهبط إلى ــ ١١م وفي بوخارست ــ ٣ م، من ثم فمناخ شرقي أوروبا أقرب إلى المناخ القاري حيث يعظم فيه المدى الحراري السنوي، فالفرق الحراري بين متوسط حرارة الصيف ومتوسط حرارة الشتاء في موسكو مثلا يبلغ ٣٠ درجة مئوية، بينما يقل المدى الحراري قرب سواحل أوروبا الغربية. ففي كورونا (شمال غرب أسبانيا) لا يتعدى المدى الحراري ١٢ درجة مئوية، وفي فالنتيا Velentia جنوب غربي ايرلند ٨,٥م.

الضغط والرياح :

تتأثر الرياح التي تهب على قارة أوروبا بأربعة نطاقات ضغط رئيسية، نطاقان منهما مرتفعان، أما الآخران فمنخفضان، ويمكن التعرف على هذه النطاقات بدراسة خرائط الضغط والرياح للقارة في شهري يناير ويوليه. الضغط المرتفع الأزوري يتباين في اتساعه ولكنه دائم طوال السنة، والثاني يعرف بالضغط المنخفض الأيسلندي وهو دائم أيضا وإن اتسع في فصل الشتاء. والثالث هو الضغط المرتفع الآسيوي أو السيبيري ويظهر في فصل الشتاء فقط. أما الرابع والأخير فهو الضغط المنخفض الهندي أو الذي يتركز على جنوب غرب آسيا الذي ينشأ في فصل الصيف، ويؤثر في مساحة صغيرة نسبيا من قارة أوروبا وهي القسم الشرقي من حوض البحر المتوسط. وتتباين نظم الضغط هذه في اتساعها وعمقها من فصل إلى آخر، وتتعقد أحوال الطقس في مناطق الضغط المنخفض بسبب مرور الانخفاضات الجوية أو الأعاصير التي تحملها التيارات الهوائية الرئيسية، تلك الأعاصير التي تنشأ على طول امتداد الجبهة التي عندها تتلاقى الكتل الهوائية الباردة مع الهواء الدافئ الآتي من المناطق المدارية.

وتزداد حركة هذه الأعاصير على أوروبا في فصل الشتاء بوجه خاص، وهي المسئولة عن التغيرات المناخية السريعة التي تصيب القارة.

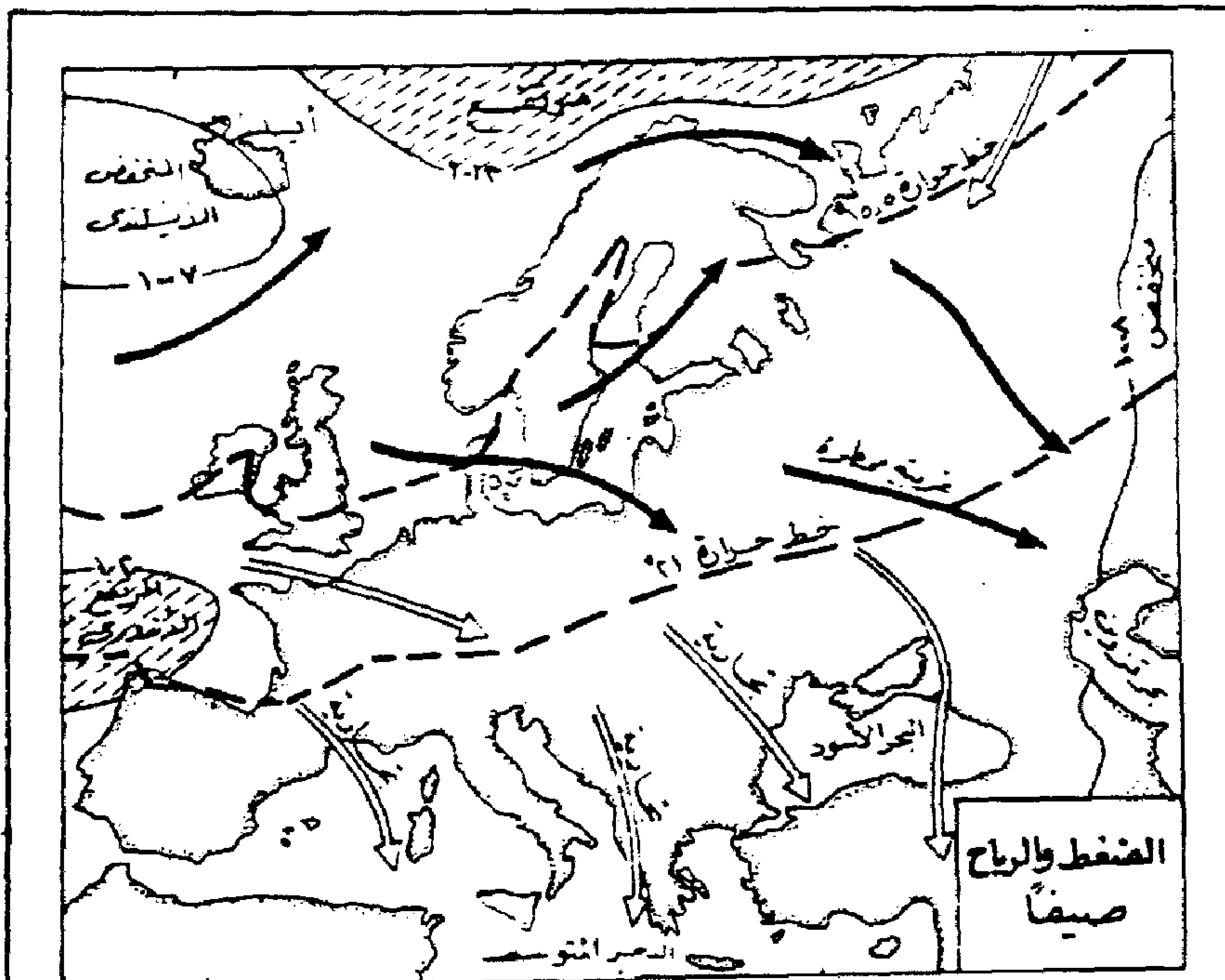
١ ـ الضغط المرتفع الازوري :

وينشأ هذا النطاق من الضغط المرتفع حيث تفترق الرياح الغربية والرياح التجارية في المحيط الأطلنطي. ويمتد نطاق الضغط المرتفع صيفا ليشمل حوض البحر المتوسط. وقد يتسع شمالا أحيانا ليشمل الجزر البريطانية. وينشأ عن نظام الضغط هذا هدوء عام في الأحوال الجوية، فنجد الطقس مشمسا، والسماء خالية من السحب وذلك في القسم الجنوبي من أوروبا، ومثل هذه الظروف المعتدلة تسود أحيانا في الجزر البريطانية وفي شمال فرنسا، وهولند وبلجيكا، وشمال ألمانيا، ولما كانت مناطق الضغط المرتفع عديمة المطر، ومن ثم تعاني الأراضي التي يغطيها الضغط المرتفع من الجفاف. وهذا هو السبب في أن حوض البحر المتوسط جاف في فصل الصيف. وهو السبب أيضا في ظهور الموجات الحارة، وصفاء السماء من الغيوم التي تجتاح القسم الغربي من أوروبا في فصل الصيف حينما يتسع نطاق الضغط المرتفع الآزوري ويمتد نحو الشمال في ذلك الفصل.

٢ ـ الضغط المنخفض الأيسلندي :

ويتركز هذا النظام من الضغط فوق شمالي المحيط الأطلنطي طوال العام، حيث تتلاقى التيارات القطبية الباردة الرياح الغربية الدفيئة. وتتقلص رقعة الضغط المنخفض في فصل الصيف عنها في فصل الشتاء، وتتحرك الانخفاضات الجوية التي تنشأ في هذا النظام نحو الشرق عبر أوروبا، وتزداد وتتكاثر هذه الانخفاضات في الشتاء حين يشمل تأثيرها مساحات أكبر. وهي تتخذ لها مسارات أو مسالك خاصة تسمى خطوط الأعاصير وعلى طول امتدادها يشتد النشاط الإعصاري وتأثيره. هي على أي حال لا تترك قسما من غربي أوروبا دون أن يتناوله تأثيرها، ويمتد خط من خطوط الأعاصير هذه في فصل الشتاء على حوض البحر المتوسط، ولهذا تتميز أقطار البحر المتوسط في هذا الفصل بطقس متغير مطير. وفي فصل الصيف تستطيع الانخفاضات الجوية التوغل من غرب أوروبا والوصول إلى أقصى شرق القارة والتأثير فيه.

الصفر المئوى
منخفض أيسلندى
تيار الخليج الدافئ
شديد البرودة (دون الصفر)
مرتفع أزورز
الصفر المئوى
الضغط والرياح
شتاءً
شمالية جافة
غربية ممطرة
خط حرارة الصفر المئوى
ضغط مرتفع
ضغط منخفض
تيار الخليج الدافئ


المنخفض الأيسلندى
١٠٠٧
غربية ممطرة
خط حرارة ٢١°
البحر الأسود
البحر المتوسط
الضغط والرياح
صيفاً

شكل رقم (٥)

٣ ـ الضغط المرتفع السيبيري أو الآسيوي :

تشتد البرودة في الأجزاء الداخلية والشمالية من قارة آسيا في الشتاء ويصبح قلب القارة وشمالها مركزا لكتلة عظيمة من الهواء البارد. ويتكون الضغط المرتفع السيبيري أو الآسيوي الذي يمتد تأثيره على قارة أوروبا ويمتد في وسط أوروبا عبر نطاق الهضاب والمرتفعات حيث يعمل كمقسم للرياح إذ يفصل الرياح الغربية إلى مجموعتين من التيارات الهوائية إحداهما إلى الشمال من لسان الضغط المرتفع والأخرى إلى الجنوب منه، أي أن التيارات الغربية بأعاصيرها التي تميز مناخ غرب وشمال غرب أوروبا تنفصل عن الانخفاضات الجوية التي تجلب المطر إلى إقليم البحر المتوسط بواسطة نطاق ضد إعصاري يمتد عبر أوروبا كإسفين قاعدته في قارة آسيا.

ويستمر الضغط المرتفع في شرقي أوروبا. فترة أطول حيث يكون أكثر اتساعا، ولهذا نجد مناخ روسيا شتاء يتميز بالبرودة القارسة وقلة التساقط. ويمتد الضغط المرتفع نحو الغرب فيتناول بولند، وألمانيا خاصة قسمها الشرقي، وأقطار حوض الدانوب. وسويسرا، وحتى القسم الشرقي من فرنسا.

ويتأثر إقليم البحر المتوسط بالانخفاضات الجوية التي تمر على طول السواحل الشمالية للبحر المتوسط وتسبب المطر، كما تنجذب التيارات الهوائية الباردة صوب الجنوب مكونة للرياح القوية الباردة التي تهب على طول وادي الرون وتعرف برياح المسترال Mistral، وفي شمال البحر الادرياتي وتعرف برياح البورا Bora.

أنماط المطر :

يمكن تقسيم المطر في أوروبا بسبب حدوثه إلى ثلاثة أنواع :

١ ـ *المطر التضاريسي* Orographic Rain

وهو كما يدل الاسم ناتج عن صعود الهواء المحمل ببخار الماء إلى أعلى حين تقابله المرتفعات فيبرد ويتكاثف، ولا شك أن إعتراض سلاسل الجبال لكتل الهواء المتحرك هو السبب المباشر لأمطار التضاريس، لأن الرياح ترتفع مما يسبب انخفاض درجات حرارتها وبالتالي تكاثف بخار الماء وسقوط المطر، وتسقط أكبر كمية من الأمطار التضاريسية في أوروبا على الجوانب الغربية من مرتفعات إسكنديناوه واسكتلند. وفوق سلاسل المرتفعات الألبية حيث يضطر الهواء الرطب الآتي من المحيط الأطلنطي إلى الصعود إلى ارتفاعات شاهقة. لذلك

فجهات واسعة من أوروبا لا يصيبها من المطر التضاريسي سوى القليل كالسهل الأوروبي العظيم.

٢ ـ *الأمطار الانقلابية (التصاعدية)* Convectional Rain :

ينشأ عن تصاعد الهواء نتيجة إرتفاع درجة حرارة الهواء الملامس للأرض فتحدث عمليات تبريد تكفي لحدوث التكاثف ثم سقوط الأمطار. وهذه الأمطار تعرف بالأمطار التصاعدية أو الإنقلابية. وعادة ما يصاحب الأمطار الإنقلابية في قارة أوروبا عواصف رعدية، على الرغم من أنه ليس من الضروري أن يقترن هذا النوع من الأمطار بحدوث الرعد والبرق، ومثل هذه الأمطار تسقط في مختلف أنحاء أوروبا صيفا، ولكنها تتركز بوجه خاص في الأجزاء الوسطي والشرقية من القارة حيث تشكل الأمطار الانقلابية معظم الأمطار السنوية.

٣ ـ *الأمطار الإعصارية* Cyclonic Rain :

تصاحب الأمطار الإعصارية مرور الانخفاضات الجوية التي تدفعها الرياح الغربية إلى القارة في تتابع مستمر. من ثم تتلقى جميع أجزاء أوروبا التي تقع في مهب الرياح الغربية وأعاصيرها كم من الأمطار الإعصارية. ولما كان القسم الغربي من اوروبا يقع في مهب الرياح الغربية طوال العام، فإن المطر الإعصاري يسقط عليه في كل فصول السنة، ونظرا لأن تلك الانحفاضات الجوية تتكاثر وتشتد في فصل الشتاء عنه في الفصول الأخرى، فمطر أوروبا الغربية طول العام مع غزارة في الشتاء على السواحل التي تشرف على المحيط الأطلنطي. ويتعرض إقليم البحر المتوسط لهبوب الرياح الغربية وأعاصيرها في فصل الشتاء فقط، ومن ثم يقتصر سقوط المطر على هذا الإقليم في هذا الموسم. هذا بالإضافة إلى بعض الأمطار التضاريسية والانقلابية.

وكلما اتجهنا شرقا في قارة أوروبا وابتعدنا عن المحيط الأطلنطي، تقل الأمطار الإعصارية شيئا فشيئا لأن الرياح الغربية تفقد رطوبتها تدريجيا بالاتجاه صوب الشرق. كما يعوق سير الرياح الغربية وتقدمها صوب الشرق في الشتاء تركز نطاق الضغط المرتفع السيبيري وامتداده غربا في شرقي أوروبا ووسطها. ولهذا السبب كانت أمطار شرقي أوروبا أغزر صيفا منها شتاء خاصة لأن الأمطار الانقلابية يكثر سقوطها صيفا.

كمية المطر :

وعلى العموم تغزر الأمطار غربي أوروبا، وتتناقص كلما اتجـــهنا صـــوب الشـــرق. ويمكننا أن نلاحظ هذه الظاهرة إذا نظرنا إلى معدل كمية الأمطار السنوية الساقطة في عدة مدن تقع على امتداد القارة من الغرب إلى الشرق. ففي مدينة برست Brest التي تقع فـــي شـــمال غربي فرنسا تبلغ كمية الأمطار السنوية ٦٤ سم، ثم تقل الأمطار في برلين إلى ٥٠ سم، وفـــي وارسو ٤٩ سم، وفي موسكو ٤٦,٥ سم، أما في الشرق فتنخفض كمية الأمطار انخفاضا كبيرا حيث تهبط إلى نحو ١٥ سم في مدينة أستراخان Astrakan الواقعة في دلتا نهر الفولجا.

أثر التضاريس في المطر :

يغزر المطر إذا اصطدمت الرياح الغربية بالأراضي المرتفعة والجبـــال فعلـــى ســـبيل المثال في مدينة برجن Bergen (ساحل النرويج) التي تتلقى كمية من الأمطار السنوية تصـل إلى ١٨٥ سم، ويسقط على معظم أجزاء الساحل الغربي لشبه جزيرة اســكنديناوه كميـــة مـــن الأمطار قد تزيد على ٢٢٥ سم. ويبدو تأثير المرتفعات في إسقاط المطر حتـــى فـــي الجـــهات البعيدة عن المحيط الأطلنطي. فهي على جبل سانتيس Santis في سويسرا ٢١٠ ســـم، وفـــي دوبرفنيك Dubrovnik الواقعة على ساحل البحر الأدرياتي في يوغسلافيا إلـــى الغـــرب مـــن مرتفعات الألب الدينارية ١٣٠ سم. أما الجهات التي تقع مظاهرة للجبال أي في ظل المطر فتقل فيها كمية الأمطار. ونظراً لاعتراض مرتفعات بنين في إيطاليا وسلاسل الألـــب الديناريـــة فـــي غربي شبه جزيرة البلقان لهبوب الرياح الغربية نجد أن السفوح الغربية لتلك المرتفعات غزيرة المطر بعكس سفوحها الشرقية الواقعة في ظل المطر. فتتلقى سفوح الألب الدينارية المشـــرفة على البحر الأدرياتي في بعض أجزائها ما يعادل ٤٠٠ سم. بينما نجد مدينة أثينا التي تقع فـــي الجانب الشرقي من شبه جزيرة البلقان لا يصيبها من المطر سوى ٣٤ سم سنويا.

أخطار مناخية

رغم أننا قد ذكرنا بأن أوروبا محظوظة بالنسبة للمناخ بوجه عام بالنســـبة للإنتـــاج الزراعي، ولكن قد تحدث ظروف غير مواتية للإنتاج الزراعي في كل هذه المناخات ففي إقليـــم شمال غربي أوروبا، وكذلك في إقليم البحر المتوسط. قد تتدفق الكتل الهوائية الشديدة الـــبرودة من المناطق القطبية ووسط آسيا والتي تقضي على المحاصيل الشتوية ومحاصيل البساتين التي تحتاج شتاء أقرب إلى الدفء، ورغم أن متوسطات الأمطار السنوية تكاد تكون متقاربة من عام

إلى عام، فقد تصادف أوروبا بعض سنين جفاف تهلك المحاصيل في الأقاليم الحدية Marginal، خاصة في شرقي أوروبا (روسيا)، وقد تواجه محاصيل البحر المتوسط مثل هذا الموقف إذا ما عجزت وسائل الري عن إمداد الأرض الزراعية بالماء نتيجة قلة الثلوج التي تغذي الأنهار المعتمدة عليها في الري، خاصة وأن التساقط عادة ما يكون على هيئة ثلوج على المرتفعات فوق ١٥٠٠ متر.

الأقاليم المناخية في أوروبا

يمكن تمييز الأقاليم المناخية الآتية :

١ ـ *القطبي :* يسود هذا المناخ في مساحات صغيرة محدودة في أقصى شمال شبه جزيرة إسكنديناوه، ثم في نطاق ضيق عبر سواحل شمال روسيا وعلى شمال جبال أورال. وفي هذه البقاع المحدودة المساحة لا يزيد متوسط حرارة الصيف على ١٠°م بينما تهبط حرارة الشتاء إلى ما يتراوح بين ــ ١٣,٣ ، ــ ١١°م أما التساقط ومعظمه على هيئة ثلوج فتقل كميته السنوية عن ٣٣ سم.

٢ ـ *البارد :* إلى الجنوب من نطاق المناخ القطبي، وإلى الشرق من كتلة اسكنديناوه، يمتد نطاق من المناخ البارد من منحدرات السويد إلى شمالي روسيا. وبه تهبط درجات حرارة الشتاء إلى اقل من ــ ٧°م، وتهبط إلى أكثر من ذلك كلما اتجهنا شرقا. ففي مدينة أوسلو عاصمة النرويج يبلغ متوسط درجة حرارة شهر يناير ــ ٤,٤°م، وفي هلسنكي Helsinki عاصمة فنلند ــ ٦,٧°م وفي بطرسبرج ــ ٩,٤°م. وترتفع درجة حرارة الصيف إلى ١٥,٦ درجة م في بطرسبرج على سبيل المثال، ويبلغ المتوسط الحراري فيها في شهر يوليو ١٨ درجة مئوية. وتسقط معظم الأمطار صيفا، ولا تزيد كميتها عادة على ٤٥ سم.

٣ ـ *المعتدل البارد نوعا (غرب أوروبا) :* تشمل المنطقة التي تتميز بهذا النوع من المناخ السواحل الغربية لشبة جزيرة اسكنديناوه، وكل الجزر البريطانية، والدانمرك، وبلجيكا، وغربي فرنسا وشمال غربي أسبانيا. وهنا يعظم تأثير الرياح الغربية والأعاصير، التي تطبع الإقليم بأحوال جوية متغيرة. والمدى الحراري في تلك الأراضي قليل وذلك بسبب وتأثير تيار الخليج الدافئ شتاء، أما الأمطار فتسقط موزعة على شهور السنة. فمتوسط حرارة لندن في يوليه ١٧°م، تنخفض في يناير إلى ٤م أي أن المدى الحراري نحو ١٣°، هذا مع

متوسط للمطر ٧٠ سم موزع على معظم العام مع زيادة التساقط في الشتاء لتتابع الأعاصير.

٤ ـ *الانتقالي المعتدل البارد نوعا (مناخ وسط أوروبا)* : تقل التأثيرات المحيطية بالبعد عن الأطلنطي، وتبدأ ملامح التأثيرات القارية، فينشأ عن ذلك مناخ انتقالي معتدل بارد نوعا وذلك في جنوب السويد، وفي وسط وشرقي فرنسا، وفي ألمانيا وسويسرا، وغرب بولند، وفي الأقطار التي تتاخم الدانوب الأوسط. ولئن كانت التأثيرات البحرية ملحوظة فهي أقل منها في إقليم غربي أوروبا، وتسقط الأمطار طول العام ولكنها تزداد صيفا. وعلى الرغم من أن درجات الحرارة في فصل الصيف تعتبر عادية بالنسبة لدرجة العرض، فإن درجات الحرارة شتاء قد تهبط إلى ما دون درجة التجمد في شهري يناير وفبراير، وبالتالي يعظم المدى الحراري السنوي. ففي برلين على سبيل المثال تهبط درجات الحرارة إلى ١ر١° في شهر يناير، بينما ترتفع إلى ١٨,٩°م في شهر يوليه، وتسقط عليها كمية من الأمطار تعادل ٤٥ سم منها ٢٨ سم تسقط صيفا.

٥ ـ *القاري المعتدل البارد (شرقي أوروبا)* : وإذا ما توغلنا في أوروبا نحو الشرق، يتحول المناخ الانتقالي المعتدل البارد نوعا إلى المناخ القاري في رومانيا، وبلغاريا، وشرق بولندا، وروسيا، وهنا يشتد برد الشتاء، كما يعظم المدى الحراري السنوي إذ ينخفض متوسط الحرارة إلى ـ ١٥°م شتاء، على حين ترتفع حرارة الصيف إلى ٢١°، وتسقط معظم الأمطار في هذا الإقليم وتبلغ قمتها في شهري يونيه ويوليه، ومعظمها أمطار انقلابية. وتقل الأمطار كلما اتجهنا نحو الجنوب الشرقي. ونادرا ما تزيد كمية الأمطار الساقطة سنويا على ٤٥ سم إلا في المرتفعات. أما الأراضي التي تقع دون منسوب البحر شمالي بحر قزوين فمناخها أقرب إلى الصحراوي، إذ لا يسقط عليها من المطر سنويا سوى نحو ١٣ سم.

٦ ـ *الإقليم المعتدل الدفيء (إقليم البحر المتوسط)* : يتميز مناخ هذا الإقليم في جنوبي أوروبا بحرارة الصيف التي تزيد على ٢١°م، ودفء الشتاء الذي لا تنخفض فيه درجات الحرارة عادة عن ٦°م. وتسقط أمطاره شتاء أما صيفه فهو جاف، كما يتميز بفترات طويلة من شروق الشمس. وتقع الأراضي المحيطة بالبحر المتوسط في منطقة انتقال بين الرياح الغربية التي تهب عليها في الشتاء فتجلب لها المطر، والرياح التجارية الشمالية الشرقية الجافة التي تهب عليها صيفا. هكذا يتميز الإقليم بمناخ معتدل ومتغير في الشتاء لمرور الأعاصير، وبمناخ شبه مداري مستقر أثناء الصيف. ومع هذا فإننا نجد في أراضي

حوض البحر المتوسط اختلافات مناخية محلية كثيرة، ونظرا لأن البحر المتوسط يمتد من الغرب حتى أقصى الشرق مسافة تزيد على ثلاثة آلاف كم تتناقص الأمطار تدريجيا بالاتجاه شرقا، فبينما يبلغ متوسط الأمطار في جبل طارق نحو ٨٠ سم، إذا بها تهبط إلى ٣٤ سم في مدينة أثينا. وتتسبب المرتفعات في ازدياد كمية المطر الساقطة، حتى أننا نجد أن كمية الأمطار الساقطة في فصل الشتاء على بعض أجزاء من المرتفعات في إيطاليا واليونان ويوغوسلافيا تفوق كمية الأمطار التي تسقط سنويا على بعض الأجزاء " الرطبة " في شمال غربي أوروبا. وفي نفس الوقت نجد بقاعا أخرى مغلقة تحيط بها المرتفعات، ومن ثم يصبح مناخها أقرب للمناخ القاري منه إلى مناخ البحر المتوسط. كهضبة المزيتا في أسبانيا، وسهل لومبارديا في إيطاليا وأجزاء مختلفة في يوغوسلافيا واليونان، ففي هذه المناطق تنخفض درجات الحرارة عن معدلها في إقليم البحر المتوسط المثالي، وفي ميلانو الواقعة في القسم الغربي من سهل لمبارديا بإيطاليا يهبط المتوسط الحراري في شهر يناير على ٠,٣ م وتتلقى هذه الجهات المغلقة أمطارا صيفية أكثر من الشتوية.



(شكل رقم (٦)

النبات والأقاليم النباتية

١ ـ *إقليم التندرا :* يقع هذا الإقليم في المنطقة القطبية الشمالية ويمثل نطاقـا ضيقـا يطل على المحيط القطبي الشمالي وفي المرتفعات الشمالية لجبال إسكندناوه، وتتجمـد الأرض في معظم العام، وفي فصل الصيف القصير عندما يذوب الجليد تنمو الطحالب وحشائش البحـر وبعض الحشائش المزهرة، ولا توجد حياة شجرية لأن التربة رقيقة وطبقاتها السفلي متجمـدة أبدا، ولا يصلح الإقليم للزراعة ولكن يصلح لرعي حيوان الرنة بأعداد محدودة وهو الذي تقوم به عناصر اللاب إلى جانب صيد الحيوانات ذات الفراء.

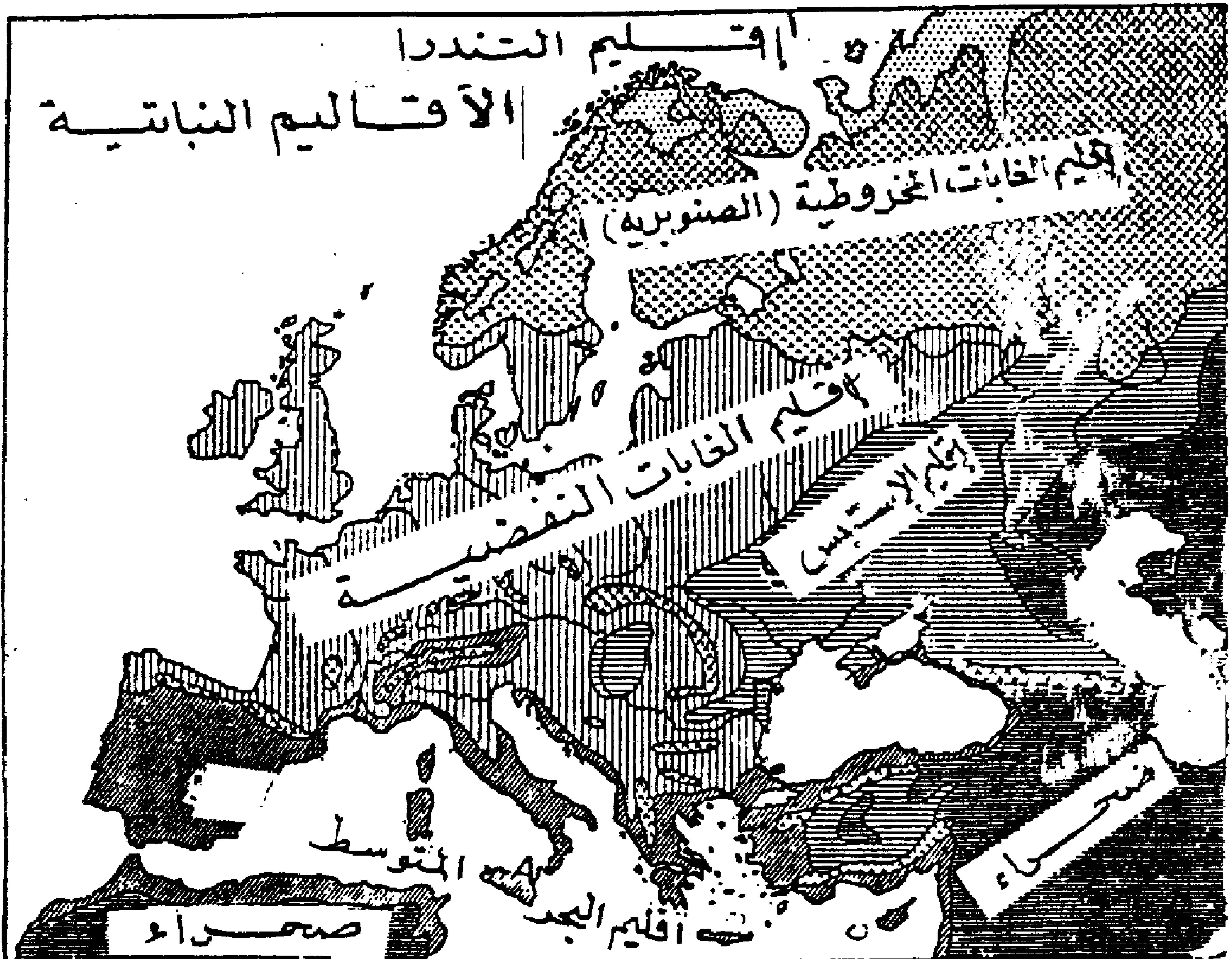
٢ ـ *إقليم الغابات الصنوبرية :* يمتد هذا الإقليم جنوب التندرا حتى دائرة عـرض ٦٢° شمالا في النرويج والسويد وفنلند، ثم يتجه إلى الجنوب الشرقي حتى دائرة عرض ٥٣° شـمالا في شرقي روسيا. وتمتد التندرا داخل هذا النطاق في مرتفعات النرويج والسويد وكذلـك فـي مرتفعات وسط أوروبا، كما في جبال الألب والغابة السوداء. ونظرا لأن فصل الإنبـات قصـير ودرجة حرارة الصيف منخفضة والتربة حمضية، ولذلك تتعذر الزراعة إلا في مناطق محـددة للغاية. وتتميز الأشجار الصنوبرية بأنها مخروطية الشكل، وهي تحمل ثمارا مخروطية الشـكل أيضا، وهذا يساعدها على التخلص من قسم كبير من الثلوج المتساقطة عليها، كما يسـاعدها على التخفيف من حدة الرياح القطبية القوية الجافة. وتتميز أيضا بأوراقها الابرية التي تغطـي عادة بطبقة سميكة، وهذا يساعدها على الإقلال من فقدان المياه التي تحتاجها إذ أن امتصـاص المياه من التربة بواسطة جذورها يكون صعبا بسبب تجمد التربة فترة طويلة من السنة. وهـي تحتفظ بالأوراق الابرية لعدة سنوات قد تصل إلى أكثر من خمس سنوات، ثم تقـوم بنفضـها تدريجيا، بحيث تبقي الأشجار مخضرة دائما.

ومن أهم أشجارها التنوب الفضي Spruce الذي يزداد أعداده على حسـاب الأنـواع الأخرى لأنه يعطي أفضل أنواع لب الخشب الذي يدخل في صناعة الورق، ولما كانت الأشـجار الصنوبرية من الأنواع اللينة بوجه عام، فهي الصالحة للاستخدامات المتنوعة، كـانت حـرف السكان (خارج الصناعة) هي قطع الأخشاب للصناعة والتصدير، فضلا عن صيد الحيوانـات ذات الفراء، وأن كانت هذه قد قلت أهميتها الآن. هذا كما تقتصـر الزراعـة علـى أطرافـها الجنوبية، حيث يمكن زراعة الشليم والبطاطس.

٣ ـ *إقليم الغابات النفضية (المختلطة)* كان هذا الإقليم يغطي معظم اوروبا. وكان يمتد بصفة خاصة بين درجتي عرض ٤٢ شمالا. ٦٢ شمالا وفيه تنمو الغابات النفضيـة ذات الأوراق العريضة، ولكن قد تتخلله الغابات الصنوبرية في مناطق التربة الفقيرة الرملية كذلك المناطق الجبلية. وقطعت معظم الغابات النفضية وحلت محلها الزراعة، أما المناطق التي تنمو فيها الغابات الصنوبرية فلا تزال كما هي لأن معظم مناطقها رديئة التربة، من ثم زادت نسبة مساحة الغابات الصنوبرية على حساب الغابات النفضية في إقليم الغابات المختلطة. وأشجار الغابات النفضية من الأنواع الصلبة، وهي ذات قيمة كبيرة اقتصاديا ومن اشهر أنواع النفضية في أوروبا أشجار البلوط Oak والجوز Walnut، والقسطل (أبو فروه) Chestnut، والوراء Elm والزان Beach خاصة أن أشجار النوع الواحد قد تتجمع في إقليم واحد مما يسهل استغلالها وتورق الأشجار النفضية صيفا، ولكن نظرا لأنها عريضة الأوراق، فالشجرة النفضية تنفض أوراقها بدءا من الخريف حتى لا تستقر فوقها الثلوج. وقد أزيلت معظم الغابات النفضية، لم يبق منها إلا القليل في المناطق الوعرة التي لا تصلح للزراعة، ويرجع ذلك إلى أن تربتها، اكثر خصوبة من تربة الغابات الصنوبرية لوفرة مادة الدبال فيها.

٤ ـ *شجيرات البحر المتوسط* : الدائمة الخضرة وهي من النوع الذي يتحمل الجفاف في فصل الصيف أو يتحاشاه بأوراق صغيرة تقلل من البخر كالزيتون او تخزن العصارة أثناء فصل الجفاف أو مغطاة بطبقة شمعية أو ذات لحاء سميك كالفلين، وأشجاره خليط من الصنوبر الحلبي Allepo Pnre مع خليط من الأشجار العريضة الأوراق كالبلوط والزان والقسطل بحسب ظروف كل إقليم، أما ما يشترك فيه هذا الإقليم هو قلة الحشائش، وإذا ظهرت فهي خشنة كحشائش الاسبارتكو Esparto التي تنمو فوق هضبة المزيتا في أسبانيا، وقد تتحول أحراج البحر المتوسط إلى نوع رديء من الشجيرات مثل غابات قورسيقا وتعرف باسم Maquis وفي إيطاليا Macchia وجنوب فرنسا تعرف باسم garrique. ونظرا لندرة العشب وخشونته يندر وجود المراعي الجيدة، والأنواع التي تنمو تصلح للماعز. والضأن وهي من النوع الهزيل، وتنتقل الحيوانات إلى مراعي الجبال في الصيف وإلى مراعي الأودية في الشتاء وتعرف هذه باسم الحركة الفصلية Transhumance لأن سفوح الجبال تغطي بالجليد في فصل الشتاء ويكسوها العشب صيفا، ويعمل الضأن والماعز على تكملة غذائهم من أوراق الأشجار الصغيرة ولذلك فهم أعداء الغابات في هذا الإقليم. ولقلة وجود الماشية قلت منتجات الألبان ولو ان لبن الماعز قد يحل محلها. ويعتبر الزينون والكروم من محاصيل الإقليم الأصيلة، كما

تزرع فيه القمح والشعير والذرة فضلا عن محاصيل تعتبر دخيلـــة علـــى الإقليـــم كالبرتقـــال والليمون (من الصين) والقطن من الجهات المدارية.



شكل رقم (٧)

إقليم الاستبس (تربة التشرنوزم أو التربة السوداء): ويمتد في أوكرانيـــا وجنـــوب روسيا ونظرا لندرة الأشجار، يعتبر هذا هو إقليم الحشائش الأكبر في أوروبا، ذلك أن الظـــروف المناخية تناسبه، فالشتاء قارس البرودة تتجمد فيه التربة، ثم تذوب الثلوج في الربيع لتســـقي الأرض مع سقوط المطر الصيفي القليل الذي سرعان ما يتبخر من ثم كانت الحشـــائش التـــي تتميز بفترة نمو قصيرة، والتي تختفي شتاء لتعاود النمو في الربيع التالي، حشائش وأزهـــار مختلفة الألوان، غير أنه إذا ما ظهرت المجاري المائية يمكن ظهور الأشجار على جوانبها، من ثم اشتهر الاستبس بمراعيه حيث تجول من القوزاق والقرغيز بخيلـــهم وأغنامـــهم. ونظـــرا

لخصوبة تربة الاستبس (أصلها اللويس)، تكاد هذه الحشائش تختفي لتصبح من أغني الحقول لزراعة القمح والشعير والشوفان، وعباد الشمس، والبنجر والسكر، والطباق وغيرها.

٦ ـ *الأستبس الجافة :* تنبت الاستبس الجافة في نطاق يقع إلى الجنوب من أراضي الإستبس الأصلية، ويبدأ إلى الشمال من شبه جزيرة القرم، ويتسع كلما اتجهنا صوب الشرق تجاه قارة آسيا، وهنا الحشائش هي السائدة، فقيرة، واقصر من السابقة، نظرا لأن أمطارها أقل، وحرارتها صيفا أشد، كما يبدو غطاء الحشائش هنا متقطع، فتتحول إلى ما يقرب من نباتات شبه صحراوية بالقرب من شمالي بحر قزوين.

الأوربيون

أصول السلالات: إذا كنا قد سبق ذكرنا بأن اوروبا هي امتداد طبيعي لآسيا طبيعيا، أو هي كبروز ناتئ منها في رأي البعض، فهذا يصدق أيضا على بشرية أوروبا، فقد كانت آسيا المغذي الأكبر لأوروبا بسكانها، وكانت آسيا في معظم الأحوال هي إعصار بشري طارد للسكان، من ثم نجد النطاقات السلالية تمتد من آسيا إلى أوروبا ممثلة في العناصر المغولية (الأورال ـ التاي) تمتد من بوغاز بهرنج في أقصى شمال شرقي آسيا إلى شمال روسيا الأوروبية ثم فنلند، وشمال إسكندناوه حيث جماعات اللاب Lapp رعاة الرنة، وهناك نطاق السلالات في شرقي أوروبا والذي يمتد في آسيا خلال إقليم الغابات الباردة (التاييجا) وجنوبها حتى الشرق الأقصى، ثم المجموعات التركية (الطورانية) التي تتركز في وسط آسيا، وترسل ألسنة منها إلى الأناضول والبلقان وزاد انتشارها مع تقدم الدولة العثمانية في أوروبا. وأخيرا العنصر الهند أوروبي أو الهند وآري، وهي الامتداد الآسيوي للكتلة الآرية الأساسية ومركزها أوروبا وتمتد في جنوبي غربي آسيا حتى باكستان وشمالي الهند. ونلاحظ من تحركات البشر في أوروبا سواء كانت على شكل غزوات أو هجرات كانت جميعا من الشرق إلى الغرب، ومع ذلك فهناك هجرات خرجت أحيانا من غربي القارة إلى شرقيها للاستقرار في بعض الأقاليم القليلة السكان. فقد عبر السويديون مثلا البحر البلطي إلى فنلند حيث يكونون الآن خليطا واضحا في الجنوب الغربي منها. وقد استطاعت القبائل التي تتكلم الألمانية في وسط أوروبا أن تشق لها طريقا على طول امتداد حوض نهر الدانوب إلى شرقي أوروبا، حيث اصطدمت بالشعوب السلافية. كما كانت المستعمرات التي أنشأها الألمان حتى البحر الأسود مصدر إزعاج للسلافيين، ولو أن تأثيرها كان محليا. وقد ساعد ذلك على إثارة

العداء دائما بين الشعبين، وظهر ذلك جليا حتى في أثناء الحربين العالميتين الأولي والثانية.

ويبدو من هذا أن العناصر البشرية التي هاجرت إلى أوروبا كانت تتكون من ثلاثة سلالات أساسية : سلالة البحر المتوسط ذات الرأس الطويل، والسلالة النوردية ذات الرأس الطويل أيضا، ثم السلالة الألبية ذات الرأس المستدير أو العريض، ورغم هذا فإننا نجد أن معظم سكان أوروبا الحاليين يتميزون بالرأس المتوسط او المستدير حتى فيما بين العناصر الشقراء (النوردية). ويرجع هذا التغير في شكل الرأس إلى استمرار هجرات الشعوب المستديرة الرأس خلال العصور المختلفة من قارة آسيا، واستمرار اختلاطها بسكان أوروبا، وتسبب في إحداث تغيرات جسمية، ومن ثم مال الأوروبيون إلى الرؤوس المستديرة. كمعظم سكان روسيا، ويضيق توزيع الرأس المستديرة تدريجيا كلما اتجهنا نحو الغرب في بولند، وألمانيا وأقطار وسط أوروبا، وشمال شبه جزيرة البلقان، وسويسرا، والأراضي المنخفضة (هولندا وبلجيكا)، وغربي فرنسا.

توزيع السلالات : السلالة النوردية ذات الرؤوس الطويلة فتنتشر إلى الغرب وإلى الشمال من خط يجري نحو الجنوب خلال خليج بوثنيا **Bothnia** إلى مرتفعات الهارتز **Harz** ثم ينحني ليمر بهولند وإسكتلند أي شمالي وغربي أوروبا.

سلالة البحر المتوسط التي تتميز بالرأس الطويل، فيوجد على الخصوص في شبه جزيرة أيبيريا، وفي القسم الجنوب من شبه جزيرة إيطاليا، وفي جزيرتي كورسيكا وسردينيا، وفي الجزر الأخرى الواقعة في غربي البحر المتوسط. أما الشعوب التي تتميز بالرؤوس المتوسطة، والبشرة التي تميل للسمرة والشعر الداكن، والعيون البنية، فإنها تسكن شمال إيطاليا وجنوب فرنسا. وهناك عنصر آخر مستدير الرأس طويل القامة يميل إلى السمرة يعوف أحيانا بالسلالة الدينارية، ويوجد في القسم الغربي من شبه جزيرة البلقان، وفي سهل لمبارديا، وفي مرتفعات الألب الشرقية.

السلالة الألبية : ذات الرأس العريض التي ذكرناها فتنتشر بين السلالتين السابقتين.

على العموم هذا تبسيط للتوضيح بسبب التعقيد السلالي الكبير، إذا يعتمد التصنيف السابق للسلالات البشرية في أوروبا على شكل الرأس، والقامة، ولون البشرة والشعر، ولكن ينبغي أن نشير إلى أن أي محاولة للتمييز بين السلالات البشرية يجب أن يأخذ في الاعتبار

عوامل أخرى كمجموعات الدم، وتأثير البيئة الطبيعية، ومع هذا فإن كثرة الاختلاط بين العناصر والسلالات الأصلية قد أزال الكثير من الصفات الأصيلة التي تميز السلالات بعضها عن بعض، حتى أننا نادرا ما نجد مجموعات من البشر متناسقة التركيب الجسماني، بحيث يكاد يستحيل تقسيم الشعوب الحالية إلى أقسام على أساس سلالي. ولهذا فإن اللغة تستخدم الآن بالإضافة إلى التقاليد والعادات للتمييز بين مجموعات البشر. ولكن هذا التقسيم الأخير ليس له أساس سلالي، فهو تقسيم شعوبي ثقافي.

نمـــو السكـــــان

تطور عدد السكان : يبلغ عدد سكان أوروبا نحو ٧٢٨ مليون نسمة عام ٢٠٠٣، أو نحو ١٢% من سكان العالم، وبذلك تمثل التجمع الثالث للسكان في العالم بعد شرقي آسيا وجنوبيها، كما أنها تحتل المركز الثالث سكانيا بعد آسيا وأفريقية، وإذا تتبعنا نسبة سكان أوروبا إلى سكان العالم سنجد أنها كانت في مطلع القرن التاسع عشر (١٨٠٠ م) تمثل ١٢%، ارتفعت إلى ٢٧% في مطلع القرن العشرين (١٩٠٠)، ولكنها انخفضت في مطلع القرن الحادي والعشرين إلى ١٢%، ولا يرجع انخفاض نسبة سكان أوروبا إلى سكان العالم إلى تناقص عدد سكان أوروبا بقدر ما يرجع إلى أن عدد سكان آسيا وأفريقية، يتزايدون بنسبة أعلى.

تقديرات عدد سكان أوروبا من القرن الثامن عشر إلى مطلع القرن الحادي والعشرين بالمليون نسمة

السنة	١٧٢٠	١٨٣٠	١٩٣٠	١٩٦٠	١٩٧٠	١٩٧٦	٢٠٠٣
السكان	١١٠	٢١٠	٥٠٠	٥٨٣	٦٤٣	٦٧٩	٧٢٨

وارتبطت زيادة السكان أشد الارتباط بزيادة استغلال الإنسان للبيئة والموارد الطبيعية حتى بلغنا إلى عصر الانقلاب الصناعي، ثم عصر الخدمات، فقد كان عدد سكان أوروبا في أوائل القرن الثامن عشر ١١٠ مليون نسمة قفز إلى ٢١٠ مليون نسمة في أوائل القرن التاسع عشر، ولكن مع الانقلاب الصناعي وانتشاره في أوروبا منذ عام ١٨٣٠ وما بعدها قفز عدد السكان إلى ٥٠٠ مليون نسمة عام ١٩٣٠ أي زاد على الضعفين، ومع مطلع القرن الحادي والعشرين بلغوا ٧٢٨ مليونا.

المواليد : مرت أوروبا بفترة ارتفاع نسبة المواليد، وتتفق هذه الفترة مـــع الانقـلاب الصناعي، فقد كانت تتراوح بين ٢٩، ٣١ في الألف في القرن التاسع عشر فـــي دول غربـــي أوروبا، ثم بدأ بعد ذلك توالي الانخفاض حتى بلغت ١٩ في الألف في الربع الأول مـــن القـــرن العشرين، وهي الآن حوالي ١١ في الألف، على حين أنها على مستوي العالم ٢٤ في الألـــف، ويلاحظ ارتفاع نسبة المواليد في روسيا حيث تبلغ ٢٢ في الألف، على حين أنها تنخفض فـــي غربي وشمالي جنوبي أوروبا عن هذا، فهي ٩ في الألف في أسبانيا، ١٠ في الألف في ألمانيا وإيطاليا، ١١ في الألف في فرنسا والسويد.

الوفيات : تعتبر نسبة الوفيات بعامة، والأطفال بخاصة مرآة لدرجة تقدم الشعوب مـــن النواحي الاجتماعية والاقتصادية، أي مرآه لتحضر الأمة وتقدمها، وقد مرت أوروبـــا بفـــترات كانت ترتفع فيها نسب الوفيات، قبل عصر الصناعة، أحيانا كانت بعض دولها تتعرض لكـــوارث طبيعة كالفيضانات (ايرلند)، كما كانت تنتشر فيها الأوبئة أحيانا كالطـــاعون، فكـــانت نســـب الوفيات تتراوح بين ٣٠ في الألف في دولها الزراعية كبلغاريا ورومانيا، بـــل وهولنـــد فـــي منتصف القرن التاسع عشر، وتنخفض إلى ٢١ في الألف في إنجلترا وويلـــز (الصناعيـــة). ويلاحظ من هذا أنه رغم ارتفاع النسبة في كلتا الحالتين، فهي في أوروبا الصناعية أقل منـــها في الزراعة، ومما يدل على ارتفاع مستوى المعيشة والرعاية الصحية والاجتماعية في أوروبا انخفاض نسب وفيات الأطفال وخاصة في أوروبا الشمالية والغربية، إذ تنخفض إلى ٤ ، ٥ في الألف في السويد، وألمانيا، وفرنسا، وإيطاليا، وتزداد هذه النسبة في شرقي أوروبا حيث تبلـــغ في رومانيا ١٨,٥، وفي روسيا ١٥ في الألف، ومع ذلك فهي تعد نســـــبة منخفضـــة إذا مـــا قورنت بنسبة وفيات الأطفال في الهند ٦٦ في الألف وكان لارتفاع مستوى المعيشـــة والتقـــدم العلمي أثره في القضاء على الأوبئة فقد انخفضت نسبة الوفيات قبل الحرب العالمية الأولي إلى ٢١ في الألف في رومانيا، ١٧ في الألف في بلغاريا، وازدادت انخفاضا في إنجلترا وويلـــز إذ بلغت ١٢ في الألف. واستمر الانخفاض حتى أنها في أوروبا بصورة عامة تدور حول ١١ فـــي الألف مع مطلع القرن الحادي والعشرين.

النمو الصفري والنمو السلبي : إذا كان متوسط نسبة المواليد في أوروبا هي ١١ فـــي الألف، وكذلك الحال في متوسط نسبة الوفيات، تصبح الزيادة الطبيعية في أوروبا بصفة عامـــة ما يطلق عليها النمو الصفري Zero growth أي صفر، أي ثبات سكاني، وهذا واضـــح فـــي

الدانمرك والنمسا والسويد بل وإيطاليا، وقد يكون النمو بالسالب Negative growth، كما هو الحال في حالة ألمانيا، أي لا زيادة بل نقصان واحد في الألف (مواليد ١٠، وفيات ١١ في الألف)، بل ويذهب البعض إلى القول بأن الزيادة السكانية الموجبة لا ترجع إلى السكان الأصليين، بل ترجع إلى المهاجرين، إذا قارنت هذا بالهند ستجد أن نسبة الوفيات انخفضت إلى ٩ في الألف، ولكن مع عدم انخفاض المواليد بنفس النسبة لأنها تدور حول ٢٧ في الألف وبالتالي تصبح الزيادة السنوية هناك ١٨ في الألف أي نمو سريع Rapid growth في الهند.

على العموم يعزي انخفاض نسبة الزيادة السكانية في أوروبا منذ النصف الثاني من القرن العشرين إلى أن أوروبا في الوقت الحاضر تمر بالمرحلة الديموغرافية الثالثة التي تتميز بنسب مواليد منخفضة، ونسب وفيات منخفضة أيضا وهو ما يسود المجتمعات الصناعية بوجه عام.

تناقص السكان في المستقبل : ذلك أن قاعدة الهرم السكاني (اقل من ١٥ سنة) ليست عريضة فهم لا يمثلون سوى ١٩% من السكان، في حين أنه من أجل زيادة سكان مرتفعة كان لابد لهذه الفئة أن تكون نسبتها بين ٤٠، ٥٠% هذا على عكس الأقاليم النامية كأفريقية حيث تبلغ هذه النسبة ٤٤%، ففي حالة أفريقية تنبئ بزيادة سكانية كبيرة في المستقبل، وذلك بسبب العدد الضخم من الإناث اللاتي سيصبحن في سن الحمل والإنجاب، بينما يتناقص هذا العدد في أوروبا حتى لتشير الدراسات المستقبلية بأن نسبة سكان أوروبا إلى سكان العالم ستنخفض إلى ٧,٥% عام ٢١٠٠.

ومن أمثلة انخفاض عدد السكان :

* قد ينخفض عدد سكان إيطاليا من ٥٧ مليونا عام ٢٠٠١ إلى ٤١ مليونا عام ٢٠٥٠.

* قد ينخفض عدد سكان روسيا من ١٤٧ مليونا عام ٢٠٠١ إلى ١٢١ مليونا عام ٢٠٥٠.

زيادة متوسطات الأعمار أو أمد الحياة وشيخوخة المجتمع الأوربي : أدى انخفاض نسبة الوفيات إلى زيادة متوسط الأعمار في اوروبا بحيث تتراوح بين ٧٣، ٧٥ عاما بالنسبة للرجال، ٧٧، ٨٢ عاما بالنسبة للنساء على حين أن هذه النسبة في الهند هي ٥٩ عاما للجنسين. وكان لانخفاض عدد المواليد وارتفاع معدلات العمر في الدول الأوربية أثره في

انخفاض نسبة السكان في سن العمل (١٥ ــ ٦٠ سنة) بالنسبة لكبار السن (٦٠ فما فوق) كما ورد في تقارير قسم السكان بالأمم المتحدة:

فكانت هذه النسبة عام ١٩٩٥ تعادل = ٤ في سن التقاعد : ٢ في سن العمل.

هذه النسبة بعد ٥٠ عاما تعادل = ٤ في سن التقاعد : ١ في سنة العمل.

بمعنى آخر أن نسبة السكان المحالين للتقاعد ستكون ٤٧% من سكان دول الاتحاد الأوربي على حين أن نسبة السكان من هم في العمل ستكون ١١% بعد ٥٠ عاما، وبالتالي فإذا كانت كل شعوب الأرض تتقدم في السن، فإن الشعوب الأوروبية تتقدم بسرعة مذهلة تنذر بالخطر، ويترتب على ذلك زيادة الإنفاق الحكومي على كبار السن، خاصة وأن الدول الأوروبية تأخذ بنظام التأمينات الاجتماعية ورعاية المسنين اقتصاديا واجتماعيا.

التوزيع والكثافة : رغم أن أوروبا كانت مصدرا لهجرات عديدة إلى جهات العالم المختلفة من استراليشيا إلى أفريقيه مارة بالأمريكتين، فمازالت أوروبا من أكثف القارات سكاناً، فآسيا رغم أن سكانها أكبر عددا، ولكنها أيضا أكبر القارات مساحة، وتختلف خريطة آسيا السكانية عن نظيرتها الأوروبية في أمرين أساسيين : أولهما أن خريطة أوروبا السكانية يظهر فيها توزيع السكان على أنه فرشة سكانية سميكة بصورة عامة ــ من الصحيح أنها تزداد سمكا أحيانا أو ترق أحيانا أخرى ــ ومع ذلك فليس هناك قلب شبه خالي كما في آسيا، وثانيهما أن العلاقة بينها وبين البيئة الطبيعية أقل منها في شرقي آسيا أو جنوبيها حيث ترتبط التجمعات السكانية هناك بأودية الأنهار والسهول الخصبية، وكان هذا الأمر في أوروبا قبل الانقلاب الصناعي، ذلك أن تطهير الأرض من الغابات الخفيفة سيكون في السهول أسهل منه على المرتفعات، من ثم كانت المستوطنات الأولي خلال فترة الدفء التي بدأت من ٥٠٠٠ عام، كما كانت أيضاً في أراضي اللويس (الحشائش) التي غطت الحواف الجنوبية للسهل الأوروبي والتي كانت تمثل طرقا سهلة لانتشار تكنولوجيا الزراعة التي نشأت حول البحر المتوسط عن طريق وادي الدانوب، وبعد دخول أدوات عصر الحديد في أوروبا ازداد اقتلاع الأشجار في السهول حتى لقد كانت مساحات واسعة قد تم تطهيرها حتى قبل غزو الرومان لفرنسا وإنجلترا، وشقوا الرومان الطرق حتى في مناطق الغابات، من ثم ازدادت المساحة المزروعة خلال العصور الوسطي.

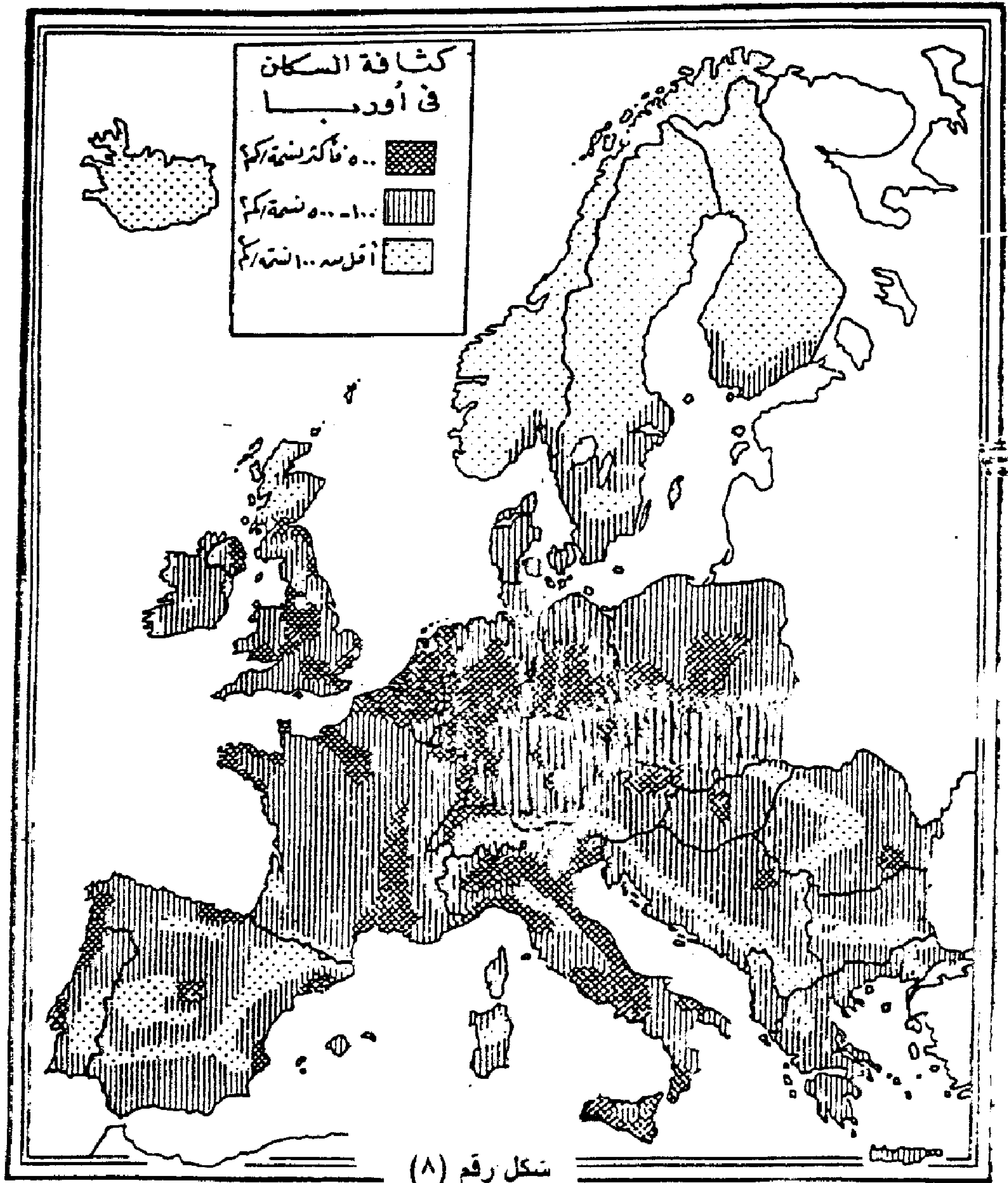
غير أن الأمر اختلف بعد الانقلاب الصناعي حيث أصبحت الصناعة والمراكز الصناعية

مراكز جذب للريفيين الذي كانوا يعيشون في ظل الإقطاع أشبه بعبيد الأرض، وبدأت مناطق الفحم والحديد مع الكثافات البشرية المرتفعة، ثم موارد الطاقة الجديدة من كهربائية ونووية التي زادت من اشتعال الثورة الصناعية، حتى أنك لتجد كثافات مرتفعة للسكان حتى في المناطق الجبلية المتضرسة إذا ما ظهرت فيها موارد مائية، وابلغ مثال على ذلك بولند الجنوبية وجيرانها. وإذا كانت الكثافة العامة في أوروبا وهي ٦٧ نسمة للكم٢، وهي كثافة مضلله بوجه عام لأنها متوسط مجموع السكان على المساحة، فهي في هولند ٤٢٤ نسمة للكم٢، وفي بلجيكا ٣٠٣ نسمة للكم٢، وفي المملكة المتحدة ٢٤٠ نسمة للكم٢، وفي ألمانيا ٢٣٠ نسمة للكم٢، بل وقد تبلغ في بعض المناطق الصناعية في ألمانيا والمملكة المتحدة إلى أكثر من ٥٠٠ نسمة للكم٢ على حين أنها تنخفض إلى أقل من ١٥ نسمة في فنلند، وأقل من ١٤ نسمة في النرويج، وتزداد انخفاضا إلى أن تبلغ ٣ نسمات في ألبانيا وإستونيا. على العموم لابد من التمييز بين أقاليم الكثافات العالية واقاليم الكثافات المنخفضة.

أقاليم الكثافات المرتفعة : يمتد محور الكثافة العالية للسكان على محور يبدأ من الجزر البريطانية إلى روسيا مارا بمعظم ألمانيا وبولند وأوكرانيا، وبيلاروس (روسيا البيضاء) كما يضم هذا المحور أيضا هولند وبلجيكا وأجزاء من فرنسا، ويضم هذا المحور السكاني نحو ٨٥% من سكان القارة هذا فضلا عن بقاع متفرقة مثل حوض البو بإيطاليا، وحوض الرون الأدنى بفرنسا، والسهول الساحلية الأسبانية هكذا ارتبطت الكثافات المرتفعة في أوروبا بالأقاليم الصناعية حيث مصادر الطاقة بالدرجة الأولي والتي كانت مرتبطة بحقول الفحم ثم مصادر الطاقة الجديدة، وكما لابد أن نشير هنا إلى أن أكبر كثافة سكانية في دولة غير صناعية هي هولند.

أقاليم الكثافات المنخفضة : وترتبط هذه بالأقاليم غير الصناعية، والصعبة الاستغلال زراعيا، فهناك الأقاليم الشديدة البرودة والتي تنخفض فيها الحرارة إلى ما دون درجة التجمد لجزء كبير من العام، كما هو الحال في مرتفعات السويد والنرويج، وفنلند حيث تكثر البحيرات وكذلك القسم الشمالي من روسيا، وهناك الأقاليم التي تسودها السلاسل الجبلية الشديدة الارتفاع كما في الألب، والبرانس، والكربات، وسلاسل الألب الدينارية، وبعض المرتفعات المتفرقة هنا وهناك، وقد يكون سوء التربة كما في إقليم اللاند (جنوب غربي فرنسا) حيث التربة الملحية الغدقة والكثبان الرملية، ورغم أنها جرت عليها عمليات الاستصلاح مما زالت

أقل كثافة عما جاورها، ويمكن أن نذكر هنا أيضا أقاليم الهضاب الجافة كما هو الحال في هضبة المزيتا في أسبانيا.



شكل رقم (٨)

المهاجـــــرون

من أوروبا لابد من الإشارة إلى ديناميكية السكان في أوروبا، خاصـــة فـــي المائـــة وخمسين عاما الماضية، فقد شهدت أوروبا عملية خروج للسكان من أوروبا إلى الأراضي عبر

البحار بين عامي ١٨٤٠، والحرب العالمية الأولي ١٩١٤ وبصفة أخص بين عـامي ١٩٠٧، ١٩١٣، هذا فضلا عن عدة هجرات فرعية صغيرة بين الدول الأوروبية بعضها وبعض، بسبب الزيادة السكانية المرتفعة في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، فقد كانت اكثر ارتفاعا في أوروبا عنها في أي جزء أخر من العالم، المهم أن الموجات الكبرى اتجهت إلى الأراضي شبه الخالية خاصة الأمريكتين واستراليا وجنوب أفريقيه ونيوزيلند، وقد قدر أن الذين هاجروا إلى أمريكا الشمالية واستراليا وحدهما نحو ٦٠ مليون نسمة في المائة عام السابقة للحرب العالمية الأولي، وشاركت في هذه الهجرة معظم الدول الأوروبية. وأن أتت ايرلند في المقدمة، ورغم أن ثلث هؤلاء قد رجع إلى أوروبا مرة أخرى، فإن حركة الهجرة من أوروبا كانت على نطاق واسع بفضل سفن البخار. وشدة الطلب على الأيدي العاملة للتوسع الزراعي في الأراضي الجديدة، لشدة طلب من جانب الدول الصناعية الأوروبية على المواد الغذائية والخامات، وكان لدول غربي وشمال غربي القارة نصيب الفيل في هذه الهجرات بفضل اعتيادهم على ركوب البحر ومهارتهم البحرية بل وكانوا الأوائل، بينما تأخر مهاجرو شرقي القارة وجنوبيها إلى أواخر القرن ١٩ وأوائل القرن العشرين. ثم كان لهذه الهجرات أثرها خاصة في أوروبا الغربية التي أصبح فيها متسع لهجرات تاتيها من خارجها بعد زيادة نموها الزراعي والصناعي.

إلى أوروبا : كانت الحرب العالمية الأولي والحرب العالمية الثانية وما أحدثته من دمار اقتصادي، بل وبشري أيضا بسبب هلاك معظم من هم في سن العمل، سببا في نقص العمالة ووجدت أوروبا أنه لابد من استقبال المهاجرين لإعادة الأعمار والبناء، على سبيل المثال في خلال سنوات الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين فتحت ألمانيا حدودها على مصراعيها لاستقبال العمال الأجانب من تركيا ومن أوروبا الجنوبية، وأطلقوا عليهم العمال الضيوف، بلغوا نحو ٤ ملايين نسمة نصفهم من الأتراك، وقدر اليوغسلاف بنحو ٧٥٤ ألف، والإيطاليين بنحو ٦٠ ألف كما كان هناك يونان وأسبان ومغاربة وجزائريين وتوانسة. ما لعبت الظروف السياسية دورها في حركة الهجرة إلى بعض الدول الأوروبية، فبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وظهور الكتلة الشرقية تدفقت الهجرات من شرقي أوروبا إلى ألمانيا الغربية (حينئذ) والنمسا ما بين عامي ١٩٥٤/١٩٥٦ قبل بناء حائط برلين كان هؤلاء المهاجرين يمثلون ٢٠% من سكان ألمانيا الغربية عام ١٩٥٠. وكان هناك تقدير للدور الذي قام به المهاجرون في صنع المعجزة الألمانية كما قال هيلموت كول (أحد الرؤساء) عام ١٩٩٤ أن

الألمان يعتبرون أن هؤلاء المواطنين الأجانب أثراء إنسانيا وثقافيا لبلادنا، وهم يسهمون في تحقيق رخاء البلاد "، كما استقبلت فرنسا نحو مليون مستوطن فرنسي كانوا يعيشون في الجزائر عقب استقلالها، واستقبلت هولندا نحو ٣٠٠ ألف إندونيسي عندما أجبرت على مغادرتها، واستقبلت المملكة المتحدة مواطنين من كينيا وأوغندا والهند وباكستان وجزر الهند الغربية.

الحضريـــة فـــي أوروبـــا

يعتبر التجمع السكاني في مدن الصغير منها والكبير، بل والعملاق، من أهم ظاهرات جغرافية العمران في أوروبا، وتضم أوروبا وحدها مع صغر مساحتها نحو رُبع المدن المليونية في العالم. فأوروبا من اكثر القارات حضرية، فإن كانت نسبة الحضر إلى الريف في العالم بصفة عامة هي ٤٧,٧%، فهي في أوروبا ٧٣,٦%، والمقدر أن ترتفع إلى ٨٠% عام ٢٠٣٠، وتختلف نسبة الحضرية بطبيعة الحال فهي أكثر ارتفاعا في أوروبا الشمالية ٨٥% وأوروبا الغربية ٨٤% وأقل في أوروبا الشرقية ٦٨% وأوروبا الجنوبية ٦٧%، وهذا لا شك بعكس صورة التصنيع ودرجته، وتصبح البانيا بحضريتها التي تبلغ ٣٧% هي مرآة حقيقية لتدني التصنيع.

الانقلاب الصناعي : كان الانقلاب الصناعي الذي اكتمل عام ١٨٣٠، والذي مهد له الانقلاب التجاري في القرنين ١٦ م ١٧ م أثره في نمو المدن والذي كان بدوره الخطوة على الانقلاب الميكانيكي في أواخر القرن ١٨م بدأ في بريطانيا ١٨٣٠، ثم أخذ ينتشر في القارة بين ١٨٣٠، ١٨٤٠ وصحب الانقلاب الصناعي ثورة ديموغرافية فزاد السكان، ومعه زادت المدن عددا وعدا، وكانت الثورة الديموغرافية التي كان بدأ مهدها بريطانيا وأوروبا ثورة مُدنية أساسا، ومن ثم كانت أوروبا الغربية التي نقلت المدينة إلى بقية أوروبا ورثت أوروبا الغربية البحر المتوسط في هذا المضمار ولأول مرة تصبح الصناعة أساسا في قيام المدن (*).

(*) المدن والحضارة مرادفان لغويان في كل اللغات نجد كلمة المدينة مشتقة من المدنية، في اللغة العربية المدينة والمدنية، والحضارة والحاضرة تعني العاصمة أو المدينة الكبيرة وفي اللغات الأجنبية **Cite` = Civitas**

وإذا كانت الصناعة القائمة قبل الانقلاب الصناعي لم تساعد على قيام مدن بالمعنى المفهوم، بل كانت الصناعات في معظمها ريفية، فإن الانقلاب الصناعي وما صحبه من صناعات تحويلية ضخمة كالصناعات الثقيلة لا يمكن أن تقوم إلا في المدن لضخامة تنظيمها، بل قد تخلق الشركات الكبيرة مدنا كاملة، مصانع، مساكن للعمال، طرق، ومواصلات ....، على سبيل المثال فيلبس في هولندا، فولكس فاجن في ألمانيا وميشلان في فرنسا، ماجنيتوجورسك في روسيا، فدور الصناعة دور مدني وتبعت المدن الصناعية مناطق الفحم. كان للكهرباء أثرها في تضخم الصناعة في مدن أخرى ليست قريبة من الفحم كلندن وباريس. وقد تخصصت الصناعة في بعض المدن لظروف خاصة بها، شيفلد في إنجلترا تخصصت في الآلات القاطعة، ومثلها إسن في ألمانيا وبرمنجهام في إنجلترا في الآلات، والسيارات في كفنترى في بريطانيا، ومرسيدس في ألمانيا، الحرير في ليون، والجعه في ميونيخ، وأن كان لا يمكن التعميم ، فهناك صناعات أخرى تقوم في مثل هذه المدن، وبالتالي اتجهت المدن الصناعية الأوروبية من التخصص الشديد إلى التنوع، ففي يوركشير في إنجلترا تقوم صناعة المناجم وصناعة الصلب إلى جانب صناعة الصوف.

مدن ولكن غير صناعية : وإذا كان الانقلاب الصناعي هو خالق المدن الصناعية، فهناك مدن قامت في أوروبا كمدن خدمات، حيث تقوم فيها إدارة الشركات الصناعية والتجارية والتأمين، والنقل، والبنوك ، وهناك مدن الجامعات، أي ان الجامعات كانت الأصل في نشأتها، وهي محور حياتها الاقتصادية كاكسفورد وكمبردج في إنجلترا، ولوند في السويد، وهناك مدن المصايف البحرية وهذه انتشرت بعد الانقلاب الصناعي وانشار تراب الفحم الخانق، فضلا عن سهولة المواصلات، فقامت كرد فعل للتلوث مثل برايتون وبلاكبول في إنجلترا، ودوفيل في فرنسا، ومن مدن المصايف مالا يقع على البحر، وإنما في الداخل على بحيرات سويسرا والنمسا وشمالي إيطاليا، يجمع الإنسان هنا بين لطف درجة الحرارة وسحر الطبيعة الأخاذ : البحيرة والجبل والغابات، مثل كومود ولوجانو في إيطاليا، ومونتريه، ولوزان، وجنيف في سويسرا ويقابل هذه المصايف، مدن المشاتي Winter Resorts وهي في حماية جبال الألب مثل كان ونيس، موناكو، مونت كارنو على الريفيرا الفرنسية، وسان ريمو على الريفيرا الإيطالية، فضلا عن فينسيا ونابلي، أما المدن الجبلية التي ظهرت عند حضيض المرتفعات فهي مصايف

City, Civilization، وتحومن شكل معين للتوطن لولسكن والحرفة إلى طريقة للحياة **From a form of Habitat to a way of life**

ومشاتي في آن واحد، ويرجع نموها إلى القرن العشرين، نمت وتكاثرت مع تطور وسائل النقل كالسكك الحديدية والتلفريك Teleferique مما ساعد على انتشار السياحة الجبلية والتزحلق على الجليد، وعادة ما تقوم عند حضيض الجبال لتقديم خدمات للسائحين: انترلاكن فــــي سويســرا، إنسبروك في النمسا، ويكفي أن تعرف أن سويسرا وحدها بها ثمانون مركزا من مراكز رياضــة التزلج. وأخيراً ليس أخرا في مدن الخدمات مدن المصحات حيث الشمس والهواء النقي. ومــن ثم فهي للعلاج والسياحة في آن واحد، مدن المياه المعدنية نوع منها قد تكون عيونـــا ســاخنة ذات أملاح معدنية مفيدة للجسم، فيشي في فرنسا فيزمادن في ألمانيا، وكارلسباد في تشيك.

الباب الثاني : أوروبا الغربية

الفصـــــل الأول
في شخصية أوروبا الغربية

يضم هذا الإقليم الجزر البريطانية (المملكة المتحدة وإيرلنـد)، وفرنسـا، وبلجيكـا، وهولند ولكسمبرج، وأحيانا ألمانيا (*) وبالتالي فهي في نهاية القارة الأوروبية مطلـة علـى الأطلنطي، وتمتد في نطاق متصل ومتجاور فيما عدا الجزر البريطانية التي كان يفصلـها بحـر المانش عن بقية القارة، ولما كان هذا الإقليم يقع بين درجتى عرض ٤٣ شـمالا، ٥٣ شـمالا ومطلا على الأطلنطي فقد تميز بالمناخ البارد الأقرب إلى الاعتدال، فضلا عن أن مطره معظـم العام نتيجة سيادة الرياح الغربية، وكان لوقوعه في نهاية القارة ومطـلا علـى الأطلنطـي أن وجدنا توجيهه الجغرافي في معظمه كان نحو البحر، تجارة واستعمارا، بل وهجرة إلى ما وراء البحر إلى الأمريكيتين واستراليا. وأن كانت الأجزاء الشرقية منه تبدو عليها آثار القاريـة، أي أقرب إلى مناخ وسط أوروبا. وقد يبدو التشابه أو بالأحرى التقارب بين أجزاء هذا الإقليم فـي ظروفه البشرية أكثر منه في ظاهرته الطبيعية الممثلة في بنيته وتضاريسه والتي تمتد خـارج هذا الإقليم، بل يعتبر امتدادا لها. ولكن الأكثر تشابها هو فـي الإنسـان ونشـاطاته، التطـور الزراعي والصناعي، بل وطريقة حياته، والطموحات الاقتصادية والسياسية لدول الإقليم التـي جعلتها أول من اتجه في أوروبا إلى الوحدة ممثلة في السوق المشتركة، ثم الاتحاد الأوروبـي (EU).

وجه أوروبا الغربية :

إقليم متنوع في بنيته وتضاريسه، فقد أثرت فيه الحركة الهرسينية مكونة الالتـواءات الهرسينية التي عملت فيها التعرية فترة طويلة وحولتها إلى سهول تحاتية، هبطت في النهايـة وغمرتها مياه البحر، وتراكمت فوقها الرواسب القارية، وفوقها التكوينات الجيرية البحرية، ثـم قامت الحركة الالتوائية الألبية بدفع هذه الرواسب الهرسينية، فرفعت بعضها فوق سطح البحـر،

(*) يدخل البعض ألمانيا الإقليم لأنها أقرب حضاريا واقتصاديا إلى هذا الإقليم منه إلى إقليم وسط أوروبا. وأن انتمت إلى الأخير مناخيـا وحتى في تصنيف العالم سياسيا إلى غرب وشرق، توضع ضمن دول أوروبا الغربية.

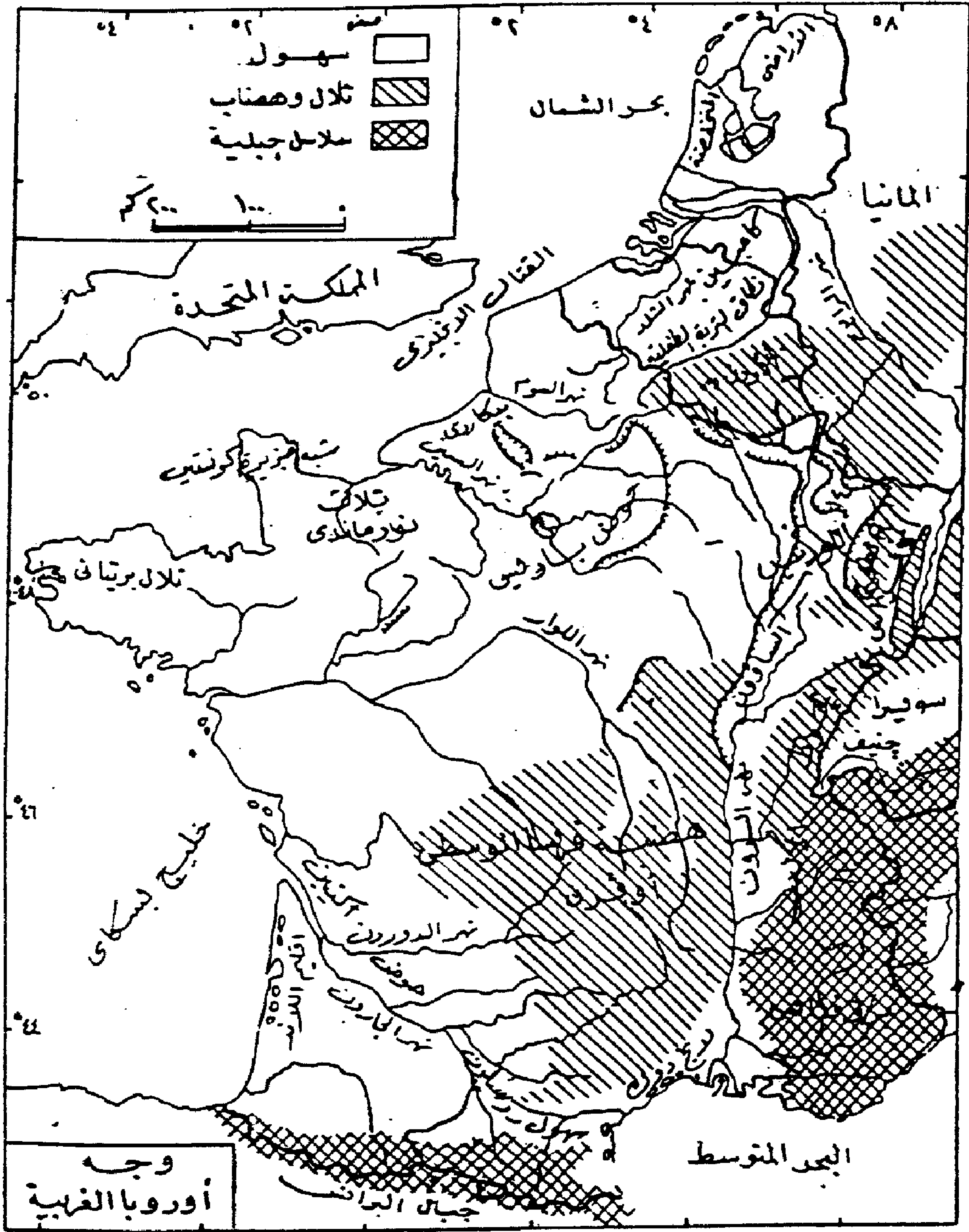
من ثم كانت الكتل الهرسينية القريبة من حركة الالتواءات في الجنوب أكثر ارتفاعا من الكتل الشمالية مثل هضبة فرنسا الوسطي، وجبال الفوج أكثر ارتفاعا من هضبة الأردن في الشمال أو من الكتلة الأرموركية (شبه جزيرة بريتاني)، كما نتج عنها أيضاً كثير من الأخاديد. وظهر النشاط البركاني مكونا مخروطات بركانية، وهذه الطفوح البركانية نشرت بدورها التربات الخصبة حولها، وإلى الشمال من هذه التكوينات الهرسينية يظهر السهل الشمالي لأوروبا الذي غطاه جليد الزمن الرابع، وبعد ذوبانه ارتفعت الأرض بعد زوال ضغط الجليد، وترك الجليد آثاره ممثلة في ركامات نهائية تحدد المدى الذي وصلت إليه الغطاءات الجليدية في امتدادها جنوبا. غير أن أهم ما قامت به الحركة الالتوائية الألبية يظهر على أطراف الإقليم الجنوبية ممثلا في جبال البرانس والألب التي تمثل التخوم الجنوبية للإقليم. من ثم كان لدينا من الشمال إلى الجنوب.

* السهول وهي جزء من السهل الأوروبي العظيم،ويقع بعضها دون مستوى سطح البحر في هولند.

* المرتفعات الهرسينية وتمثلها هضاب فرنسا الوسطي، وجبال الفوج الأردن (متوسطة الارتفاع)

* المرتفعات الألبية ممثلة في البرانس وجبال الألب (شديدة الارتفاع)، وهذه الأخيرة هي التي تحمل غطاءات جليدية طول العام في أوروبا الغربية.

المناخ : ينفتح هذا الإقليم على المحيط الأطلنطي بتأثيراته أكثر من أوروبا الشمالية، وتحمل الرياح الغربية الدفء والرطوبة طول العام، فتقلل من درجة حرارة صيفه، وتدفئه شتاء، من ثم كان التساقط طول العام مع زيادة قليلة شتاء إلى سواحله الغربية، وتتشابه درجات الحرارة في سهوله، وإن كان الملاحظ أن فرنسا وهي اكثر أقطار الإقليم امتدادا عرضيا من الشرق إلى الغرب، ان أجزائها الشرقية تحمل سمات المناخ القاري (مدي حراري أكبر، وأمطار أكثر صيفاً) وهذه الظاهرة توجد أيضا في هضبة فرنسا الوسطي والألب، فالمناخ هنا هو من النوع الانتقالي بين مناخ غرب أوروبا والمناخ القاري. بل وفي فرنسا ذاتها نجد أن جنوبيها ينتمي إلى مناخ البحر المتوسط.



شكل رقم (٩)

السكان : هناك أربع دول هي أكبر أربع دول القارة سكانا، ألمانيا (٨٢,٦ مليـــون)، كل من فرنسا والمملكة المتحدة نحو (٦٠ مليون)، والأراضي المنخفضـــة تضـــم ١٦ مليـــون نسمة (بلجيكا ١٠ مليون، وهولند ٦ مليون) وتعتبر جمهورية أيرلند أقلهم سكانا فهم يبلغـون

نحو ٤ مليون، أما لكسمبورج فسكانها نحو نصف مليون، وهذه الدول هي التي كونت نواة الاتحاد الأوروبي. وترتفع كثافات السكان في أوروبا الغربية باستثناء أطرافها، ولا شك أن أعلاها في نطاق المراكز الحضرية الصناعية الذي يمتد من وسط بريطانيا إلى شمالي فرنسا وبلجيكا وهولند، وممتدا إلى ألمانيا.

السكان نموا اشتهرت هذه بثبات سكانها أو النمو الصفري للسكان، وتدل التقديرات أن سكان هذه المجموعة سيزداد عددهم زيادة بسيطة من ٢٣٠ مليون عام ١٩٩٩ إلى ٢٣٥ مليون عام ٢٠٢٥، فقد هبطت الزيادة الطبيعية ٥ر% في السبعينيات إلى نحو ٣ر% في التسعينيات، كما انخفضت درجة خصوبة المرأة بنحو ١,٧ بين عامي ١٩٦٥ والتسعينيات وقد مرت الدورة السكانية لهذه الدول بالأربع مراحل سكانية، حيث تتعادل الآن المواليد الوفيات تقريبا، ولكن بانضمام ألمانيا الشرقية إلى الغربية ارتفعت نسبة الوفيات عن نسبة المواليد في التسعينيات، وفي الحقيقة أنه بعد طفرة في المواليد بين ١٩٥٠، (عقب انتهاء الحرب الثانية) ١٩٦٤، انخفض عدد الأولاد في الأسرة نتيجة تأخر الزواج، وزيادة استخدام وسائل منع الحمل، وفي الحق شهدت الفترة الأخيرة زيادة في تأخير الزواج، وزيادة الأرامل مع زيادة متوسط أعمار النساء (٨٠ سنة).

القوي العاملة المهاجرة : أدي النمو البطيء للسكان في فترة زاد فيها النمو الاقتصادي بعد التسعينيات إلى نقص في الأيدي العاملة الشابة، وبالتالي البحث عن يد عاملة رخيصة، وحلت المسالة في بريطانيا بفضل أبناء المستعمرات البريطانية السابقة، جاء معظمها من الجزائر ودول المغرب والمستعمرات الفرنسية السابقة بالنسبة لفرنسا. وفي هولند كانوا أساسا من إندونيسيا، وكانت حقوق هؤلاء المهاجرون محدودة أول الأمر. ولكنهم بعد فترة من الضغط والبقاء في هذه الدول حصل معظمهم على المواطنة، وأن كان ليس معنى هذا أنهم اندمجوا تماما في المجتمعات الجديدة، وكانت هناك أحداث عنف عرقية بين الحين والحين. فهناك ما يتراوح من ٥,٤ مليون عامل لم يولدوا في فرنسا حصل منهم نحو المليونين فقط على المواطنة، وهذا المليون لديه نحو ٥ مليون طفل، وهؤلاء يحملون معهم العادات والتقاليد الإسلامية.

أما مجتمع المملكة المتحدة فهو أكثر خليطا من جنسيات متعددة بعد تدفق أهل الكاريبي وإفريقية وأبناء شبة القارة الهندية منذ خمسينيات القرن الماضي. ومعظمهم يعيش

في إنجلترا، ولا يوجد آثار لمشاغبات عرقية، ومعظم هؤلاء المهاجرين في بريطانيا حصلوا على المواطنة.

شيخوخة السكان: يوضح التركيب السكاني للمجتمع الألماني مثلا ظاهرة تكرر في كل أوروبا الغربية، لا في لأن السكان سيتناقصون في الثلاثين عاما القادمة، وحتى لو شجعت الهجرات إليها، ويضاف إلى هذا زيادة عدد كبار السن، ففي أواخر تسعينيات القرن العشرين كان هناك ١٥% من الألمان فوق سن ٦٠، وسيتضاعف هذا الرقم عام ٢٠٢٥، وليس من شك أن زيادة كبار السن ونقص القوى العاملة النشطة معناه زيادة العبء على ميزانية الدولة، وقد يؤدي هذا على زيادة عمالة المرأة.

الحضرية المرتفعة : تعتبر درجة الحضرية في أوروبا الغربية مرتفعة للغاية، فهي في معظم دول المجموعة تتراوح نسبة ٨٥%، ٩٠%، فيما عدا فرنسا ٧٦% وإيرلند ٥٩% عام ٢٠٠٠، وتعكس هذه الدرجة العالية من الحضرية التجمع في مدن الصناعة والخدمات، وقليل من هذه المدن كبير الحجم، نظرا لأن الأنشطة تنتشر في مساحات واسعة، كما تطورت وسائل الاتصال، فباريس سكانها نحو ١٠ مليون، ولندن سكانها ٨ مليون هما من أكبر المدن، ومن المدن الرئيسية الأخرى في فرنسا: مرسيليا وليون، وفي المملكة المتحدة: برمنجهام، مانشستر، وليدز، وجلاسجو وموانئ روتردام وامستردم في هولند، ودبلن عاصمة ايرلند. إذا كانت أوروبا الغربية هي إقليم النواة Core بالنسبة لأوروبا، فإن نمو المدن أو النوايات في أوروبا الغربية اتجاه بعضها لبعض حدا ببعض الجغرافيين إلى القول بأن أوروبا الغربية سوف تتحول بعد وقت ليس ببعيد إلى إقليم حضري كبير، ففي الماضي حين كان الإنسان ينتقل بالسكك الحديدية من روتردام إلى لهاي كان القطار يعبر الحقول والمراعي، ولكننا الآن بمجرد عبورنا ضواحي روتردام تظهر لاهاى في الأفق.

القلب الاقتصادي لأوروبا : تعتبر أقطار أوروبا الغربية المسئولة عن نمو وبقاء القارة الأوروبية في بؤرة الاقتصاد العالمي، رغم أن سكانها يبلغون نحو ٤٥% من سكان القارة، فهي منتجة لأكثر ٦٠% من الإنتاج الاقتصادي لها، ٦٥% من البحوث التكنولوجية، وهذا وقد بدأت التجارة العالمية والاستعمار والرأسمالية الصناعية من أوروبا الغربية، وكانت بريطانيا هي السباقة حتى لحقتها ألمانيا في ثمانينيات القرن التاسع عشر (١٨٨١)، ورغم هزيمتها في الحربين العالميتين في القرن العشرين (١٩١٤ ، ١٩٣٩) فقد عادت ألمانيا مرة أخرى

لتحتل مكان الصدارة، ففي أواخر القرن الماضي احتلت ألمانيا وفرنسا وبريطانيا المركز الثالث والرابع والخامس على الترتيب في الاقتصاد العالمي. حافظت أوروبا الغربية على مكانتها رغم أن مواردها الطبيعية بدأت تتناقص، ولكنها عوضتها خامات المستعمرات خاصة من أفريقية، وعوضت نقص الفحم في ميدان الطاقة سواء لزيادة تكاليف استخراجه أو لظروف بيئية بترول وغاز بحر الشمال وبالطاقة النووية، وأصبحت هذه مصادر أساسية للطاقة.

شهدت أوروبا الغربية أيضاً تغيرا في توزيع النشاط الاقتصادي منذ نهاية خمسينيات القرن العشرين، استجابة لتغير في البنيات الاقتصادية (زراعة ـ صناعة ـ خدمات) واستخدام موارد جديدة للطاقة، ورغم أنها كانت مستوردة للمواد الغذائية، فقد ضاعفت إنتاجها بزيادة الإنتاج الأفقي والرأسي للأرض حتى أصبحت مصدرة مستوردة. ورغم أنها في تقنية الصناعة والخدمات قد تأتي بعد الولايات المتحدة، واليابان، فمازال الإقليم في مركز الصدارة من حيث الأسواق الغربية والتجارة العالمية.

الصناعات الرئيسية جديدة

تأتي صناعات السيارات، والطائرات، والإلكترونيات، والجرارات، والصيدلانيات كأمثلة للصناعات الرئيسية في أوروبا الغربية، إذا أخذنا مثلا صناعة السيارات وفي جزء منها ملكية الدولة. وجزء أخر تملكه شركات أجنبية، سيارات الرينو الفرنسية وجزء من فولكس فاجن الألمانية تملكها مؤسسات تابعة للدولة، كما كان الحال سابقا في مؤسسة المحركات البريطانية وقد تدفقت على أوروبا الغربية شركات السيارات الأجنبية كجنرال موتورز، وفورد من الولايات المتحدة الأمريكية، افتتحت لها مصانع منذ الخمسينيات سواء للتجميع، أو مصانع للمكونات، وأجهزة النقل، والموتورات موزعة على أكثر من دولة في أوروبا الغربية، من ثم خلقت سلسلة من العلاقات والتشابكات كذلك الحال في شركات صناعة السيارات اليابانية الذين افتتحوا مصانع تجميع في المملكة المتحدة سواء تويوتا، أو نيسان أو هوندا وذلك بغرض الحصول على موطأ قدم في أسواق أوروبا. ومع ذلك مازالت هناك مؤسسات وطنية خاصة في صناعة السيارات مثل BMW (ألمانيا) وبيجو وستروين (فرنسا)، وتنتج ألمانيا نحو ٤ مليون سيارة سنويا على حين تنتج فرنسا نحو ٣ مليون ، كما تنتج كل من المملكة المتحدة وبلجيكا نحو المليون سيارة. وليس من شك أن المجموع فوق حاجة الاستهلاك فضلا عن افتتاح مصانع للسيارات اليابانية وما صحبه من زيادة الآلية في الإنتاج وبالتالي الاستغناء عن الأيدي العاملة.

صناعات الفضاء Aerospace : وكل دولة من دول أوروبا الغربية تؤكد احتفاظها بنصيبها في هذه الصناعة، من ثم فهي مقسمة بين هذه الدول سواء كانت صناعة الطـائرات أو الصواريخ، وتأتي أوروبا الغربية صاحبة المركز الثاني في إنتاج طائرات Airbus، وتجد الدول الأوروبية نفسها في منافسة شديدة في التسويق من شركات الطائرات الأمريكية (بوينج). وقد تأسست شركة إيرباص بواسطة مجموعة من دول أوروبا الغربية (المملكة المتحدة، وفرنسـا، وألمانيا وأسبانيا)، بدعم حكومي من هذه الدول في أواخـر السـتينيات كمنـافس لصناعـات الطيران الأمريكية، وان كانت مازالت الطائرات الأمريكية مسيطرة على أغلب أسوق الطـائرات، ففي عام ١٩٩٧ باعت بوينج التي سيطرت على السوق الأمريكية ١٥ ألف طائرة بينما سـوقت إيرباص ٩ آلاف طائرة.

الإلكترونيات : تسيطر المؤسســات المتعـددة الجنسـية علـى بعـض الصناعـات كالإلكترونيات في جميع قطاعاتها من الميكروسكوبات المختلفة إلى الحاســبات والتلفزيونـات والاستريو. وقد نمت هذه الصناعات منذ الخمسينيات، وأن كانت اليابـان والولايـات المتحـدة الأمريكية قد أخذت نصيب السبق فيها، وفي نهاية القرن العشرين كان نصيب الولايات المتحـدة الأمريكية نحو ٣٠% واليابان والدول التي دخلت ميدان الصناعة حديثا في شرقي وجنوبي آسيا وأمريكا اللاتينية نحو ٥٠%، على حين كان نصيـب أوروبـا نحـو ٢٠%، وتعتـبر فيلبـس (هولند) وتومسون (فرنسا) هما الوحيدتان في أوروبا ذاتا الشهرة العالمية في هذا الميدان.

الدواء : يبدو أن مركز أوروبا الغربية أكثر قوة على نطاق عالمي في صناعة الدواء، والوصول إلى أدوية جديدة أمر ليس سهلا، بل يتطلب أبحاثاً مستمرة، وفي هذا نجحت أوروبـا الغربية، وتعتبر ألمانيا في المقدمة. وتليها المملكة المتحدة وتنتج أوروبا الغربية نحـو ٥٠%، وتستهلك أقل قليلا من ٣٠%. بينما تنتج الولايات المتحدة الأمريكية نحو ٣٠% ولكنها تستهلك ٣٤%، كما تنتج اليابان نحو ٢٣%، وتستهلك ٢٤% من مجموع الاستهلاك العالمي، من ثـم وجدنا شركات الدواء الأوروبية مسئولة عن ثلثي صادرات الدواء في العالم.

صناعة الخدمات Service Industries : رغم أن الصناعة نمت في أوروبا الغربيـة وتطورت إلى قطاعات جديدة، فإنها أتت في المرتبة الثانية أو الثالثة بعـد الولايـات المتحـدة الأمريكية واليابان ماعدا قطاع صناعة الخدمات التي قد تقف فيها على قدم المساواة أو منـافس للولايات المتحدة الأمريكية، فقد ضمت صناعة الخدمات في أخر القرن الماضي نحو ٦٥% مـن القوي العاملة في دول أوروبا الغربية، حين شهدت دول أوروبا الغربية في الصناعات التقليديـة

استغناء عن العمالة بأعداد ضخمة، أما لتوقفها عن العمل أو لاستخدام التكنولوجيا الحديثة، ظهرت أهمية هذا القطاع، وقد زادت أهمية قطاع الخدمات مع زيادة السكان عددا، وزيادة برامج الرعاية الاجتماعية، ولا شك أن العمل سواء في تجارة الجملة أو القطاعي والتعليم والصحة، وكذلك الوظائف الحكومية يرتبط بعدد السكان وتوزيعهم، وتتراوح وظائف الخدمات ما بين تجارة القطاعي والجملة التابعة للقطاع الخاص ووظائف التعليم والصحة التابعة لمؤسسات الدولة، كما تعتمد الحرفة على الحرف الأخرى ولكنها لا شك تلعب دوراً غير مباشر في الإنتاج، فالتعليم الجيد والصحة الجيدة لاشك ستؤدي إلى قوة عاملة أكثر مهارة واكثر إنتاجاً، وهناك ميدانان رئيسان لقطاع الخدمات، هما الخدمات الإنتاجية Producer Services والسياحة.

(أ) خدمات الإنتاج Produce Services : وهي ترتبط بإنتاج السلع والخدمات المطلوبة لها مثل أبحاث التسويق والإعلان، والحسابات، والبنوك، والتأمين، والشئون القانونية المتعلقة بها، وبالتالي فهي تضيف على قدم المساواة مع القطاعات الأخرى، بل وتلعب دوراً رئيسياً مع القطاعات الأخرى في عملية التنمية الاقتصادية، وقد نمت صناعة الخدمات الإنتاجية في دول أوروبا الغربية منذ سبعينيات القرن العشرين، ووظفت نحو ١٠% من القوة العاملة رغم استخدامها لتقنية المعلومات، وتتركز هذه الحرفة في مراكز المدن الرئيسية حيث التجمعات الاقتصادية الكبيرة، وبالقرب من مصادر العمالة ذات المهارات العالية، والمصانع الحكومية والمؤسسات الكبيرة، كلندن وباريس وأمستردام، وفرانكفورت، وميونيخ.

(ب) خدمات السياحة : وهي القطاع الرئيسي الثاني في صناعة الخدمات، وإذا كانت أوروبا جاذبة للسياحة فإن دول أوروبا الغربية هي الأكثر جذبا بطبيعة الحال بالإضافة إلى سويسرا والنمسا (أوروبا الوسطي) ففرنسا الأولي على العالم دخلها ٧٠ مليون سائح، وأسبانيا ٤٧,٧ مليون سائح والمملكة المتحدة٢٥,٥ مليون سائح وإيطاليا ٣٥ مليونا والنمسا ١٧ مليونا، إذا فمن بين العشر دول الأوائل الجاذبين للسائحين عام ١٩٩٩ تجد ثلاثة منها في أوروبا الغربية. وإذا أضفنا إيطاليا (أوروبا الجنوبية)، والنمسا كان لديها ٥ دول، بل ومن حيث الدخل السياحي وجدنا إيطاليا تأتي بعد الولايات المتحدة الأمريكية. ثم فرنسا، أسبانيا، والمملكة المتحدة بدخول قدرها ٣٠,٤ ، ٢٩,٧ ، ٢١,٣ مليار دولار على الترتيب في نفس التاريخ.

الفصـــــل الثانـــــي

الجزر البريطانية British Isles

تتكون الجزر البريطانية من جزيرتين كبيرتين، جزيـــرة بريطانيـــا (العظمـــى) (*) المثلثة الشكل، الكثيرة التعاريج. فضلا عن عدة جزر صغيرة مثل شتلاند وهبرايدز في الشـــمال وجزر مان في الغرب، ووايت. وسيللي في الجنوب. وتبلغ مساحة هذه المجموعة ٢٣٠ ألـــف كم٢. أما جزيرة أيرلند فلا تزيد مساحتها على ٨٣ ألف كم٢، أي أن مساحة الجزر البريطانيـــة مجتمعة ٣١٣ ألف كم٢، ممتدة بين درجتي عرض ٥٠، ٦٠ شمالا.



شكل رقم (١٠)

وقد تمت الوحدة السياسة لبريطانيا عن طريق اتحاد إنجلترا وويلز عام ١٣٠٠م، ثـــم مع اسكتلند في عام ١٦٠٠م. وسمي الاتحاد باسم المملكة المتحدة United Kingdon الـــذي يتبعها الآن أيضا القسم الأكبر من إقليم الستر Ulster في شمالي أيرلند. وشمال أيرلنـــد هـــو القسم الوحيد من المملكة المتحدة الذي يدير شئونه محليا عن طريق برلمان خاص في مدينـــة بلفاست Belfast، وهو يرسل مندوبين عنه إلى البرلمـــان الإنجلـــيزي فـــي ويســـت منيســـتر

(*) أطلق عليها بريطانيا العظمي وذلك لتمييز بينها وبين بريتاني (شمال غربي فرنسا) وفي فرنسا يطلق عليـها في بريتاني Bretagne والأخرى بريتاني الكبرى Grand Bretagne، وهناك لفظ المملكـــة المتحـــدة U.K. ويطلق على إنجلترا وويلز واسكتلند وايرلند الشمالية

West Minister (أحد أحياء لندن). وكانت المملكة المتحدة تسيطر على كامل جزيرة أيرلند، ولكن استعمارها لم يدم، لأنه بني على أساس القوة، فضـــلا عــن أن بريطانيـــا بروتســتانتية والأيرلنديين كاثوليك، ولهذا اضطرت المملكة المتحدة أن تعطي لايرلند استقلالها عــام ١٩٢١، فيما عدا القسم الشمالي. و انفصلت أيرلند أيضا في عام ١٩٤٩ عن مجموعة دول الكومنولــث البريطانية، ولم تشترك في الحرب العالمية الأخيرة.

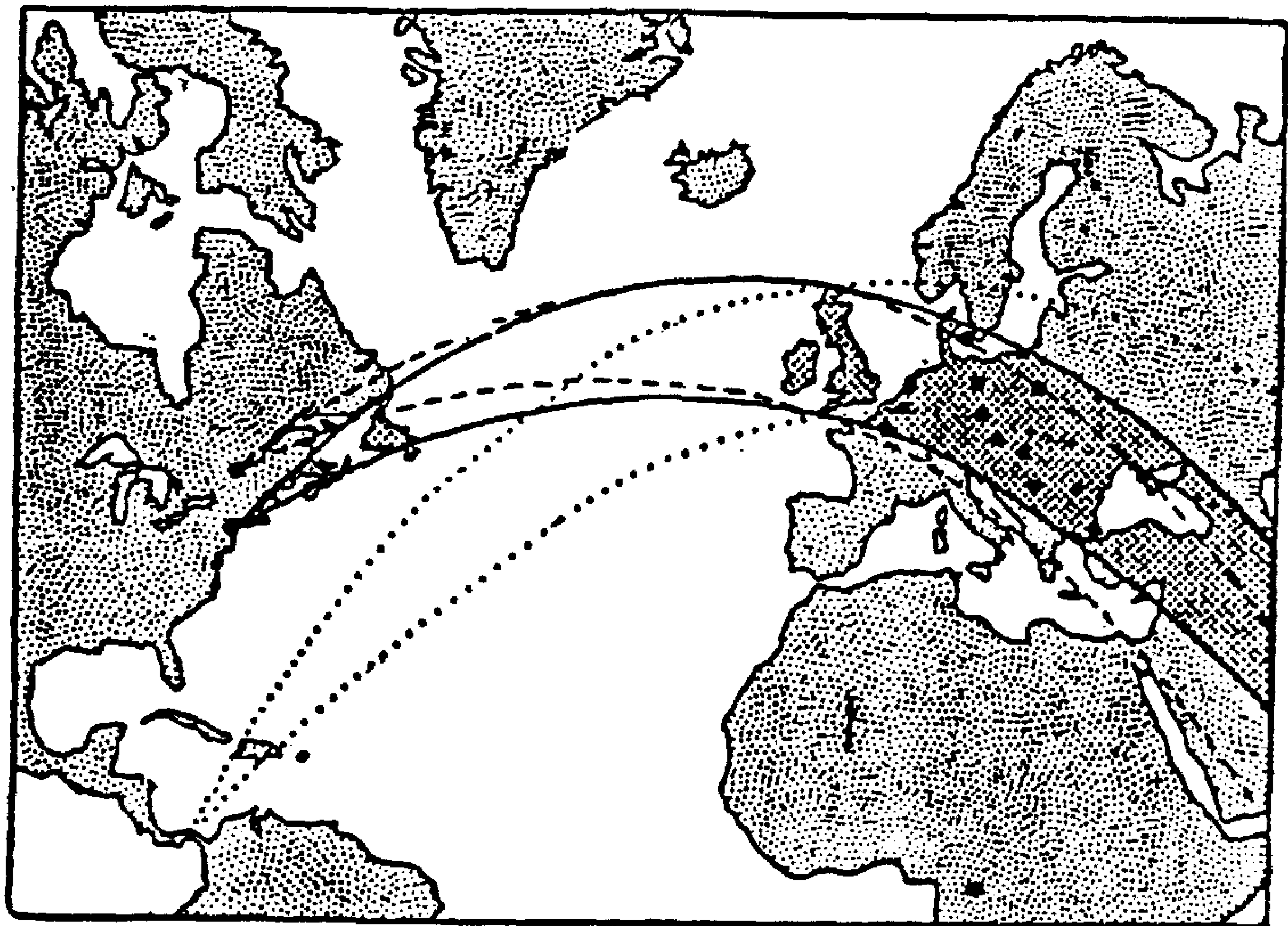
تتجمع الجزر البريطانية فوق مياه رصيف قاري لا يزيد عمقه على ٢٠٠ متر، ومعنى هذا أنها كانت متصلة بصلب القارة في الفترات الجليدية، وتنفصل عن صلب القارة بمســطحات مائية ضيقة، وتبلغ أكثر ضيق لها في مضيق دوفركالية، بينها وبين فرنسا حيث لا يزيد عرض بحر المانش على ٣٠ كيلو مترا، وقد مد فيه الآن نفق تحت الماء وأصبحت بريطانيا متصلـــة بالسيارات والسكك الحديدية مباشرة بفرنسا، وبلجيكا، وبالتالي ببقية أوروبا.

تطور أهمية الموقع

قبل اكتشاف الأمريكتين : كان لهذا الموقع المتطرف على أطراف يابس أوروبا الغربية أثرد في أنها كانت حتى العصور الوسطي وقبل اكتشاف الأمريكيتين. تمثـــل نهايـــة المعمـــور المعروف، تحتل هوامشه المتطرفة، بل تعد مغرب الشمس، وتؤدي إلى لا شئ، وكـــان الجـــزء الوحيد المعروف منها جيدا هو المواجه للقارة. الأمر الذي أدي إلى تسمية الجزر كلها بـــألبيون Albion، نسبة إلى بياض التلال الطباشيرية التي تقتصر في الحقيقـــة علـــى جنـــوب شـــرقي إنجلترا. هذا بينما ظلت أيرلند وسكوتلند غير معروفتين تقريبا. فقد كـــانت الجـــزر البريطانيـــة نهاية الأرض، واقتصادها السائد حينذاك وهو الزراعة ورعي الأغنام. وكانت تصدر أصوافـــها الجيدة إلى القارة، فضلا عن صيد البحر.

بعد اكتشاف الأمريكيتين صار المحيط الأطلنطي هو البحر المتوسط الجديد للعالم. فقـــد تحولت إلى موقع مركزي للغاية، وأصبحت همزة الوصل بين نصفي الكرة الشـــرقي والغربـــي. والواقع أنها الآن تمثل مركز نصف القاري. وتطورت أهمية الموقـــع الجديـــد لبريطانيـــا فـــي علاقتها بالقارة، والمحيطات، وطرق الملاحة وشرايين الحركة، وأصبحت مدخلا وبوابة للقـــارة على أقصر الطرق بين كل عواصم شمال ووسط أوروبا من ناحية، وبيـــن نيويـــورك ومراكـــز العالم الجديد الصناعية الهامة، كل حركة بينهما لابد وتمر عبر الجزر البريطانية. ومن ثم فـــإن

خطوط الملاحة الألمانية والهولندية تتوقف تلقائيا عند الموانى البريطانية في طريقها غربا، وبالمثل تفعل الخطوط الجوية. فالطريق عبر اسكوتلند وأيسلند وجرينلند ولبرادور هو الطريق الأقصر. من هنا تصبح بريطانيا هي نهاية وملتقي شريان الحركة الرئيسي في الأطلنطي، من بنما والهند الغربية ونيويورك. وشريان السويس من غرب أوروبا إلى البحر المتوسط إلى المحيط الهندي إلى سنغافورة.



الخطوط الجوية العابرة للمحيط الاطلنطي
بين نيويورك والعواصم الأوروبية
(لاحظ أن أقصرها بين الخطين السميكين تمر عبر الجزر البريطانية)

شكل رقم (١١)

البحر حماها من مشكلات القارة ولكن فتح العالم أمامها

لا تتصف الجزر البريطانية بصفة الجزر فحسب. بل لها سواحل طويلة تزيد على ٣٠ ألف كيلو متر. لأن كثيرا من سواحلها مغمور كثير التعاريج خاصة في قسمها الغربي حيث لعبت الإنكسارات فضلا عن التعريه الجليدية دورها في تشكيل ما يشبه الفيوردات التي تعرف في سكتلند باسم لوخ، وأمثلتها كثيرة خليج بريستوز. وخنيج ليفربول. وخليج كلايد وغيرها.

حتى أنها لكثرة التعاريج، أصبحت لا توجد بها نقطة تبعد عن البحر أكثر من ١٦٠ كم. وهـــذا كله يفسر الكثرة غير العادية في عدد الموانئ والتي بلغت نحو ٥٠٠ مينـــاء. وكـــانت علاقـــة السكان بالبحر وطيدة دائما، حتى أثناء العزلة التي عاشتها، فالصيد كان منذ البدايـــة مدرســـة البحرية الأولي، بل حتى القرصنة التي ظهرت كمعلم من معالم البيئة للبحرية. فقد كانوا لقـــرون " سادة " القراصنة في البحار العليا والكاريبي، خاصة بعد عصر الكشوف الجغرافية، بل لقد كان في القرصنة مولد البحرية والأسطول البريطاني ذاته، فقبل الانقلاب الصناعي عرفت بريطانيـــا إنقلابا تجاريا خطيرا كان من أهم محركات ذلك الانقلاب، إذ انطلقـــت بريطانيـــا إلـــى الميـــدان البحري والتجاري على نطاق واسع في القرنين السابع عشر والثـــامن عشـــر، وورثـــت دور هولند، ومن قبلها البرتغال. وأصبحت التجارة بعداً أساسياً في حياة بريطانيا وبعد أن كانت دولة زراعية ورعي أصبحت أمة من أصحاب الحوانيت a nation of shopkeepers كمـــا وصفـــها نابليون فيما بعد. واستثمرت بريطانيا موقعها الجديد ووظفته إلى أقصى حد، وكان ذلك عصـــر المركانتيلية : Mercantalism (*) بامتياز، التي أصبح " بنك إنجلترا " رمزا له، وفيمـــا بعـــد أصبحت بريطانيا صاحبة أكبر أساطيل العالم التجارية، وأكبر متعهد للنقل البحري. كما احتكـــرت أكبر قدر من تجارة الترانزيت وإعادة التصدير التي أصبحت لندن خاصة علما عالميا عليها.

وإذا كان الأسطول التجاري البريطاني قد أخذ ينمو بسرعة مع نمو التجارة في القـــرن الثامن عشر غير أن تطوره صاحب الثورة الصناعية، واستمر تطوره حتـــى بلغـــت حمولتـــه ٩,٣ مليون طن عام ١٩٠٠، أي ما يعادل ٥٦% من الأسطول التجاري العالمي، وأن انخفـــض نصيبه إلى ٢٤% عام ١٩١٤، وبلغت ثلث الأسطول العالمي عام ١٩٨٣، ومع هذا الأســـطول التجاري كان لابد من أسطول حربي يحميه ويحمي التجارة المنقولة. وبذلك حققت بريطانيا أكبر إمبراطورية بحرية عرفها التاريخ، فكانت في أوجـــها تضـــم ربـــع ســـكان العـــالم، وتغطـــي ٢٧ مليون كم٢ أي قدر مساحة بريطانيا ١٤٢ مرة، موزعة بين شرق وغرب الأرض، في كـــل القارات، وفي أقاليم مناخية مختلفة، ولذلك أطلق عليها الإمبراطوريـــة التـــي لا تغـــرب عنـــها الشمس the sun never sets، وعرفت بريطانيا أنواع الاستعمار الثلاثة الاستراتيجي، كما فـــي جبل طارق، ومالطة ومصر وقبرص، وعدن ... الخ وسكني كمـــا فـــي اســـتراليا وكينيـــا، والاستغلالي كما في نيجيريا والهند.

(*) عصر التجارة والاحتكارات التجارية.

وكان للأسطول البريطاني أو بالأحرى للبحر رغم ضيقه في الجنوب فضل تأمين الجزر البريطانية من جيرانها، الأمر الذي لم تستطعه الدول الغربية في صلب القارة، هولند، وبلجيكا، وألمانيا، وفرنسا، فقد دخلت في صراعات عديدة، تتحرك فيها الجيوش جيئة وذهابا، ويكفي أن الجيوش اجتاحتها ثلاث مرات منذ أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين (١٨٧٠ ــ ١٩١٤ ــ ١٩٣٩)، ولكن الأمر اختلف في حالة بريطانيا ولم يستطع أحد أن يغزوها منذ الفتح النورماندي (منذ ٩ قرون) وحتى الآن. وكان الصراع النابوليوني هو التحدي الأعظم لجزيرة بريطانيا. فكل مشاريع نابوليون لغزو الجزيرة فشلت وتحطمت على يد الأسطول البريطاني، وعلى هذه الصخرة تحطمت محاولته العظمي من أجل السيطرة العالمية التي انتقلت فوراً إلى بريطانيا، وحتى في عصر الطيران. فإن البحر والأسطول ــ هذا ثابت الآن تاريخيا ــ كانا هما اللذين منعا هتلر من غزو بريطانيا. فلعله لا يوجد في العالم ثلاثون كيلو مترا من الماء لعبت دورا في التاريخ مثلما لعب المانش في تاريخ بريطانيا. وأن انتهت هذه العزلة البحرية بفضل نفق بحر المانش الذي افتتح عام ١٩٩٤، هكذا بقدر ما حماها البحر، بقدر ما فتحت البحار أمامها نوافذ العالم أجمع، فالطبيعة الجزرية مثلما تسمح بالعزلة فهي تسمح أيضا بالاتصال.

وجه بريطانيا نصف جبلي ونصف سهلي

ترجع بنية بريطانيا بعامة إلى الالتواء الكاليدوني في الشمال الغربي (أوائل الزمن الأول) والهرسيني في الجنوب الشرقي (أواخر الزمن الأول) فهي كتلة قديمة صلبة تعرضت طويلا لعوامل التعرية التي خفضت كثيرا من ارتفاعها وخشونة تضاريسها، كما خضع الجزء الأكبر من الجزر البريطانية باستثناء الجنوب الأقصى ــ خضع لغطاءات العصر الجليدي بكل ما تعنيه من تأثير على أشكال الأرض والتربة والسواحل ٠٠٠ الخ.

وتنعكس هذه الفروق الجيولوجية مباشرة على التضاريس. فالجزر البريطانية تنقسم تقليديا إلى قسمين أساسيين: بريطانيا المرتفعات أو بريطانيا العليا **Highland Britain** وبريطانيا المنخفضات أو بريطانيا السفلي **Lowland Britain**، يفصل بينهما خط من مصب التيز في الشمال الشرقي من إنجلترا إلى مصب الإكس في ديفون. فبريطانيا المرتفعات ــ إلى الغرب والشمال من هذا الخط. بما في ذلك ايرلند أيضا. فإلى يساره توجد صخور أقدم، وارتفاع كبير تسوده الجبال والهضاب التي تصل إلى ما يزيد على الألف متر. تمثل سلسلة جبال البنين **Pennine** عمودها الفقري. وتتحول بريطانيا المرتفعات في الغرب إلى سلسلة من أشباه

الجزر البارزة الجبلية، شديدة الوعورة والانحدار، كما في سكوتلند وإقليـــم البحـــيرات ويلـــز. وكورنوول. وظهير الساحل هناجبلي، منحدر شديد التعرج، لاسيما في لوخـــات (فيـــوردات) سكوتلند.

أما بريطانيا المنخفضات إلى الجنوب والشرق من الخط المذكور فصخورهـــا أحـــدث، وسطحها منخفض، وأقل تضرسا على الجملة. تسوده التلال المتموجة والسهول المنبسطة التي تصل إلى أقصى اتساعها في السهل الإنجليزي الكبير ابتداء من إبست أنجليا إلى الجنوب. لذلـك كانت اكثر أنهار بريطانيا وأطولها تقع في بريطانيا المنخفضات بطبيعة الحال. كذلك فإن الساحل هنا أكثر استقامة وأقل تعرجا، كما أنه سهلي في معظمه.

هكذا يمكن القول بأن بريطانيا نصف جبلية ونصف سهلية وإذا فصلنا قليلا في بنيـــة وتضاريس الجزر البريطانية وجدنا أقاليم المرتفعات وأقاليم السهول.

أقاليم المرتفعات :

مرتفعات اسكتلند. وتشغل أربعة أخماسها. وككتل متماسكة شمال درجـــة عـــرض ٥٥ شمالا، وترجع إلى الحركة الكاليدونية، وتغطيها أحيانا صخور رسوبية رملية صلبـــة، ونظـــرا لقدم الحركة الكاليدونية فقد كشفت عوامل التعرية هذه التكوينات، وأظهرت التكوينـــات الزمـــن الأركي، كما أن القمم الكثيرة فيها متداخلة بعضها وراء بعض، وليس هناك تفاوت كبـــير فـــي ارتفاعها، وأعلى قممها هي قمة بن نفيس في جبال جرامبيان في الغرب حيث أعلى قمـــة فـــي بريطانيا (١٣٤٣م) ويمكن اعتبار شمالي أيرلند امتداد لمرتفعات سكتلند نحو الجنوب الغربي.

وتنتهي مرتفعات أسكتلند الشمالية بانكسار ضخم يشغله وأدي أسكتلند الأوسط، فاصلا بين مرتفعات اسكتلند الشمالية، ونظيرتها الجنوبية وهذا الأخدود هو قـــب اســـكتلند البشـــري والاقتصادي، ففيه معظم السكان، وفيه حقول الفحم ثم يلي هذا المنخفض مرتفعـــات اســـكتلند الجنوبية واشهرها جبال شفيوت.

جبال بنين: أشبه بالعمود الفقري لشمالي إنجلترا، باتجاه عاد من الشمال إلى الجنوب. أي من مرتفعات سكتلند الجنوبية إلى السهول الوســـطي Midland مســـافة تبلـــغ ٢٤٠ كـــم وبارتفاع يتراوح بين ٤٥٠ ــ ٦٠٠ متر. وتتكون أساسا من كتلة انكسارية أصابتها حركة رفع في الحركة الهرسينية. ورفعتها على هيئة قوس محدب. وتطل هوامشها الغربية على حـــوض

لانكشير، وأهمية هذا الإقليم أنه توجد فيه ثلاثة أحواض على الجانب الغربي لـــها، فـــي إقليـــم البحيرة، Lake ditrict لانكشير، ستافورد والذي يمثل النهاية الجنوبية الغربية للجبـــال، هـــذا على حين يضم الجانب الشرقي للبنين حوضين هما ديرام. ونوثمبرلند.

مرتفعات ويلز : وصخورها قديمة تنتمي إلى الحركة الكاليدونية. وصخورهـــا ناريـــة ومتحولة، فضلا عن صخور بركانية قديمة ما تزال بقاياها ممثلة في قمـــة ســـنودن (١٠٨٩ مترا)، والتي تمثل أعلى قممها.



شكل رقم (١٢)

أقاليم السهول :

وتقع معظمها كما ذكرنا إلى الجنوب والشرق. وتغطيها تكوينات حديثة ترجع للزمنيين الثاني والثالث، من ثم كانت صخورها أقل صلابة مؤلفة من طبقات متتالية، متفاوتة الصلابـــة، مائلة بوجه عام نحو الجنوب الشرقي نحو القنال الإنجليزي. وإذا كان سطح السهل يغلب عليـــه

قلة الارتفاع بحيث لا يتجاوز في أعلى أجزائه ٣٠٠م، فهناك استثناء على المستوى العام يظهر في كويستا (حافات شديدة الانحدار)، في الشمال والغرب، وأقل انحدارا نحو الشرق والجنوب وهي بطبيعة الحال مكونة من الصخور الأكثر صلابة ومقاومة للتعرية، وتمتد على هيئة تلال من يوركشاير شمالا إلى وسط إنجلترا Midland ومنها ما يتجه من الشرق إلى الغرب من كمبردج إلى إيست أنجليا ومرتفعات كورنول وهناك أيضا الأراضي التي تنخفض عن المستوى العام نتيجة التوأءات أدت إلى ظهور مقعرات كما في حوض لندن، ذلك الالتواء الذي يشغل ثنية الحوض الأوسط والأدنى لنهر التيمز Thames، ومنها حوض هامبشير.

مناخ بريطانيا أم طقسها

تقع الجزر البريطانية ضمن مناخ غربي أوروبا، وهو الإقليم المعتدل البارد. ولكن يزيد في اعتدالها موقعها الجزري، تعمق البحار فيها ومرور تيار الخليج الدافئ حول شواطئها الغربية، غير أن امتداد المرتفعات في جهاتها الغربية يجعل التفاوت بين الشرق والغرب أكثر منه بين الشمال والجنوب.

تعتبر درجة الحرارة في إنجلترا وايرلند معتدلة في فصل الصيف وأن كانت أقرب إلى الحرارة المرتفعة، فهي في لندن نحو ٢٣م. وتنخفض بالاتجاه شمالا، أي شمالي إنجلترا وأسكتلند حيث تنخفض إلى ١٨مْ في جلاسجو. أما في الشتاء فيبرز أثر تيار الخليج الدافئ والرياح الغربية في ارتفاع درجة الحرارة في غربي الجزر البريطانية عنها في شرقيها، فهي ٩مْ في المتوسط في غربيها على حين تنخفض إلى ٦مْ وأقل في شرقيها. بل أن جزر أوركني في الشمال درجة حرارتها ٤ر٤مْ في يناير. أي أكثر ارتفاعا من حرارة باريس في نفس الشهر، مع أن الأولي أكثر قربا من القطب عن الثانية. أما عن التساقط، فهو طول العام على شكل رذاذ في كل الفصول، وهو إعصاري وتضاريسي معا، ويزداد المطر بطبيعة الحال مع زيادة مرور الأعاصير وهو غزير في الجهات الغربية والشمالية، ويقل في الشرق والجنوب الشرقي بسبب وجود المرتفعات التي تحجز الأمطار في الغرب لذلك كانت أيرلند الغربية أغزر مطرا من بريطانيا، فهو في لندن ٦٠ سم. وجلاسجو أكثر من ٩٠ سم، بينما في جنوبي غرب أيرلند ١٥٠ سم. ويكثر الضباب والسحاب لارتفاع نسبة الرطوبة فلا تظهر الشمس في لندن في شهر يناير أكثر من بضع دقائق في اليوم وفي بقية الشتاء لا تظهر إلا حوالي ٣ ساعات في اليوم، ونظراً لارتفاع نسبة الرطوبة هذه وقلة الأشعة الشمسية نجد أن المرتفعات الغزيرة

المطر في اسكتلند وكمبرلاند وويلز لا تصلح للإنتاج الزراعي، فهي اليوم أقاليم مراعـــي مـــن الدرجة الأولي، وهي المراعي الدائمة الخضرة وتعلوها الغابات النفضية والصنوبريـــة. ولذلـــك يري الإنجليز أنه ليس لديهم مناخا دائما وإنمـــا طقســـا no climate but weather، كذلـــك الشمس تظهر لتختفي من سمائها، والصباح المشرق لا ينبئ مطلقا علـــى أن اليـــوم ســـيكون صحوا بكامله، لقد كتب شكسبير Uncertain glory of an April day ولعـــل المظلـــة التـــي يصطحبها الإنجليزي دائما تدل على صدق هذا القول.

أنهارها قصيرة ومصباتها خليجية

ومن الناحية الهيدروغرافية تتصف الأنهار البريطانية بقصر مجاريها نظـــراً لضيـــق الجزر، فأبعد نقطة عن البحر لا تزيد على ١٦٠ كيلو متر، غير أن هذه الأنهار لها ميزة إنتظام الجريان لاستمرار هطول الأمطار معظم العام، وتتسع مصباتها عند البحر حتى لتبـــدو وكأنـــها نوع من الأذرع البحرية الضيقة. فهي مصبات خليجية صالحة للملاحة، وقد تـــأثرت المجـــاري الدنيا لهذه الأنهار بحركات هبوط في قشرة الأرض كما تأثرت بالنحت الجليـــدي أثنـــاء عصـــر البلايستوسين، لهذا فقد تحولت مصباتها إلى خلجان طبيعية عميقـــة Estuary نشـــأت فيـــها الموانئ الجيدة. وهذه الحالة نجدها في مصب نهر التيمز الذي تقع عليه لندن ومصـــب ترنـــت الذي يؤلف خليج همبر الواقعة عليه هل Hull، ومصب التاين Tyne الذي تقع عليه نيوكاسـل، ومصب سفرن المنتهى إلى قناة بريستول، ومصب ميرزي الذي تقع عليه ليفربول ومصب كلايد الذي تقع عليه جلاسجو.

من الغابات إلى ما يشبه البستان

بيئة الجزر البريطانية بيئة الغابات والمراعي، الغابـــات النفضيـــة فـــي المنخفضـــات والغابات المخروطية على المرتفعات، وكانت الغابات الكثيفة مـــن ســـماتها الرئيســـية، ولكـــن الاستغلال البشري لها، وتطورد. والحاجة إلى الأخشاب سواء للوقود أو لبناء السفن، والحاجـــة إلى الأرض للاستخدام الزراعي المتزايد أدي إلى فناء معظم الغابات، فلا يبقي منـــها إلا نحـــو ٤% مما كان عليه الحال أثناء العصر الحجري الحديث، وكان معظم هذا الاستغلال في القـــرون الثلاثة الماضية، من بقايا هذه الغابات أشجار البلوط والدردار والبتولا، أما الأراضي التي خلـــت من الأشجار ولا تستخدم للزراعة فتتخللها الحشائش والمراعي الدائمة الخضرة، وتصبح الهيئة

Landscape شكلا بستانيا Park، فالخضرة العشبية الغزيرة هي الفرشة الأساسية، ومع تنوع التضاريس ما بين منخفضات ومرتفعات واختلاف التربات تتعدد وتتباين المظاهر الطبيعية.

والواقع أنه رغم أن بريطانيا تعتبر واحدة من أكــبر ســت دول صناعيــة، فمــازالت الخضرة هي المظهر السائد في اللاندسكيب البريطاني، بل وحتــى خــارج المــدن الصناعيــة الضخمة بما فيها لندن إذ الأراضي مخضرة والأشجار مورقة مزهرة خاصة في الربيع، وبنظرة الطائر على مساحات واسعة يحس الإنسان بأنها بساتين متتابعة، وأن هناك حميمية بين الشعب البريطاني وأرضه، وذلك حقيقي إلى درجة كبيرة.

ســـكان المملكـــة المتحـــدة

تعميرها بالسكان : في هذه المساحة المحدودة يتجمع كم ضخم من السكان، والعجيــب أنهم مختلفون لغة وعادات وثقافة وعقيدة. فهناك ستة أنواع من الناس عاشوا فترات طويلــة داخل حدود المملكة المتحدة: الإنجليز، والولش، والاسكتلنديين، والكورنش، وهناك الأيرلنديون، والبروتستانت. والأيرلنديون الكاثوليك. وقد سببت هذه الاختلافات بعض الحروب فيما بينها فــي الماضي، وبقاياها ممثلة الآن في النزاع الناشب في أيرلند الشـــمالية أو إقليــم ألســتر، أمــا الاسكتلنديون والولش والكورنيش فقد انتهت مشاكلهم مع الإنجليز إلى حد ما.

نمو السكان : كان نمو السكن بطيئا في المملكة المتحدة قبل الانقلاب الصناعي، فلــم يزد على السكان على ٥ر٥ مليون نسمة في القرن الثامن عشر، ارتفع إلى ٩ مليون نسمة في أوائل القرن التاسع عشر لزيادة التجارة والاتصالات البحرية، هكذا كان حال السكان الذين كــان يعتمدون على الزراعة والرعي وصيد البحر وبعض التجارة، ثم كــانت القفــزة الكــبرى مــع الانقلاب الصناعي، فقفز عدد السكان من ١٧.٥ مليون نسمة عام ١٨٥١ إلى ٤٥,٥ مليون عام ١٩١١، وكانت معظم هذه الزيادة في الجزيرة البريطانية الكبرى، على العموم فقد بلــغ عــدد سكان المملكة المتحدة نحو ٦٠ مليون نسمة عام ٢٠٠٣، في مســاحة ٢٤٣ ألــف كــم٢ أي بكثافة عامة ٢٤٨ نسمة للكم٢، وبنسبة حضرية بلغت ٩٠% من السكان عام ٢٠٠٣.

هذا وتشهد بريطانيا ظاهرة المجمعات الحضرية Conurbations، بل تعدتها أحيانــا إلى العملقة الحضرية Megalopolitan. فلندن وضواحيها تعيش وسط تجمع ســكاني مــتزايد يبلغ نحو ٢٠ مليون نسمة. كما أن المراكز الصناعية في جنوب ويلز تكاد تلتحم مع المراكــز

الصناعية في الميدلاند (وسط إنجلترا) فقد انكمشت المسافة بينهما إلى حد كبير، حتـــى لقـد بلغت نسبة السكان الذين يعيشون في المجمعات الحضرية ٢٣% من مجموع السكان.

هذا وتعاني المملكة المتحدة شأنها شأن دول أوروبا الشمالية والغربية من انخفـــاض الزيادة السكانية، بل تكاد تتوقف بنسبة مواليد ١١ في الألف وكذلك أيضا نسبة الوفيات، من ثم ليس هناك أمل في زيادة سكانية باسقاطات عام ٢٠١٥، وقد يوضح هذا أيضا القاعدة الضيقـــة لهرم الأعمار، بنسبة من هم دون الرابعة عشر ١٩%، في نفس الوقـــت الـــذي تـــزداد فيـــه شيخوخة المجتمع، إذ بلغت نسبة من هم في الخامسة والستين ما يزيـــد ١٦% مـــن مجمـــوع السكان.

توزيع السكان والمناطق الصناعية : يرتبط توزيع الســـكان فـــي المملكـــة المتحـــدة بالصناعة، ولما كانت الصناعة قد ارتبطت لفترة طويلة بالفحم، إذن بصورة عامة يمكن القـــول أن مناطق التركز السكاني هي مناطق الفحم والصناعة، ذلك أن توزيع السكان قبـــل الانقـــلاب الصناعي كان يرتبط بتوزيع الأراضي الزراعية، وبالتالي بالمنـــاطق الســـهلية أو المنخفضـــة أساسا، كالسهول الجنوبية الشرقية والميدلاندز بوجه عام. نظرا لأن منـــاطق المرتفعـــات أمـــا جرداء أو تشغلها الغابات أو تستغل كمراعي، فلما دخلت بريطانيا دور الصناعة اجتذبت عمالـــها من الريف وأصبحت المراكز الصناعية هي مراكز استقطاب السكان، على حين قلت كثافتهم فـــي الريف، وبالتالي ارتبطت الكثافات العالية بالمناطق الصناعية وحقول الفحم، غير أن الجديد فـــي هذا المجال أنه مع الاعتماد على الكهرباء في الصناعة، وكذلك القوي النووية، أصبحت هنـــاك مناطق جذب جديدة للصناعة والسكان رغم أنها خالية من الفحم، فقد جذبت الكـــهرباء والقـــوة النووية الصناعة إلى مجالات أوسع خاصة جنوبي إنجلترا بصفة عامة ومنطقة لنـــدن بصفـــة خاصة، وأن كان هذا لا ينفي التركيز على حقول الفحم ومراكز الصناعة، بموارد الطاقة الجديدة خففت الضغط السكاني على هذه المناطق وإن لم تلغها تماما، ومن أمثلة هذه المناطق الجديـــدة التي لا تعتمد على الفحم غرب لندن، وسهل اسكتلند الأوسط، وجنوب ويلز.

المراكز الرئيسية للتجمعات السكانية :

(١) في جنوبي إنجلترا منطقتان رئيسيتان هما حوض لندن، ففي لنـــدن وضواحيـــها نحو ١٠ مليون نسمة، أي سدس سكان إنجلترا وويلز. وتربو الكثافة على ٤٠٠٠ نسمة للكيلو متر المربع، ذلك أن لندن مرفأ تجاري يتعامل على نطـــاق واســـع فـــي الاســـتيراد والتوزيـــع

والتصدير لبريطانيا وأوروبا، كما أن منطقتها أصبحت مركزا للصناعات التحويلية الخفيفة بعد تطور أساليب الاستفادة من الطاقة الكهربائية فازداد عدد سكانها في القرن الحالي وأصبحت محاطة بأضخم شبكة من طرق المواصلات.

(٢) إقليم الوسط (ميدلاند) وتصل فيه الكثافة حول برمنجهام إلى أكثر من ٨٠٠ نسمة للكيلو متر المربع بسبب غناه بالفحم وقربه من مناطق الحديد، وبسبب تركز الصناعات المختلفة من صغري وكبرى فيه مثل صناعة السيارات.

(٣) إقليم لانكسشير: من أكثر المناطق إزدحاما بالمدن العديدة التي قامت بسبب وجود الفحم وتركز الصناعة حول مادة واحدة هي القطن (لارتفاع نسبة الرطوبة في الجو)، فبعض المدن تشتغل بعزله والأخرى تبيضه وتصبغه ... الخ.

(٤) إقليم يوركشير : وهو شديد الازدحام على عكس شماله وشرقه وأكثر مناطقه إزدحاما في الجنوب الغربي في وست ريدنج حيث تتوطن في المدن غزل ونسج الصوف (ولاحظ أقل رطوبة في ظل المطر). وفي منطقة شيفلد يزدحم السكان حول صناعة الآلات القاطعة المصنوعة من الصلب.

(٥) إقليم نيوكاسل : يزدحم السكان فيه بسبب الصناعة القائمة على الفحم والحديد. وحركته التجارية عن طريق البحر.

(٦) جنوبي ويلز : وهو مركز في كثافة السكان لأن بقية ويلز قليلة الكثافة، ويضم نحو سكان ويلز بسبب كثرة العمال الذين يقومون بالأعمال التي تدور حول الفحم وحول الصناعات المعدنية التي تركزت حديثا كالألمنيوم والصفيح وغيره.

(٧) اسكتلند : وهي قليلة الكثافة جداً بسبب طبيعتها الجبلية في الشمال والجنوب حيث تخف الكثافة السكانية إلا في إدنبره وجلاسجو حيث تتركز صناعات كثيرة للسفن والمنسوجات الصوفية والكتانية.

(٨) شمالي ايرلند : وهي قليلة السكان في الجهة الشرقية وخاصة حول بلفاست حيث صناعة السفن ونسج الكتان، بينما تقل الكثافة في جزئها الغربي عن ٢٠ نسمة للكيلو متر المربع.

اقتصاد المملكة المتحدة

(بنية أساسية ممتازة ـ خبرة ـ استثمارات أجنبية)

حيوية الاقتصاد البريطاني : رغم ما مر به الاقتصاد البريطاني من تقلبات، فقد اتخذت إجراءات مختلفة ليستمر الاقتصاد البريطاني قوياً، حتى أصبحت في نهاية القرن العشرين من أكثر الأقطار الأوروبية منافسة في الاقتصاد العالمي. ويرجع ذلك إلى دينامية وحيوية الاقتصاد البريطاني في جزء كبير منه وإلى خصخصة المؤسسات الحكومية التي ثبت أنها كانت عبءا على الميزانية، وإلى ذلك الحجم الهائل من الاستثمارات الأجنبية التي صبت في الصناعة البريطانية، وكذلك في سرعة الإجراءات والتسهيلات التي تقابلها الاستثمارات الأجنبية مما شجع على جذبها. ولا ننسي أيضاً بنية تحتية جيدة من طرق ومطارات، ودخولها أسواق الاتحاد الأوروبي، ثم كان ربط بريطانيا بالقارة الأوروبية بنفق المانش ١٩٩٤. مما سهل الحركة من الجانبين، لا غرو أن تستحوذ بريطانيا على أكثر من ٤٠% من الاستثمارات الأمريكية في الخارج، وعلى نحو ٤٠% من الاستثمارات اليابانية في الاتحاد الأوروبي، هذا فضلا عن : ٢٥% من الاستثمارات الألمانية، وقد أدى هذا إلى استحواذ هذه الاستثمارات على ٢٠% من الصناعة البريطانية. على سبيل المثال قد اشترت شركة BMW الألمانية شركة روفر Rover البريطانية للسيارات عام ١٩٩٤، وفي أسكتلند تصل نسبة الاستثمارات الأجنبية إلى الثلث تشترك في صناعات متعددة أهمها أشباه المواصلات Semi Conductor والحاسبات، كما جذبت بعض الصناعات استثمارات وأنقذتها، وعادت لتعمل بكل طاقتها، كما كان الحال من قبل. ورغم أن مطار هيثرو (لندن) يعتبر الأول بين المطارات الأوروبية في الحركة الجوية بصالاته الأربع، فيدرس اقتراح فتح صالة خامسة، ذلك وأنه من المقدر أن تزيد حركة الركاب من ٥٠ مليون إلى ٨٠ مليون نسمة سنوياً، وإن كانت هناك معارضة على أساس زيادة التلوث، والاختناق المروري الذي سيزداد بشدة في منطقة المطار.

النشاط الزراعي : كانت الزراعة والرعي وصيد البحر هي حرفة السكان الأساسية في المملكة المتحدة حتى قيام الانقلاب الصناعي، حتى أصبحت الآن، ولا يعمل بها إلا ٢% فقط من السكان، ولا تسهم إلا بنحو ١% من الناتج المحلي، كما لا تسهم إلا بنحو ٧% من قيمة الصادرات.

تعتبر الزراعة البريطانية اليوم خاتمة المطاف لتطور الريف البريطاني منذ كان نظام

الحقول المفتوحة غير المسورة الذي كان سائداً في العصور الوسطي حيث كانت تتبع بصـــورة عامة دورة زراعية ثلاثية وتترك الأراضي البور لممارسة الرعي، ثم أصبحت أراضي تحيط بها أسوار من الأشجار عادة، وتحولت الأراضي البور إلى مزارع علف لتغذية الحيوان، والقـــاعدة في الملكية هي الملكيات الكبيرة، ولوردات الزراعة، فنصف مزارع بريطانيا تزيد فيها مســـاحة المزرعة على ١٥٠ فدانا، فلا توجد ملكية قزمية في الأراضي الزراعيـــة البريطانيـــة وهنـــاك الحيازة بالإيجار أيضاً، ويمكن القول بوجه عام أن المزارع البريطاني يحيا في بحبوحـــة مـــن العيش في ظل زراعة آلية متطورة يستخدم التسميد، وملكيات كبيرة نسبياً، من ثم كان إنتاجـــها كبيراً، رغم أن المساحة المزروعة لا تزيد على $\frac{1}{4}$ مساحة المملكة المتحدة ولا تزيـــد نسـبة سكان الريف على $\frac{1}{10}$ السكان.

الزراعة وتربية الحيوان : إذا كانت الزراعة وتربية الحيوان منتشران في كل المملكـة المتحدة تقريبا، فإن غالبية الأراضي المنخفضـــة هـــي للزراعـــة باســـتثناء الأراضـــي البـــور والمستنقعات، وغالبية الأراضي المرتفعة هي لتربية الحيوان، وإن كان الجمع بين الاثنين هـــو أمر شائع، لذلك فحظ الجبال والسهول قد يوحي بصورة عامة القول بأن شرقي الخط (فضـــلا عن سهول اسكتلند الوسطي) هي أقاليم الزراعة بامتياز، على حين أن الأراضي الجبلية غـرب هذا الخط هي أراضي المراعي بالدرجة الأولي والأراضي المخصصة لتربية الحيـــوان تبلـــغ $\frac{1}{2}$ أراضي اسكتلند ونصف أراضي ويلز، $\frac{1}{3}$ من أراضي إنجلترا.

تتعدد وتختلف أنماط الزراعة من مكان إلى آخر تبعا لطبيعة السطح ونـــوع التربـــة، فضلا عن درجة سطوع الشمس، فهناك النمط التي تزرع فيه الأرض طبقـــاً لـــدورة زراعيـــة، كسهول جنوب شرقي إنجلترا، أي إقليم كنت وايست إنجليا حيث المطر أقل، وكذلك يوركشـــير (غرب جبال بنين)، في مثل هذه الأراضي يأتي القمح بالدرجة الأولي، ثم الشوفان، والشـعير، فضلا عن زراعة البساتين المنتجة للخضروات وبعض الفاكهة التي تشتهر بها هـــذه المنـــاطق كالتفاح والكرز وقليل من الكروم ،ويعتبر إقليم كنت كما يقال حديقة إنجلترا، ولا ننسي أيضاً ان كثيرا من سكان المدن يقومون بزراعة بعـــض الخضـــروات فـــي الحديقـــة الخلفيـــة للمـــنزل Backyard، أما في اسكتلند في فالنطاق الرئيسي للزراعة هو السهول الوســـطي وشـــرقيها، يزرع الشوفان والشعير والبطاطس.

تربية الحيوان بالدرجة الأولي : وهذه عادة ما تختص بها الأراضي المرتفعة والتـــلال

غير الصالحة للزراعة كما في ويلز وكورنوول، ومرتفعات اسكتلند، وعادة مـــا تـــترك الأرض لنمو الحشائش الطبيعية الخشنة على جوانب المرتفعات، وتقوم تربية الحيـــوان علـــى أســـس علمية، كما يظهر فيها التخصص. فهناك تربية الأغنام من أجل صوفها، تشتهر بـــها مـــزارع شمالي إنجلترا وأسكتلند وجزر هبريدز وشيتلاند، ومن أهم أنواعها الشيفيوت، وأشهر مناطقـها في أسكتلند هي وادي تويد التي تعطي صوفا اشتهر عالميا، وعادة ما يتـم تسـويق الصـوف والكباش، ويحتفظ بالنعاج لاستيلادها.

أما رعي الأبقار فهو عادة في الأراضي والتلال المنخفضة حيث الحشـــائش الناعمـــة الدائمة، وتربي الأبقار المنتجة للحوم بالدرجة الأولى على سفوح التـــلال والمنخفضـــات مثـــل هيرفورد، أو المنتجة للألبان واللحوم معا مثل شورت هورن، وهناك عناية فائقة بإنتاج الألبـــان نظراً لسوقها الضخمة، خاصة وأن وسائل النقل جيدة بحيث يمكن نقل الألبـــان إلـــى أســـواقها بسهولة ويسر للاستهلاك سواء كمشروب أو لمصانع منتجات الألبان. وهناك الزراعة المختلطة أي زراعة وتربية حيوان في آن واحد حيث النمط الشائع في استخدام الأرض فـــي كـــل دورة زراعية، يزرع فيها القمح، والشعير، الشوفان، البطاطس، وبنجر السكر مع محـــاصيل أخـــرى لعلف الحيوان كالشعير، ومن ثم يخدم الحيوان الزراعة، وتخدم الزراعة الحيوان، وهذا النمـــط من الزراعة من أكثر الأنواع انتشارا في الأراضي المنخفضة، هكذا زاد الاهتمام بتربية الدواجن وإنتاج البيض والخنازير حتى أصبحت تكفي المملكة المتحدة ذاتيا من هذه الأنواع، بل وتصـــدر اللحوم إلى جانب الأصواف إلى الخارج.

صيد البحر : وهذه الحرفة تمد السكان ببعض الغذاء ولديها إكتفاء ذاتي منـــها، وقـــد ساعد على ذلك وضعها الجزري والبحار الضحلة المحيطة بها (شط الدوجـــر) فـــهي غنيـــة بأسماكها هذا فضلاً عن الصيد في أعالي البحار من الدائرة القطبية الشمالية إلـــى أنتاركتيكـــا (القارة الجنوبية)، ومن ثم كانت الأسماك طعام يومي، بل وقومي بالنسبة للبريطانيين، السمك والبطاطس المقلية (Fish, Chips) الأكلة الشعبية في كل أنحاء المملكة المتحدة وتبلغ حصيلة الصيد نحو ٧٢٥ ألف طن.

التعدين : إذا ذكرت الثروة المعدنية في المملكة المتحدة كان الفحم بالدرجـــة الأولـــى ويليه الحديد باختصار (٩٠% فحم، ٢% من الحديد) . غير أن الفحم والحديد ليسا متكـــافئين أهمية ووزنا في الاقتصاد البريطاني، فعلي حين يمثل الفحم ٩٠% من ثروتها المعدنية. لا يمثل

الحديد سوى ٢% من قيمة الإنتاج المعدني، وفيما عدا ذلك فهو فتات الثروة المعدنية، نحــاس، وكبريت.

الفحم : لسنا في حاجة إلى أن نكرر بأن بريطانيا مهد الانقلاب الصناعي وخالقته، ذلك الحدث الذي انتشر في العالم كله، فهناك مولده، ومن هنا انتشر في بقيــة العــالم الصنــاعي، وتدين بريطانيا بأسبقيتها في ميدان الصناعة في القرن الثامن عشر، والذي بلغ أوجه في القرن التاسع عشر إلى الفحم الحجري أولا، وإلى خبرانها الذين اكتشفوا الأفران التــي تعمــل بفحــم الكوك عام ١٧٠٩، والمولدات التي تعمل بقوة البخار عام ١٧٦٩، وأنوال النسيج والغزل غــير اليدوية ثانيا، من ثم ظل الفحم عصب الصناعة البريطانية، حتى أن المراكز الصناعية اقتصــوت على مراكز تعدين الفحم ومازالت باستثناء المراكز الجديدة التي نشأت خارج هذا النطاق خاصة حول منطقة لندن وإقليم كنت واستغلت فيه الكهرباء والطاقة النووية كما ذكرنا. ومعظم الفحــم من النوع البيتوميني أو القطراني، وقليل منه من نوع الانثراسيت الذي يعطي لهبا ولا يعطــي دخانا، وتشتهر به منطقة جنوب ويلز، ونظراً لقربه من المواني فمعظمه يتجه للتصديــر، كمــا كان الفحم البيتوميني إلى جانب استهلاكه في الصناعات المحلية يصدر بــدوره إلــى فرنســا، واسكندناوه وأيرلند، وأن كان قد قل صادره أيضاً بعــد الاســتنزاف الســريع لطبقــات الفحــم السطحية، وارتفاع تكاليف الاستخراج مع زيادة أعماق الطبقات الحاوية له، وتناقص العمالــة اللازمة من الشباب لاستخراجه لاتجاههم إلى حرف أخرى أقل مشقة وخطورة. من ثم بدأ إنتاج الفحم في انخفاض مستمر، على سبيل المثال كان إنتاجه ٢٢٧ مليون طن عام ١٩٥٧، وبعدهـا بأربعة عقود إنخفض إلى ٧١ مليون طن عام ١٩٩٨ ومع ذلك فمازالت أهميتــه فــي توليــد الكهرباء الحرارية، فهو مسئول عن ٣٠% الطاقة الكهربائية المولدة في بريطانيــا، ويســتهلك هذا النوع من الطاقة ٥٥ مليون طن، كما يتجه نحو ٧ مليون طن لمصــاهر الكــوك، ونحــو ٣ مليون طن للاستهلاك المنزلي.

البترول والغاز يتصدران مواد الطاقة : كان اعتماد المملكة المتحدة في حاجتــها مــن البترول على المستورد وخاصة من الخليج العربي، وبالتالي كانت تتعــرض لــهزات الإمــداد والأسعار، ثم كان اكتشاف بترول بحر الشمال خيرا وبركة، وأخذ إنتاجها في ازدياد مستمر حتى بلغ ١٤٣ مليون طن عام ٢٠٠٠، وبالتالي أصبحت تحتل المركز الثالث في أوروبا بعد روســيا والنرويج، أو المركز الثاني في أوروبا الغربية، لذلك فقد أنعــش البــترول والغــاز الاقتصــاد

البريطاني، لأنه وفر لها فاتورة استيراد البترول من ناحية، ودخل ميدان الصناعة ليحل محـــل الفحم الذي بدأ إنتاجه في تدهور. وأصبح البترول الغاز يدخل في توليـــد الكـــهرباء الحراريـــة بنسبة ٤٠% وفي توليد الكهرباء. كما تسهم القوي النووية بنسبة ٢٦,٥%.

الخامات المعدنية : ذكرنا أن الحديد لا يسهم إلا بنحو ٢% من قيمة الثروة المعدنيـــة، وإن كانت ميزته أن بعضه قريب من مناجم الفحم، كما هو الحال فـــي وادي اســـكتلند وحقـــل ميدلزبرو على الشاطئ الشرقي قرب ديرم، ومن ثم تعتمد بريطانيا على الحديد المستورد، بـــل ومعظم خامات صناعاتها، فهي تستورد قطنها وحريرها ومطاطها.

النقل : وبإنجلترا شبكة ممتازة من وسائل النقل التي تنقل سلعها إلى الأسواق الداخلية والخارجية، فهناك نحو ٤٢٠٠ كم من القنوات والمجاري المائية الصالحة للملاحـــة والطـــرق السريعة، كما ترتبط مدنها بالسكك الحديدية المكهربة، وتتعامل الموانئ البريطانية مـــع ســـلع مصدرة أو مستوردة من مختلف بقاع العالم، بفضل أسطول تجاري ضخم يحمل إليها الخامـــات وتصدر المصنوعات وتسهم الخطوط الجوية البريطانية، والجوية الكاليدونية البريطانية أيضـــا في نقل السلع إلى جانب الركاب.

التصنيع عصب الاقتصاد البريطاني

ظلت الصناعة البريطانية فترة طويلـــة تقليديـــة، الصناعـــات القطنيـــة، والصوفيـــة، والحريرية، ثم الصناعات الحديدية. كالآلات الثقيلة والسفن، واحتكرت لفترة طويلة كثـــير مـــن الأسواق، خاصة أسواق مستعمراتها التي لم تكن تغرب عنها الشمس، ثم حدث التطـــور حيـــن ظهرت المنافسة على أشدها بين صناعاتها خاصة المنسوجات، وبين منسوجات شرقي وجنوبي آسيا كالصين والملايو، وكذلك في صناعة الآلات من جانب اليابان.

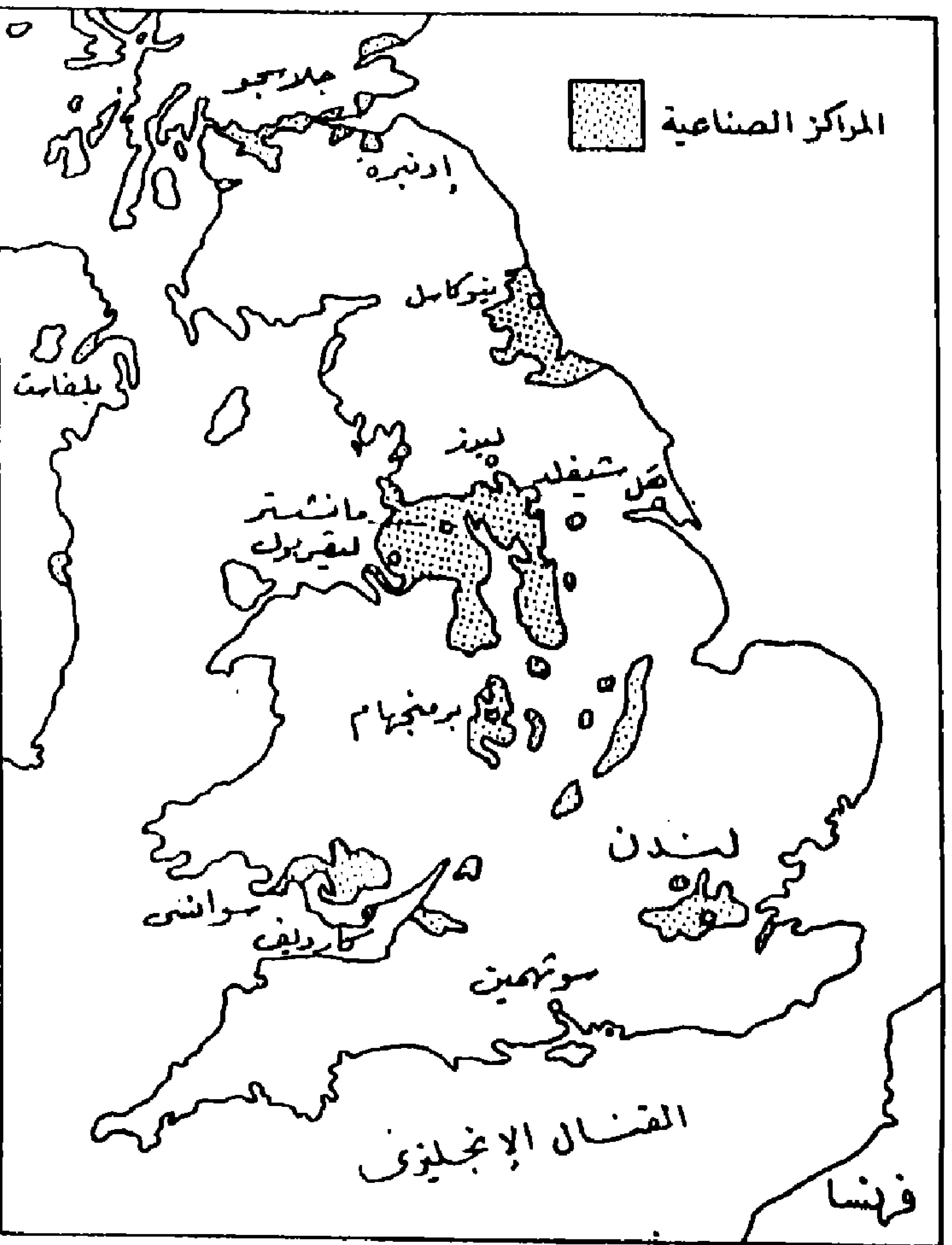
واتجهت إلى صناعة الألياف الصناعية، كالنـــايلون والداكـــرون، والأجـــهزة الدقيقـــة الكهربائية، والسيارات، والإلكترونيات، السلع الاستهلاكية المرتفعة القيمـــة أي تحولـــت مـــن الاعتماد على الخام فقط إلى الاعتماد على العلم والتكنولوجيا، ومن الكم إلـــى الكيـــف، ومـــن الاعتماد أساسا على الفحم كمورد أساس للطاقة إلى الاعتماد على الغاز الطبيعي بالدرجة الأولي والبترول، ثم الطاقة النووية وهما معا يمثلان ثلثي الطاقة ٦٧%، على حين انخفـــض نصيـــب الفحم كما ذكرنا للتلوث الذي يحدثه. وارتفاع تكاليف استخراجه.

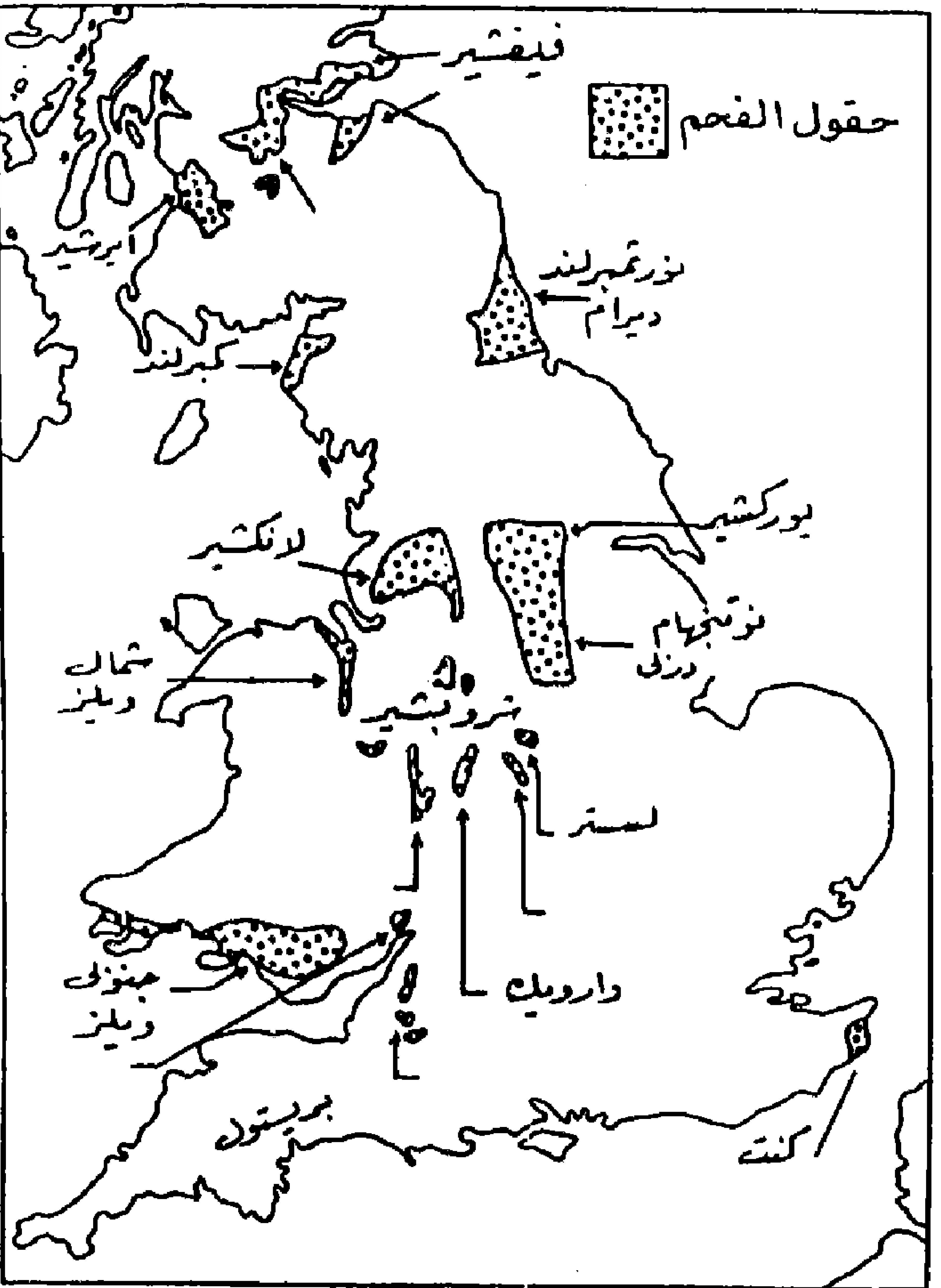
المراكز الصناعية: حوض نهر كلايدوفورث في اسكتلند: وطبقات الفحم في هذه الجهات غير سميكة إلا أنها من نوع جيد، مما يشجع على استخراجها بكثرة رغم ارتفاع تكاليف تعدينها وحاجة الصناعات المحلية، إليها وتجد هذه المنطقة منافذها في الشرق في أدنبره عاصمة اسكتلند وفي الغرب في جلاسجو بعظمتها الصناعية وبأحواض سفنها الضخمة وقد خرجت من جلاسجو أشهر السفن التي افتخرت بها المملكة المتحدة مثل كوين ماري وكوين اليزابث ، كذلك صناعة قاطرات السكك الحديدية، وكثير من الصناعات الهندسية، وكانت جلاسجو في وقت ما المصدر الرئيسي للسفن وناقلات البترول وأن تغلبت عليها اليابان، وتعتمد هذه المنطقة على الحديد الجيد المستورد من الخارج والذي يستقبله ميناء ميدلزبرو Middlesbrough، ولا يقتصر الأمر على الصناعات المعدنية، فسهل اسكتلند الأوسط أحد المراكز الرئيسية لصناعة المنسوجات الكتانية التي أعطت بريطانيا شهرتها في هذا المجال.

١ ـ إقليم نيوكاسل في شمال شرقي إنجلترا : أي أحواض درهام Durham ونورثمبرلند، ويمتاز الفحم في هذه المنطقة بأنه يوجد في طبقات سميكة كما أنه من أحسن الأنواع لعمل الكوك. وعلى أساس وجود الفحم في هذا الإقليم إلى جانب تكوينات الحديد في كليفلاند قامت صناعات السفن والقاطرات وصناعة الحديد والصلب في الشمال الشرقي، هذا ويصدر بعض الفحم إلى الدول الاسكندينافية ودول البلطيق بل إلى ألمانيا وبلجيكا، وذلك لجودته فهو من نوع الانثراسيت الذي يعطي دخانا قليلا، وهناك مثل إنجليزي في هذا المضمار لمن يقوم بعمل دون فائدة وهو Carrying Coal for New Castle أي بيع الفحم في نيوكاسل، يقترب هذا المثل من المثل المصري (بيع الماء في حارة السقايين).

٢ ـ يوركشير، ونوتنجهام شير، ودربي : وتعتبر هذه المنطقة في الوقت الحالي أهم مناطق الفحم في بريطانيا من ناحية الاحتياطي، ومن ناحية الكمية المنتجة، يرجع ذلك إلى عمق التكوينات، فلم تستغل إلا مؤخراً بعد أن أوشكت المناجم الأخرى الأقل عمقاً في الشمال والشمال الشرقي وجنوب ويلز على النفاد. ويكفي أن نعرف أن هذه المنطقة بها نحو ٤٠% من إنتاج بريطانيا الفحمي، ويزيد من أهمية هذه التكوينات من ناحية ثانية إلى وجودها في مناطق صناعية رئيسية في بريطانيا، وفي هذا الإقليم تظهر عدة مدن صناعية، منها شيفلد وشسترفيلد، وشهرة شفيلد في صناعة الصلب عالمية لأنه من الصلب الممتاز في نوعيته، معتمدة أيضاً على الحديد المستورد من الخارج، وتتخصص الأودية. المجاورة لشيفلد بصناعة أدوات القطع من سكاكين وغيرها، كما قامت صناعة قاطرات السكك الحديدية، والأدوات

شكل رقم (١٣)





إرتباط حقول الفحم بالمراكز الصناعية تقليديا، وظهور مراكز صناعية أخرى لا تعتمد على الفحم وإنما على القوى النووية والبترول والكهرباء

ولا يذكر إقليم يوركشير إلا وتذكر الصناعات الصوفية، اعتمادا على الصوف المحلــي، والصوف المستورد عن طريق ميناء هل Hull، وفي هذا المجال تبرز مـــدن مثــل ويكفيلــد، وبرادفورد، فضلا عن ليدز Leeds التي تجمع بين صناعة الآلات الثقيلة وغزل ونسج الصوف.

٣ ــ جنوب وجنوب شرق لانكشير : وقد استثمرت مناجم هذه الجــهات منــذ بدايـــة استغلال الفحم، وأدي طول زمن طول الاستغلال إلى أن أصبحت أعمال التعدين في هذه الجــهات صعبة ومكلفة، وقامت في هذه المنطقة صناعة المنسوجات القطنيـــة التـــي تعتــبر مـــن أهـــم الصناعات البريطانية، وقد ناسبها هذا الإقليـــم لارتفـــاع نســـبة الرطوبـــة اللازمـــة لصناعـــة المنسوجات القطنية، ومن هنا كانت شهرة مانشستر بهذه الصناعة منـــذ القـــدم، فضــــلا عـــن بولتون وأولدهام وبلاكبول، وتستورد خام القطن اللازم عن طريق ميناء ليفربول ثالث الموانـــئ البريطانية حركة بعد لندن وسوثهمبتن في حركة التجارة، ومدت قناة مانسشتر حتـــى تتوغــل السفن نحو الداخل، هذا كما قامت في الإقليم صناعة آلات الغـــزل والنســيج، لتمــد صناعـــة المنسوجات بمتطلباتها من الآلات، وقامت الصناعات الكيماوية إعتمـــادا علـــى منـــاجم الملـــح الصخري في منطقة شيشاير، واستخدم في صناعة المنسوجات، كما تشـــتهر ليفربـــول مينـــاء الإقليم الرئيسي بقيام كثير من الصناعات فيها. ومن أهمها صناعة الصـــابون اعتمـــادا علـــى استيراد زيت النخيل.

٤ ــ وسط إنجلترا : Midland (Black country) ومركزها برمنجـــهام إذا يوجــد الحديد في الإقليم بكميات كبيرة، لهذا نشأت الصناعات الحديدية والصلبية، وتصرف تجارة هــذه المنطقة كثير من الموانئ على السواحل الغربية والشرقية والجنوبية، بل تتنافس الموانئ فـــي اجتذاب تجارة هذه الجهات سواء في ذلك تجارة الصادر وتجارة الوارد، نظرا لتنوع الصناعـــة في هذا الإقليم من صناعة السيارات إلى الآلات القاطعة، والأدوات الكهربائية، وتبرز *برمنجـــهام* مركز هذا الإقليم، وقد أطلق على الإقليم بلاك كنترى نظرا لدخان المصانع الذي كـــان يتصـــاعد من المداخن ويعلق به بخار الماء في الجو، وبذلك كانت تغطيها سحابة سوداء معظـــم العـــام، ولكن هذا انتهي الآن، وإلى الشمال مـــن برمنجـــهام تقـــع *دربـــي* مركـــز صناعـــة ســـيارات الرولزرويس كما تشتهر أيضا *كوفنتري* بصناعة السيارات.

٥ ــ ويلز : ويوجد فيها نوع جيد من الفحم هو فحم الانثراسيت الذي يعطي مقـــدارا كافيا من الحرارة ولا ينبعث منه كثير من الدخان. وتصدر نسبة كبيرة مـــن هـــذا الفحـــم إلـــى

الخارج وساعد على سهولة التصدير وجود المناجم قريبـــة مـــن الموانـــئ، وتحمـــل السـفن الإنجليزية فحم هذه المنطقة إلى جهات العالم المختلفة ثم تعود بها محملـــة بـــالمواد الغذائيـــة والمواد الخام أهم مناطق الفحم في جنوب ويلز كارديف وسوانســـي ونيوبـــورت. وفـــي هـــذه الموانئ تلتقي كميات الفحم التي تنقل من الداخل إلى الساحل بالمواد الخام كالحديد والقصديـــر المستورد من الخارج مما خلق منطقة جنوب ويلز الصناعية حيث تقوم صناعة بنـــاء السـفن والصناعات الحديدية، والألومنيوم.

٦ ــ جنوب شرق إنجلترا : كنت Kent : وإيست أنجليا وهي تضم مساحات واســعة من حقول الفحم، ولكن هذه المنطقة هي من أخصب جهات إنجلترا وأكثرها صلاحية للزراعـــة والتعدين لابد وأن يفسدها، وقد اتجه التفكير لمواجهة هذه المشكلة في أن يستخرج الفحم علـى أن تزال المخلفات الناتجة عن التعدين أولا بأول وبذلك تظل الأرض الزراعية الخصبة صالحـــة لإنتاج الحبوب والفواكه. وتعتبر إيست أنجليا موطن صناعة أصواف ورستد Worsted، كمـــا قامت صناعة المنسوجات الاصطناعية التي تعتمد على الألياف الصناعية، هذا عدا الصناعـــات الهندسية والتي تعتبر فريدة في بريطانيا، ويحتكر إنتاجها هذا الإقليم صناعة الطائرات.

٧ ــ شمال شرق ايرلند (إقليم بلفاست) : ولمنطقة بلفاست شهرتها العالميـــة فـــي المنسوجات الكتانية إلى جانب القطنية التي تشتهر بها مدينة لندنديري Londonderry، كمـــا تقوم في بلفاست أيضاً صناعة السفن نتيجة علاقتها مع جلاسجو.

٨ ــ منطقة لندن : تقوم حول المدينة، خاصة في شرقيها قرب مينـــاء إيســت إنـــد East End كثير من الصناعات التي لا تعتمد على الفحـــم كصناعـــة الملابـــس، والموبيليـــا، والمفروشات، والورق والأسمنت، والآلات الزراعية، والصناعـــات الكهربائيـــة، والكيماويـــة، وغيرها من الصناعات الخفيفة التي تجد لها سوقا رائجة فـــي جنوبـــها الشـــرقي، وشـــمالها الشرقي، وأخيرا بلغت الصناعة شمالها الغربي أيضا، وقد ساعد على قيـــام هـــذه الصناعـــات القرب من الميناء، سهولة الاستيراد والتصدير، فضلا عن السوق المحليـــة الضخمـــة التـــي لا تقتصر على سكان لندن، بل تعدتها إلى العالم، فلندن لها شهرتها في أوروبا بـــل وفـــي العـــالم بأنها أرخص سوق للملابس الجاهزة، فحجم السياحة التسويقية في المملكة المتحدة خاصة فـــي الصيف حين يعلن (الاوكازيون).

هكذا نجد أن توزيع الصناعات الرئيسية ارتبط بتوزيــع الفحـم، ولكــن كثــير مــن الصناعات الأخرى التي استجدت لا ترتبط بمناطق الفحم، والفضل يرجع إلى سهوله الحصــول على الطاقة الكهربائية التي يمكن مد خطوطها آلاف الكيلومترات من مناطق توليدها، كما هــو الحال في لندن، وكذلك الحصول على البترول والغاز الطبيعي من حقولها في بحر الشمال فضــلا عن الطاقة النووية.

أيــــــــرلند

تصم جزيرة أيرلند جمهورية أيرلند، وألستر Ulster في شمال شرقي الجزيرة، وتمثل الجزيرة أقصى امتداد غربي لليابس الأوراسي، وينتمي معظم سكان الجزيــرة إلــى العنــاصر الكلتية التي استطاعت أن تصمد أمام الهجرات الأنجلو ساكسونية ممثلة فــي الإنجلــيز لفــترة طويلة، فقد بدأ الإنجليز يهاجرون إلى الجزيرة بأعداد كبيرة منذ القرن الثاني عشــر، وبلغــت ذروة الهجرات قمتها في النصف الثاني من القرن السادس عشر، اســتولوا علــى الأراضــي. وفرضوا سيادتهم على الشعب الأيرلندي، وكافح الأيرلنديون حتى اســتطاعوا الانفصــال عــن بريطانيا عام ١٩٢١ ماعدا الإقليم الشمالي (الســتر)، فغالبيــة ســكانه مــن ذوى الأصــول الإنجليزية ويدينون بالبروتستانتية، على حين يدين سكان بقية جمهورية أيرلنــد بالكاثوليكيــة. وقد حصلت جمهورية أيرلند على استقلالها تماما عن المملكة المتحدة عام ١٩٤٩ تحت اســم جمهورية أيرلند ومازالت مشكلة أيرلند الشمالية تتراوح في مكانها (١). ورغم ذلك فالعلاقــات الاقتصادية والبشرية قوية بين البلدين، ذلك أنه يعيش في المملكة المتحدة نحو مليون أيرلندى. كما ترسل أيرلند كل فائضها إلى المملكة المتحدة، وتستورد منها الفحــم ومعظــم احتياجاتــها الصناعية.

وجــــــه أيــــــرلند

قال عنها ستامب " أن سطحها يشبة طبق الفنجان Saucer "، ذلك أنه منخفــض فــي الوسط مرتفع في الجوانب وباستثناء الجانب الشرقي من أيرلند، وتحف بالسهل الأوسط تــلال وجبال متوسطة الارتفاع من الشمال والغرب والجنوب، وتتشابه المرتفعات الشمالية والغربيــة في كونهما يرجعان إلى الحركة الكاليدونية. أما المرتفعات الجنوبية فقد تكونت في فترة الحركــة

(١) راجع كتابنا الجغرافية السياسية المعاصرة.

الهرسينية، وترتفع قممها إلى ألف متر، هذا وقد تظهر في بعض الأحيان هنا وهنـــاك بعـض الجبال البركانية بصخورها البازلتية والتي ترجع إلى الزمن الثالث. وتتنوع المنـــاظر الطبيعيـــة على هذه المرتفعات بخضرتها الدائمة خاصة في المرتفعات الجنوبية الغربية حيث تتداخل فيـــها خلجان كثيرة، من ثم كانت مقصدا للسائحين. أما سهول أيرلند فهي ليست سهولا فيضية، بـــل عبارة عن مسطحات من الحجر الجيري يغطي معظمها ركامات عصر الجليد، ونظرا لأن التربـــة سيئة الصرف، فقد ظهرت كثير من البحيرات الضحلة والمستنقعات التي تعـــرف باســـم Bogs وهي تغطي نحو $\frac{1}{7}$ مساحة الجزيرة، بل تبلغ مساحة مستنقعات الين Allen وحدها والتي تقـع في جنوب شرقي الجزيرة نحو ١٠٠٠كم٢، هذا ويغطي اللبد النباتي Peat جزءا كبـــيرا مـــن سطح هذا السهل، وهو عبارة عن تجمعات نباتية ضغطت على مدى آلاف الســـنين، وبالتـــالي تصلبت وتفحمت قليلا، ويقطع هذا اللبد على هيئة قوالـــب ويســـتخدم كوقـــود فـــي المنـــازل والمصانع.

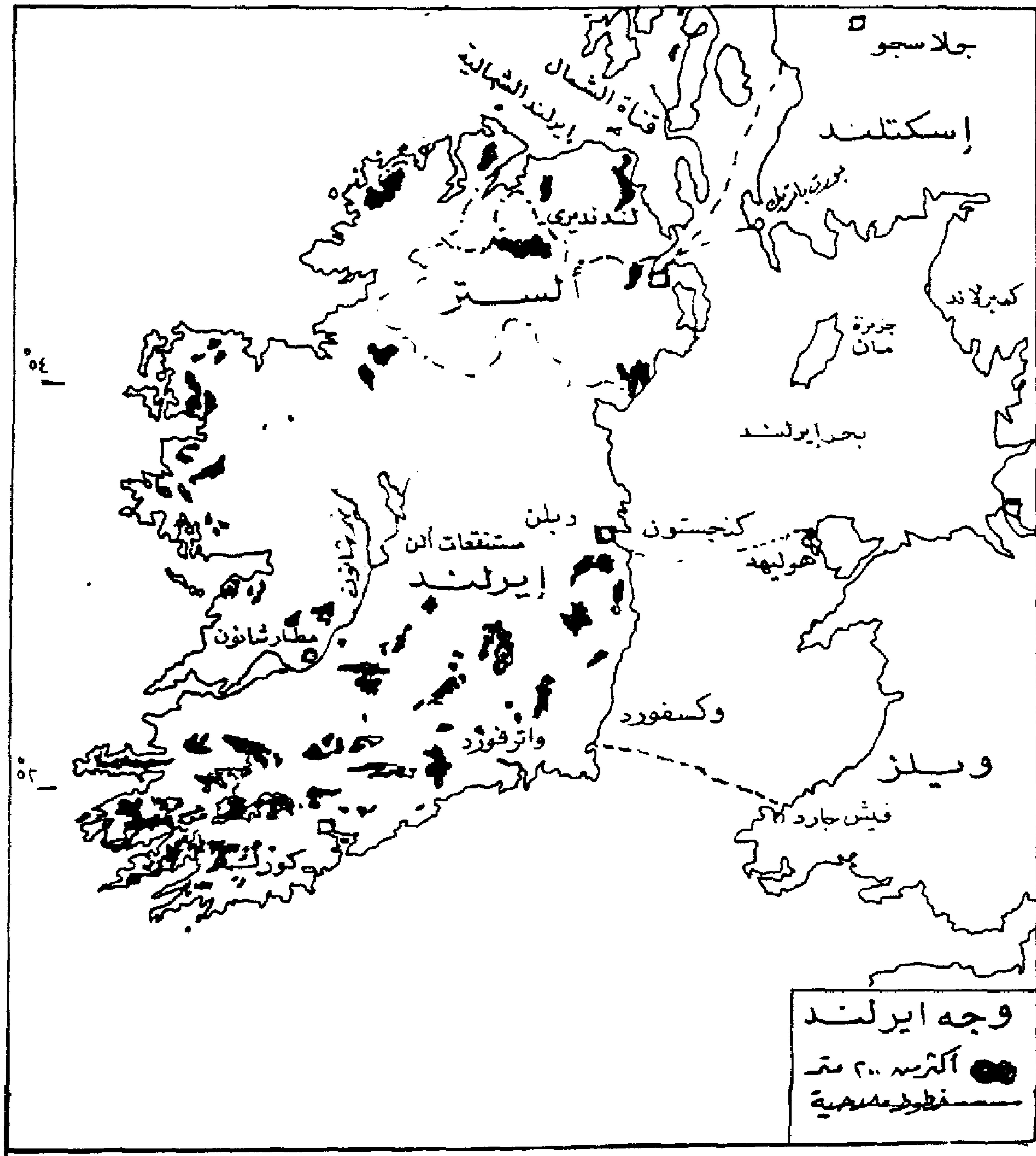
نهر شانون : ويجري في هذه السهول أطول أنهار الجـــزر البريطانيـــة، وهـــو نـــهر شانون، يجري لمسافة ٣٢٠ كم يضيق حينا ويتسع أحيانا حتى يصبح المجرى أشـــبه ببحـــيرة ضخمة مثل بحيرات الين، وري ودرج، كل هذا وسط مروج جميلة حتى لقد أطلق عليها البعض جزيرة الزمرد Emerald، وتعاني سواحل أيرلند من هبوط، ومازال مستمرا حتـــى الآن ممـــا أدى إلى طغيان البحر على الوديان وازدياد الخلجان الكثيرة التي تصلح لقيام المرافئ الطبيعية.

تربية حيوان وزراعة : مازال الأيرلنديـــون (٤ مليـــون) فـــي غالبيتـــهم ريفيـــن (٦٥%) ولا يسمح المناخ المحيطي الشديد الرطوبة الكثير المطر بزراعة مساحات واسعة مـــن الحبوب في سهول أيرلند، ولكنه مناسب لإنبات المراعي الغنية، ولهذا نجد أن أكثر من نصـــف مساحة أيرلند نحو (٥٤%) تغطيه المراعي، أما المساحة التي تشغلها زراعة الحبوب فلا تزيـــد على ١٣% من جملة البلاد، كما أن ٣١% من مساحة أيرلند مجـــدب عديـــم الإنتـــاج تغطيـــه المستنقعات واللبد النباتي. ومن ثم كان الدور الكبير الـــذي تلعبـــه المراعـــي الأيرلنديـــة فـــي اقتصاديات الدولة، فالماشية والألبان تمثل ٨٥% من قيمة الإنتاج الزراعي، والمراعي دائمـــة الخضرة صيفا وشتاء. ولهذا لا تدعو الحاجة هنا إلى تجفيف الحشائش وتخزينـــها، وتســـتطيع الحيوانات أن تبقى طوال العام في مراعيها دون حاجة إلى إيوائها في حظائر، وتربى الماشـــية للحومها أكثر من تربيتها لألبانها. ويبلغ عدد قطيع الأبقار نحو ٤ مليون، كما تربـــى الأغنـــام

على سفوح المرتفعات والخيول الصغيرة الحجم من نوع بوني Poney في السهول، ويمثل الشوفان أهم الحبوب التي تسود زراعتها في أيرلند. وتسود زراعة الشعير في منطقة دبلن Dublin والذي يحول معظمه إلى جعة (بيرة) للاستهلاك المحلي والتصدير إلى الخارج. وتزرع أيرلند القمح أيضا، وإن كان لا يفي حاجة الاستهلاك المحلي، على الرغم من أن عدد السكان ليس كبيرا، ولهذا تضطر أيرلند لاستيراده من الخارج، ويعتبر محصول البطاطس أهم ما تنتجه الأرض الأيرلندية منذ القدم، فهي تنتج سنويا ما يساوي ٩٠٠ كيلو جرام بالنسبة لكل فرد من السكان، ولمحصول البطاطس أهميته لا في غذاء الإنسان والحيوان فحسب، بل دخل تاريخ أيرلند، ذلك أن فشل محصول البطاطس في أيرلند كان معناه حدوث مجاعة. ففي عام ١٨٤٠ والأعوام التي تلتها أصيب محصول البطاطس بمرض أضر به ضررا بليغا، فحدثت مجاعة في أيرلند ومات ملايين من السكان وهاجر الكثير منهم إلى الخارج، ففي عام ١٨٤٠ كان عدد سكان أيرلند ٦,٥ مليون نسمة، وتناقص هذا العدد بسرعة حتى وصل إلى ٤,٤ مليون نسمة في عام ١٨٦١. وتستخدم الأنواع الرديئة من البطاطس لإطعام الخنازير التي تربي بأعداد ضخمة. وتصدر كميات كبيرة من لحومها إلى بريطانيا عن طريق ميناني كورك Cork، ووترفورد Waterford. والزراعة في أيرلند ليست من النوع الكثيف كما هي الحال في بريطانيا، ويرجع السبب في ذلك قلة عدد السكان واشتغالهم بالرعي، ومازال بأيرلند مجال كبير للاستغلال الزراعي.

صناعة : وعلى عكس دول أوروبا الغربية، نجد أن جمهورية أيرلند زراعية في المقام الأول، ولم تدخلها الصناعة على النمط الغربي إلا منذ خمسينيات القرن العشرين، ويرجع هذا في جزء منه إلى عدم وجود الفحم، فاعتمادها على اللبد النباتي Peat الموجود بوفرة، قامت عليه محطات توليد كهرباء، وقد أقيمت محطة توليد كهرباء على نهر شانون قرب مصبه، وتم إقامة معمل تكرير بترول بالقرب من مدينة كورك، هذا فضلا عن فقرها في الخامات المعدنية، من ثم كانت الصناعات القائمة هي صناعات زراعية بالدرجة الأولي، مثل منتجات الألبان وتعليب اللحوم والجعه وأن أضيفت إليها بعض صناعات غير زراعية كالأسمنت والصناعات الكيماوية كالورق والمنسوجات والملابس، وبعض الصناعات الاستهلاكية في دبلن العاصمة (نحو المليون نسمة)، وقام في كورك (٢٠٠ ألف نسمة) مصنع لتجميع سيارات فورد. ومعمل آخر في جزيرة فالنسيا (أقصى الجنوب الغربي) لصناعة الكابلات البحرية وتكرير البترول في الموانئ. هذا ويقوم مطار شانون كمستقبل ومرسل للرحلات الجوية المتجهة إلى

امريكا الشمالية واوروبا.



(شكل ١٥)

الفصـــــل الثالـــث

فـــرنســـــــا

فرنسا دولة قديمة في أوروبا، بل هي أقدم دولة في أوروبا الغربية، وأحد أعمدة الدول الأوروبية، وبالتالي هي وألمانيا ركيزتان أساسيتان حتى أن البعض يطلق عليهما قاطرة الاتحاد الأوروبي، وقد ظلت ألمانيا وفرنسا فرسي رهان قامت بينها حروب ثلاثة في أقل مـــن قـــرن ، ١٨٧٠، ١٩١٤، ١٩٣٩، ولكنها طوت صفحة الماضي، وبدأت صفحة جديدة من التعاون مـــن أجل التقدم.

توجيه بحري وقاري معا

في أقصى غربي القارة ممتدة بين درجتـــي عـــرض ٤٢ْ، ٥١ْ شـــمالا، وبمســاحة ٥٤٧ ألف كم٢، من ثم كانت أكبر الدول الأوروبية مساحة بعد روسيا، ومطلة علـــى وجـــهتين بحريتين، وجهه الأطلنطي، ووجهه البحر المتوسط، إلى جانب واجهتها القارية التي تجاور فيها بلجيكا، وألمانيا، ولكسمبرج، وسويسرا، وإيطاليا، وأسبانيا، ومن ثم فإذا كانت توجه بريطانيـــا بحريا بالدرجة الأولي فتوجيه فرنسا بحري وقاري في آن واحد، فحوض البحر المتوسط موطن الحضارات القديمة، عن طريقة دخلت فرنسا هذه الحضارة المتوسطية، اليونانية، ثم الرومانية، بل إن الرومان حين أخضعوا فرنسا (بلاد الغال) كان عن طريق بروفانس، وعن طريق ممـــر (نهر) الرون (الجنوب)، أما جبهة الأطلنطي فلم تكن مفيدة لفرنسا، كما كـــان الحـــال مـــع بريطانيا إلا بعد كشف الأمريكيتين، من ثم بعد أن كانت نهايـــة الأرض، أصبحـــت فـــي موقـــع مركزي بالنسبة للحركة عبر الأطلنطي، كان العالم الجديد مجالا لاستقبال هجرات فرنسية سـواء في الولايات المتحدة الأمريكية. أو كندا. وقد أتاح لها بعدها البحري أيضـــا أن كـــانت منافســـا خطيرا لبريطانيا على الزعامة البحرية، وكذلك فرصة التوسع الاستعماري حتى أصبح لها ثانيـــة إمبراطورية عظمي بعد بريطانيا، وأن كان هذا لا ينفي مصالحها القارية، خاصـــة وأن ألمانيـــا المجاورة كانت دائما قوة منافسة لها في صلب القارة.

وأما التوجيه القاري. فلأنها جزء من القارة بل أن مناخ شرقيها أقـــرب إلـــى منـــاخ وسط أوروبا من غربي القارة. استمدت من القارة نباتها وحيوانـــها، بـــل والأكـــثر. اســـتمدت سكانها لأنها كانت نهاية القارة. بحيث أطلق عليها مصفي أوروبا بشريا. وهي قاريـــة أيضـــا

بحكم دول الجوار، فإذا كانت فرنسا نموذج مثالي لشكل الدولة في الجغرافية السياسية، لأنها كتلة مندمجة، ولا يبرز من كتلتها سوى نتوء صغير في الشمال الغربي وهو نتوء بريتاني، فإن بعض حدودها مع الجيران تتفق مع أكبر أنهار غرب أوروبا وهو الراين، والبعض الآخر يتفق مع السلاسل الجبلية الأوروبية، البرانس، والألب، وجورا، وفي الألب الفرنسية تقع أعلى قمة في أوروبا الغربية وهي مونت بلان Mont Blanc (٤٨١٠ مترا). ولكن في نفس الوقت فأن نحو نصف الحدود الفرنسية هي حدود بحرية.

وجه فرنسا هو وجه أوروبا مصغرا

والواقع أن تضاريس فرنسا أو وجه فرنسا هو صورة من وجه أوروبا، فهناك السهل الأوروبي العظيم ممثلا في السهول الفرنسية الممتدة من أرتوا Artois في أقصى الشمال على شكل قوس حتى سهول الاكيتين في الجنوب. وهناك الهضاب والجبال الوسطى التي تنتمي إلى الحركة الهرسينية تتمثل في هضبة بريتاني وجبال الفوج وهضبة الأردن، وهناك المرتفعات الألبية التي تنتمي إلى الزمن الثالث ممثلة في الألب الفرنسية وامتدادها في تلال جورا، ونلاحظ على المرتفعات بوجه عام باستثناء هضبة فرنسا الوسطى Massif Central أنها في الأطراف. الألب الفرنسية، جورا، الأردن شرقا، وهضبة بريتاني في أقصى الشمال الغربي. كما يلاحظ أن الأقاليم السهلية وهي الواقعة بين المرتفعات تشغلها جميعا الأحواض النهرية، وتقترب هذه الأنهار من بعضها في منابعها وروافدها، مما أدى إلى ربطها بسلسلة من القنوات الملاحية، بين الراين، الرون، واللوار، والجارون، هكذا تتناوب المرتفعات مع الأحواض.

فزيوغرافيا : رغم تنوع البناء الجيولوجي والتضاريس يمكن أن نرى على الخريطة الفزيوغرافية لفرنسا تناوب المرتفعات والمنخفضات (١).

المرتفعات :

١ ـ المرتفعات القديمة : وترجع إلى الحركة الهرسينية (الفحمي البرمي) وتتمثل أقدمها في هضبة فرنسا الوسطى، وجبال الفوج، والأردن، ومرتفعات شبه جزيرة بريتاني.

(أ) هضبة فرنسا الوسطى : Massif Central نظرا لأنها ترجع في تكوينها إلى الزمن الأول من ثم كانت صخورها قديمة من النيس والشست. وتأثرت بعوامل التعرية

---

(١) انظر خريطة وجه أوروبا الطبيعية

لملايين السنين، التي حولتها إلى سهول تحاتية، وكان لطغيان البحر عليها بين حين وحين أن غطى هذه الصخور بالرسوبيات الجيرية والرملية، كما أثرت فيها الانكسارات، مما أدى إلى ارتفاع هضبة أوفرن (أعلى قممها ١٨٨٦ متر)، وارتفعت حافتها الشرقية المطلة على نهر الرون (السفن Cevennres) وأدت هذه الحركات إلى نشاط بركاني عنيف، تمثل في براكين خامدة بصخورها السوداء، وإذا كانت الهضبة تطل بحده نحو نهر الرون فهي أقل حدة وأكثر تدرجا نحو سهل الأكتيين.

(ب) جبال الفوج : في الشمال الشرقي على امتداد الجانب الغربي من وادي الراين، كانت تؤلف مع جبال الغابة السوداء شرقي الراين كتلة واحدة، ثم حدث صدع كون واديا أخدوديا يجري فيه نهر الراين. من ثم كان انحدارها جادا نحو سهول الالزاس، واكثر تدرجا نحو الشمال والشمال الغربي (حوض باريس)، وتتصل هضبة الفوج بامتدادها بهضبة اللورين، وهذه تتصل بهضبة الأردن، وفي نفس الوقت لا تفصل جبال الفوج حوض الراين (ألمانيا) عن حوض الرون (فرنسا) بل هناك ممرا أو فتحة بلفور، وإلى الجنوب من الفوج نجد جبال وجورا على الحدود السويسرية ممتدة في شكل قوس حتى طرف بحيرة جنيف.

٢ ــ أما المرتفعات الحديثة فتتمثل في الجبال الالتوائية التي ترجع إلى الحركة الألبية في الزمن الثالث، وتتألف من صخور رسوبية حديثة يغلب عليها التكوينات الجيرية. ولكن عنف الالتواء والانكسارات والتعرية أدى إلى انكشاف الصخور القديمة في كثير من المواضع، وهذه المرتفعات تتميز بقممها المدببة لأن عوامل التعرية لم تأخذ الوقت الكافي ليظهر أثرها واضحا كما في الهضاب القديمة ذات القمم القليلة الارتفاع.

(أ) *جبال الألب :* وهي على شكل أقواس تمتد مع فروعها كجبال جورا التي تعتبر مقدمة لها من جنوب الفوج حتى ساحل البحر المتوسط وهي تنقسم إلى أقسام عديدة،

جبال جورا : وتؤلف حدا فاصلا بين فرنسا وسويسرا ويزيد الارتفاع في أعلي قممها إلى ١٨٠٠ مترا.

ألب سافوا : وهي تقع جنوب بحيرة جنيف وبها أعلى جبال الألب توجد فيها قمة الجبل الأبيض (مون بلان ٤٨١٠ متر) وإلى الجنوب منها تقع الألب البحرية وبروفانس ولا يزيد متوسط الارتفاع في معظمها على ٢٠٠٠ متر. ويلاحظ انحدارها شديدا نحو إيطاليا، وأكثر تدرجا جهة فرنسا، أي نحو نهر الرون، ولا تخلو من بعض الممرات والأودية الطبيعية التي تسهل الانتقال بين فرنسا وإيطاليا مثل ممرات برنار، ومون سيني وهما الممران اللذان

تخترقهما السكك الحديدية وصولا إلى ميلانو وتورينو في إيطاليا.

(ب) *جبال البرانس :* وهي حاجز طبيعي بين فرنسا وأسبانيا فلا توجد فيها الممرات إلا في أطرافها الغربية والشرقية، كما أنها أقل ارتفاعا من جبال الألب في فرنسا وسويسرا.

المنخفضات :

وهذه كانت عبارة عن خلجان بحرية تمتد بين الكتل المرتفعة، من ثم يسهل تعيينها بربطها بالمرتفعات التي حولها، وتغطيها الصخور الرسوبية الجيرية التي ترجع إلى الزمنين الثاني والثالث، ورغم أحاطتها بالمرتفعات. فالاتصال بينها وبين بعضها سهل عن طريق الممرات أو التلال القليلة الارتفاع وتتمثل هذه المنخفضات في أحواض الأنهار مثل : ـ

(١) *حوض السين أو حوض باريس:* نسبة إلى العاصمة باريس التي تتوسطه، وكان خليجا يفصل بين اللورين والفوج من جهة ومرتفعات بريتاني من جهة ثانية، غير أن انحداره في شرقه بحافات قوسية شديدة الانحدار تؤلف كويستا، وساعدت هذه التلال على إقامة حصون دفاعية خلفها كما في مدن متز وفردان، وتغطي سطح الحوض الرواسب التي حملتها المياه من الأطراف وأرسبتها فيه في الزمن الرابع، ويمكن اعتباره امتدادا للسهل الأوروبي الأعظم عبر سهول بلجيكا. ويخترق حوض باريس نهر السين أصلح أنهار فرنسا للملاحة، رغم انه أقصرها وهو يتجه شمالا بغرب بعد أن يترك منابعه في شرقي البلاد، متجها إلى باريس العاصمة ليصب في القنال الإنجليزي عند الهافر، وترجع صلاحيتة للملاحة من مصبه إلى باريس لسيره في مناطق مطيره طول العام. وإلى الشمال من حوض باريس تظهر سهول الفلاندز التي يفصلها عن حوض باريس تلال أرتوا Artois.

(٢) *حوض أكيتين والجارون :* يمتد على شكل مثلث بين خليج بسكاي وجبال البرانس وهضبة فرنسا الوسطي، وكان خليجاً يمتد بين هضبة بريتاني في الشمال وجبال البرانس في الجنوب وهضبة فرنسا الوسطي في الشرق، ثم أخذ هذا الخليج يمتلئ بالرواسب الأحدث عهدا حتى أصبح الآن سهلا رسوبيا خصيبا يخترقه نهر الجارون يعرف باسم حوض الأكيتين وكانت تمتد عند الطرف الجنوبي الغربي من الحوض إلى الجنوب من مصب النهر منطقة رملية ومستنقعات فيما مضى، غير أن فرنسا أصلحته بزراعة الأشجار الصنوبرية، ويتصل بحوض باريس عن طريق ممر بواتييه، كما يتصل بحوض البحر المتوسط عن طريق ممر كركسون Carcassoine (بين البرانس وهضبة فرنسا الوسطى)، ولا يصلح نهر الجارون للملاحة، إلا بالقرب من مصبه لأنه يتغذى من أمطار هضبة فرنسا الوسطي، ولا يناله

شيئا يذكر من جبال البرانس. ونهر الجارون في اتجاهه نحو الشمال الغربي يمر بمدينة تولـوز الصناعية، وبوردو حيث أكبر مصانع للنبيذ، ويعرف النهر بالقرب من مصبه بالجيروند. ويتبـع نهر اللوار الذي يعتبره الفرنسيون أجمل أنهار فرنسا، كما أنه أطولها فمنابعه إلى الجنوب مـن منابع السين في شرقي فرنسا والماسيف سنترال (١٠٠٠ كم)، وهو في اتجاهه نحو الشـمال الغربي يمر بمدينة أورليانز، ثم يتحول إلى الغرب ليصب فـي الأطلنطـي عنـد سـان نـازير Sant Nazire ولا يصلح للملاحة إلى بالقرب من مصبه لقلة مياهه.

(٣) حوض الرون وسهول البحر المتوسط يؤلف منخفضا فاصلا بين كتلة جبال الألـب وهضبة فرنسا الوسطي وجبال الفوج ويرفده في الشمال نهر الساءون، ويختلف اتسـاعه مـن جهة إلى أخرى، فهو في الشمال متسع حيث توجد مقاطعة بورجندى Bargundy حيث يصـل وادي نهر دوب رافد السلؤون بوادي الراين وهو متسع أيضاً في الجنوب في مقاطعة لانج دوك Languedoc وكذلك حيث ينتهي بدلتا الرون، وإلى غربها سهول مستنقعية أخرى هي منطقـة لانج دوك الممتدة حتى البرانس وإلى شرقها سهول بروفانس الساحلية حتى نيس. ولكن هـذا الحوض يضيق في الوسط. ويبلغ طول نهر الرون نحو ٨١٢ كم وهـو مـن أغـزر الأنـهار الفرنسية مياها، لأنه يتغذى من ثلاجات جبال الألب حيث تأتيه الروافد المتعـددة كنـهر إيـزر Isere والساءون، وحوض الرون هو الطريق الذي يربط البحر المتوسط بالسـهول الفرنسـية والسهل الأوروبي الشمالي، كما يتصل بحوض الجارون عبر هضبة لانجر، ويقع شرق مصـب النهر.

وقد استفادت فرنسا من تعدد أنهارها فربطت الرئيسية منها بشبكة من القنوات بلغـت ٤٨٠٠ كم تربط بينها وبين الأنهار الأوروبية الأخرى كالراين، وتحمل هذه الشبكة من القنـوات والأنهار كما كبيراً من محاصيل فرنسا الزراعية كالقمح الذي يمكن نقلـه مـن الشـمال إلـى مرسيليا في الجنوب للتصدير. كذلك حديد اللورين الذي يمكن تصديره من شرقي البـلاد إلـى مينائي الهافر وشاربورج على القنال الإنجليزي بعد رحلة نهرية طويلة، كذلك يمكن نقل الصلب المصنع في دنكرك في الشمال إلى أحواض بناء السفن في سان نازير.

المناخ :

يتأثر مناخ فرنسا بعدة عوامل منها الدرجات العرضية التي تقع فيـها بيـن درجتـي عرض ٤٢ْ، ٥١ْ شمالا، من ثم تقع بوجه عام في المنطقتين المعتدلـة والمعتدلـة البـاردة،

وقوعها في نهاية اليابس الأوروبي مطلة على الأطلنطي، وبالتالي فالتأثيرات المحيطية واضحة في الغرب، ثم يقل هذا التأثير بالاتجاه شرقاً ليتيح الفرصة للتأثيرات القارية في أقصى الشرق خاصة في فصل الشتاء، فإذا كان متوسط درجة حرارة برست في أقصى الغرب شتاء ٨ مْ فهي تنخفض في المتوسط إلى ٤ْ على الحدود الشرقية، كذلك يتأثر المناخ بظروف السطح، سواء في درجات الحرارة التي تنخفض شتاء على المرتفعات أو في غزارة المطر عما حولها من سهول. وإذا عرفنا أنها تقع في معظمها في مهب الرياح الغربية طول العام، ماعدا القسم الجنوبي (بحر متوسط) فمعناه سقوط الأمطار معظم العام، ولكن هذه الرياح الغربية لا تتوغل كثيرا في الداخل شتاء، كما يحدث صيفا، وكما يقل المطر نحو الشرق يقل أيضاً نحو الجنوب حيث يختفي تماماً في الصيف، وقد يظهر الجو الحار المترب الذي قد يصل إلى شبه الحالة الصحراوية مثل منطقة كماراج Camaragne إلى الشرق من دلتا الرون والتي تسمى أحيانا لجفافها بالصحراء الفرنسية!!

الأقاليم المناخية في فرنسا :

المناخ البحري : ممثلا في غربي فرنسا المعرض لتأثيرات المحيط الأطلنطي، فهو أقل تطرفا في حرارته ولا يزيد المدى الحراري على ١٠م، (يناير في برست ٧م، يوليه ١٧م) ومطره طول العام على شكل رذاذ ويقدر بنحو ١٠٠ سم، وتمثله هضبة بريتاني، وإذا توغلنا نحو الداخل أي في حوض باريس، كان صيفه أكثر دفئا (١٨ م) وشتاؤه أكثر برودة ٢,٥ مْ، فهو أكثر قارية من إقليم بريتاني، ومطره أقل إن يبلغ نحو ٥٧ سم في باريس. وهناك فرع ثالث للمناخ البحري ويتمثل في حوض أكيتين أو القسم الجنوبي الغربي من السهول الغربية المطلة على خليج بسكاي، إذ يأخذ من إقليم بريتاني مطره طوال العام. ففي بوردو يسقط نحو ٩٠ سم، على حين يأخذ من إقليم البحر المتوسط حرارته صيفا.

المناخ الانتقالي : ويتمثل في شرقي فرنسا والمرتفعات بوجه عام، الألب، جورا، البرانس، هضبة فرنسا الوسطي، هنا يزداد التطرف حيث تنخفض الحرارة بدرجة ملحوظة شتاء، وأن كان مطره طول العام، فهو أغزر صيفا لتوغل الرياح الغربية فضلا عن الأمطار الانقلابية الناتجة عن ارتفاع الحرارة وصعود الهواء محملا ببخار الماء إلى أعلى، وتتضح قاريه المناخ في ستراسبورج في الألزاس (أقصى الشرق) حيث ينخفض متوسط حرارة يناير إلى درجة التجمد، بينما ترتفع درجة الحرارة في يوليه إلى ١٩مْ. ويبدو أثر المرتفعات في

زيادة المطر على السفوح المواجهة للرياح الغربية + ١٠٠ سم عن سفوحها الشرقية (تقع في ظل المطر)، كما يظهر أثرها في التساقط الذي يتحول إلى تساقط ثلجي في الشتاء حتى، لتوجد حقول الثلج الدائمة فوق جبال الألب والبرانس فوق ٢٨٠٠ متر.

مناخ البحر المتوسط : ويتمثل في شريحة على هذا البحر ونصــف حـوض الـرون الجنوبي، ويتميز بارتفاع حرارته صيفا، واعتداله شتاء، باستثناء المناطق التي تــهب عليـها المسترال وهي رياح محلية شديدة البرودة تهب من الشمال إلــى الجنــوب علــى طــول وادي الرون، كما يتميز بأمطاره الشتوية التي تسقط بغزارة (أعاصير البحر المتوسط)، ثم تنقطــع خلال مدة قصيرة ولذا فكمية أمطاره قليلة تتراوح بين ٥٠ ــ ٧٠ ســم فــي العــام، وتمثلــها مرسيليا ٥٨ سم، أما الرطوبة فقليلة والجو صاف.

حالات خاصة : وهي حالات ترتبط بظروف موضعية خاصة بها كالارتفاع مثلا فمنــاخ جبال الفوج وهضبة اللورين مثلا تشتد فيه القارية حرارة ومطرا عنها في المنــاخ الباريســي، وأن كانت تغزر فيه الأمطار بسبب الارتفاع. ومناخ هضبة فرنسا الوسطي (أوفــرن) يعتــبر مناخاً انتقاليا بين المناخ المحيطي والبحر المتوسط والمناخ القاري، فهي منطقة حــارة صيفــا باردة شتاء وأمطارها قليلة إلا في المرتفعات. ومناخ جبال الألب وجورا والجزء الشمالي مــن حوض الرون (بسبب ارتفاع المنطقة وبعدها عن البحر) يكون بارداً طيلة الشــتاء وأعاليــها (فوق ٢٨٠٠ متر) تظل مغطاة بالثلج طيلة أيام السنة، في حين تكون معتدلة وكمية الأمطــار كبيرة ففي الأماكن المرتفعة تزيد على ١٠٠ سم ومثل هذا المناخ نجده في جبال البرانس.

النبات :

كانت الغابات الصفة الغالبة على النبات الطبيعي في فرنسا، ففي المنخفضــات تنتشــر الغابات النفضية وعلى رأسها أشجار الزان والبلوط، على حين أن المرتفعــات كــانت تغطيــها الغابات الصنوبرية وتغطي الحشائش الخشنة الهضاب الجيرية (لأنــها تتشــرب مــاء المطــر وتتسرب فيه)، كما أن هناك أشجار الماكي والكادريج التي كانت تغطي مساحات واســعة فــي إقليم البحر المتوسط لمقاومتها للجفاف، غير أن الاستقرار البشري والنشــاط الزراعــي حــوّل معظم غابات السهول والمنخفضات إلى أراضي زراعية بحيث أصبحــت الغابــات لا تغطــي إلا ٢٠% من مجموعة مساحات المفروض وجودها في فرنسا، ومعظمها فوق المنحدرات الجبلية،

أما الحشائش الدائمة الخضرة فتكسو مساحات واسعة في هضبة بريتاني ونورماندي للرطوبة الدائمة مع اعتدال الحرارة، وهناك الحشائش الشبيهة بالاستبس على هضبة فرنسا الوسطي، فضلا عن المراعي الألبية التي تغطي مساحات واسعة من هذه الجبال. على العموم لم يبق غطاء نباتي طبيعي في فرنسا سوى القليل نتيجة النشاط البشري المتزايد، فقد أزيلت معظم غابات السهول، وأدخلت تحسينات على أراضي الحشائش بإدخال أنواع من البذور أفضل، بل وأحيانا زرعت الأشجار لكي تعمل كمصدات للرياح التي تحمل رمال الكثبان إلى الداخل، كما في سهول أكيتين جنوب شرقي البلاد.

السكان

أصول السكان :

لكي تكون فرنسيا ليس من اللازم الإدعاء بأصل معين، بل يكفي أن تشعر بأنك فرنسي (مثل فرنسي).

كان لموقع فرنسا في نهاية القارة الأوروبية أن أصبحت مصفي لجميع السلالات التي عمرت القارة، خاصة وأن المرتفعات التي تقع على هوامشها لم تمنع مرور هذه الهجرات بسبب كثرة الممرات، هذا فضلا عن السواحل الطويلة على القنال الإنجليزي، والأطلنطي، والبحر المتوسط. وصلاحية مصبات أنهارها للملاحة أو كمداخل للهجرات المختلفة. فهناك العنصر الألبي ذو الرأس العريضة ممثلا في العناصر الكلتيه، وقد لجأ إلى المرتفعات بعد دخول العناصر الأخرى الأكثر قوة ممثلة في النورديين، من ثم تجد العنصر الألبي في هضبة فرنسا الوسطي، وجبال الألب الفرنسية، فضلا عن إقليم بريتاني، وأما العناصر النوردية والشمالية فتتمثل في الشمال حيث السهل الأوروبي، ومنهم قبائل الفرنجة التي اتخذت فرنسا أسمها منها، وهناك سلالة البحر المتوسط ممثلة في الفينيقيين، والإغريق، والرومان الذين غزو فرنسا في القرن الأول ق.م، وفرضوا لغتهم على ساكنيها، حتى أتي الفرنك وحلوا لغتهم اللاتينية محلها، ثم كانت الهجرات الحديثة ممثلة في سكان الشمال الأفريقي والمستعمرات الفرنسية في آسيا وأفريقية والأمريكتين (دول الفرانكفون الآن) سواء من السنغال أو فيتنام أو جزر الكاريبي، لا عجب أن أطلق الفرنسيون على أنفسهم أنهم أخلاط Melange وقد أمتصت فرنسا كل هؤلاء وأولئك، وأبناء فرنسا اليوم هم أبناء هذه الأمم جميعا من ثم يقول البعض أنه لكي تكون فرنسيا ليس من اللازم الإدعاء بأصل معين، بل يكفي أن تشعر بأنك فرنسي.

لا تظهر هناك مشكلات انفصالية في فرنسا، رغم ظهور بعضها في بريتاني، وفي الالزاس، ففي الغالب تقوم هذه الحركات لا للانفصال، ولكن للضغط على الحكومة المركزية للحماية والحفاظ على اللغات واللهجات والتقاليد المحلية، وقد يتساءل الإنسان ما عوامل الوحدة الأخرى بطبيعة الحال ليست السلالة، فلا توجد سلالة فرنسية، بل لقد استوعبت فرنسا كل السلالات التي دخلتها، قد يقول البعض الدين. رغم أن الكاثوليكية هي الغالبة، ولكن حرية الدين مكفولة منذ الثورة الفرنسية، ويمكن القول بان الثورة الفرنسية أدت إلى هذا التجانس في الشعور الوطني بمبادئها الثلاثة الحرية والمساواة والإخاء `Liberté`, Equalite , Fraternite بالنسبة لكل من يعيش على أرض فرنسا، ولا ننسى أيضا التاريخ المشترك للشعب الفرنسي، في مواجهة الأزمات والثورات، والحروب، أي تاريخ واحد، من ثم ذابت الفروقات أو بهتت.

نمو السكان : بلغ عدد سكان فرنسا ٦٠ مليون نسمة عام ٢٠٠٣م، ثلاثة أرباعهم من سكان الحضر، على حين أنها حتى الانقلاب الصناعي كانت تمثل اكبر وحدة سكانية في أوروبا ، ذلك أن الزراعة قبل الانقلاب الصناعي كانت هي أساس القوة البشرية، فلا عجب أن تبوأت المركز السكاني الأول، بحكم اتساع أراضيها الصالحة للزراعة، واستمرت ريادتها السكانية طوال القرنين السابع عشر والثامن عشر، بل وكانت باريس ومدنيتها وفنونها قطب الحضارة في أوروبا، حتى انه في عام ١٦٥٠ حين كان مجموع سكان أوروبا ١٠٠ مليون نسمة، كان لفرنسا وحدها خمس هذا العدد أي ٢٠ مليونا، مقابل ٩ ملايين لبريطانيا، ١٢ مليونا لروسيا، وما أن أصبحت الصناعة هي عصب القوة حتى تراجعت فرنسا سكانيا، واحتلت ألمانيا مكانة فرنسا، بل وتقدمت عليها بريطانيا أيضا، على أنه يمكن ان نضيف أيضا ان الشعب الفرنسي شأن شعوب دول شمالي وغربي القارة اتجه إلى تحديد النسل، حتى أنه في بعض الأحيان تزيد نسبة الوفيات على نسبة المواليد. كما هو الحال في عام ٢٠٠٠ أي نمو سلبي، من ثم كانت حاجة فرنسا إلى الأيدي العاملة المهاجرة في معظم الأحوال، والتي تحولت هذه الهجرة إلى مشكلة في فرنسا، كما هو الحال في كثير من الدول الأوروبية، وقدر عدد الأجانب في فرنسا ٣,٣ مليون عام ١٩٩٩ أ نحو ٥.٦% من مجموع السكان، كما أسهمت العمالة الأجنبية بنحو ٥,٨% من القوي العاملة الفرنسية، من المغرب العربي (الجزائر – تونس – المغرب) ومن إيطاليا وأسبانيا وبولند وفيتنام وغيرها.

توزيع السكان : تبلغ الكثافة العامة في فرنسا ١٢٧ نسمة للكم٢ وهي كثافة منخفضة

بطبيعة الحال بالنسبة للدول الصناعية المجاورة كألمانيا والمملكة المتحدة، ويرتبط اختلاف الكثافات بنوع الحرفة، وظروف السطح والتربة، أكثرها ازدحاما حوض باريس حيث باريس العاصمة وقيام كثير من الصناعات فيها وفي ضواحيها، وفي الشمال حيث تجتمع زراعة القمح إلى جانب الصناعات الزراعية لسكر البنجر والمراعي، ومثلها ليون وضواحيها ونانسي واستراسبورج وروان. أما الأقاليم المرتفعة الكثافة نسبيا والمرتبطة بالزراعة فهي وديان الأنهار الكبرى كالسين، واللوار، والجارون، والألزاس في الشرق، وفي الأقاليم الساحلية خاصة في سواحل بريتاني حيث تتعدد الخلجان، ومن ثم تصبح مياهها الهادئة جاذبة للأسماك، أما أقلها كثافة فتأتي المرتفعات في المقدمة لوعورة السطح، والتربة الرقيقة والبرد القارس، وبالتالي فهي غير مشجعة على الإزدحام، ففي إقليم الألب البحرية المطلة على البحر المتوسط نجد ٧٥% من السكان يستقرون على الساحل، ٢٢% على السفوح المتوسطة، على حين لا يسكن المستويات العليا سوى ٥% فقط، وينطبق هذا أيضا على جبال البرانس إلا في أطرافها حيث جماعات الباسك. وكذلك الحال في هضبة فرنسا الوسطى.

وإذا أردنا تلخيصا لصورة توزيع السكان، يمكن القول بأن النصف الشمالي لفرنسا يضم نسبة أكبر من النصف الجنوبي بصفة عامة حيث تقل خصوبة التربة وتتضاءل مساحة العمران (هضبة فرنسا الوسطي ـ اللانج دوك ...).

الريف والحضر : ويعيش ٧٥% من سكان فرنسا في الحضر (٤٤,٩٠٣) على حين يعيش في الريف ٢٥% (١٤,٥٥٠) عام ٢٠٠١، وهذه ظاهرة جديرة بالذكر نظراً لأن المعروف عن فرنسا أن سكان ريفها أكبر من حضرها، ولكن هذا التطور لا شك يرجع إلى تقدم فرنسا في الميدان الصناعي، وهجرة الريفيين إلى المدن، ولعل الظاهرة الأخرى المرتبطة بالحضرية أنه لا توجد إلا مدينة مليونية واحدة وهي باريس ٣,٥ مليون نسمة وان كان مجمع باريس يضم نحو ١٠ مليون نسمة، ثم تأتي المدينة الثانية أو الثالثة مرسيليا وقد اقتربت من المليون، (١,٢٥ مليون نسمة)، وما قلناه في توزيع السكان ينطبق أيضا على توزيع سكان الحضر، فهم في النصف الشمالي لفرنسا أكثر منهم في النصف الجنوبي.

اقتصاديات فرنسا

الزراعة ركيزة أساسية في الاقتصاد الفرنسي : ظلت الزراعة هي العمود الفقري

للاقتصاد الفرنسي حتى الحرب العالمية الأولى، وكان هناك شبة توازن بين الزراعة والصناعة بعيد الحرب العالمية الثانية، ثم نفضت بعد ذلك الماضي مع التطورات الحديثة والتي سارعت فرنسا إلى الأخذ بها، وظهرت فرنسا كدولة صناعية أولاً وزراعية ثانياً، ورغم تحول معظم العمالة ٨٠% والدخل القومي إلى الصناعة، فمازال للزراعة دورها في الاقتصاد الفرنسي، وتتجه ٦٥% من صادراتها الزراعية إلى دول الاتحاد الأوروبي.

تبلغ المساحة القابلة للزراعة نحو ٦٠% من مساحتها، يزرع نحو نصف هذه المساحة بمحصول أو أخر، كما يخصص نحو ثلثها للحشائش الدائمة، وفرنسا من الدول القليلة التي لديها كفاية ذاتية باستثناء المنتجات المدارية التي لا يمكن زراعتها فيها، بل ونجدها مصدرة لفائض زراعي كما هو الحال في القمح والنبيذ المستخرج من الكروم. وكانت مشكلة الإنتاج الزراعي في فرنسا هو صغر حجم المزرعة، بحيث كانت المزرعة التقليدية صغيرة المساحة، وفي الغالب هي ملك لعائلة، تقوم الأسرة فيها إلى جانب زراعة الأرض لتربية بعض الأبقار والخنازير والطيور، هذه الوحدة الزراعية اختفت الآن تقريباً بفضل القوانين التي صدرت وسمحت بتجميع الملكيات الصغيرة، وكذلك الملكيات المفتتة في المشروعات الحديثة، ومع إدخال الميكنة، وتحرر ملايين من السكان الزراعيين استوعبتهم الصناعة.

والقمح أهم محاصيل الحبوب إذ تشغل مساحته نصف أراضي الحبوب جميعا أو ما يقرب من ¼ المساحة لمزروعة بكاملها. وتنتشر زراعته في كل جهات فرنسا السهلية خاصة في مقاطعات الشمال ، كما في إقليم الفلاندرز وحوض باريس حيث التربة الطفلية Limon الخصبة، وحوض الجارون، وهو يمثل الغذاء الرئيسي للسكان، ويكفي محصوله حاجة البلاد المحلية، وصنع منه الفرنسيون أنواع عديدة من المخبوزات. ويلي القمح في المساحة والإنتاج الشيلم ويصنع منه الخبز الأسمر والشعير الذي يستخدم في صنع الجعة (البيرة) والشوفان، ومعظمه يستخدم كغذاء الحيوان. ويزرع الشيلم والشوفان بعامة في الأراضي الأقل خصوبة فالأول في الأودية المرتفعة من هضبة فرنسا الوسطي وهضبة الفوج وأودية الألب الفرنسية، والشعير يزرع في مناطق القمح. الذي يعتبر ثاني المحصولات مساحة في الجنوب في حوض باريس وحوض اللوار. وأهم مناطق زراعة الذرة الصفراء حوض الجارون وإقليم الباسك، وتزرع البطاطس في مناطق عديدة لأنها محصول غذائي رئيسي، وخاصة في هضبة فرنسا الوسطي، وفي بريتاني حيث التربة ذات الخصوبة القليلة والتي لا تصلح لإنتاج الحبوب،

وتفيض منهما كميات للتصدير. ويزرع بنجر السكر في الأراضي الخصبة في الشمال الشـــرقي حيث يزرع ٩٠% من مساحة البنجر في فرنسا، وعادة ما يكون جزءا من الدورة الزراعية قبل زراعة القمح، ويحتاج هذا المحصول لكثير من الأيدي العاملة والماشية لحرثه وإعـــداد الأرض لزراعته فضلا عن حاجته لكميات كبيرة من الأسمدة، ولكنه يفيد الماشية، بأوراقـــه الخضـــراء غذاء جيد لها، وتزرع الذرة العريضة خاصة في الأجزاء الجنوبية من فرنسا (ارتفاع الحرارة)، من ثم كانت معروفة في حوض الاكيتين ووادي الساءون الأوسط، ومنطقة تولوز حيث تستخدم في غذاء الإنسان أما في بقية أجزاء فرنسا فتستخدم في غذاء الماشية والطيور.

وتلعب الأشجار المثمرة دوراً رئيسياً وقد تخصصت بعض الجهات في إنتاج أصنـــاف خاصة تتناسب مع مناخها فتخصصت مثلا الأجزاء الجنوبية في إنتاج الزيتـــون فـــي المنـــاطق المحمية من حوض البحر المتوسط، بينما تخصصت بروفانس في إنتاج التين والموالح. وتزرع أشجار التوت التي تربي عليها دودة القز في الأجزاء الدنيا من حوض الـــرون. أمـــا أشـــجار الجوز، فتقوم على سفوح الألب وهضبة فرنسا الوسطي. أما الكروم فتزرع في أربعة منـــاطق رئيسية في بورجنديا وشمباتيا، والرون والأكيتين، واللوار، وبمعنى آخر معظمـــها يقـــع إلـــى جنوب خط يمتد من نانت إلى نهر الميز، وعادة ما تزرع على الســـفوح المحيطـــة المواجهـــة للجنوب والجنوب الشرقي لحاجة الأشجار إلى صيف حار وجاف، كما تنصرف الميـــاه الزائـــدة لانحدار الأرض، ويأتي إقليم لانج دروك في مقدمة هذه الأقاليم، فهو ينتج وحدة نحو نصف نبيذ فرنسا. وتخرج أجود الأنواع أيضا من وادي اللوار والجارون حيث تشـــتهر بـــوردو بأصنـــاف ممتازة من النبيذ (في نظرهم) الذي يعتمد على العنب الأبيض، وإقليم شامبين والالزاس فـــي الشمال والشمال الشرقي، وتعتبر فرنسا ثاني اثنتين على مستوى العالم إنتاجا للنبيذ، والآخـــر هو إيطاليا، هذا وهناك مجموعة من أشجار الفواكه تنتشر في فرنسا أهمها التفـــاح والخـــوخ والمشمش. وتزرع الخضروات بصورة كثيفة في حوض باريس، ومناطق الشـــمال الصناعيـــة ويقرب المدن الكبرى حيث سوق الاستهلاك الرئيسي، من ثم كان حوض باريس ووادى اللـــوار وحول ليون وغيرها مراكز رئيسية لزراعتها.

تربية الحيوان والخيول والخنازير: تمثل الأبقار والأغنام والخيول والخنـــازير ثلاثـــة أرباع الثروة الحيوانية. والربع الباقي للطيور والحيوانات التي تربي أساســـا للحصـــول علـــى ألبانها، وتمثل الثروة الحيوانية ومنتجاتها ٥٤% من جميع مبيعات الإنتاج الزراعي، من أجـــل

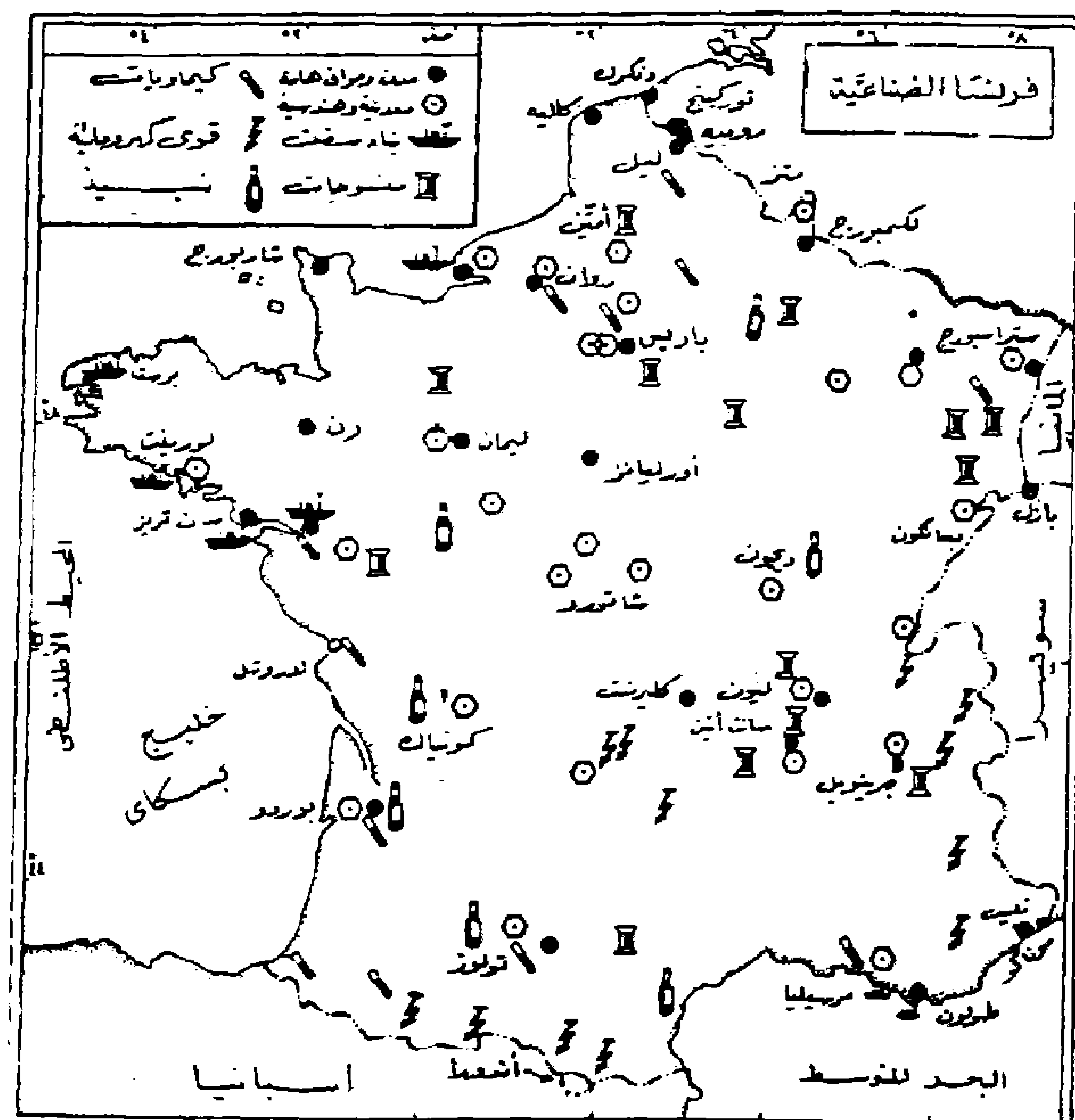
هذا كانت العناية بها، ولعبت زراعة الأعلاف دوراً كبيرا في هذا، هذا فضـــلا عـــن أن معظـــم الأراضي الفرنسية تكسوها الحشائش الخضراء الطبيعية، من ثم نجد تربية الحيوان تنتشر فـــي كل أرجاء فرنسا في نورماندي في الشمال حيث تمثل مساحة المراعي ثلاث أو أربع مرات قـدر المساحة المزروعة محاصيل. كما تشترك زراعة المحاصيل مع تربية الحيوان في أجزاء عديدة من فرنسا كما هو الحال في الأجزاء التي تغطيها الصخور البركانية في هضبة فرنسا الوسطى، ونظرا للاهتمام بمنتجات الألبان نجد هذه الصناعة تنتشر في جميع أنحاء فرنسا، ومـــع تعـدد طرق التصنيع والأذواق يظهر في فرنسا ٤٠٠ نوع من الجبنه (*).

وإذا كانت جميع الأنواع تربى في أرجاء البلاد، فهناك شبة تركيز لكـل نـــوع حســـب ملاءمة المناطق وغنى أراضيها. فالأبقار تقوم في شمالي فرنسا، وشمالها الغربي، خاصة فـــي نورماندي، وعلى سفوح جبال الألب والجورا، كما تربى الخيول والخنازير في الشمال الزراعـي بوجه خاص، أما الأغنام فتربى غالباً في مراعي السفوح العليا لهضبة فرنسا الوسطى ومنطقـة الأردن عند الحدود الشمالية، وإقليم شامبين، وعادة ما تمارس حرفة الرعي على السفوح العليا للجبال صيفا حين تذوب الثلوج وتزدهر الحشائش، ثم النزول بالحيوان إلى السفوح السفلى فـي الشتاء.

صيد البحر : تعتبر فرنسا على رأس الدول الأوروبية بعدد مـــن يعمـــل فـــي الصيـــد البحري، لا تزال فرنسا دون بريطانيا في الإنتاج وفي الاستعداد لحفظ الأســـماك نظـــرا لغناهـــا الزراعي بفرنسا توجيهها قاري وبحرى وهي تستورد الأسماك المجمدة مـــن الـــنرويج وكنـــدا ونصف الأسماك تصاد من سواحل المحيط الأطلنطي وأقل من النصف من بحر الشـــمال وبحـــر المانش، لذلك كانت مساكن وسفن نصف صيادي فرنسا في الموانـــئ الواقعـــة بيـــن بريتـــاني والحدود الأسبانية، ولكن الصيد الأكبر يأتي من بحر الشمال والقنال الإنجليزي، ففـــي بولونـــي Boulogre وحدها أشهر موانئ الصيد جميعا، إذ يأتيها نحو ثلث الأسماك الطازجة، على عكس فقر مياه البحر المتوسط بالأسماك وبالتالي كان الصيادون أقل عددا ومستوى معيشـــتهم أكـــثر انخفاضا. من ثم كانت موانئ الصيد الرئيسية على هذه السواحل مثل دنكرك وديبب وسان مالو،

(*) يلاحظ على الجبنة الفرنسية المعروفة في مصر. وهي الروكفور Roquefort أنها تصنع من لبن النعاج. وليس من لـــبن الأبقـــار. ويؤخذ لبنها من النعاج التي تربى على سفوح الجنوبية من هضبة فرنسا الوسطى. وتنتشر صناعة هذا الجبن الشهير ليـــس في هـــذه المنطقة فحسب. بل في الجنوب بأكمله من جزيرة كورسيكا إلى الباسك في البرانس.

تتعامل مع جميع أنواع الأسماك خاصة الماكريل، أما سمك البكالاه فيتم صيده من شواطئ نوزلند وايسلند وجرينلند، كما تقدم سواحل بريتاني الصخرية الكابوريا Lobester، وقد تمتد رحلات الصيد أيضا إلى مياه موريتانيا والبرازيل.



شكل رقم ١٦)

الإنتاج الصناعي : كان للانقلاب الصناعي الذي شهدته أوروبا في القرن الماضي أثره الواضح في الحياة السياسية والاقتصادية في كثير من الدول الأوروبية لكن لم يؤثر على فرنسا بنفس الدرجة التي أثر بها في غيرها. ففرنسا لم تنهض صناعيا إلا منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر، ذلك أنه عند بداية هذا الانقلاب، لم يكن في فرنسا مقوماته الأساسية حينذاك وهي الفحم والحديد، فحقول فحمها المبعثرة لم تكن تنتج ما يكفي لقيام الصناعة بالشكل الجديد. كما أن مناجم الحديد تقع في اللورين على أطرافها الشرقية كانت قليلة الأهمية لارتفاع نسبة

الفوسفور بها، كما أن هذا الإقليم وقع في قبضة الألمان أكثر من مرة وأن كان قد عاد إليها اليوم، وتسود الصناعات الفرنسية التكنولوجيا الجديدة العالية High tech Ind، خاصة في النقل ووسائل الاتصال، فهي أسرع الطائرات في العالم، وهي رائدة في الاستفادة من الطاقة النووية والتي تمد فرنسا اليوم بنحو ٧٥% من طاقتها الكهرمائية وبالتالي يقل اعتمادها على البترول المستورد.

أولاً : القوى المحركة والوقود :

(١) القوي النووية : اكتشف اليورانيوم عام ١٩٤٨ بالقرب من ليموج، ثم اكتشف في هضبة فرنسا الوسطي. وأصبحت فرنسا رابع دول أوروبا الغربية منتجة لليورانيوم، وأقامت فرنسا المفاعلات النووية لتوليد الطاقة بحيث أصبحت مسئولة عن توليد ٧٥% من الكهرباء اللازمة لفرنسا وأكبر هذه المفاعلات مفاعل أوديلو Odeillo في جبال البرانس.

(٢) الفحم : يوجد في فرنسا أربع مناطق رئيسية وهي : ـ

أ ـ الحقول الفرنسية البلجيكية في الشمال (سامبر ـ ميز) امتدادا لحقل السار، ويشترك في التعدين بها كل من فرنسا وبلجيكا، وهي على امتداد مواطن جنوب إنجلترا وويلز نحو الشرق وتعتبر أغنى مواطن الفحم الفرنسية، إذ تنتج ٥٠% من مجموع الإنتاج. ومع ذلك فالفحم الناتج ليس من الفحم الذي يصلح لأفران صناعة الحديد والصلب، لذلك تستورد فرنسا أنواع الفحم الصالحة، وقد حاولت فرنسا إجراء تجارب لاستغلال هذا الفحم في صناعة فحم الكوك.

ب ـ الحافة الشرقية لمنطقة اللورين، وتزداد أهميته لقربه من مواطن الحديد، فهي لا تبعد عنها أكثر من ٦٠ كم، وهنا أكثر من ٥٠% من احتياطي فحم فرنسا. وأدي وجود الفحم بها إلى قيام صناعة الحديد والأسلحة والقاطرات.

جـ ـ هضبة فرنسا الوسطي بالقرب من سانت اتين، وامتدادها عند حضيض جبال جورا وهو النوع الجيد الصالح لصناعة الكوك، من ثم قامت هنا صناعة الحديد والصلب.

(٣) الكهرومائية : من قوة انحدار الماء من جبال الألب والبرانس، وهضبة فرنسا

الوسطي، ولقد كانت الأنهار مسئولة عن نمو صناعة المنسوجات الفرنسية، فمدينة ليون أنتجت الحرير الجيد الطبيعي منذ القرن الخامس عشر، وتحول الآن وادي الرون بأكمله إلى موطن لكثير من الصناعات وأنواع فاخرة من المنسوجات الاصطناعية، ازدهرت تحت طلبات مصممي الأزياء في باريس الذين يصممون الأزياء للطبقات الراقية High Fashion، كذلك قامت في روان على نهر السين صناعة المنسوجات الاصطناعية، فضلا عن المنسوجات القطنية والصوفية في الشمال الشرقي.

(٤) البترول : إنتاجه ضعيف، ويستخرج من منطقة الشمال الشرقي وخاصة من الالزاس، وكاد ينتهي، ولكن المنطقة المشهورة الآن هي حقول بارنتس Parentis إلى الجنوب من بوردو، وأن كان إنتاجه متذبذب، لذلك نجد الموانئ الفرنسية وقد ازدانت بمعامل التكرير الضخمة لاستقبال البترول المستورد من شمال أفريقية، والخليج العربي، وتمتد شبكة كثيفة من أنابيب البترول إلى جميع أجزاء فرنسا، بل وتمتد أنبوبة من مصب الرون إلى ألمانيا عبر بوابة بلفور Belfort.

(٥) الغاز الطبيعي : ويستخرج خاصة من حضيض جبال البرانس حول بلدة لاك Lac والتي أصبحت بدورها مركزا لصناعات البلاستيك والصناعات الكيماوية، وقد استهلك الآن معظم احتياطي هذا الحقل، وتستورد فرنسا نحو نصف احتياجاتها منه من هولند والنرويج.

ثانياً : التعدين : فرنسا محظوظة في أن لديها احتياطات ضخمة من الحديد والبوكسيت والبوتاس ولكن لديها نقص في معظم المعادن الأخرى، من ثم كان عليها أن تستوردها.

١ ـ الحديد : تعتبر فرنسا من أغني دول العالم بالحديد بعد السويد وخاصة مناجم اللورين في الشمال الشرقي إلى الشمال من نانسي، فهنا ٩٠% من الإنتاج السنوي لفرنسا، وتظهر عروقه على السفوح الغربية لوادي الموزل، وقد أدت التعرية النهرية إلى ظهوره، ويمتد في طبقات سميكة يسهل فيها استخدام الآلات بسهولة سواء في الطبقات السطحية أو التحتية، وتتراوح نسبة المعدن بين ٣٢%، ٤٠% في الخام، ويسوق بسهولة في شمالي فرنسا وبلجيكا وباسعار منافسة. أما الإقليم الثاني هضبة فرنسا الوسطي والبرانس فتعدينة صعب.

٢ ـ البوكسيت : وهو خام الألومنيوم الذي تعتبر فرنسا غنية به، وقد تطورت صناعته تطوراً كبيراً. ولكنها لا تزال دون الحاجة وهو يستخرج بصورة خاصة من الجنوب

قرب مراكز توليد الكهرباء. وقد كانت فرنسا في وقت ما منتجا رئيسيا له، حتى أنه استمد اسمه من بلدة Les Beaux جنوب افنيون التي عدنته أول مرة، ولكن المناجم التي تقع إلى الشمال الشرقي بين طولون هي المنطقة الرئيسية، حيث يصدر جزء كبير منه ويحول جزء آخر إلى ألومنيوم قرب مرسيليا.

٣ ـ البوتاس : ويستخرج من إقليم الالزاس شمالي مول هاوس Moulhouse، وتعتبر فرنسا ثاني منتج له بعد ألمانيا. وهو أساس في صناعة السماد، ويصدر نحو نصف الإنتاج إلى الخارج.

الأقاليم الصناعية

أولاً : الصناعات المعدنية : يمكن تمييز ثلاثة أقاليم لصناعة الصلب من حديد اللورين وهي إقليم ميتز في وادي الموزل. فيسهم إنتاج مصانع هذا الإقليم بنحو ثلاثة أخماس إنتاج اللورين من الحديد والصلب، وهناك توسع مستمر مع التطور التكنولوجي في الحصول على الكوك من الفحم هناك، كما ساعدت القنوات التي مدت بين الأنهار على خفض تكاليف نقل الفحم إليها أو تصدير الحديد إلى الخارج. والمنطقة الثانية قرب الحدود الفرنسية مع بلجيكا ولوكسمبورج، وعادة ما يطلق عليها الإقليم الشمالي، وهذه تسهم بنحو ثلث إنتاج حديد وصلب اللورين، وهي أقرب إلى حقول الفحم في غربي ووسط أوروبا ولكنها بعيدة عن النقل المائي، أما الإقليم الثالث فمركزه نانسي. وهو أقل أهمية من الإقليميين السابقين لبعده عن مواطن الفحم والحديد وإن كانت نانسي أيضا منتجة للمنسوجات والزجاج إلى جانب الحديد والصلب.

وتعتبر باريس وشمالي فرنسا أكبر سوق لحديد اللورين. ففي شمالي فرنسا قامت الصناعات الهندسية في أقاليم دواى Douai وحوض السامبر وتصدر باريس سلعها وتستورد البترول والقطن والأخشاب عن طريق ميناء الهافر ثاني موانئ فرنسا بعد مرسيليا، وتقوم فيها أيضا صناعة بناء السفن وصيانتها، فضلا عن مصانع السكر، ومعامل تكرير الزيوت أو عن طريق ميناء روان وهي الميناء الخارجي لباريس تصلها السفن المحيطية، وهي تضم أيضا معامل تكرير البترول، وصهر الحديد والكيماويات، كذلك تقوم صناعة للحديد والصلب في هضبة فرنسا الوسطي أكثر تخصصا فهو منتج لسبائك الصلب اللازمة لصناعة الأسلحة، وتتركز حول سانت أتين، وهناك اتجاه في فرنسا وأوروبا بوجه عام لقيام صناعات صلب متكاملة في مواقع

ساحلية، كما تم فعلا في دنكرك وبالقرب من مرسيليا.

ومن ضمن الصناعات المعدنية الخفيفة أيضاً صناعة السيارات التي تتركز في باريس حيث النقل النهري، مصانع رينو، بيجو، سيتروين، وسيمكا، وتعتبر فرنسا رابع دولة منتجة للسيارات في العالم، وتنافس هذه السيارات إنتاج الولايات المتحدة وبريطانيا وإيطاليا في أسواق أوروبا. ومن هذه الصناعة أيضاً صناعة الأسلحة، والقطارات، والسفن، والطائرات، وهذه الأخيرة مركزها تولوز في الجنوب الغربي إلى الشمال من جبال البرانس تنتج طائرات الكارفيل النفاثة، واشتركت في صناعة طائرات الكونكورد مع بريطانيا. من ثم كان في تولوز واحد من أكبر المطارات في فرنسا. وهناك صناعات صهر معادن أخرى كالزنك والرصاص وعادة ما توجد في الموانئ نظراً لأن خاماتها مستوردة في معظمها أو بالقرب من حقول الفحم وخاصة في الإقليم الشمالي الصناعي.

ثانياً : الصناعات الكيماوية : وتتركز في الشمال والشرق حيث الفحم لتقطير الفحم، وفي الموانئ التي تستقبل خام الفوسفات وحديد البيريت والبترول. وفي منطقتي الألب والبرانس وأهمها صناعات حامض الكبريت ومركبات الصودا، والنشادر، والأزوت والأسمدة الفسفاتية ومشتقات البترول.

ثالثاً : الصناعات الغذائية : متنوعة تبعا لتنوع الإنتاج الزراعي الفرنسي الذي يغذيها وأهم هذه الصناعات صناعة السكر من البنجر، ولكنه مع هذا أقل مما تحتاجه البلاد وتعتبر فرنسا ثانية مناطق أوروبا إنتاجا لسكر البنجر، بل وكانت في الحقيقة أولى دول أوروبا التي عرفت استخدام السكر من البنجر حين ضرب حولها الحصار البحري في أثناء الحروب النابليونية ومنع عنها السكر الأجنبي، وتتركز صناعة استخراج السكر من البنجر في مناطق زراعته في السهول الشمالية الشرقية، وساعد على رواج هذه الصناعة قربها من مناجم الفحم للوقود. وتستخدم بقايا البنجر كسماد جيد للتربة.

ومن الصناعات الهامة الأخرى صناعة الخمور. وتمثل فرنسا أعظم دول العالم إنتاجاً للنبيذ ويزرع فيها الكروم لهذا الغرض في جهات خارج نطاق البحر المتوسط، ويمثل النبيذ سلعة رئيسية تصدرها فرنسا، ويصل إلى جميع أسواق العالم تقريباً وأهم مناطق استخراج النبيذ في فرنسا هي شمبانيا في حوض باريس وبورجنديا في حوض الساءون وبوردو والجارون، وتمثل شارنت المركز الرئيسي لاستخراج الكونياك وتقع إلى الشمال من بوردو.

ومن الصناعات الغذائية الأخرى صناعة الألبان ومشتقاتها وخاصة في الجزء الشمالي الشرقي من فرنسا (نورماندي – فلاندر – وحوض بـــاريس) وصناعـــة السـيدر (شـــراب التفاح) وحفظ الخضروات وتجفيفها، واستخراج الزيوت.

رابعاً : صناعات متفرقة : على رأسها صناعة مـــواد البنـــاء، والأســمنت وصناعـــة الكاوتشوك التي توسعت بسبب زيادة الاهتمام بصنع السيارات وصناعـــــة بنـــاء السـفن فـــي الموانئ، وصناعة أطباق الصيني في ليموج، وأدوات المائدة في سيفر، وصناعة الساعات فـــي جبال جورا.

خامساً : الصناعات النسيجية : وتاريخها طويل في فرنسا، بحيث كانت تنتشـــر فـــي معظم أنحاء البلاد، ولكن مع ظهور المصانع الحديثة الكبرى، فيمكن تمييز أربع أقـــاليم لـــها: أولها في الشمال، ولها تراث أهل الفلاندرز في هذه الصناعة، ومهاراتهم وحيث يسهل استيراد المواد الخام من قطن وأصواف، وحيث البيوت التجارية القديمة الشهيرة بتعاملاتها العالميـــة، وتتنوع أنواع المنسوجات هنا من الصوفية إلى الكتان والقطن، والجوت، والألياف الصناعيـــة، فمدينة ليل على سبيل المثال بها أكبر مصانع للمنسوجات الكتانية، بينمـــا تخصصـت روبيـن وتوركينج في المنسوجات القطنية والصوفية. وتتركز صناعة المنسوجات في نورماندي حـــول مدينة روان حيث غزل ونسج القطن. وهناك مركز ثالث في شرقي فرنسا خاصة في أودية جبال الفوج وسهول الالزاس وكانت وفرة المياه العذبة والأيدي العاملة الريفية عوامل أساسية فـــي توطن هذه الصناعة هناك. وفي ستراسبورج عاصمة إقليم الالزاس وميناء فرنسا علـــى أهـم أنهار أوروبا وهو نهر الراين، فعن طريقها يشحن الحديد والصلب من اللورين، والفحـــم مـــن ألمانيا، وتقوم فيها إلى جانب الصناعات المعدنية صناعات أخرى غذائية، وقد اكتسبت شـــهرة دولية أيضاً بسبب اتخاذها مقراً لمجلس وزراء الاتحاد الأوروبي.

المصنوعات الكمالية : وتمثل في الملابس الجاهزة والعطـــور والأحذيـــة والحقـــائب والمجوهرات، ولا ننسي في هذا المجال أن باريس عاصمة الموضـــة **Haute coutire**، فـــهذه الصناعة تضيف الكثير إلى الدخل الفرنسي، بل وسمعة فرنسا العالمية بفضل مصممي الأزيـــاء الفرنسيين والسمعة العالمية للعطور الفرنســـية ديـــور **Dior**، جيفنشـــي **Givenchy**، شـــانل **Chaneal**.

الباب الثالث: أوروبا الشمالية Norden

الفصـــــــل الأول

في شخصية الإقليم أوروبا الشمالية

تعرف في أوروبا ببلاد الشمال North، وهو ما يطلق عليه أهالي أسكندناوه أنفســـهم لفظ Norden، ولفظ اسكندناوه Scandinavia يتكون من مقطعين، المقطع الأخير Avia معناه الجزيرة، بينما المقطع الأول معناه أيضا الضباب أو عدم وضوح الرؤيا،لأن الشمس لا تظـــهر بتاتا في شهور الشتاء الثلاثة. ويضم هذا الإقليم النرويج، السويد، وأيسلند. وفنلند والدانمرك.

جزر وشبه جزر متطرفة نحو الشمال

ويضم هذا الإقليم خمس وحدات سياسية، ترتبط ثقافيا ببعضها أكثر من ارتباطها ثقافيا بأي إقليم آخر، هذه الدول هي : النرويج، والسويد، والدانمرك، وفنلند، وأيسلند فضلا عن جزر فارور Faeroes والتي هي جزء من الدانمرك، وأن كانت تعامل كإقليم جغرافي متمـــيز، وهـــي جزر وأشباه جزر متباينة الاتساع. ولعل أكثرها إتصالاً ببعضها هو ما يطلق عليه شبة جزيـــرة فنوسكانديا أي فنلند وأسكندناوه (السويد والنرويج)، التي تتصل بالقارة بعنق من اليابس يمتد بين خليج فنلند والبحر الأبيض الروسي، والقسم الآخر الذي يتصل فيه هذا الإقليم بالقارة يتمثل في شبه جزيرة جتلند حيث تجاور الدانمرك ألمانيا، ونظراً لموقعها تصبح الدانمرك حلقة اتصال رئيسية بين هذا الإقليم وبقية أوروبا وباستثناء شبه الجزيرتين تصبح بقية الإقليم عبارة عـــن جزر، منها أيسلند كما ذكرنا وفارور في الأطلنطي الشمالي، وسبتزبرجن في المحيط القطبـــي، وأرخبيل الدانمرك وجزر جوتلند Gotland وأولند Oland في البلطيق، وأرخبيل الانـد Aland في مدخل خليج بوثنيا. وأوروبا الشمالية بمساحتها البالغة ٥٠٠,٠٠٠ ميل٢ تمثـــل $\frac{1}{8}$ كتلـــة اليابس الأوروبي بسكان يزيدون على ٢٤ مليون نسمة. ونظـــراً لطبيعتـــها الجزريـــة وشـــبه الجزرية التي ذكرناها وفي تطرفها نحو الشمال تصبح إقليما مميزا، عاش لفترة طويلة في شبه عزلة عما يفور أو يموج في القارة من أحداث.

تحديات الموقع والمناخ

يمتد هذا الإقليم بين درجتي عرض ٥٥ شمالا في جنوب الدانمرك إلى ٨١° شمالا في جزر سفالبارد Svalbard، أي أنه متطرف نحو الشمال، ومع ذلك كان لموقعه في أقصى الغرب وطبيعته الجزرية وشبه الجزرية (النرويج) أن أصبح مناخه أقل تطرفا من نظيره الممتد شرقا في سيبيريا، وأن كان هذا لا ينفي أن مناخه فيه من القسوة شتاء (خاصة في الأجزاء البعيدة عن البحر) ما جعل سكانه يقابلون بتحديات كبيرة، أدى موقعه هذا إلى أن أصبح آخر الأقاليم التي انكشف عنها الجليد، وبالتالي أصبح أيضاً آخر الأقاليم التي وطأتها قدم الإنسان، كما لا يوجد إقليم آخر في أوروبا طالت فيه فترة اقتصاديات العصر الحجري متمثله في الجمع والقنص وصيد الأسماك. وتأخرت فيه الزراعة كما حدث في هذا الإقليم، وباستثناء أجزائه الغربية لم يشعر سكان هذا الإقليم بأثر التجارة والثورة الصناعية والحضرية إلا متأخراً، وقد يرجع كل هذا إلا لأن الإقليم كان بعيداً من ناحية، وفقره في الفحم عماد الثورة الصناعية، من ناحية أخرى، ومع هذا لم يستمر هذا التأخر كثيرا بفضل مخترعات الثورة الصناعية التي انتشرت، وأن كان تطبيقها أيضاً صادفته مشكلات بسبب ضعف موارد الإقليم الطبيعية وسوء توزيعها، ومع ذلك فقد تقدمت بسرعة باستغلالها ثروتها المائية في الحصول على الطاقة الكهرومائية، وأصبحت في مقدمة دول العالم المتقدمة الآن بمستوى معيشي مرتفع ومستوى صحي ممتاز، كما أنها لم تشترك في الحروب الأوروبية، من ثم أطلق عليها ركن أوروبا البعيد الهادي.

ورغم التشابه بصفة عامة بين أقطار الإقليم، فهناك بعض الاختلافات التي ترجع إلى حد كبير إلى اختلافات الموقع الجغرافي لكل منها فضلا عن تباينات تضاريسية وبنيوية، كما ينعكس أثر الموقع على المناخ، فعلي سبيل المثال كان لإطلال النرويج على المحيط أثره في وصول النرويجيين إلى مصائد الأسماك الغنية. تلك الفرصة التي لم تتح بنفس الدرجة للسويد وفنلند نظرا لأن بحر البلطيق يتجمد شتاء، فضلا عن فقره في ثروته السمكية، وحتى في هذا المجال فإن إطلالة السويد على قسم من بحر الشمال يعطيها فرصة صيد أكثر من فنلند، وينعكس أثر الموقع مع التضاريس في إتاحة فرصة للنشاط الزراعي في السويد أكثر منه في النرويج فالمساحات السهلية في السويد أكبر. فضلا عن مطرها الأقل. وفي المجالين الزراعي والصيد البحري تعتبر فنلند أقلهم حظا بسبب وضعها شبة المغلق.

وتقدم طبوغرافية الإقليم إلى جانب المناخ التحدي الأكبر في النرويج، فمـــع ارتفـــاع الأرض وتضرسها بشدة يصبح النقل والاتصال (غير السلكي واللاسلكي) أمراً شاقاً، فقط ظلت أكبر مدينتين في النرويج حتى عام ١٩٠٩ لا يربطهما خط حديدي، وحين مد خط حديد برجـــن لزم هذا أن يعبر هذا الخط أنفاقا لمسافة ١٥% من طول الخط، وفي إيسلند حيـــث ٨٥% مـــن البلاد شديد التضرس يغلب عليها الجدب، هذا فضلا عن مشكلة البراكين التي تواجهـــها بيـــن الحين والحين، فعلى سبيل المثال قضى ثوران لاكي عامي ١٧٨٣، ١٧٨٤ على ثلاثـــة أربـــاع الثروة الحيوانية، مما أدي إلى مجاعة وهلاك خمس سكان الجزيرة، وتتركز معظـــم الثورنـــات البركانية اليوم في أطرافها الجنوبية وقد ثار بركان سورتسي **Surtsey** عام ١٩٦٣، وفي عام ١٩٧٣ دمر المدن والموانى التي حوله.

وجه أوروبا الشمالية

كتلة قديمة ترجع إلى عصر ما قبل الكمبري، تتكون مـــن صخـــور أركيـــة وصخـــور متحولة مثل شيست ونيس، وفي نهاية الزمن الأركي وأثناء الزمن الأول عملت عوامل التعريـــة والتحات في هذه المنطقة، فتكونت أولا هضبة مستوية، ثم استمرت عوامـــل التحـــات فكونـــت وديانا عميقة وسلاسل جبلية. قد تأثر شمال غرب الإقليم بالتواء يرجع إلى أوائل الزمـــن الأول، المعروف باسم الالتواء الكاليدوني. وتمتد السلاسل الالتوائية من الشمال الشرقي إلى الجنـــوب الغربي في نطاق طولي مكونة محور مرتفعات شبه جزيرة إسكندناوة. أما إلى الشرق في فنلنـــد فلم تتأثر الطبقات بحركة الالتواء. ولكنها تأثرت بعوامل التعرية والتحات وظهر هذا في ســـطح فنلند الحالي، وشرقي وجنوبي السويد، وجنوبي النرويج.

على الرغم من تعرض الإقليم لعوامل النحت منذ العصر الديفوني إلا أنها لم تنجح فـــي إظهار الطبقات الأركية القديمة على السطح إلا في بعض مواضع تعرف باسم النوافذ **windows** وقد أثرت أيضاً عوامل التعرية في المرتفعات الكاليدونية وجعلتها على شكل هضبـــة تحاتيـــة، ويرجع ارتفاع سلاسل الجبال الحالي إلى الزمن الثالث بسبب حركة الرفع الألبية، فحركة الرفـــع الأخيرة هي المسئولة عن ارتفاع السلاسل الجبلية الحالية فقد أصابت حركات الرفع السلاســـل الكاليدونية السابقة بعد أن كانت قد تحولت إلى هضاب تحاتية ودفعتها إلى علو شاهق. فتتراوح قممها ما بين ٢٥٠٠، ٢٧٠٠ متر ونظرا لشدة هذه الحركات انتشرت الانكســـارات والطفـــوح البركانية مكونة أحياناً جزرا بركانية في شمالي الأطلنطي. كما في جزء إيسلند وجـــزر فـــارور

واستمر النشاط البركاني حتى العصر الحديث.

أثر الموقع والتضاريس في المناخ

كان لموقع الإقليم ممتدا إلى الشمال من درجة عرض ٥٠ شمالا، أن أصبح نحو ثلث مساحة الإقليم داخل الدائرة القطبية. وكنتيجة مباشرة لهذا الموقع المتطرف كان هناك التطرف في الإشعاع الشمسي. وكان على الإنسان أن يحيا في صيف تظهر فيه الشمس حتى منتصف الليل إلى اكتئاب وشتاء لا تظهر له شمس في كثير من الأحوال، من ثم فكل أنواع الحياة، بشر، وحيوان، ونبات عليه أن يتحمل فروقات فصلية كبيرة، والفضل كل الفضل لواجهة الإقليم البحرية التي حمته من التطرف الأكثر حدة في الحرارة التي تعانيها الحياة في الأقاليم التي تتلوها شرقا في آسيا. ومع ذلك فلا يوجد قسم منه لا يتكون فيه الصقيع خاصة في جهات كثيرة من أجزائه الداخلية. وفي معظم أيسلند لا ترتفع حرارة الهواء فوق درجة التجمد، من ثم تفخر أيسلند بأن بها أكبر حقول ثلجية في القارة، والتي تغطي أيضاً ١/٨ مساحتها. وتجتمع درجات الحرارة المنخفضة وارتفاع نسبة بخار الماء الناتج عن تدفق الهواء من الأطلنطي ليعطي الجبهة الغربية للنرويج وجنوبي أيسلند جوا رطباً طول العام بل وحتى في داخل السويد لا يعتبر نقص الرطوبة مشكلة ما، بل المشكلة هناك مشكلة صرف الماء من الحقول الزراعية. ثم كان لموقعه بالنسبة لليابس والماء أثره في أن الإقليم يطل على المحيط الأطلنطي غربا وهو جزء من اليابس الأوراسي شرقا، من ثم عملت الرياح الغربية التي تهب عليه معظم العام على تدفئة سواحل النرويج لمرورها على تيار الخليج الدافئ، وبالتالي أصبحت موانيها مفتوحة للملاحة طول العام، وبالتالي يتغلب أثر تيار الخليج على أثر درجات العرض المتطرفة شمالا، هذا عكس الحال شرقي جبال أسكندناوة حيث تظهر قسوة الشتاء، كما كان للتضاريس ارتفاعا وامتدادا أثرها في خفض درجة الحرارة لا شك، ولكن الأهم هو أن جبال أسكندناوة تمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، وبالتالي تصبح الرياح الغربية متعامدة عليها، من ثم يصبح المطر غزيرا على السفوح المواجهة لبحر (+ ٢٠٠ سم) ويقل المطر في ظل الجبال (من ٥٠ سم إلى ١٠٠ سم).

الشماليون

يسكن هذا الإقليم السلالة النوردية ويتميز الإنسان بشقرته وطول القامة ورأسه

المستطيل. وقد ظلت هذه العناصر نقية فيما عدا الدانمارك التي حدث فيها اختلاط بين الســلالة النوردية وبعض العناصر العريضة الرأس. احتلت العناصر النوردية السهل الأوروبي الشـمالي ثم عبرت أرخبيل الدانمارك ووصلوا إلى سهل اسكانيا (السويد) وانتشرت هذه العناصر فــي جنوب ووسط السويد، وعبر قسم منهم جزائر الأندو استقروا في جنوبي وغربي فنلند ووصـل البعض منهم إلى سواحل النرويج عن طريق البحر.

يبلغ عدد سكان الدول الخمس ما يزيد قليلا على ٢٤ مليون نســمة، أكـبرهم عـددا السويد تقترب من ٩ مليون نسمة، وأقلهم أيسلند ٢٨٢ ألف نسمة، بينما يـدور عـدد سـكان الدانمرك وفنلند والنرويج حول ٥ مليون نسمة، ترتفع فيها الحضرية إلى أعلاها فــي أيسـلند (٩٢%) وهذا طبيعي لظروف تضاريسها ومناخها، وأقلها في فنلنـد لأنـها أقلـهم تصنيعـا (٥٨%). ويتكلم السكان اللغات السويدية والنرويجية والدانمركية، وهي فروع مـن الألمانيـة والتي تنتمي إليها أيضا اللغة الألمانية والإنجليزية على حين أن الفنلندية تنتمي إلى مجموعـة الأورال / التاي المنتشرة في آسيا، ولكن ليس معنى هذا أنـها منعزلـة لغويـة عـن بقيـة إسكندناوة، فاللغة السويدية مستعملة هناك للصلات الوثيقة من الجانبين، فضلا عن وجود جالية سويدية ضخمة في فنلند.

مستوى معيشي مرتفع

من قطع الغابات إلى الصيد البحري والزراعة

إذ قسنا مستوى المعيشة بمتوسط دخل الفرد، تعتبر دول هذا الإقليم من أغنـي دول العالم فقد احتلت السويد المركز الثالث والنرويج السادس، والدانمرك السـابع، كمـا أن فنلنـد وإيسلند ضمن الخمس عشرة الأولي، مثل هذه المستوى المعيشي المرتفع في بلاد بـها هـذا القسوة يدل على الطبيعة العملية والطاقة الكبيرة التي يتمتع بها سكان الإقليم، ورغم أن هنـاك ثلاث دول مازالت ملكية من الخمس دول فالديمقراطية حقيقة إجتماعية، وإقتصادية، فالاهتمـام بالإنسان هو الهدف، والظروف الاجتماعية والتعاون والتخطيـط هـي مفـاتيح رفاهيـة هـذه الشعوب، فمن حق أي الإنسان أن يحصل على الخدمات الصحية والتعليمية والسـكن والعمـل، والبيئة النظيفة بأقل التكاليف.

تسود حشائش التندرا إلى الشمال من درجة العرض ٦٧ شمالا، وكذلك فوق أعـالي

الجبال جنوب خط الثلج الدائم، على حين تنتشر الغابات إلى الجنوب من هذه الدرجة، فهنا إقليم الغابات المخروطية (الصنوبرية) بامتياز، وللسويد وحدها نحو نصف الغابات، ولفنلند نحو — وللنرويج حوالي —، من هنا كانت حرفة قطع الأشجار هي حرفة البشرية قديما منذ الأجداد، ثم كان البحر جاذبا للنشاطات المتعلقة به نظرا لجدب معظم الأرض، فكان بناء السفن والتجارة والصيد، بطبيعة الحال تأتي النرويج في المقدمة ولها نحو نصف المحصول السمكي، الايسلنديون نحو ٢٥% والباقي من نصيب الدانمركيين، تتجول أساطيلهم في بحر الشمال والمحيط الأطلنطي حتى الدائرة القطبية، تأتي بإنتاج متنوع من الرنجة Herring والبكالاة Cod وغيرها.

ذكرنا الصيد قبل الزراعة لأن المساحات الزراعية محدودة سواء نتيجة درجة الحرارة الشديدة الانخفاض في أقصى الشمال، أو تضرس الجبال كما في النرويج والسويد، أو لكثرة البحيرات كما في فنلند ومع ذلك تنتشر زراعة البطاطس، وبنجر السكر، والقمح، ونباتات العلف الحيواني كالشعير، وقد استطاعوا زراعة الخضروات بفضل الصوبات. من ثم كانت تربية الحيوان لها أهميتها من أبقار وأغنام وماعز وطيور، لذلك كانت هذه الدول مستوردة للقمح، ولديها فائض في الألبان والبيض.

فقر في المعادن وغنى في الكهرومائية

تختلف أهمية التعدين بين دول الإقليم، ويرجع هذا إلى اختلاف الطبيعة الجيولوجية. فالدانمرك وأيسلند فقيرتان في المعادن الفلزية، فايسلند تكوينها بركاني، والدانمرك تكويناتها رسوبية من الحجر الجيري والطباشيري، على حين أن السويد والنرويج وفنلند صخورها بلورية ومتحولة، ففي السويد مثلا أجود خامات الحديد في العالم، ورغم فقر هذا الإقليم في الفحم كمورد للطاقة والتي كانت تعتمد على استيراده من بريطانيا، فقد حبتها الطبيعة بإمكانات توليد الطاقة الكهرومائية. ثم اكتشف بترول بحر الشمال الذي أغناها عن استيراده كما كان الحال من قبل، ولكن الفضل الأكبر في ميدان الطاقة هو للطاقة الكهرومائية، وقد لعبت التضاريس المرتفعة دورها في إمكانات الطاقة الكهرومائية في كل دول الشمال الأوروبي ما عدا الدانمرك نظرا لخلوها من السلاسل الجبلية العالية، فمازالت تعتمد على الكهروحرارية، وعلى الفحم والبترول. وأصبح ثلثي الطاقة المستهلكة في دول الشمال هي طاقة كهرومائية، نصفها للنرويج وحدها. $\frac{1}{3}$ للسويد، ولما كانت معظم محطات الكهرومائية في الشمال بعيدة عن

المراكز الصناعية والتجمعات السكانية في الجنوب والشرق، ضم الإقليم أطول خطوط كـــهرباء في أوروبا بأكملها. كما عرفت دول الشمال الطاقة النووية، ففـــي الســـويد الآن ١٠ محطـــات نووية، وفي فنلند ٤ محطات، بينما لا تملك الدانمرك سوى محطة واحدة، والاتجاه الآن عـــدم التوسع فيها لأخطارها.

الصناعة

يعمل بها نحو ٣ مليون نسمة، ٢/٥ منها في السويد، كما أن مصانع السويد لها نحـــو ثلث المؤسسات الصناعية، وبها أكبر عدد من العاملين أكثر من أي دولة أخـــرى، كمـــا أنـــها مسئولة عما يقرب من نصف القيمة المضافة، تليها النرويج وفيها أقل عدد مـــن المؤسســـات الصناعية وتسهم بنحو ١/٥ القيمة المضافة. وتتنوع إنماط الصناعة، في مجال الصناعات خاصـــة الأسماك في النرويج وإيسلند والسويد بالدرجة الأولي، وتنتج الدانمرك أكثر من نصـــف لحـــوم وسكر وزبد وجعة الإقليم . وفي مجال الصناعات غير الغذائية تتصدر السويد المجموعة ســـواء في تنوعها أو حجمها، بنحو أكثر من ثلثي صلب الإقليم هو سويدي، كذلك أكثر من نصف لـــب الورق والخشب والسفن، وأكثر من ٢/٥ الورق، وأكثر من ١/٣ الأسمنت والبترول المكرر، وتقود النرويج المجموعة في صناعتي الألومنيوم، والأسمدة النتروجينية وهما صناعتان تعتمدان على القوى الكهرومائية الرخيصة، وتأتي فنلند لتقود الإقليم في صناعة لب الورق وورق الطباعـــة. ورغم ما هو معروف عن الصناعة أنها أم الحضرية، فلا نجد التجمعات الحضرية التي تتمـــدد حتى تلتحم ببعضها وتكون مجمعات ضخمة كما هو الحال في حوض الرور في ألمانيا أو وســـط إنجلترا، وهذا يرجع إلى أن دول الإقليم لا تظهر فيها حقول فحم ضخمة، التي تجذب التجمعـــات السكانية، فالصناعة بمعناها الحديث لم تدخل دول الشمال الأوروبي إلا بعد انتشـــار الكـــهرباء سواء حرارية، أو كهرومائية الأصل كما حدث في السويد والنرويج وفنلند، وأيسلند أو حيـــث تستورد الفحم والبترول كما في حالة الدانمرك وكانت الخامات تأتيها من المـــزارع، ومصـــائد الأسماك، والغابات والمناجم، وأسواقها الرئيسية كانت العواصم وحولها، ثم بـــالتدريج تحولـــت دول الإقليم إلى الأسواق الخارجية سواء للحصول على خامات أو لتصريف إنتاجها وأصبحـــت بعض مؤسساتها دولية بعد استغلالها لقواها لكهرومائية.

التوطن الصناعي : ويمكن القول بوجه عام أن التوطن الصناعي يتفـــق مـــع طبيعـــة الخامات والطاقة والأسواق، فحيث تكون الصناعة الغذائية والقابلة للفســـاد الســـريع كتجـــارة

الألبان واللحوم والأسماك يصبح موطن صناعتها قريب من أماكن إنتاجها، من ثم كانت مصانع منتجات الألبان والمجازر مبعثرة في كل الأقاليم الزراعية، على حين أن حفظ الأسماك وتجميدها يرصع سواحل النرويج وإيسلند وغرب السويد ومن أهم مراكزها ستافنجر، وهمرفست في النرويج، ريكيافيك في إيسلند وجونبرج في السويد. وصناعة الأخشاب نظرا لكبر حجم مادتها، تميل إلى أن تكون قرب الموارد أي الغابات الخام، أما الصناعات القائمة عليها فهي اقرب إلى مصبات الأنهار حيث مصانع نشر الخشب، لب الورق، تستقبل الأشجار، وأيضا تحميل المصنوع إلى الخارج، كما يمكن الإشارة إلى أن تشغيل المصانع موسمي في هذه الحرفة والذي يتفق مع قطع الأشجار ورصها على النهر شتاء حين يكون جليدا ثم تعويمها عندما تذوب مياه النهر وإن كانت هذه الوسيلة في طريقها إلى الانقراض، وأصبحت المصانع تعمل طوال العام نتيجة استخدام النقل بالسيارات والسكك الحديدية.

عندما استخدم البخار كمصدر للطاقة (قبل ظهور الكهرباء) كان هناك توسع صناعي كبير في الموانئ حيث تستقبل هذه الموانئ الفحم من بريطانيا أو ألمانيا، من ثم فالبدايات المبكرة للتصنيع كانت في أوسلو، برجن، وتروندايم وستافنجر في النرويج، وكوبنهاجن وأرهوس **Aarhus**، اودنس **Ddense** والبورج **Aalborg** في الدانمرك، ومالمو، واستكهولم في السويد، توركو وهلنسنكي في فنلند، وريكيافيك في إيسلند، وبظهور عصر الكهرباء انتقلت إلى مراكز جديدة حيث موارد الطاقة الجديدة (ما عدا الدانمرك) والمستمدة اساسا من الكهرومائية، وكان لرخص الكهرومائية في النرويج وكذلك في إيسلند ما أدي إلى قيام صناعات معدنية وكهربائية وكهروكيمائية، فعلي سبيل المثال تقوم بعض المؤسسات بصناعة الأسمدة النتروجية، وذلك باستخلاص النتروجين من الهواء، وكذلك صناعات تكرير النيكل في كريستيانساند **Kristiansand** باستخدام الخام المحلي، وعندما انتهي الخام المحلي استوردت حاجتها من كندا، ولعل أكبر توسع في الصناعات الكهرومعدنية، هو في صهر البوكسيت (خام الألومنيوم) لأنه يحتاج إلى طاقة ضخمة وبالتالي لابد وأن تكون رخيصة. هكذا كان للكهرباء الفضل في قيام صناعات كهرومعدنية، وكهروكيماوية، وحررت كثير من الصناعات من الاعتماد على مصادر الوقود المحلي وانتقلت إلى أقرب سوق للاستهلاك المحلي أو بالقرب من الساحل لتسهيل التصدير إلى الأسواق الخارجية، من ثم كان هذا معناه تركز أكبر للمراكز الصناعية في النرويج، في نهاية الأودية الشرقية خاصة فيورد أوسلو. وفي السويد كانت استوكهلم وجوتبرج في وسط السهول الجنوبية، والساحل الغربي للسويد بين جوتبرج ومالمو.

الفصل الثاني

النرويـــــج

من القرصنة البحرية والعنف إلى رغد العيش والمسالمة :

منذ ألف عام خرج الفِيكنج منها يجوبون السواحل الأوروبية في سفنهم المســـتطيلة، يغيرون على أي أرض يقابلونها ويتوغلون في الأنهار الداخلية، ويهاجمون المــدن المحصنـــة كلندن وباريس، وكان الفِيكنج محاربون عتاة، نزعت من قلوبهم الرحمة، حتى لقــد كــان كــل إنسان في أوروبا يخشي ذكرهم. فما بالك بقدومهم؟ وكان الناس يصلـــون ليحميـــهم الله مــن شرور الشماليين. ولكن النروجيين يعيشون الآن فيما يعرف بركن أوروبا الهادي مسالمين مـــع أنفسهم، ومسالمين مع جيرانهم الأوروبيين، حتى يصعب أن يصـــدق الإنســان أنـــهم ســلالة الفيكنج!

ومنذ مائة عام تقريبا هاجروا بأعداد كبيرة عبر الأطلنطي، حتى لقد قدر أن من غــادر النرويج إلى الولايات المتحدة الأمريكية بين عامي ١٨٥٥، ١٩٢٠ نحو ٨٠٠ ألف نرويجي لـم يجدوا العيش يسيرا في أوطانهم. واليوم تعيش النرويج والنرويجيون في غنى ويسر ورفاهيــة، ويعتبر مستوى معيشتهم من أعلى المستويات المعيشية في العالم!

ما الذي غير حال النرويجيين من حال إلى حال، من ألف عام إلى الآن؟ لا شك أن هذا يرجع إلى أرضها، وبصفة أخص إلى ناسها.

- هي فريدة في شكلها، فهي أطول وأضيق دول أوروبا بين درجتي عــرض ٥٨°، ٧١° شمالا، أي حيث نهاية اليابس الأوروبي.
- هي فريدة في ساحلها الذي لا مثيل له في أوروبا سواء في طوله أو تمزقه وتقطعـــه بالفيوردات (*)، ومئات الجزر التي تمتد معه وكأنها له حارســة، بـل أنـــها حاميـــة للسواحل لأنها أشبه بالحواجز الصخرية، ويبلغ طول هذا الساحل في خط مستقيم نحــو

(*) الفْيوردات عبارة عن أذرع طويلة من البحر ممتدة في اليابس، وتتوغل في الداخل أحيانا إلى ١٦٠ كم، وتحفــها مــن الجــانبين السلاسل الجبلية العالية، وكأنها قلاع تحرسها، وهي أساسا أودية جليدية، وحين ذاب الجليد، وارتفعت مياه البحار، دخلت هــذه المياه فيها لتحل محل الجليد. وكانت ذ فائدتها الكبرى للسكان لأنها كانت المدرسة الأولى التي تعلم فيها الـــنرويجيون ركـوب البحر، فضلا عن الصيد في مياهها الهادئة.

٢٦٥٠ كم، ولكنه مع تعرجاته يناهز طول نصف الدائرة الاستوائية (٢٠,٠٠٠ كم).

وجه النرويج

تتميز النرويج بالمظهر الجبلي، والمساحات السهلية صغيرة للغاية، ترجع هذه المساحات السهلية إلى عمليات الرفع التي أصابت الأرض، في أعقاب ذوبان الغطاءات الجليدية لذلك كانت خصبة، ولكن لسوء حظ النرويج فمساحتها صغيرة ومبعثرة، وتغطي السلاسل الجبلية معظم سطحها قاحل.

ويمكن أن نقسم النرويج تضاريسيا إلى قسمين يفصلهما منخفض تروندهيم.

الشريط الجبلي الشمالي والسهول الساحلية الغربية: شريط جبلي ضيق في الشمال ويتسع في الجنوب ولكن على شكل هضبة. و يبلغ طول الشريط الشمالي الجبلي الضيق نحو ١٥٠٠ كم ممتداً حتى منخفض تروندهيم عند دائرة عرض ٦٤° شمالا. وهو بالأحرى عبارة عن السفوح الغربية للسلاسل الكاليدونية المعروفة باسم سلاسل كيولن Kiolen، ويتراوح عرضها بين ٥٠ كم عند نارفيك، ١٥٠ كم عن فنمارك Finmark، ونظراً لأنها تنتمي للحركة الكاليدونية أي للزمن الأول، ثم مرت بها عصور جليدية كان آخرها العصر الجليدي في الزمن الرابع تحولت إلى هضاب تحاتية جدباء لا تزيد ارتفاع قممها على ١٦٠٠ متر، وأن ظهرت أحيانا قمم محدودة تزيد على ٢٠٠٠ متر، ثم تنخفض في الشمال عند فنمارك لتصبح سهولا تحاتية، تعيش فيها جماعات اللاب ترعي الرنه، وتقطع هذه السلاسل الجبلية الفيوردات ولكنها هنا لا تتوغل كثيرا، كما أنها ليست عميقة ولا ترتفع جوانبها كما يحدث في جنوبي النرويج، بل أنها في أقصى الشمال في فنمارك تتميز بمصباتها المتسعة، وارتفاع الأرض تدريجيا من حولها كلما توغلنا نحو الداخل.

منخفض تروندهيم : أما منخفض تروندهيم فقد نتج عن أن الحركة الكاليدونية لم ترفع الجبال هنا كثيرا كما هو الحال في شماله وجنوبه، من ثم تراكمت فيها رواسب المجاري المائية من الجانبين، وبالتالي أصبح في إمكان السكان الزراعة والرعي، فضلا عن صيد الأسماك، من ثم كانت المنطقة الثانية بعد أوسلو إلى سواحل خليج سكاجراك فيما يختص بالعمران البشري وتظهر أهمية هذا المنخفض أيضا في أنه يمثل الطريق الرئيسي الذي يؤدي إلى إقليم أوسلو (العاصمة في الشرق).

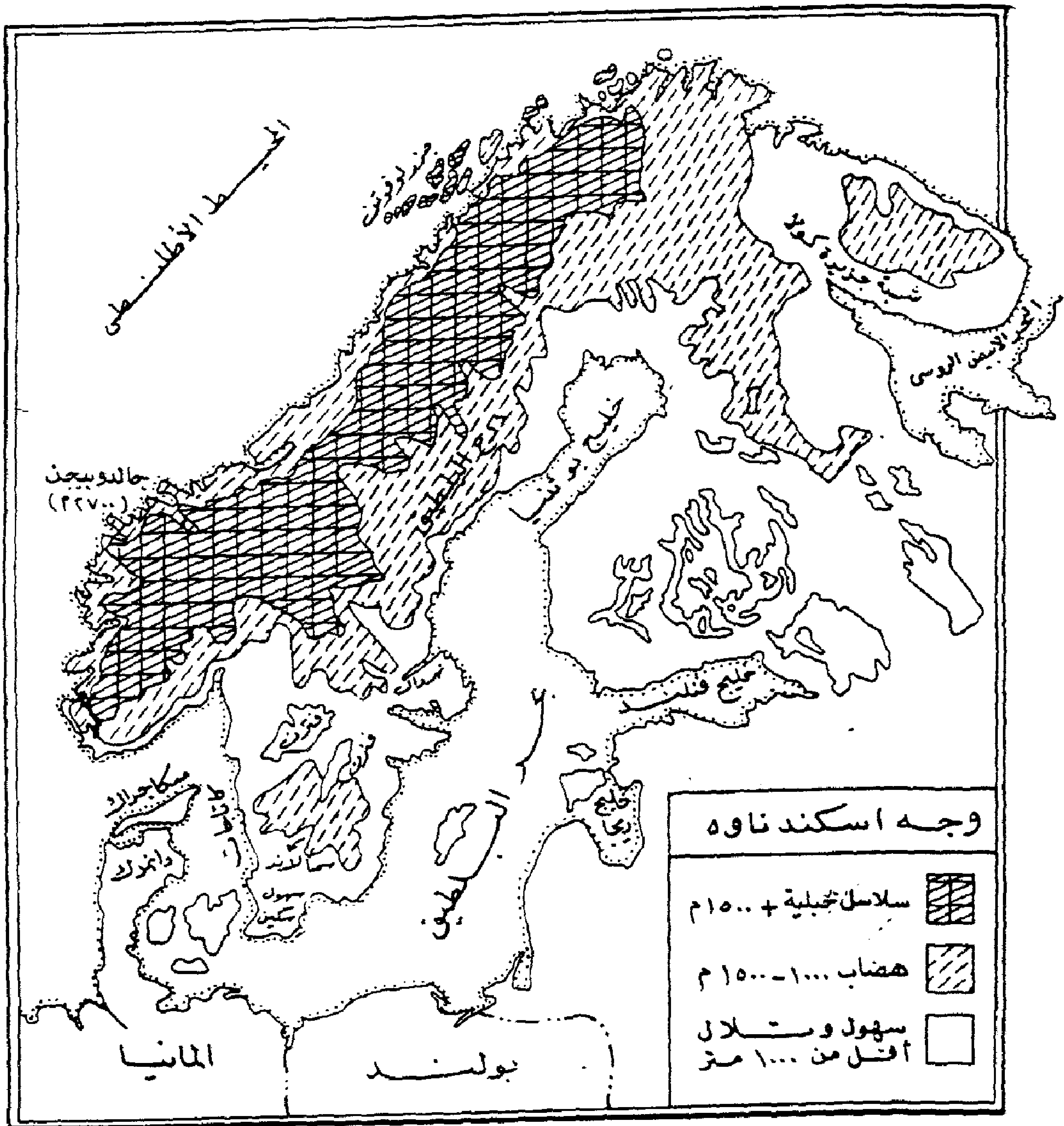
الهضبة الجنوبية : وتنقسم الهضبة الجنوبية إلى مناطق ثلاث هي :

(أ) الهضبة الداخلية ويطلق عليها فييل Fiell، هضبة قديمة مستوية السطح تعرضت لعوامل التعرية خصوصا التعرية الجليدية، وترتفع في بعض الجهات مكونة جبالا عالية كجبال جليترتند Glittertind وهي أعلى جبال الهضبة، إذ يصل ارتفاعها إلى ٢٧٠٠ متر. وترتفع الهضبة إلى حد يجعلها لا تصلح لنمو الأشجار، وتقتصر الحياة النباتية فيها على حشائش التندرا، وخاصة ما ينمو فيها في فصل الصيف القصير. وأثناء العصر الجليدي غطتها الحقول الجليدية بمساحات بلغت أحيانا ٨ آلاف كم٢، وحفرت فيها أودية وأخاديد عميقة، بعضها تشغله البحيرات، أما الأودية الغربية من الساحل فتحولت إلى فيوردات، وفي الوقت الحالي يغطي الثلج الأجزاء الشديدة الارتفاع من الهضبة ولكن الثلاجات الكبيرة محدودة للغاية.

(ب) الساحل الغربي الغني بفيورداته (كلمة فيورد تطابق كلمة لوخ على سواحل إسكتلند) والفيوردات هنا أكبر عمقا وأطول من فيوردات الشمال، أحد هذه الفيوردات تتوغل في اليابس لمسافة ٢٠٠ كم وبعمق يزيد على الألف متر عند رأس الفيورد وتظهر الدلتاوات في الداخل نظراً لأن المجاري المائية المنحدرة تجد في مياه الفيوردات الهادئة مكانا صالحا للإرساب.

(جـ) أما المنحدرات الجنوبية الشرقية فتتصرف مياهها نحو مضيق سكاجراك من خلال هضاب هاردنجر Hardanger، دوفرب Dovre فكلاهما ينحدران من المرتفعات الكاليدونية ونظرا لأن هذه المنطقة تحتل عروضا جنوب المنطقة السابقة. فمناخها أدفأ، كما تقع بالقرب من منطقة أوسلو Oslo المنخفضة، وتتجه نحو موانئ لا تتجمد مياهها طوال العام، فضلا عن غناها بالأسماك، ولذلك يتركز السكان في هذا الإقليم حول أوسلو والسواحل المحاذية لخليج سكاجراك.

ولا تساعد الظروف الطبيعية في هذا الإقليم على الزراعة، بل وتغطيه الغابات ويشتغل السكان بقطع، ونشر الأخشاب في الشتاء، ومعظم السهول الجنوبية الشرقية، والتي تعرف أحيانا بمنخفض أوسلو، والذي تكون بدوره نتيجة تجمع نهاية أودية عديدة تتجه نحو فيورد أوسلو، وهذه السهول خصبة بحرية الأصل، تنتج بعض المحاصيل والخضروات أهمها.



(شكل رقم ١٧)

المناخ :

يؤثر في مناخ النرويج تلك الاستطالة بين درجة عرض ٥٨°، ٧١° شمالا، وكان لتطرف موقعها أن أصبح ثلث مساحة النرويج يقع داخل الدائرة القطبية الشمالية، وبالتالي يطول النهار في الصيف ويقصر في الشتاء بطريقة متطرفة، من ثم أطلق عليها أرض شمس

منتصف الليل، إذ يستمر سطوع الشمس باستمرار في شماليها من منتصف مايو إلـــى نهايـــة يوليه (شهرين ونصف)، كما تختفي الشمس تماما لمدة شهرين في الشـــتاء، وفـــي وسـط النرويج تظهر الشمس الساعة العاشرة صباحاً وتختفي الساعة ٢,٣٠ بعد الظهر، فإذا انتقلنـــا إلى الجنوب نجد أن الشمس تختفي لمدة ساعة واحدة في منتصف الصيف. ولا شـــك أن هـذا يؤثر في النبات والحيوان وحياة الإنسان، وإذا كان هذا يؤثر في دول الشـــمال بعامـــة، فـــهو بصورة أكبر في النرويج. ومعنى هذا أن معظم النرويج تكون حرارتها تحت درجة التجمد خريفا وشتاء، ولكن يعدل من هذه القاعدة أن سواحلها وسفوح جبالها الغربية تـــهب عليـــها الريـــاح الغربية، وهذه بدورها تمر على تيار الخليج الدافئ، فتكون محملة بالرطوبة والدفء، فلا تتجمد مياه هذا الساحل، وتصبح الموانئ صالحة لاستقبال السفن طوال العام، فدرجات الحـــرارة هنـــا تعتبر مرتفعة بالنسبة لدائرة العرض، فمتوسط حرارة يناير في جزر لوفوتن والتي تقع على بعد ٢٤٠ كم داخل الدائرة القطبية هي ـ٦,٠م إذا ما قورنت بأسلو التي تقع في أقصـــى الجنـــوب وهي في برجن على الساحل الغربي ١ْم، على حين أنها في أوسلو هي أبعد نحو الجنوب بنحـــو ١٠٠ كم في الداخل ـ ٥ْم.

ويعقد الأمور ويزيد من الاختلافات الإقليمية تداخل الفيوردات في اليابس، فضلا عـــن وقوف الجبال مانعة أمام توغل الرياح الدفيئة على معظم أرجاء الـــنرويج لأنـــها قريبـــة مـــن الساحل، هكذا تضافرت ظروف الأرض مع ظروف المناخ لتجعل مـــن الـــنرويج بيئـــة طـــاردة فالأقاليم الجبلية وأراضي المستنقعات والبحيرات تشكل نحـــو ٧٣% مـــن المســـاحة، وتغطـــي الغابات ٢٤%، فلا يصبح صالحا للزراعة سوى ٣%.

المعمور واللامعمور

كان للبيئة الجبلية الشديدة البرودة باستثناء الشريط الساحلي الغربي أثرها في ســـكان النرويج عددا وتوزيعا، فمن حيث العدد نجد أن عدد السكان الذي بلغ ٤,٥ نسمة عـــام ٢٠٠٣ منهم ٣٠ ألف من اللاب وقلة من الأجانب لا تتعدي ١٨٠ ألف نسمة، وهذا يعتبر قليلا في دولة مساحتها ٢٢٤ ألف كم٢، وبالتالي تبلغ متوسط الكثافة العامة ١٥ نسمة للكم٢، وهذه بدورهـــا كثافة لا تنم عن حقيقة التوزيع. وأن السكان يتركزون في نطاق الساحل الغربي بأوديته، فـــهنا يعيش ٧٥% من النرويجيين. وبالتالي تقع معظم داخلية النرويج في اللامعمور باستثناء المدن، ففضلا عن الطبيعة الجبلية القاسية والمناخ الأكثر قسوة، نجد أن الطبيعة المتضرسة بين قمـــم

ووهاد مما يجعل من الصعب الحركة والانتقال، بل ومد الطرق والخطوط الحديدية مكلف للغاية، على حين أن الانتقال بالبحر سهل وميسور بسبب عدم تجمد المياه الساحلية، من ثم قامت المدن الرئيسية ومراكز العمران على السواحل وليست في الداخل، فنصف سكان النرويج يعيشون في القسم الجنوبي الشرقي، وربعهم على الساحل الغربي أي أن توزيع السكان يمتد طوليا مع السهول الساحلية، ولا يمتد عرضيا إلا مع الأودية التي تقطع الجبال كسهول تروندهيم التي تضم وحدها نحو ١٠% من السكان. وفي قطر جبلي بارد تتعذر فيه الزراعة إلا بشق النفس تصبح نسبة الحضرية عالية، ذلك أنه لا يعيش في ريف النرويج سوي ربع السكان وهم بجوار الساحل أيضا.

ومما هو جدير بالذكر أن هذه الحضرية المرتفعة التي وجدناها ترتبط بالسواحل، نجدها تتركز أيضا في الجنوب، ذلك أن مدن الشمال هي أقرب إلى قرى الصيد أو أشباه المدن، على حين أن إقليم أوسلو (العاصمة) في الجنوب يضم وحده أكثر من ثلث سكان النرويج.

النشاط الاقتصادي

فلاحة الأرض :

ذكرنا أن معظم أراضيها جبلية قاحلة تغطيها الثلوج والغابات وأراضي اكتسح الجليد تربتها، لذلك تبلغ نسبة المساحة المزروعة نحو ٣% من مساحة البلاد، وبالتالي تصبح مساحة المزرعة صغيرة، فمتوسطها نحو ٥ أفدنة. ولكن يعوض هذا أن نحو ثلث الغابات ملك للمزارعين، وبالتالي يصبح للمزارع دخلا إضافيا، وتتركز البقع الزراعية حول الفيوردات في الجنوب خاصة فيورد اوسلو، ومنخفض تروندهيم، فضلا عن مساحات سهلية في بطون الأودية تسمح تربتها وانحدار الأرض فيها بالزراعة الآلية.

نباتات الأعلاف وخاصة حشائش تغذية الحيوان في المقدمة لموسم إنباتها القصير، وتعلق على حواجز من الأخشاب أو الأسلاك لتجفيفها، كما تنتشر زراعة الشيلم والشعير والشوفان لتستخدم غذاء للحيوان في المكان الأول، وإن كان الشيلم يستخدم جزء منه في صناعة الخبز الأسمر. ويزرع القمح في منخفض أوسلو في الجنوب. ولكن إنتاجه محدودا ولا يغطي الاستهلاك، وتشغل البطاطس وبنجر السكر نحو ثلث المساحة الزراعية، فضلا عن الخضروات في الصوبات.

رحلة الشتاء والصيف : تعتبر تربية الحيوان أمرا هاما في حياة المزارعين، فلا توجد زراعة نبات دون تربية حيوان، فضلا عن تربية الرعاة للحيوان فقط، وتتحكم ظـروف المنـاخ أيضا في حرفة الرعي فتربية الحيوان خارج الحظائر لرعى الحشائش محدودة بأربعة شـهور في السنة، تنقل الحيوانات بالعربات إلى أقصى مسافة ممكنة للمراعي الجبلية صيفاً، وهي عادة فوق خط الأشجار (أشبه بمراعي جبال الألب)، وذلك في نفس الوقت الذي تتم فيـه زراعـة نباتات الأعلاف، ثم ترد الحيوانات إلى مزارعها في بطون الأودية حين يحـل الشـتاء، أي أن هناك رحلة فصلية على الجبال صعوداً وهبوطاً، وفي هذه المراعي الصيفيـة توجـد الأكـواخ والحظائر لحلب الأبقار، وتستقبل المعامل في الأودية هذه الألبان لتحويل جزء منها إلـى جبـن وزبد. وثروة النرويج من الأغنام والماعز أكبر من ثروتها البقرية، فهي تبلغ نحـو مليونيـن ونصف المليون، وعادة ما تصحب الأبقار في الرعي، كما تربي جماعات اللاب حيوان الرنة في الشمال، وتربي الخنازير أيضا من أجل لحومها، والخيول كحيوانات للجر في المناطق الوعـرة، خاصة لجر أخشاب الغابات، أما الثعالب القطبية فتربي من أجل فرائها للتصدير، وتأتي النرويج في مقدمة الدول المنتجة لهذا الفراء بجانب فراء حيوان المنك، على العموم إذا كـانت تربيـة الحيوان في جنوبي النرويج هي مصدر رزق للمزارعين. فهي بالنسبة لجماعـات الـلاب فـي أقصى الشمال مصدراً للغذاء والبقاء.

الغابات مصدر دخل للمزارعين :

وبلاد الشمال ومنها النرويج هي أرض الغابات المخروطية مـن صنوبـر وشـربين وغيرها، ولا يقتصر الأمر على الغابات الطبيعية، بل أدخلت أنواع من أمريكـا الشـمالية ثبـت صلاحيتها، وتتم عملية استغلال الغابة بطريقة علميـة، فـإلى جـانب قطـع الأشـجار هنـاك استزراعها، فيزرع سنويا حوالي ٣٠ مليون شجرة، وتعتبر الغابة مصدر دخل هام للمزارعيـن خاصة وأن نحو نصف مساحتها هي ملك لهم، فضلا عن مساحة الغابـات التـي تعتـبر ملكـا مشاعا، وتتركز معظم الغابات المنتجة في النرويج في القسم الجنوبـي الشـرقي وتروندبـلاج (إقليم تروندهايم)، ويقومون بقطع الأشجار في الخريف والشتاء ونقلها إلى مجاري الأنـهار المتجمدة أو لنقلها بواسطة وسائل النقل الأخرى لتجمد مياه البحيرات والأنهار، فإذا مـا أتـي الربيع والصيف سبحت الكتل الخشبية مع التيار لتصل إلى الموانئ لتستقبلها المصـانع. هـذا ويتركز إنتاج الأخشاب في المرتفعات التي تحيط بمنخفض أوسلو، فلها وحدها نحو ٧٥% مـن الإنتاج.

النرويجيون والبحر : وإن كانت للنرويج أكثر دول أوروبا فقرا في مواردها الزراعية، فإن مرور تيار الخليج الدفئ بسواحلها، وهبوب الرياح الغربية الدفيئة عليها قد أديا إلى دفئ مناخها واعتداله بالنسبة لموقعها المتطرف. فلا تتجمد المياه في موانيها رغم ان ثلث مسلحتها يقع داخل الدائرة القطبية. كما أن طبيعة الساحل الضيق الذي تتخلله الفيودرات وتحف به الجزر قد وجه السكان نحو البحر وجعل الصيادون النرويجيون ينهلون من خيرات البحر أكثر مما يحصل عليه الصيادون في دولة أوروبية أخرى. والواقع أن ظروف البحر كانت أساس غذائهم ونشاطهم الاقتصادي. فهنا الأسماك وهنا التجارة وساعد على هذا وجود الرصيف القاري ممثلا في بحر الشمال والمياه الضحلة بين جزره العديدة، فضلا عن مياه الفيوردات الهادئة والتي تتوغل في اليابس لمسافات طويلة، لذلك فمعظم الصيد يتم ساحليا في هذه الجهات، ولكن هذا لا يمنع صيدهم في أعالي البحار، فهم أول من ذهب بعيدا للصيد، واستطاعوا السيطرة على البحار بفضل خبراتهم في بناء السفن وبصرف النظر عن عواصف البحار الهوجاء حتى أنهم غزوا السواحل الأوروبية(الفيكنج منذ ألف عام) كما بلغوا إيسلند وجرينلند. بل وأمريكا الشمالية، وأسسوا هناك مستعمرة أطلق عليها فينلند اكتشفت بقاياها عام ١٩٦٠ في جزيرة نيوفوندلاند. ويعد الأسطول النرويجي التجاري الذي يحمل العلم النرويجي من اكبر الأساطيل على مستوى العالمي، بل نضيف إلى ذلك أن بعض سفن الصيد الأجنبية تحمل هذا العلم واخترع النرويجيون القذائف التي تنفجر في جسم الحوت Shell Harpoon مما يجعل الصيد ناجحا، وسرعان ما قلدتهم الشعوب البحرية الأخرى، وتفوقت في صناعة سفن الصيد التي تحمل مصانع تتعامل مع المحاصيل البحرية وخاصة الحيتان وكأنها مصانع عائمة Floating Fleet ولديها منها الآن تسعة سفن في القارة القطبية الجنوبية، بل ولها وحدها نحو نصف الحيتان المصادة، وأن ظهرت القوانين التي تمنع الإسراف في صيده حتى لا يختفي، هذا ويصدر زيت كبد الحوت من مباشرة من هذه السفن إلى الدول المستوردة، من ثم كانت الحيتان ذات دخل كبير للصيادين أكثر من أنواع الأسماك الأخرى، ويعمل بهذه الحرفة نحو ٢٠٠ ألف نسمة وإن تناقص العدد باستمرار نتيجة التطور التكنولوجي في صناعة السفن ووسائل الصيد. وهي حرفة عائلية يتوارثها الأبناء عن الأباء، كما أن منهم من يجمع بين الصيد والزراعة، ومنهم من هو متفرغ تماما للصيد. ويبدأ موسم صيد الرنجة في يناير حين تبدأ موجات الرنجة في هجرتها نحو الجنوب، وكانت أرض الصيد الرئيسية هي السواحل الواقعة جنوب ترونديم. وأضيفت إليها الآن مصائد بحر الشمال. وتهاجر أفواج البكالاد لتصل إلى فنمارك شمالي النرويج في نوفمبر

وتتحول جنوبا إلى مياه جزر لوفوتن حتى أبريل، ثم تعود إلى المحيط مرة أخرى فـــي يونيـــه، ولكن عن طريق فنمارك مرة أخرى، من ثم كانت مياه جزر لوفوتن وجنوبا على طول الســـاحل الغربي حتى تروندهيم، وموانيها هي موانئ الصيد الرئيسية. ومازالت منتجات الأسـماك تسـهم بنحو ⅙ صادرات النرويج. ويقدر محصول الصيد سنويا بنحو مليــون وربــع مليــون طــن، ٧٠% منها رنجة، ٢٠% للبكالاه، والباقي للهاردوك والماكريل والأسماك المفطحة كلالبلايس.

وأخيرا وليس أخرا هناك صيد عجول البحـر للحصـول علـى جلودهـا ذات القيمـة المرتفعة، وأرض صيدها منطقتان، الأولي ما بين شرق جرينلند ونيوفوندلنـد، والأخـرى فـي البحر الأبيض الروسي.

التعدين والتحجير: تعد خامات الحديد هي أكثر المعادن انتشارا، فهي تمثل ٧٠% مـن مجموع الخامات المعدنية، رغم أن تكوينات النرويج تنتمي إلى ما قبل الكمبري والكاليدوني أي نارية ومتحولة، وتقع أهم مكامن الحديد في شـرقي فنمـارك إلـى الشـمال مـن كـيركنس Kirkenes، ويقدر الاحتياطي بها بما يزيد على ٥٠ مليون طن، ومعظمه من نوع الماجنيتـايت بنسبة ٣٥%. وهو يظهر جزئيا في كيركنس، ويصدر مركزاً بنسبة نقـاوة تبلـغ ٦٥% إلـى بريطانيا وألمانيا خاصة. وتعدن رواسب الخام أيضاً في مساحات صغيرة في مراكز ترونديـلاج ومور More وتليمارك Telemark، وقد بدأ استغلال حقل جديد نسبيا ويقارن بحقل كـيركنس في منطقة دوندرلاند Dunderland قرب موى رانا. ويعدن البايرايت وهـو واسـع الانتشـار ويعالج أساسا من اجل الحصول على الكبريت. ويصحب تكريره الحصول على بعض النحـاس، والزنك، والحديد، والفضة، كنواتج جانبية، من ثم تعتبر النرويج من بين الدول في الهامة فـي إنتاج الكبريت في أوروبا. هذا وتصدر النرويج الجرانيت المستخرج من محاجر تلمارك والـذي ساهم في إنشاء أحواض السفن في دوفر، وكاسهام، بل وقناه كيل.

القوي مائية وبترولية : لا يوجد البترول، ورواسب الفحم قليلة في سفالبارد وبإنتـاج ألف طن ويستقل بالإشراف مع روسـيا، ولكـن عوضتـها الطبيعـة بـالقوى الكهرومائيـة Hydro eletricity وللنرويج وحدها نصف الكهرباء المائية المولدة في دول أوروبا الشـمالية، وتقدر قواها الكامنة ما بين عشرة إلى خمسة عشر مليون حصان، تستغل منـها فـي الوقـت الحاضر نحو ٤ ملايين حصان. والفضل لجبالها التي تكاد تصل إلى البحر في جميـع أنحائـها، فضلا عن الرياح الغربية المطيرة التي تهب عليها طول العام. والدفء الناشئ عن تيار الخليـج

الذي يحول دون تجمد مياهها طول العام، من ثم حصلت على مصدر رخيص للطاقة. وتتركز معظم محطات القوى الكهربائية في ثلاثة أقاليم: *الأولى* هي الواقعة على جانبي منخفض أوسلو، *والثانية* على الساحل الغربي الجنوبي خاصة حول هارونجر، *والثالثة* من نامسوس إلى كيب نورث، وبالنسبة لدرجات العرض نجد أن أربعة أخماسها تولد إلى الجنوب من دائرة عرض تروندهيم أي في جنوبي البلاد حيث السكان والنشاط الاقتصادي، من ثم قامت في النرويج الصناعات التي تعتمد على القوي الرخيصة كالصناعات المعدنية والكيماوية.

إذا كان البحر قد قدم للنروجيين غذاء ونقلا وتجارة، فمن مكرماته أيضا البترول والغاز الطبيعي. ويمثل البترول والغاز أكثر من ثلثي الصادرات (٦٤%) الذي اكتشف في بحر الشمال والذي يقسم إنتاجه بين النرويج وبريطانيا وألمانيا والدنمرك وهولند وبلجيكا، ومن تجمعات البترول والغاز الطبيعي يظهر أن الغاز الطبيعي يكاد يتركز في القسم الجنوبي، على حين معظم البترول من نصيب القسم الشمالي خاصة في قطاعي النرويج وبريطانيا، وبالتالي فإنتاج النرويج من البترول يفوق إنتاجها من الغاز ٧٢٥٩٠ مليون متر مكعب سنويا على حين بلغ إنتاجها ١٥٥ مليون طن عام ٢٠٠٠، ويستخرج البترول على أطراف مياهها الإقليمية ويفصلها أخدود عميق عن أرض النرويج الأصلية، مما يجعل مد الأنابيب من الحقول ـ باستثناء كميات قليلة تحملها الناقلات إلى النرويج إليها ـ صعبا ومكلفا للغاية، من ثم فمعظم بترول النرويج وغازه يتجه إلى معامل بريطانيا وألمانيا لتكريره، وهناك خط بترول يمتد إلى شتلند في اسكتلند وبعد ذلك يتجه إلى النرويج للاستهلاك المحلي، أو يصدر للخارج مباشرة. وهناك مشروع قيد البحث للتغلب على العقبات الطبيعية ونقل البترول والغاز إلى النرويج مباشرة هكذا أصبحت النرويج من الدول المصدرة للطاقة، بل هي أكبر مصدر للبترول في العالم بعد المملكة العربية السعودية.

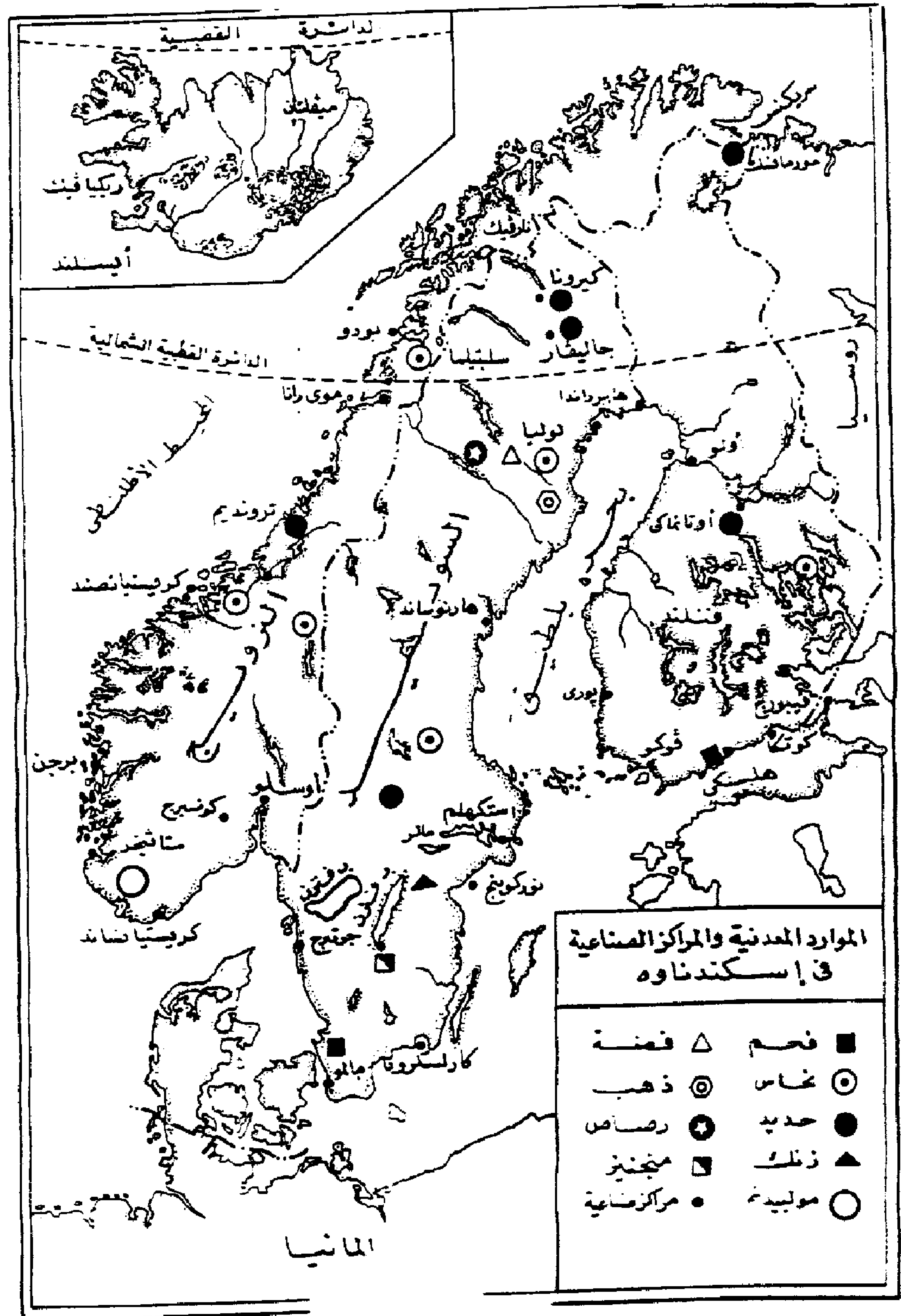
صناعات رئيسية : لا شك أن الكهرومائية قد ساعدت على قيام كثير من الصناعات في النرويج منها القائمة على الأخشاب وكذلك الصناعات السمكية، ولكن أثرها الأكبر كان على الصناعات التي تحتاج طاقة كبيرة ورخيصة في آن واحد كالصناعات الكهروكيماوية والصناعات الكهرومعدنية. فهذان النوعان يستهلكان وحدهما نحو ٤٥% من الطاقة الكهرومائية.

الصناعـات الكهروكيماويـة Electro-Chemical *والكهرومعدنيـــــة* Electro metallurgical وبدأت هذه الصناعة عام ١٨٩٩ بإنتـــاج Calcium Calbride فـــي بلـــدة نوتودين، Notodden في الجنوب الشرقي، وهذا بدوره يستخدم للحصول على سياناميد الـــذي يستخدم في صناعة الأسمدة، والاسيتلين الذي يدخل الآن فـــي صناعـــة البلاســـتيك. وأمكـــن الحصول على النتروجين من الجووتثبيته، ليدخل في كثير من الصناعات الأزوتية وعلى رأســها الأسمدة التي تكون الآن قدرا كبيرا من صادرات النرويج (+ مليون طن) وكذلك يدخـــل فـــي صناعة المفرقعات، ومن الصناعات الكيماوية، أيضا الأمونيا والمنجنيز من مياه البحر والميـــاه الثقيلة لتشغيل المفاعلات النووية، وأما الصناعات الكهرومعدنية فتعني بإنتاج وتصدير السبائك الحديدية Feroalloys، أكسيد الحديد المنجنيزى، وحديد السليكون وحديد الكروم، فضـــلا عـــن صناعة الألومنيوم، وتستورد خاماتها من الخارج كالبوكسيت وأهم مراكزها كريســـتان ســـاند Kristisand، بينما تعمل أكبر مصنع للحديد والصلب في موى رانا Moi Rana إلى الجنـــوب مباشرة من الدائرة القطبية اعتمادا على حديد مناجم كيركنس قرب الحدود الروســـية والقـــوى المائية من المحطات التي تنتشر على طول وادي نهر جليمفورد، وأقيم مصنع صغـــير للحديـــد والصلب في تروندايم اعتمادا على القوى الكهرومائية وخامات الحديد القليلة هناك.

سفن الصيد وناقلات البترول : ذكرنا أن للنرويج أسطول بحري تجاري كبير. رغـم أن صناعة بناء السفن تمتد على طول سواحل النرويج من فيورد أوسلو إلى فننمارك شمالا، ولكنه متخصص في صناعة سفن الصيد الصغيرة (لتدخل الفيوردات) والمتوسطة بالدرجـــة الأولـــي في هذا النوع من السفن وإن كان هذا ليس معناه أنها لا تقوم ببناء السفن الضخمة من الصلب كناقلات البترول، وسفن صيد الحيتان وسفن الثلاجات، وسفن تصنيـــع الأســـماك وهـــذه يتـــم تصنيعها على الساحل الغربي في برجن وتروندايم، فضلا عن أوسلو.

الصناعات الخشبية : الصناعات المعتمدة على الأخشاب قديمة قدم الإنسان الـــنرويجي للحاجة إليه في المسكن والأدوات، وتنقسم هذه الصناعة في الوقـــت الحـــاضر إلـــى قســـمين، الصناعات الخشبية والصناعات الكيماوية وكلاهما يعتمد على الغابات المخروطية ويستخرج لب الخشب الكبريتي من أشجار التنوب الفضي Spruce وهو خام ممتاز لصناعة الورق الممتـــاز والخيوط الصناعية، بينما لب الخشب المستخرج من أشجار الصنوبر يعطـــي ورقـــا وخيوطـــا صناعية أقل جودة. والمراكز الرئيسية كلها في الجنوب الشـــرقي، أي حـــوض اوســـلو. مثـــل

درامين وسكين، فضلا عن إقليم تروندايم على الساحل الغربي، وتستهلك الصناعات الخشبية نحو ٤٠% من مجموع الإنتاج، وبالتالي توقفت النرويج عن تصدير الأخشاب خاما، سواء كتلا أو ألواحا، كلها دخلت الصناعة وبعد ذلك تتجه للتصدير، وهناك الأثاث المنزلي، وأثاث المكاتب، والسفن، ثم الصناعات الكيماوية، خاصة لب الخشب والورق، وكانت صناعة الأخشاب قديما تتركز عند نهايات المجاري المائية، ولكنها الآن بفضل القوى الكهرومائية التي يمكن أن تصل إلى أماكن بعيدة انتشرت بعيدا، وأن كانت أيضا لابد وأن تكون قريبة من مجري مائي لحاجة صناعة الورق إلى الماء في الصناعة.



شكل رقم (١٨)

الصناعات السمكية : وهي صناعة قديمة تقوم على أساس تجفيف الأسماك وتمليحـها وتجميدها، فضلا عن استخراج الزيوت، والاعتماد الرئيسي في هذه الصناعة على صيد البكـلاه والرنجة التي تجد إقبالا من شعوب البحر المتوسط، فضلا عن الرنجة الصغيرة الحجـم والتـي يطلق عليها السردين، فهذه الأخيرة لها وحدها نحو ٣٠٠ مصنع على الساحل الغربي، وتعتـبر موانئ برجن وستاترج والسوند وكريستيان صند، وترونداهايم أهم مراكز لتصنيع الأسماك، بـل وتمتد المصانع إلى ترومسو في الشمال وجزر لوفوتن، هذا كما يستخدم جزء من الصيد بعـد استخراج الزيت لصناعة الصابون والزبد الصناعي (المرجرين) الذي يدخل في صناعة العلـف الحيواني، أما عجل البحر يستخرج زيته ومن جلده تصنع أحذية للصيادين والبحارة.

المراكز الصناعية الرئيسية : تقع أسلو العاصمة وسط مجمع حضـري كبـير (٨٠٠ ألف نسمة) وهي على رأس فيورد أوسلو، وعلى بعد ١٠٠ كيلو متر من البحر المفتوح، وكان موقعها هذا كالنواة الأساسية للإقليم الجنوبي الشرقي الصناعي، ما جعلها المخرج الطبيعي لـه، كما ساعدت الهجرة الداخلية على ازدياد سكانها باطراد نتيجة الهجرة الداخلية، فهي تسهم فـي فروع ونشاطات سكان النرويج. وفي ضاحيتها نحو ربع العمال الصناعيين في البـلاد. وهـي ليست المركز الرئيسي للصناعة فحسب، بل وأقدمها، ذلك أن الصناعات القديمة قامت فيها على أساس الأخشاب، ومنتجات الألبان، وتعليب الأسماك، وبعد ذلك تعددت الصناعات القائمة علـى الكهرومائية، فاستحوذت على نصف الصناعات الكهرومائية المنتجة في النرويج، مصانع نشـر الأخشاب، والورق الحديثة في درامن، وسكين، ولارفـك، وحـول فيـورد أوسـلو، ومراكـز الصناعات الكهروكيماوية في وسكين ولارفك، والكهرومعدنية في أوسلو وتوتودين والنحـاس والنيكل في كريستانساند، والألمنيوم في هولمستراند، كما تقـوم ميناؤهـا باسـتقبال نصـف الواردات، وأن كان نصيبها لا يعدو ١٢% من الصادرات نظراً لأن الأخشاب والأسماك المصنعة من الساحل الغربي تخرج من هناك.

أما المركز رئيسي لصيد الأسماك وتصنيعها وبناء السفن فـهو فـي برجـن (٢٠٠ ألف)، كما تقوم فيها صناعة المنسوجات، ولم يكن لبرجن ظهير جيد إلا بعد مد الخط الحديـدي منهغا إلى هالينجدال والذي يعتبر أعجوبة، ويستخدمه السائحون أكثر منه لنقل البضائع، وفضلا عن كونها مركز صناعي وتجاري فهي مركز لثاني جامعات النرويج، كما أن بها مركز عـالمي لأبحاث المحيطات.

وتظهر أهمية تروندايم : (٧٥ ألف) لوقوعها على فيورد ترندايم، وتتميز عن برجن بأن ظهيرها زراعي فهي مركز هذا الإقليم، وفيها أعظم كاتدرائية في النرويج، وبها جامعة، ومعهد للتكنولوجيا.

الباب الرابع : أوروبا الوسطى

الفصـــــل الأول

في شخصية أوروبا الوسطى

لفظ أوروبا الوسطى هو تعبير جغرافي سياسي مرن، يطلق في أوروبــا علــى إقليــم شاهدت الحدود السياسية فيه تغيرات متلاحقة، وهو هنا يطلق على الإقليم الذي يضم ألمانيــا، سويسرا، النمسا، ليشتنشتن والتشيك، والسلوفاك، وقد حاول بعــض الجغرافييــن أن يضعــوا حدودا لأوروبا الوسطى على أساس من الجغرافية الطبيعية، على أنه النطاق الشــرق الغربــي لجبال الألب ومرتفعات أوروبا الوسطى، ثم السهول الشمالية والبعض الآخر كان تحديده علــى أساس أنه المنطقة الانتقالية بين أوروبا المحيطية في الغرب وأوروبا القارية في الشرق، وكان لهذا الموقع أثره في جعل حدودها تشترك مع معظم الحدود السياسية لدول أوروبــا الغربيــة، والشرقية، والجنوبية، فإذا كان هناك إقليم أوروبا الغربية، وهناك إقليم أوروبا الشــرقية فــهذا الإقليم هو الواقع بينهما، وقد يكون من المفيد أكثر التحديد من الناحية السياسية، فهو الإقليــم الذي يقع بين روسيا وفرنسا. وجنوب هولند، وبلجيكا، وإلى الشمال من جبال الألب.

أصول السكان : سكن وسط أوروبا في أوائل العهد المسيحي مجموعات مختلفة تتكلم الجرمانية، مثل الساكسون، والفريزيان، والجوث، والفاندال والفرنك والألمان، كما كانت هنــاك عناصر كلتية في الأقاليم الجنوبية الجبلية، وأصبح نهر الراين هو الحد الغربي للإمبراطوريــة الرومانية بعد انتصار القيصر على الغال (٥٧ ــ ٥١ ق.م)، ثم تبعه تقدم نحو الشــرق إلــى الدانوب لتأمين الحدود الشرقية والتحكم في ممرات الألب، وحاول الرومان مد حدودهــم حتــى نهر إلب، ولكن هزمتهم القبائل الجرمانية، وبدأت القبائل الجرمانية تقوم بالزراعة إلــى جــانب الرعي، فزاد ضغط السكان مما مهد لوحدة هذه الجماعات لحاجتها إلى مجال أرض أوسع، نتــج عنه ضغطهم على حدود الدولة الرومانية خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين، وأصبحــوا سادة أوروبا الوسطى، ثم ازداد توسع الألمان إلى الراين والهضبة السويســرية، والساكســون إلى هولند، وبلجيكا، وشمال فرنسا، ومنهم من عبر البحر إلى جنوبي إنجلترا، داخــل الباقــار جنوب ألمانيا الحالية، في حين تقدم الفرنك من موطنهم على الراين الأوروبــي إلــى فرنســا، واستقرار الجوث في شبه جزيرة إيبيريا. ولما كان الإقليم وسط بشريا في تكوينه العرقي، فــهو

يضم عناصر الجرمان (الغربية) والعناصر السلافية (الشرق)، وكان خلال تاريخ أوروبا ممرا للجيوش والغزوات والهجرات القادمة سواء من الشرق أو الغرب، وحملت كل موجة شعوبا شرقية أو شعوبا غربية، ومن ثم كان الاختلاط العرقي واللغوي ويصور تاريخ بولند الصراع والذي استمر بين الجرمان والروس، حتى لقد قسمت إمبراطورية النمسا، وروسيا. وبروسيا أراضي بولند في القرن الثامن عشر، وعندما استعادت بولند كيانها بعد الحرب العالمية الأولى، كانت قد اتسعت شرقا وغربا، وشملت أجزاء من روسيا وألمانيا، وأعيد رسم حدودها مرة أخرى، وآخرها في اتفاقية بوتسدام بعد الحرب العالمية الثانية كذلك الحال في حدود ألمانيا، فقد كان الألمان يعتبرون أن حدود بلادهم هى موطن العناصر الجرمانية أينما كانت، هذا رغم تباعد الجماعات الجرمانية في وسط المحيط السلافي في وسط أوروبا وجنوبيها الشرقي، وكان موقع ألمانيا في وسط أوروبا وتقدمها الصناعي ونموها العسكري ما جعلها تستخدم القوة والعنف مكتسحة وسط أوروبا إلى الشرق والغرب وإن انتهت بهزيمة سواء في الحرب العالمية الأولي أو الثانية.

وجه أوروبا الوسطى

يمكن أن نميز في إقليم وسط أوروبا ثلاث وحدات تضاريسية كبرى وهي : ـ

أولاً : السهول الشمالية (السهل الألماني البولندى) وهو جزء من السهل الأوروبي العظم يمتد من روسيا عبر الحدود الألمانية إلى هولند غربا، وتمتد جنوبا إلى مرتفعات ألمانيا الوسطي ومرتفعات بولند الوسطى، وهو مموج السطح ينحدر انحدارا تدريجيا نحو بحر الشمال، لا يزيد ارتفاع الأرض على ٢٥٠ مترا، ترتفع بالاتجاه جنوبا إلى الهوامش الشمالية للمرتفعات الوسطي كجبال الهارتز والسوديت، وقد ترتفع هذه الهوامش الشمالية إلى ٧٥٠ مترا، وكان هذا السهل مسرحا لغزوات متتابعة لجليد الزمن الرابع، تقدم وتقهقر، من ثم ترك رواسبه الجليدية الممثلة في الركامات النهائية حصى ورمال وصلصال، ومن الظاهرات اللافتة للنظر فيما يختص بالإرساب الجليدي في شمالي هذه السهول أن هذه الإرسابات برملها وطفلها حملتها الأنهار ودخلت بها لمسافات في البحر، وتمددت على هيئة السنة، لا يفصلها عن بعضها إلا مصبات الأنهار، فتكونت خلجان ضحلة غير منتظمة الشكل، ولكن بفضل التيار البحري الذي يجري بحذاء الساحل من الغرب إلى الشرق، عاد توزيع هذه الرواسب وأغلق كثير من هذه الخلجان. فتكونت البحيرات الضحلة Lagoons في المنطقة التي يطلق عليها

Haff خلف هذه الكثبان. ومن الظاهرات الأخرى في أقصى جنوب هذا الســـهل نطـاق تربـة اللويس بسمك يتراوح بين ١٠. ٦٠ مترا، ويزداد اتساعه بالاتجاه نحو الشرق، ويرجع إلى أنه في فترات الدفء والجفاف (تقهقر الجليد) كانت الرياح تذرو الرواسب الهشة التـــي جرفـــها الجليد وتنشرها في مساحات واسعة عند الهوامش الجنوبية للســهل أو بعبـارة أخـرى عنـد مقدمات المرتفعات الوسطي، فكانت الحشائش تتلقاها ويتم الإرساب طبقة فوق طبقة، وتتكـون تربة اللويس من حبيبات دقيقة بنية اللون فاتحة تميل إلى الإصفرار حينا وإلى اللون الرمـادي أحيانا أخرى، وأن تحولت الطبقة العليا منها إلى اللون البني الغامق أو الأسود، وهي ممتـازة في خصوبتها. وتنقسم السهول الشمالية بدورها إلى ثلاثة أقاليم فرعية هي :

١ ـ *غرب نهر الب :* هنا يبلغ السهل الألماني أقل اتساع له غربي هذا النهر، إذ يبلغ ١٢٠ كم وتمتد بحذاء الساحل أراضي مستصلحة حديثا من البحر على النظام الهولندي، وهـي تحف بالمصبات الخليجية، ثم تليها بأراضي المستنقعات Moore، فإذا ما توغلنا جنوبا كـانت هناك أرض قليلة الارتفاع أكثر جفافا، وهي أرض غير جيدة Bad Land. وكانت قديمـا أرض تغطيها الحشائش الخشنة. ولكنها استزرعت بالغابات الصنوبرية، وعمل الأهالي على تصريـف مياهها الزائدة وإصلاحها، وزرعت بالبنجر، والخضروات، والحبوب، وتربية الحيوان.

٢ ـ *شرق نهر الب :* يمتاز السهل الألماني شرقي ما بين الإلب والأودر، وامتـداده في بولند بوجود آثار العصر الجليدي نحتا وإرسابا. وكان في تقهقره (فترات الـدفء) يقـف وقفات طويلة، تذوب فيها أطرافه الجنوبية. وتكون مجاري مائية شرقية غربية في اتجاهـها، كما كان يرسب فيها ركامات نهائية تتخذ نفس الاتجاه في السهل الألماني البولندي، واتجاهـها شمالية جنوبية في شبه جزيرة جتلند، وهكذا كلما تقهقر الجليد، كلما ترك خطا مـن الركامـات الجليدية، وخطا من المنخفضات التي حفرتها مياه الجليد الذائبة، ومن ثم امتازت مورفولوجيـة هذا السهل بتوالي الانخفاضات والتلال الركامية. ولما كانت الأنهار في هذا الإقليم تنحـدر مـن منابعها في الجنوب حيث مرتفعات أوروبا الوسطي كالهارتز والسوديت والكربات، ومتجهة نحو الشمال، إذ بهذه الركامات الغربية الشرقية تعترضها، فتضطر إلى تغيير اتجاهها ، هكذا الأنـهار الألمانية والبولندية تأخذ انحناءات فجائية من الشرق إلى الغرب موازية للركامـات النهائيـة، ولما كان تقهقر الغطاء الجليدي شمالا على مراحل، تكون عدد من المنخفضات الطويلة تحـاذي خطوط الركامات النهائية وتعرف في ألمانيا باسم الأودية النهرية القديمـة أو Unrstromtaler وظاهرة الركامات النهائية والأودية بينها والتغير الحاد في اتجاه الأنهار من أهم ظاهرات هـذا

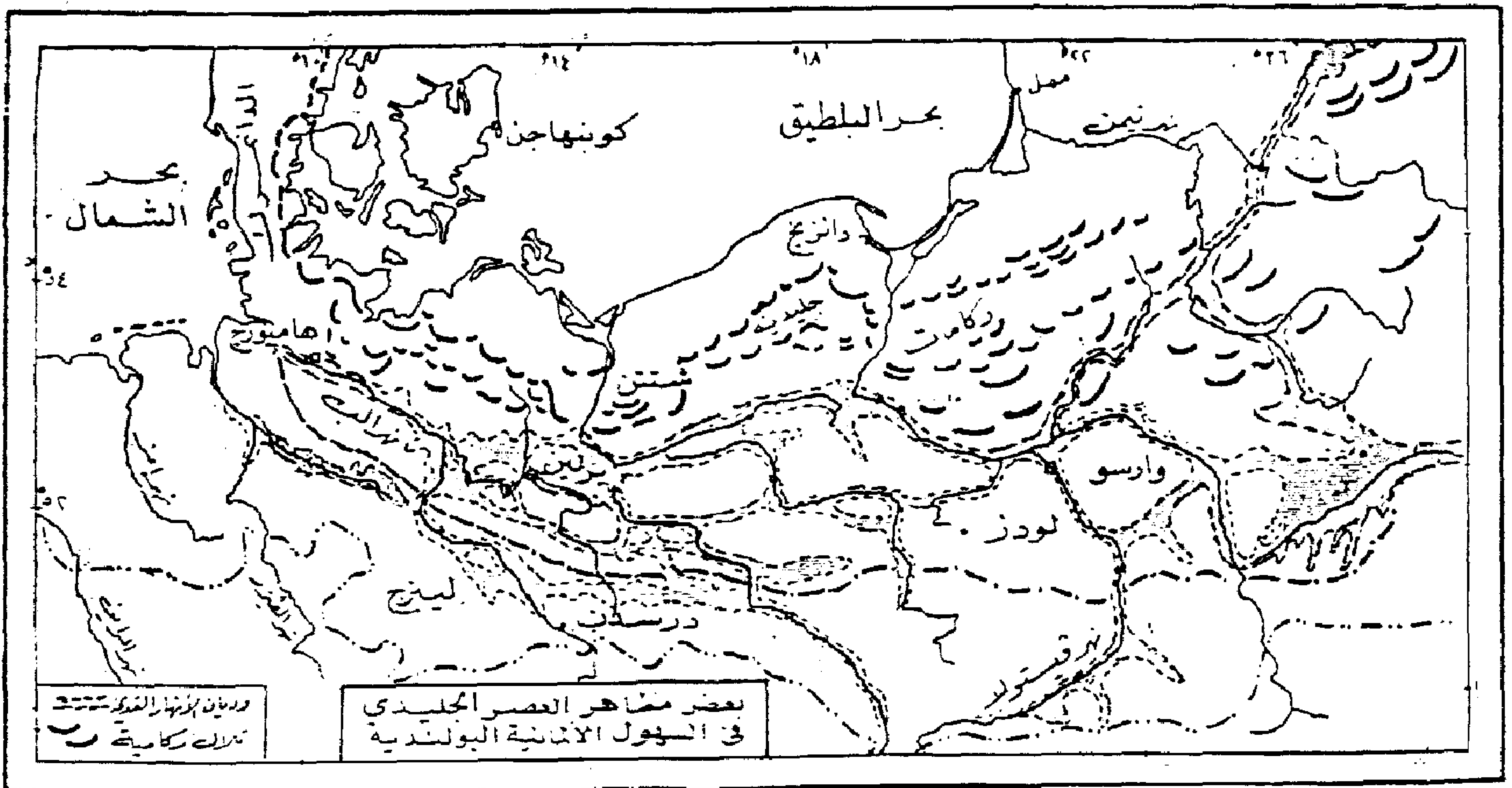
القسم من السهل الشمالي خاصة فيما بين نهري الألب والأودر، إذ يشكل نطاقا عرضه نحو ١٠٠ كم يقع في وسطه مدينة برلين، واستغل الألمان هذه الأودية القديمة، في حفر القنوات المائية التي تربط الأنهار الألمانية.

ثانياً المرتفعات الوسطى : وإذا اتجهنا إلى أقصى جنوب هذا السهل الألماني البولندي نصل إلى المرتفعات الوسطي Mittelgebirge كل الأراضي التي يتراوح ارتفاعها بين ٣٥٠ ـ ١٠٠٠م، والتي تقع بين السهل الألماني البولندي شمالا ومقدمات جبال الألب في الجنوب. وترجع نشأتها الأولي إلى فترة الالتواءات الهرسينية ونحتت بواسطة التعرية وتحولت إلى سهول تحاتية، ثم تعرضت للطغيان البحري أثناء فترات متعاقبة فيما بين أواخر الزمن الأول والزمن الثالث، ومن ثم تراكمت فوقها الإرسابات برية، وحينما بدأت حركات الرفع الألبية وما صاحبها من ضغوط شمالية الاتجاه، أخذت الكتل الهرسينية القديمة في التصدع، إذا أصابها عدد كبير من الفوالق. قطعت الفوالق المنطقة إلى نطاقات منعزلة، دفع بعضها بعضا ورفع التكوينات الصخرية بشدة مكوناً لضهور Horst كتل ضخمة، بينما هبط البعض الآخر مكونا أحواضا وأودية أخدودية. ويمثل هذا النطاق أصدق تمثيل الغابة السوداء على جانبي أخدود وادي الراين شمال بازل، وهضبة بوهيميا، السوديت الشمالية، هذا وقد صحب عمليات الرفع والدفع التي حدثت مع الحركة الألبية نشاط بركاني أعطت مظهرا آخر لجبال بركانية في الإقليم كجبل فوجبل Vogelsberg وجبال الهارتز. ولم تكن المرتفعات الوسطي حاجزا مناخيا، وأن ازداد المطر بازدياد الارتفاع ويستمر سقوط الثلوج شتاء حتى شهر مارس وبذلك يظل الغطاء الثلجي على الأرض فترة طويلة.

ثالثاً مقدمات جبال الألب : The Alpine Forland وهي مقدمات لجبال الألب فعلا. لأننا متجهون نحو جبال الألب السويسرية. وتتراوح ارتفاعها بين ٣٠٠، ١٠٠٠ متر، ومع ذلك فهي أشبه بسهل عريض يبلغ أدنى ارتفاع له ٣٠٠ متر عند التقاء نهري الدانوب وإن In، وهو مقدمة لجبال الألب أيضا لأنه ينتمي في تركيبه الجيولوجي إلى الحركة الألبية، وتغطي الرواسب البركانية من الحصى، والرمال والجلاميد الضخمة. مساحات كبيرة منه، ولما كان القسم الشمالي منه أقل ارتفاعا ومغطي بتربات أدق أصبح صالحا للزراعة، كما أنها غير صالحة للملاحة لعدم انتظام تصريفها المائي. وفي نفس الوقت وتبدأ ظهور القارية كلما اتجهنا شرقا والمعروفه ببردها القارس شتاء، أما بقية الإقليم فتربته غير جيدة. يزرع فيها الشيلم

والشوفان والشعير، وإن تفوقت عليها تربية الحيوان.

رابعاً : سلاسل جبال الألب: تغطي سلاسل الألب الالتوائية في وسـط أوروبـا معظم المساحة التي تقع فيها سويسرا والنمسا ودول لشتنشتين القزمية وتمتد فـي جنـوب غربـي ألمانيا وتمتد السلاسل الألبية بطبيعة الحال خارج أوروبا الوسطي في فرنسا وشـمالي إيطاليـا ويوغسلافيا، ولكننا سنركز هنا على الألب في أوروبا الوسطي، وان تؤجل سلاسـل الكربـات وهي ألبية أيضا عند دراسة بولند ورومانيا.



بعض مظاهر العصر الجليدي في السهول الألمانية البولندية

يمتد قوس جبال الألب الضخم من خليج جنود إلى سهول المجر، بطول يبلغ نحو ٥٠٠ ميل، ويختلف عرضها ما بين ٦٠ إلى ١٥٠ ميلا، وأعلى قممها في الوسط مدينة مـون بـلان ٤٨١٠م، مونت روزا ٤٦٣٨، ولكن هناك أيضا قمم في الشرق تزيد على ٣٠٠٠ متر خاصـة في سويسرا حيث تبلغ قمة برنينا ٣٢٨٧ مترا ، وقد ارتفعت تكوينات جبال الألب مـن قـاع البحر المتوسط القديم (تثيس)، وبلغت أقصى إرتفاعها في عصري الأوليجوسين والميوسـين، على أن حركة الرفع لم تكن مستمرة، بل متقطعة استغرقت نحو مليوني عام، فعلي سبيل المثال جبال البرانس أقدم من جبال الألب. وهذه بدورها أقدم من الألب الدينارية في البلقان، ورغـم أن تاريخ تكوينها لا يقل عن مليون عام، فمازالت غير مستقرة تماما يدل على هذا النشاط الـزلازل والبراكين بين الحين والحين خاصة في قسمها الشرقي. تتكون صخور الألب اللالتوائيـة مـن

الحجر الطفلي والجيري مرتكزة على قاعدة بلورية قديمة، ومع عمليات الضغط المتتالية أدى هذا إلى تحول إلى اردواز، والحجر الجيري إلى رخام، وصخور الأساس البلورية إلى شست ونيس، وقد تعرضت هذه الجبال للتعرية حتى لقد ظهر في بعض الأحيان الكتل القديمة على السطح. وإذا كانت تضاريس الألب هي نتاج بنيتها الجيولوجية، فإن مظهرها يرجع إلى تأثير جليد الزمن الرابع والجليد الحالي، ففي الوقت الحاضر مازالت الثلوج والجليد تتجمعان في أعالي الأودية (نحو + ٢٥٠٠م قدم) في الشمال، + ٣٠٠٠ متر في الوسط) حتى أن هناك ١٤٠٠٠ ميل٢ مغطاة بالثلوج في الوقت الحاضر، ثلثا هذه المساحة في الألب الغربية. أما خلال العصر الجليدي فقد تغطت المنطقة بأكملها بالجليد، إلا أشرطة بسيطة، ولا بد أن بعض قممها كان يعلو فوق مستوى الغطاء الجليدي.. وقد تعمقت الأودية الجليدية بسبب حركة الرفع التي أصابت الإقليم، وأخذ الجليد يحفرها بضغطه وتحركه، فأصبحت منبسطة القاع غير حادة الجوانب وأخذت شكل حرف U، وأظهرت الأودية المعلقة Hanging Valley، هذا فضلا عن كل مظاهر التعرية الجليدية كالركامات بأنواعها وأشكالها المختلفة كظهور الأغنام Roches moutonees والصخور الضالة erratics الكتل المعلقة Perched blocks (صقلها الجليد وأزال نتوءاتها) كما تدين معظم بحيرات الإقليم إلى فعل الجليد، كما في بحيرات سويسرا، وشمالي إيطاليا، حيث حجزت الركامات الجليدية المياه وحولتها إلى بحيرات: جنيف، ونيوشاتل، ولوسرن وكونساتنس، وفي الجنوب بحيرات ماجيوري ولوجانو، وكومو وجاردا، ورغم ارتفاع سلاسل الألب. فلم تكن مانعا للحركة منذ عمر الإنسان أوروبا، فهي تضم كثيرا من الأودية الطولية (الرون — الراين. والإن Enn والايمز Ems وتضم كثيرا من الممرات بعضها أصبح ممرا للسيارات، وبعضها للسكك الحديدية (سان برنار الكبير والصغير)، وبرينر Brenner سمبلون، هذا فضلا عما قام به السكان في سويسرا والنمسا من إقامة شبكات الخطوط الحديدية والمصاعد، والتلفريك الهوائي مما شجع على ازدهار السياحة.

المناخ : يمكن القول بأن السهول الشمالية الألمانية البولندية تمثل فعلا من الناحية المناخية إقليم انتقال بين الظروف البحرية في الغرب والقارية في الشرق، ومثلها المرتفعات الوسطى لأنها ليست شديدة الارتفاع كما ذكرنا، فالفروقات بينهما طفيفة بحيث يمكن اعتبارهما مناخيا إقليما واحدا، وتبدو الظروف البحرية أوضح في شمال غربي ألمانيا، على حين تبدو الظروف القارية في بولند وأجزاء من النمسا، والتشيك والسلوفاك. ولا تظهر فروقات كبيرة في درجات الحرارة (بين السهول الشمالية والمرتفعات الوسطي) أثناء الشتاء والصيف، ذلك أن

وقوع المرتفعات في الجنوب، إذ عوض الارتفاع انخفاض درجة الحرارة، فمتوسط حرارة ينـاير صفر في هامبورج، ــ ٣ْم في وارسو، وبرلين ــ٥ْم، وبينما على الحافة الجنوبية للمرتفعـات الوسطى ــ ٢ْم، في ميونخ، وفي مقدمة جبال الألب ــ ٢,٥ْم. كذلك درجة حرارة الصيف التي تختلف قليلا فهي ١٧ْم في هامبورج، وهي ١٨ْم في برلين ولبيزج، وهي ١٨,٥ْم في وراسو، ١٩ْم في فيينا.

أما عن المطر فهو يقل في السهول الشمالية والمرتفعات الوسطي ومقدمة جبال الألـب كلما اتجهنا شرقا من ٧٠ سم في هامبورج إلى ٥٥ سم في برلين، ٥٢ سم في وارسو، بينمـا يزيد في ميونيخ فيبلغ ٨٥ سم (ارتفاع ٥٥٠م)، ويسقط معظم المطر في الربيع والصيف، أما الشتاء فهو موسم ثلوج، وتساقطها ويكون كثيفا على المرتفعات الوسطي ومقدمة جبال الألـب، وتتجمد مياه الأنهار حوالي ثلاثة أسابيع، وإذا انتقلنا جنوبا إلى مناخ الألب فهو انتقالي أيضـا بين الجنوب والشمال، ففي شمالها مناخ وسط أوروبا، في جنوبها مناخ البحر المتوسط، ومـن ثم نجد سفوحها الجنوبية جافة في الصيف، بينما تحدث قمة التساقط صيفا في شمالها، وكمـا هو الحال في كل السلاسل الجبلية يتباين المناخ كثيراً تبعاً للارتفاع ودرجة التعـرض للريـاح السائدة وللشمس. فالمنحدرات التي تواجه الشمال أكثر برودة من المواجهة للجنوب والمشمسه Somnenseite، والأودية العريضة التي تشتد فيها الحرارة صيفاً تقاسي من بـرودة الشـتاء، وطبيعي أن يكون التساقط فوق المرتفعات أكثر منه فوق السهول المحيطة (مطر تضاريسـي) وهو أيضا أعصاري تحمله الغربيات لكنه على أي حال أقل منه فوق تلال غربي أوروبا. ويقـل في الأودية الداخلية فلا يزيد على ٧٥ سم خصوصاً في أودية سويسرا والنمسا، من ثـم فقـد تحتاج الزراعة إلى الري. وبسبب التباين التضاريسي وبالتالي الحراري بين جبال الألب، وبيـن المنحدرات الجبلية والأودية من أسفلها تظهر رياح محلية. وقد سـبق أن أشـرنا إلـى ريـاح المسترال الباردة التي تتحرك من الألب الفرنسية خلال وادي الرون، يجذبـها نحـو الجنـوب إنخفاضات جوية تتحرك شرقاً على امتداد البحر المتوسط، ومثلها البورا الباردة الجافـة التـي تهب نحو البحر الأدرياتي. أما الفوهن فهي رياح دفيئة جافة تهب في أواخر الشتاء والربيـع، يسببها مرور انخفاض جوي على الجانب الشمالي من الألب. فيهبط الهواء ويتضاغط وترتفـع حرارته وقد ترتفع درجة الحرارة عن معدلها عند هبوط هذه الرياح بنحو ١٥ْم ف ٢٤ سـاعة، وم ثم تذوب الثلوج، فينشأ عن ذلك أحياناً فيضانات وإنهيارات مدمرة. وأن رحب بها السـكان في الربيع لأنها تكشف عن المراعي الألبية، فيتحركون بالماشية إلى أعالي الجبال.

النبات الطبيعي والثلاجات : نظرا لشدة تضرس الإقليم يختلف النبات حسب الارتفاع فتظهر الأشجار النفضية حتى ارتفاع ١٢٠٠ متر، وتليها الأشجار الصنوبرية والدائمة الخضرة، ثم تقل الحياة الشجرية وتظهر الحشائش الألبية التي تنتقل إليها الماشية للرعي في فصل الصيف، ثم تختفي الحياة الشجرية تماما بعد ٣٠٠٠ متر وتصبح الحياة النباتية شبيهة بنظيرتها في إقليم التندرا (الحشائش والزهور الألبية)، أما فوق هذا الارتفاع فهو خط الثلج الدائم، وتغطي الثلاجات هذه المناطق طول العام وإذا ما قورنت هذه بثلاجات العصر الجليدي، لا شك أنها صغيرة للغاية، ولهذه الثلاجات الألبية فوائد عديدة، فبعضها يكون مغذيا كتيارات مائية سريعة صيفا حين يذوب الجليد، فإذا ما وصل إلى منطقة بحيرات أمكن الإنسان أن يقيم عليها السدود لتنظيم تدفق المياه، وبالتالي تخفف من حدة الفيضانات المفاجئة إلى جانب كونها خزانات ومن أكبر هذه البحيرات جنيف، نيوشاتل، لوسرن، زيورخ في سويسرا، وبحيرة كونستانس المقسمة بين سويسرا وألمانيا والنمسا، وما جيوري ولوجانو بين إيطاليا وسويسرا، وكومو وجاردا في شمالي إيطاليا. هذا كما تعمل جبال الألب كمقسم مركزي للمياه بين نظم نهرية عديدة تنحدر في الاتجاهات الأربع الراين إلى بحر الشمال، وروافد الدانوب التيمز كلها تنبع من جبال الألب، وتغذى السفوح الجنوبية للألب نهر البو وغيره من الأنهار التي تنتهي في بحر الأدرياتيك، وأخيراً نهر الرون الذي تقع منابعه قرب منابع الراين، ثم تتدفق غرباً فجنوباً لتنتهي في البحر المتوسط.

الفصـــل الثانـــي

ألمـــانيـــــــا

" حيث توجد كنيسة يوجد كاهن، وحيث توجد آلة يوجد ألماني "

مثل روسي

وطن الألمان : لم يتحد الألمان في إمبراطورية واحدة إلا منـــذ عـــام ١٨٧١، وهـــم يعتبرون أن وطنهم يجب أن يضم جميع الذين يتكلمون الألمانية، ومع ذلك فقد صادف تطبيـــق هذا المفهوم صعوبات متعددة. فالقوميات الألمانية جزء كبيرمن مدنها مبعثرا نظرا لعدم وجـــود الحواجز الطبيعية التي تفصل القوميات بعضها عن بعض من ناحية، ولأن ألمانيا تقع في وسـط أوروبا من ناحية أخرى، من ثم كان هذا الإقليم هو أرض الصراعات بين موجـــات الســـلاف، وموجات الجرمان، أي أرض نزال. وهذا ما سببه تأخير الوحدة الألمانية حتى عام ١٨٧١ حين اتحدت الدويلات الألمانية (باستثناء النمسا) وأصبح هناك الرايخ (دولـــة أو إمبراطوريـــة) الألماني، وعاصمتها برلين، وبالتالي تأخر استفادتها مـــن الانقـــلاب الصنـــاعي، ومـــع ذلـــك استطاعت بسرعة أن تلحق بالركب الصناعي، بل أظهرت تفوقا هائلا فيـــه، وأصبحـــت إحـــدى الأقطاب الأوروبية، تبحث عن المستعمرات، بل أن المؤتمر الذي دعي لتقسيم إفريقية بين الدول الأوروبية عقد في برلين (١٨٨٤ / ١٨٨٥)، واستطاعت أن تحظى لها بنصيب كبير، ومـــع التقدم الصناعي والزيادة السكانية لم يبق أمامها قوة يعمل حسابها في أوروبا سوى بريطانيـــا، وفي نفس الوقت تبسط هذه الأخيرة يدها على مساحات واسعة، فكان لابد أن ينشأ صراع بيـــن القوتين العظميين في تلك الفترة. وقامت الحرب الأولـــى ١٩١٤/١٩١٨ وانتـــهت بهزيمتـــها، وفقدت مستعمراتها، وألحق إقليم اللورين (الحديد) بفرنسا. وضمت بولنـــد بعـــض أجزائـــها الشرقية، وكذلك تشيكوسلوفاكيا التي اقتطعت جزء من جنوبي ألمانيا، وفي نفس الوقت تحطمت إمبراطورية النمسا والمجر (حليفة ألمانيا) وأصبحت مقصورة على مساحتها الحالية، وفـرض على ألمانيا نزع السلاح، وفرضت عليها عقوبات وتعويضات جسيمة، أي تم إذلالها، وذلك فـــي معاهدة فرساي، وشعرت ألمانيا بالإهانة من شروط معاهدة فرساي، ونشطت ألمانيا في تجنيـــد رجالها وتسليحهم، وبدأت بوادر الحرب العالمية الثانية عـــام ١٩٣٦، أي قبـــل قيـــام الحـــرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩، ذلك أن الجيوش الألمانية قامت باجتياح إقليم الراين، ثـــم ضمـــت

النمسا عام ١٩٣٨، وضمت إقليم السوديت من تشيكوسلوفاكيا، واتجه الألمان شرقا واحتلوا بولند، فكان أن تصدت لها بريطانيا وفرنسا وقامت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩/١٩٤٥) وانتهت الحرب بهزيمة ألمانيا.

دخلت قوات الاحتلال الأربع ألمانيا في نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥. الفرنسية، والأمريكية، والبريطانية، والروسية، واحتلت كل قوة منطقة خاصة بها، وكان الروس قادمين من الشرق وبالتالي كان لهم القسم الشرقي (ألمانيا الشرقية فيما بعد) ورغم احتلال الروس لبرلين فقد اتفق الحلفاء على تقسيم برلين إلى قسمين الروس ولهم القسم الشرقي، على حين كان القسم الغربي من نصيب الحلفاء، وأعلن السوفيت قيام جمهورية ألمانيا الشرقية وعاصمتها برلين الشرقية عام ١٩٤٩، كما أعلن الحلفاء استقلال جمهورية ألمانيا الاتحادية (الغربية) عام ١٩٥٤ وعاصمتها بون، سار الحد السياسي الفاصل بينهما في معظمه مع نهر إلب.

الوحدة الألمانية : امتد خط قاطع بين غربي وشرقي أوروبا، مارا ألمانيا لمدة ٤٥ عاما (١٩٥٤ ــ ١٩٨٩) ، وكان هذا الخط ليس نظريا مجرد خطا على الخريطة ولكن كان على الطبيعة بطول ١٣٨١ كم عبارة عن حقول ألغام، وأسلاك مكهربة، وحصون على جانبي الخط بين ألمانيا الغربية أو جمهورية ألمانيا الفيدرالية، وهي غنية، وعضو في حلف الأطلنطي وعاصمتها بون. وألمانيا الشرقية أو ألمانيا الديمقراطية وعاصمتها برلين الشرقية. وكانت طوال فترة الحرب الباردة حليف للاتحاد السوفيتي. ولكن هذا الخط الاصطناعي الذي رسم بعد الحرب العالمية الثانية أصبح يفصل بين العائلات الألمانية، وبين أفراد شعب واحد. وثقافة واحدة، وتاريخ واحد، وكانت نهاية هذا الفاصل عام ١٩٨٩، ١٩٩٠، ففي خريطة عام ١٩٨٩ أزيح هذا الخط، وبدأت جموع الألمان ترقص في الشوارع إبتهاجا بهدم السور الذي يفصل برلين الغربية عن الشرقية، وفي منتصف ١٩٩٠ بدأ توحيد اقتصاد الدولتين والتعامل بعملة واحدة، وتبع ذلك الوحدة السياسية في ٣ أكتوبر ١٩٩٠، فكانت هذه أشبه بثورة تعد من الأحداث الهامة التي شهدها تاريخ أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية، وأتت نهاية الحرب الباردة بمشكلات جديدة، فالوحدة الألمانية كانت تكاليفها الاقتصادية أكبر من التقديرات التي أعدت لها سابقا. وبدأت بعض القطاعات الألمانية في ألمانيا الغربية سابقاً تستاء مما يدفع نظير احياء ألمانيا ما قبل الحرب الثانية.

الألمان والمهاجرون : بلغ عدد سكان ألمانيا عام ٢٠٠٣ نحو ٨٢,٥ مليون نسمة معظمهم في القسم الغربي (ألمانيا الغربية) ٦٦,٥ مليونا ولا ينتظر زيادتهم في المستقبل القريب، بل العكس هو الصحيح. فتقديرات قسم السكان بالأمم المتحدة تعطيهم ٨٠ مليون نسمة عام ٢٠١٥ أي نمو سلبي، وبالتالي فهي نموذج النقص السكاني، ذلك أن قاعدتها السكانية (حتى ١٤ سنة) ضيقة، فهي لا تعدو ١٥,٥% من السكان، كما تظهر فيها الشيخوخة، فالذين يزيد عمرهم على ٦٥ سنة يمثلون ١٦,٧% أي أكبر من القاعدة والتي من المفروض أن تكون منتجة في الجيل القادم، من ثم كانت معالجة هذه المشكلة بالترحيب بهجرة العمالة إليها، وقد بلغ عدد الأجانب أكثر من ٧ مليون نسمة عام ٢٠٠٠ أو نحو ٩% من مجموع السكان، وكما يمثلون ٩% من القوى العاملة. وتاريخ ألمانيا في إستقبال المهاجرين حافل منذ أوائل الستينيات، فقد واجهت ألمانيا مشكلة ضاغطة تمثلت في احتياجها العاجل لنحو نصف مليون عامل أجنبي عام ١٩٦١، وتطلعت ألمانيا إلى خارج الحدود وشجعتهم، فجاءتها الهجرات من دول الجنوب الأوروبي (حيث مستوى المعيشة أكثر انخفاضا) كاليونان، وإيطاليا، وأسبانيا، وأيضا تركيا، بل لقد وقعت ألمانيا عقدا مع الحكومة التركية في ذلك العام بالسماح لها بإقامة مراكز في المدن التركية للتعاقد مع الأيدي العاملة التركية. ونظرا لتخوف الألمان أن تتحول الهجرة إلى إقامة دائمة، فضلا عن اختلاطهم وانصهارهم في المجتمع الألماني ليس واردا، فقد أطلق عليهم الضيوف، غير أن غالبية الضيوف لم يعودوا إلى بلادهم الأصلية، وعاشوا هم وأسرهم في ألمانيا وغالبيتهم من الأتراك (٤ مليون تركي، و٧٥٠ ألف يوغسلاف، و٦٠٠ ألف إيطالي ٣٦٥ ألف يوناني) وحاجة الألمان ليست في أي أيدي عاملة بل إلى خبراء أي عمالة متخصصة في قطاعات المعلومات، والصناعات التكنولوجية، والإلكترونية بصفة عامة، فهم في أشد الحاجة إلى المهندسين في هذه القطاعات، وإلا ستتخلف في السباق التكنولوجي العالمي، وقدرت احتياجاتها بنحو ٣٠٠ ألف من هؤلاء الخبراء يدخلون على دفعات (*) وإن كان هناك اعتراض من جانب نقابات العمال.

توزيع السكان : يمكن أن نميز بادي ذي بدء بأن القسم الغربي من ألمانيا يضم معظم السكان إذ يبلغون ٦٦,٥ مليونا أي ٨٢%، ويرجع هذا في البداية إلى الغرب أن الألماني أكثر تصنيعا من القسم الشرقي، وإذا استثنينا المدن نجد أن الأقاليم الصناعية أكثرها كثافة، وفي مساحة ٣٥٧ ألف كم٢ وبسكان نحو ٨٢,٥ مليونا تصبح كثافة السكان في ألمانيا

(*) من تصريح للرئيس الألماني شرويدر عام ٢٠٠٠

٢٣٠ نسمة / كم٢ وبطبيعة الحال تكون أشدها كثافة في إقليم الروهر ، الراين فـــي مقاطعـــة الراين / وستفالية في الغرب، ومقاطعة بادن / فورتمبرج في الجنوب الغربي، وفي الشرق نجـد مقاطعتي براندنبرج وسكسونيا، تزيد الكثافة على الألف نسمة للكم٢، أما فـــي داخـــل المـــدن الصناعية فهي تزيد على خمسة آلاف لكم٢، أما أقل جهات ألمانيا كثافة ففي أقصـــى الشـــمال الزراعي، وأقصى الجنوب المرتفع إذا لم توجد ثروة معدنية أو مراكز صناعية.

والألمان حضريون أكثر منهم ريفيين ٨٧% ، ١٣% على الترتيب، وهذا شئ طبيعـــي في دولة صناعية بل أن المرجح أن نسبة الحضر سترتفع إلى ٩٣% عام ٢٠١٠، وتصبح بذلك أكثر الأقطار الأوروبية حضرية.

وجـــــه ألمانيـــــــا

يمكن تقسيم ألمانيا تضاريسيا إلى أربع أقسام هي

١ ـ السهول الشمالية.	٢ ـ المرتفعات الوسطى.
٣ ـ مقدمات جبال الألب Foreland.	٤ ـ جبال الألب الألمانية.

أولاً : السهول الشمالية: وتبدأ من السهول الساحلية ويحدها جنوبا خط متعرج يمتـــد من كولوني إلى دسلدروف ودرتموند، وهانوفر، ومجدبورج حتى ويتنبرج في أقصى الشـــرق، وهذه السهول الشمالية هي جزء من السهل الأوروبي العظيم، مموجة السطح، تنحدر إنحـــدارا تدريجيا نحو البحر، ولا يزيد ارتفاع اليابس فيها على ٢٥٠ مترا، وتبلغ أدنى اتساع لها غـــرب نهر إلب حيث لا يزيد اتساع السهل على ١٢٠ كم، وتبدأ هذه السهول محاذية للبحـــر، شـــديدة التسطيح مزركشة بالبحيرات والمستنقعات. استصلح كثير منها على النظام الهولندي، وكـــانت أغلبها مراعي غير أنه بعد استصلاحها تحولت إلى زراعة البنجر والخضروات وتربية الحيوان.

إذا تركنا السهول الساحلية تمتد السهول الداخلية مرتفعة قليلا عن نظيرتها الساحلية. وأرضها غير خصبة Bad Land وكانت تغطيها الحشائش الخشنة، ولكن غرســـت فيـــها الآن الغابات الصنوبرية، وفي شرق نهر إلب تمتد هذه السهول ولكن الصفة الغالبة عليها هي ظهور آثار العصر الجليدي نحتا وإرسابا، وبينما تكثر الكثبان الرملية على الساحل والبحيرات الضحلة المتقطعة والمعروفة باسم Haff فقد عملت الركامات النهائية في الداخل على ظهور التلال التي تفصل بينها مجاري الأنهار الجليدية القديمة. والتي أصبحت جافة في الوقت الحاضر، ويندر أن

تسمو في ارتفاعها على ١٧٠م، من ثم كان شكل السطح عبارة تلال ركامية، ووديان متعاقبـــة، واستغل الألمان هذه الوديان الممتدة من الغرب إلى الشرق في مد القنوات بين الأنـــهار، كمـــا عملت التلال على انحراف الأنهار الآتية من الجنوب نحو الغرب قليلا قبل وصولها إلى البحـــر، وتظهر أيضا في هذه السهول اللبد النباتي الذي مازال استخدمه لدى القرويين كوقود أو كفرشة في حظائر الماشية.

ويقوم السكان بتربية الماشية وزراعة البطاطس والحبوب بعـــد اســـتصلاح الأرض. ولما كانت التربة السائدة في هذه السهول هي التربة الرمليـــة الحصويـــة (بقايـــا الركامـــات الجليدية) وكان هناك غسل دائم لها، تحولت إلى تربة بودسول غير ملائمة للنشاط الزراعي إلا حيث يتم استصلاحها، خاصة وأن الثلج يجثم فوق سطح الأرض لمدة شهرين على الأقل، مـــع أمطار غزيرة قد تبلغ ٨٠ سم، من ثم غطت الغابات المخروطية مساحات واسعة، ومـــع ذلـــك فالألمان لم يتركوا الأرض على حالها، بل ساعد الاهتمام والتقدم العلمي على إستغلالها جيدا في تربية الماشية بقرا وخيولا وأغناما، وزراعة البطاطس والشعير والشيلم والشوفان، كما احتوت الصخور الرسوبية على مكامن للحديد والفحم والبوتاس والبترول. وتعتبر المنطقـــة الانتقاليـــة بين السهول التي سبق ذكرها في الشمال والمرتفعات الجنوبية (الوسطي بالنسبة لأوروبا) أي هامش هذه المرتفعات، من أهم جهات ألمانيا زراعيا، ذلك أنه لا تظهر فيها ركامـــات جليديـــة، وإنما تربة اللويس الخصبة بلونها الأسمر أو البني الداكن فوق الصخور الجيرية، من ثم ترتفع فيها نسبة الأرض الزراعية، ويتكاثف السكان، لزراعة القمح وبنجر السكر، والشعير فضلا عن تربية أبقار اللبن واللحوم.

ثانيا : المرتفعات الوسطي : تنتمي إلى الحركة الهرسينية، وهي عبارة عن هضـــاب هرسينيه متقطعة ذات حافات حادة، تفصل بينها وديان وسهول خصبة، وتبلغ أعلى قمـــم هـــذه الهضاب نحو ٨٠٠ متر في تاونوس Taunus (غرب فرانكفورت) وتمثلها أيضا كتلة جبـــال هارز Harz شرق هضبة ثورنجيا ثم مرتفعات الارز Erz في الجنوب والجنوب الشرقي والتـــي تمثل الهوامش الشمالية لكتلة بوهيميا، هذا كما تكثر الخوانق التي تعبرها الأنهار كخانق نـــهر إلب عبر الحدود التشيكية الألمانية وخانق الراين بين جبال الغابة السوداء في ألمانيا، والفـــوج في فرنسا، ومازال كثير من هذه الهضاب معظمها مغطي بالغابات الصنوبرية، وفـــي الوديـــان الواقعة بين الهضاب تعمل التربة الرسوبية من اللويس، إلى جانب حماية الجبال لها من الرياح

الباردة على أن تكون مواطن صالحة للاستيطان البشري والزراعة، كما أدت الحركات الأرضية والتي شكلت هذه الهضاب والأحواض، إلى ظهور كثير من الينابيع المعدنية مثل فيسبادن عند حضيض جبل تاونوس، كما سمحت الوديان التي تتجه إلى الشرق والغرب لأن تكون ممرات جيدة لطرق النقل كما هو الحال في نهر الماين المتجه إلى نهر الراين، وتعتبر هذه الهضاب بغاباتها ووديانها والأحواض الفاصلة بينها. فضلا عن ينابيع المياه المعدنية إقليم جاذبا للسائحين، وخاصة غابات هضاب ثورنجيا.

ثالثا : مقدمات جبال الألب : وتقع بين المرتفعات الوسطي وجبال الألب الألمانية في الجنوب، وهي بذلك امتداد لمقدمات جبال الألب في سويسرا والنمسا، وهي عبارة عن هضاب متموجة من الحجر الرملي وبطبيعة الحال ترتفع بالاتجاه نحو جبال الألب، فهي في الشمال تبلغ ٣٠٠ متر، على حين أنها في الجنوب قد تبلغ ٩٠٠ متر، وتعلو هذه الهضاب القليلة الارتفاع الركامات الجليدية، من ثم تختلط التكوينات الرملية والحصوية، وفي وسطها تظهر البحيرات ومستنقعات اللبد النباتي، وفي جنوب الإقليم تمتد بحيرة كنستانس الشهيرة باستطالة بين جبال الألب والركامات النهائية، وتتقاسمها عدة دول هي ألمانيا، وسويسرا، والنمسا، ويحيط بشواطئها الحدائق والبساتين، وحولها أيضاً بقايا من العصور الحجرية، من ثم كانت مزارا للسائحين، وتربة الإقليم بوجه عام فقيرة ومناخها بارد ورطب من ثم فالمحاصيل التي تنمو هنا هي التي تتحمل قسوة المناخ وفقر التربة كالشعير والشيلم والشوفان، فضلا عن الحشائش التي ترعاها الماشية، والغابات في الأراضي غير المستغلة.

رابعاً : جبال الألب الألمانية : هي جزء من النظام الألبي الذي يمتد في وسط أوروبا وجنوبيها، وهنا تقع أعلي القمم الجبلية في ألمانيا، وهي قمة شبتسي التي تقترب من ٣٠٠٠ متر ارتفاعا، ولا تخلو هذه الجبال من الأودية وبالتالي كان التنوع التضاريسي وغطاؤها الجليدي، وغاباتها المخروطية سببا في جذب هواة التزلق على الجليد.

المناخ : مناخ ألمانيا انتقالي، يزداد قارية بالاتجاه نحو الشرق والجنوب بين مناخ أوروبا الغربية المحيطي التأثير ومناخ روسيا القاري، من ثم تتجاذبه تيارات هوائية مختلفة شبه المداري من الجنوب. والمحيطية الدفيئة من الغرب، والقطبية الباردة من سيبيريا، فدرجة حرارة هانوفر ــ ٦ْم في يناير ١٨ْم في يوليه، على حين انها في ميونيخ في الجنوب ٢ر٢م . ١٧ْم ، وفي برلين (الشرق) ــ ٥رم . ١٩م على الترتيب، بصورة عامة يمكن القول بأن

الشتاء طويل تنخفض فيه درجة الحرارة إلى ما دون التجمد خلال ٧٥ يوما في برلين، ويسقط المطر معظمه صيفا والثلوج شتاء. ومع ذلك تعمل التضاريس على خلق اختلافات إقليمية كبيرة، مثل زيادة المدى الحراري السنوي في الوديان والأحواض، وغزارة الأمطار على المرتفعات، فهي تزيد على ٨٠ سم على المرتفعات الهرسينية الألبية، من ثم كانت هذه الغابات مخروطية في غالبيتها، وكانت غالبية هذه المرتفعات تحمل لفظ فالد Wald أي غابة مثل شفارزفالد أي الغابة السوداء، ثورنجفالد أي غابة ثورنحيا.

النبات : تغطي الغابات نحو ٢٩% من جملة مساحة أراضي ألمانيا الحالية بشطريها، وقد كانت الغابات أكثر انتشاراً، ولكن حدثت تغيرات في الأنواع أيضا، فبينما كانت الأنواع العريضة الأوراق هي السائدة (النفضية)، فأن القطع والإزالة التي تمت على مراحل بسبب الضغط السكاني، ابتداء من القرن التاسع عشر من أجل التصنيع وتصدير الأخشاب غير هذه الصورة. وقد صاحب ذلك تدخل الإنسان في إعادة التشجير حسب الحاجة إلى نوع معين من الأشجار. ومن ثم تغيرت معالم البيئة النباتية الطبيعية. فبعد أن كانت الأشجار العريضة الأوراق النفضية كالبلوط والزان تسود أرض ألمانيا، استزرع الإنسان الأشجار الصنوبرية حتى أصبحت نسبة الغابات الصنوبرية إلى النفضية ٧٠% ، ٣٠% على التوالي، وتولي الدولة أهمية كبيرة للحفاظ على الغابات نظراً للخطورة الناجمة من انزلاق التربة والتعرية، فضلا عن التلوث الناتج عن الأمطار الحمضية والتي هي بدورها تبعث في الهواء بأكسيد الكبريت الذي تنفثه المصانع التي تستخدم الفحم كوقود.

الاقتصاد الألماني

صحوة الاقتصاد الألماني بعد الحرب العالمية الثانية : كان الاقتصاد الألماني قد دمر تماما مع نهاية الحرب العالمية الثانية، وتحولت ألمانيا إلى خرائب من سيل القذائف التي أصابتها مدنا ومصانع، كما كان الاقتصاد النازي قد امتص كل الموارد لآلة الحرب، ونكاد أن نقول بأن الحياة الاقتصادية أصابها شلل تام، وفي عملية استعادة العافية سلك كل قسم من ألمانيا مسلكا مختلفا، فألمانيا الشرقية (تحت النفوذ السوفيتي) لم يكن لديها من الموارد الضخمة التي تتمتع بها ألمانيا الغربية خاصة إقليم الروهر. لم يكن لديها موارد سوى الأرض الزراعية، والبوتاس، والفحم الأسمر. كما أن السوفيت نقلوا المصانع التي بقيت أو حتى بقاياها إلى بلادهم كتعويض عن الأضرار التي لحقت بهم على أيدي الألمان. وواجهت ألمانيا الشرقية

المستقبل بمصانع محطمة وإنتاج زراعي لا يكفي السكان، وليس لديها شئ تدخل به في التجارة الدولية للحصول على الخامات اللازمة لها، ثم كان تأميم الاقتصـــاد علـــى النظـــام الســـوفيتي ومشاكله، مما أدي إلى هروب الفنيين المهرة إلى ألمانيا الغربية والتي اعتبرت عصب الإنتـــاج الصناعي، ولم تتوقف الهجرة من ألمانيا الشرقية إلى الغربية بصورة فعالة إلا بعد بناء ســـور برلين عام ١٩٦١، ثم كان التخطيط المركزي والإدارة وما صحبها من سوءات، رغم ذلك إذا ما قورنت ببقية الدول الشيوعية الأخرى كانت ألمانيا الشرقية أسعد حالا منذ حصلت على اعتراف دولي بأجهزتها الطبية الخاصة بالعيون، أما غير ذلك من منتجاتها قد كانت أقل جودة بكثير من إنتاج ألمانيا الغربية، سواء في صناعة السيارات أو الدواء، الأجهزة المنزلية، ولعب الأطفـــال والآلات الموسيقية. وكانت صادرتها تتجه في معظمها إلى دول أوروبا الشرقية، وبعض الـــدول الآسيوية والأفريقية وكانت ألمانيا الشـــرقية لديـــها صناعـــات كيماويـــة، منتجـــة للبلاســـتيك والمنسوجات والأسمدة، وكلها كانت مرتبطة بشدة بالاتحاد السوفيتي بخط أنابيب بترول طولــــه ما يزيد على ٤ آلاف كم لتأمين حاجاتها من روسيا. وكانت الملكيات الزراعيـــة الكبـــيرة هـــي السائدة، وعندما استولي السوفييت عام ١٩٤٥ على البلاد ظهر برنامج جديد بمقتضـــاه أعيـــد توزيع الملكية فتفتت إلى قطع صغيرة، ولم تكن ناجحة كما كان متوقعا. كما كان هناك نقص في الأيدي العاملة لأن الكثير قد هاجر إلى المدن. وفي عام ١٩٥٢ كانت هنـــاك محاولـــة تجميـــع الملكيات المفتتة في تعاونيات ولم تتجمع أيضا، ثم كانت هناك المزارع الجماعية عام ١٩٦٠.

قفزت ألمانيا الغربية قفزات واسعة في الميدان الاقتصادي حتى أطلق عليـــها معجـــزة اقتصادية على عكس ألمانيا الشرقية uirtechafts wunder، وبطبيعة الحال كان جـــزء مـــن الأعجوبة يرجع إلى المعونات التي تلقتها في ظل برنامج إعادة تأهيل أوروبا منذ ١٩٤٨ حتـــى ١٩٥٢، إذ دفع البرنامج ما مقداره ٣,٥ مليار دولار لألمانيا، واستخدم المبلغ بحكمـــه : فـــي الآلات الحديثة، وإعادة تشغيل المؤسسات الصناعية، بحيث مكنت ألمانيا من إنتاج مجموعة من السلع ذات جودة عالية، وبأسعار منافسة في السوق العالمي. وهكذا تجمعـــت مجموعـــة مـــن العوامل مع بعضها لتصبح ألمانيا الغربية دولة غنية، فعلى ســـبيل المثـــال، لـــم تكـــن هنـــاك مصروفات عسكرية بعد الحرب مباشرة، وبعد أن أصبحت عضوا في منظمة شـــمال الأطلنطـــي عام ١٩٥٥، كانت قوات الحلفاء هي التي تمثل القوة الدفاعية، ويزيد على هذا أن نحـــو ربـــع المساكن كانت قد دمرت مما يقتضي معه الحاجة إلى مساكن جديدة. كما أن عدم وجـــود ســـلع استهلاكية لفترة طويلة أدي إلى خلق سوق ممتازة للإنتاج الصناعي. هذا فضلا عـــن الطلـــب

العالمي على السلع الألمانية الذي اخذ يزداد نتيجة لسمعة ألمانيا الصناعيـــة، مـــن ثـــم بـــدأت تتضاعف الصادرات الألمانية، مرة بعد مرة خاصة أنها أصبحت عضوا في السوق الأوروبيـــة المشتركة حينئذ (الآن الاتحاد الأوروبي) وعدم وجود حواجز جمركية بين الدول الست. وقبـل بناء سور برلين كان هجرة العمالة الماهرة من ألمانيا الشرقية، فضلا عن مهاجرين مـــن دول أخرى لارتفاع الأجور، فكان هذا معناه وفرة في المهارات، وعلى العكس كانت ألمانيا الشـرقية التي هربت منها هذه المهارات.

الزراعة : يعمل ١٣% من الألمان في الزراعة ولا تشكل الزراعة ســـوى ١% مـــن الناتج المحلي الإجمالي، ولكن ليس معنى هذا أنها متدهورة، ولكن يرجع هذا إلى ارتفاع نصيب قطاع الصناعة والخدمات في الاقتصاد الألماني. وهناك ملاحظتان أساســيتان عـــن الزراعـــة، أولهما النسبة المرتفعة من الأرض المزروعة نحو ٦٥% وثانيهما الإنتاجية العالية للمزرعـــة، فهذان العاملان جعلا ألمانيا تقترب من الاكتفاء الذاتي (٨٠%) ولعل العوامل الأخرى المتمثلـــة في تنوع البيئات الألمانية تضاريسا مناخا، وتربة، وتوزيع السكان، فهناك تنوع فـــي الحـــرارة والمطر، ورغم أن نسبة الأراضي الجيدة قليلة، فإن الممارسات الزراعية الممتـــازة، والحفـــاظ على التربة، واستخدام الأسمدة يعوض فقر التربة بحيث أصبح إنتاجها عاليا. فالمزارع الألماني فلاح ممتاز، استخدامه جيد للأسمدة، والدورة الزراعية، والآلات الحديثة، مما أدي إلى زيـــادة إنتاجية الأرض، ومحاصيل ألمانيا الرئيســـية هـــي القمـــح والشـــعير والشـــيلم، والشـــوفان، والبطاطس، وبنجر السكر، فضلا عن تربية الماشية، الأغنام، والخنـــازير والخيـــل والدجـــاج، وتصنيع منتجات الألبان، وهذه بصفة خاصة مسئولة بدرجة كبيرة عن زيادة دخـــل المـــزارع، ورغم تشجيع الحكومة للمزارعين. فعلى ألمانيا أن تستورد نحو ٢٥% من غذائها. وكان هنـــك هجر للمزارعين للريف منذ مدة طويلة إلى الصناعة وحياة المدن حتى تضاءل عدد من يعملـون بالزراعة، مما أدي إلى قيام الحكومة الألمانية بتشجيعهم على عدم ترك الأرض مستخدمة فـــي ذلك وسائل مختلفة، ومنها نقل بعض الصناعات إلى الريف بحيث يمكن للمزارع وأسرته العمـل بها لجزء من الوقت، مما أدي في النهاية إلى أن الريفيين المتفرغين للزراعة بالكـــامل تمامـــا أصبحت نسبتهم ضئيلة، ولكن مع استخدام وسائل الزراعة الحديثة والعناية بالأرض لم ينخفض الإنتاج الزراعي، رغم أن معظم الملكيات الزراعة صغيرة بمتوسط يقرب من ٢٠ فدانا ويعمـــل فيها أصحابها.

وتعتبر ألمانيا من الدول الرئيسية في إنتاج محاصيل الخبز، ويأتي في مقدمتها القمح، والشيلم، والشوفان، والشعير، فضلا عن البطاطس، ويزرع القمح (الأول في المساحة ٦ مليون فدان) بوجه خاص في تربة اللويس التي تمتد على طول حضيض المرتفعات الوسطي، ويجود هناك لخصوبة التربة، فضلا عن ارتفاع الحرارة صيفا مما يسمح بنضجه، أما الشيلم الذي يستخدم في صناعة الخبز الأسمر فهو يجود في التربات الأقل جودة على سواحل بحر البلطيق وبحر الشمال، وفي هذا النطاق أيضا يزرع معه الشوفان ٥١ مليون فدان، ويستخدمان إلى جانب صناعة الخبز كغذاء أحيانا للحيوان، وتنتشر زراعة البطاطس (٩٠٠ ألف فدان) في جميع أرجاء ألمانيا كغذاء للإنسان وكعلف للحيوان، فضلا عن دخولها في صناعة النشا والكحول. فكما تزرع في الشمال، تدخل ضمن الدورة الزراعية للقمح في الجنوب. وتنتشر زراعة بنجر السكر للحصول على السكر (١ مليون ونصف المليون فدان) وما يتبقى فهو علف جيد للحيوان. أما الخضروات فقد انتشرت وبصورة خاصة في ضواحي المدن للطلب الشديد عليها، وذلك بفضل استخدام الصوبات. وهناك بعض المحاصيل الصناعية تتمثل في الكتان وحشيشة الدينار Hops، أما مزارع الكروم فهناك أودية الراين، ونيكر، والمين لصناعة الخمور، كما تنتشر أشجار التفاح والكرز حتى على جانبي الطرق. وتمارس الزراعة المختلطة في جميع المزارع الألمانية عادة، وذلك لزيادة الطلب من سكان المدن على المنتجات الحيوانية من لحوم وألبان وبيض، حتى أصبح إنتاجها يكفي الحاجة المحلية ويسمح بالتصدير. ونتيجة هذا الاهتمام بالثروة الحيوانية كان هناك اهتمام بزراعة نباتات العلف إلى جانب المنتج الجانبي من المحاصيل الأخرى. كما ساعد على سهولة تربية الحيوان الخضرة الدائمة نتيجة المناخ البحري خاصة في شمالي ووسط البلاد، ولذلك تضخمت ثروتها الحيوانية، وأكبرها الأبقار (١٦مليون) والأغنام (٥ مليون) والخنازير (٣ مليون) والدجاج (١٠٣ مليون).

وتتركز *حرفة صيد الأسماك* في الموانئ الشمالية بصفة خاصة، وللألمان ٤٩ سفينة محيطية تجوب بحر الشمال والأطلنطي الشمالي، وخاصة بالقرب من أيسلند، كما تجوب السواحل والمياه القريبة ٢٣٠٧ سفينة صيد متوسطة وصغيرة الحجم وتأتي هذه وتلك بمحصول يبلغ ١٢٠ ألف طن، ثلثها من بحر الشمال، وتكون الرنجة غالبية الأنواع، وان كان معها البكالاة، والسول Sole، ويعتبر ميناء بريمرهافن Bremerhaven من أكبر موانئ الصيد الأوروبية حركة وإزدحاما. ذلك أن ساحلها المطل على بحر الشمال. رغم قصره (١٦٠ كم) فله أهميته الكبرى لأنه يتصل مباشرة بالمحيط. ولا يعرف الثلوج إلا قليلا وتقع عليه أهم

موانئ ألمانيا ممثلة في هامبورج وبريمن. وفي أقصى الشرق تشاركهم لوبك Lubeck المطلة على البلطيق في هذا الصيد وإن بدرجة أقل.

الصناعة : ألمانيا من أكبر الدول الصناعية في أوروبا، وشهرتها في بعض الصناعات عالمية وتسهم الصناعة بنحو ثلث الناتج المحلي. وقد حققت فيها معجزة كما ذكرنا بعد الحرب العالمية الثانية وقد ذكرنا أنه رغم أنها دخلت إلى ميدان الثورة الصناعية بعد بريطانيا، فسرعان ما تقدمت بخطى سريعة لتلحق بمن سبق. بل وتسبق الذي تقدم عليها، وقد كان تأخرها النسبي في دخول هذا الميدان ميزة لها، ذلك أن التقدم الصناعي أتاها بعد ظهور أول خط حديدي بين عامي ١٨٣٠. ١٨٤٠، ومع التوسع في الخطوط الحديدية كان هناك انتشار للمراكز الصناعية في أنحاء البلاد بدلا من التركز الشديد حول مناطق المواد الخام والمجاري المائية، ولا يقتصر إسهام ألمانيا في ميدان الصناعة على ما يقوم بداخلها من صناعات، بل أصبح الطلب على الخبراء الألمان في الإسهام في إقامة المشروعات الصناعية خارجها، حتى من الدول الصناعية الكبرى كالولايات المتحدة الأمريكية، والمملكة المتحدة، وأن كان أكثرها من الدول النامية كالصين والهند وإندونيسيا وغيرها، وأن دل هذا على شيء يدل على سمعة الصناعة الألمانية دقة. وكفاءة، وتعميرا، وتتعدد هذه المشروعات من الحديد والصلب إلى الكيماويات، والأسمنت. والطاقة النووية وغيرها، لذلك أطلق عليها بانية الصناعة في أوراسيا Germany : Industry-Builder for Eurasia.

عوامل نهضة ألمانيا الصناعية : ترجع نهضة ألمانيا الصناعية إلى العاملين معا، العامل الطبيعي والعامل البشري.

العوامل الطبيعية : وتأتي على رأسها موارد الطاقة، ويعتبر *الفحم* هو المورد الرئيسي الذي تنتجه ألمانيا وهو يمثل ٥٢% من الطاقة المستهلكة، وهو المسئول الأول عن النهضة الصناعية الألمانية في كل العصور. ويوجد الفحم البيتوميني (نسبة الكربون ٧٠ إلى ٩٠% والذي يستخدم في صناعة فحم الكوك اللازم لصناعة الصلب)، وكذلك اللجنيت، والفحم الأسمر Brown coal، ويتركز الفحم في أقاليم ثلاث رئيسية (١) حوض الرور، أغني أقاليم ألمانيا إنتاجا ٨٢%. (٢) بينما تبلغ نسبة إقليم السار ١٠% (٣) إقليم أخن ٦%، وكلها في ألمانيا الغربية، وهناك حقول متفرقة أخرى في بافاريا. سكسوني وهس Hess، هذا وما يستخرج فحم اللجنيت في المرتفعات الوسطي لألمانيا الشرقية. وتمد المراكز الصناعية بحاجتها منه كما في

ليبزج، ومجدبورج Magdeburg، ودرسدن، هذا وقد بلغ إنتاجها من الفحم البيتومني ٤٧ مليون طن، ومن اللجنيت ١٧٧ مليون طن، وقد استخدم في توليد الكهرباء الحرارية. والمنتجات الكيماوية بتحويله إلى سوائل هيدروكربونيه كالجاولين والبترول.

الطاقة النووية : وهي تمثل المصدر الثاني بنسبة ٣٣,٥% لتقليل الاعتماد على البترول والفحم، خاصة وأنها فقيرة في البترول، ولديها الآن ٣٥ محطة نووية.

البترول والغاز الطبيعي : وهي ليست غنية بهذا المورد، وتكمن حقول البترول الرئيسية في حقول أمز/هانوفر/ فيزز قرب حدودها مع هولند، والقليل قرب الحدود السويسرية (٣,٥ مليون طن)، ونظرا لأن هذا المورد لا يغطي الوقود إلا قدرا بسيطا من استهلاكها. خاصة وإنها تستخدمه كمادة خام أيضا، فضلا عن أن حقول الفحم قد أغلقت لزيادة تكاليف الاستخراج، من ثم كان الاعتماد على الخارج خاصة من العالم العربي وروسيا، وأقيمت المعامل في الإقليم الساحلي للتكرير في هامبورج وهانوفر وغيرها، وساعد على نقله إلى الداخل شبكة الأنابيب الضخمة الحاملة لبترول والغاز سواء من روسيا أو من هولند أو من الجنوب من مينائي جنوه الإيطالي ومرسيليا الفرنسي اللذان يحملان بترول ليبيا والجزائر وتستقبله معامل التكرير في أنجولشتات. وكان الفضل لأنابيب الغاز الطبيعي من هولند وشمال غربي ألمانيا والتي تربط بين المراكز الرئيسية في الشمال، وهكذا كان الفضل لهذه الأنابيب في انتشار الصناعة بدلا من تركزها خاصة تلك المعتمدة على البترول والغاز، كالصناعات الكهربائية والهندسية، والإلكترونيات،(نقلت شركة Siemns معاملها بالكامل إلى بفاريا).

الطاقة المائية : وتتركز في الجنوب حيث المرتفعات الألبية، وفي أودية المرتفعات الوسطي حيث أقيمت كثير من السدود، هذا فضلا عن استيراده من النمسا مقابل الفحم، هذا وتسهم الطاقة الهيدرومائية بنحو ١٠% فقط من استهلاك الطاقة الألمانية.

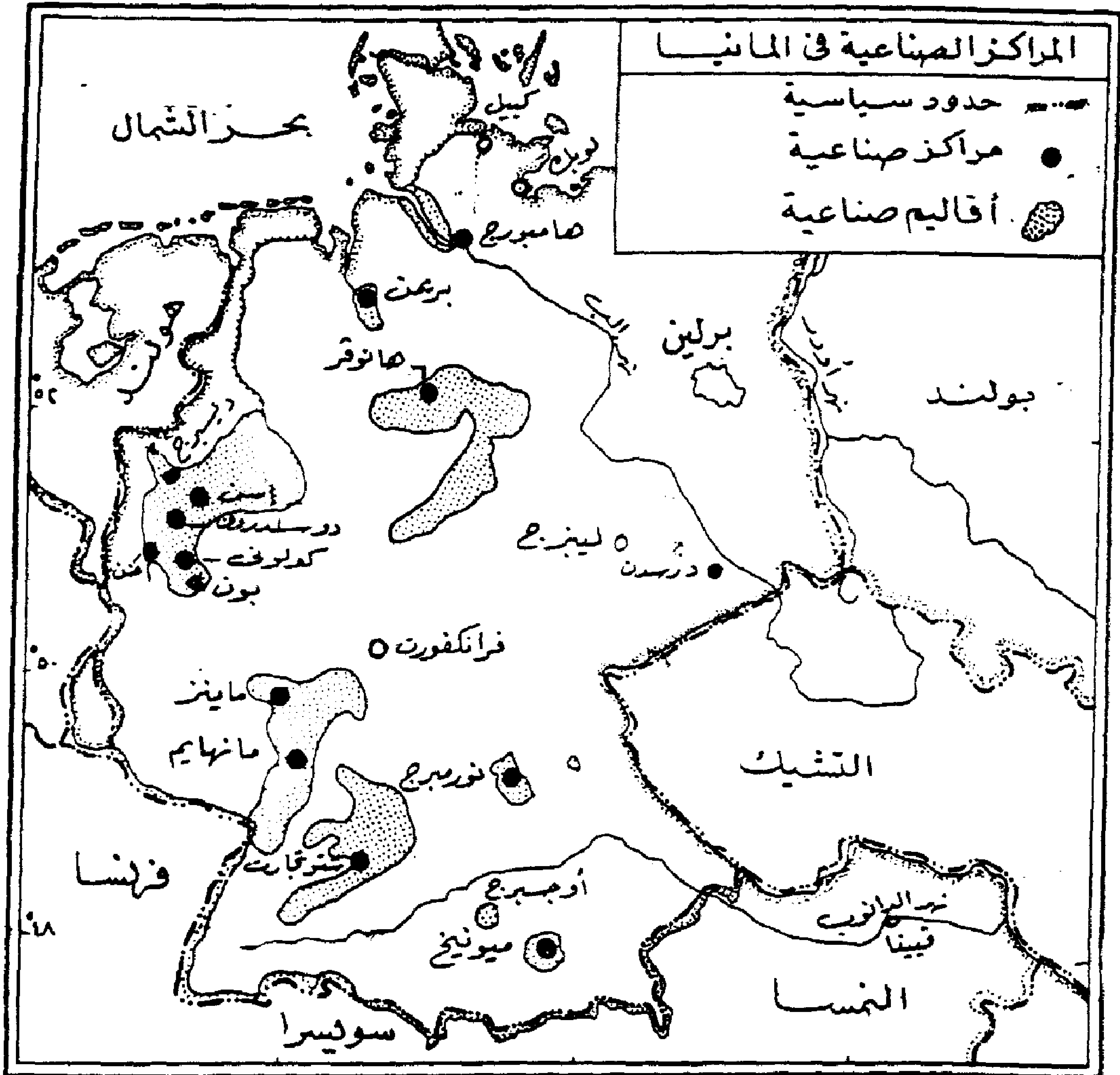
الخامات المعدنية : تمثل هذه مشكلة لألمانيا وخاصة الحديد، وكانت هذه الخامات متوفرة قبل الحرب العالمية الثانية من مناجم اللورين التي ضمت بعد الحرب إلى فرنسا. وبالتالي اقتصر إنتاجها على مناجم سيجرلاند إلى الجنوب الشرقي من كولوني، وحديدها من النوع الرديء، وهناك مناجم الجنوب في جبال الهارتز، ولما كان الإنتاج المحلي لا يكفي سوى ١٠% من الاحتياجات. كان استيرادها للحديد خاصة من السويد، فرنسا، وأسبانيا، ويعوض

فقرها في الحديد غناها في الأملاح، خاصة الملح الصخري والبوتاس الذي أعطى ألمانيا مكانــة كبيرة في الصناعات الكيماوية، ويوجد البوتاس بصفة رئيسية فــي ستاســفورت فــي ألمانيــا الشرقية، هكذا تعتمد ألمانيا على استيراد معظم خاماتها من الخارج.

العوامل البشرية : وتتمثل في مهارة العامل الألماني ودقته، وفي ألمانيا نظام واسع لتدريب الطلاب غير المتجهين إلى الدراسة الجامعية، فهؤلاء يدخلون المدرسة الصناعية منــذ السادسة عشر أو السابعة عشر من عمرهم وبعد ثلاث ســنوات يصبحــون بعــد الاختبــارات التحريرية والعملية عمال ذوي مستويات عالية، وبعد ثلاثة أعــوام أخــرى مــن دورات فــي التكنولوجيا وإدارة الأعمال والقانون يصبح عاملا ماهرا (أسطى) فالألمــان متفوقــون علــى العالم كله في مهارات غير خريجي الجامعات، ومن هنا كان المثل الروسي " حيث توجد كنيســة يوجد الكاهن وحيث يوجد المصنع يوجد ألماني ".

تدفق الاستثمارات الأجنبية وإلغاء التأميم والانضمام إلى التجمعات الاقتصادية : فقــد استفادت ألمانيا الغربية التي كان تحتلها الحلفاء من مشروع مارشال الأمريكـــي، إذ ســاعدت المعونة المالية على شراء وتجديد الآلات، خاصة وقد ألغيت القوانين الصارمة التـــي فرضــت عليها والتي تحد من الإنتاج الصناعي، بل وأقيمت فروع للشركات الأمريكية فيها مثــل فــورد وجنرال موتورز لصناعة السيارات تحت أسماء وطنية جديدة مثل أوبل، وتاونوس، وفي الوقت الحاضر تلعب رؤوس الأموال اليابانية دوراً كبيراً في ازدهـــار الصناعــة الألمانيــة، فمدينــة دسلدروف تعتبر أكبر مستعمرة يابانية في أوروبا، يعيش فيها ٥٠٠٠ يابـــاني، وتضــم ٢٥٠ شركة يابانية، والغي تأميم بعض الشركات مثل فولكس فاجن (عربة الشعب) وبيعت أســهمها للجمهور ولعمالها، من ثم راحوا يهتمون بتحسين الإنتاج، وحسن سير العمل، كمـــا انضمــت ألمانيا الغربية منذ البداية إلى التجمعات الاقتصادية التي ظهرت في أوروبــا كجماعــة الحديــد والصلب، السوق المشتركة، وهي الآن ركيزة أساسية للاتحاد الأوروبي.

ارتباط الشركات بالهيئات العلمية والبحثية : تستند الشركات الصناعية على خلفية مــن جهود العلماء والفنيين، الذين يبحثون دائما عن الأجود والأفضل، فالصناعة الألمانية من أعلــى الصناعات التي تستند إلى التطبيقات العلمية، أي أن العلم هنا في خدمة الإنتاج.



(شكل رقم ١٩)

المؤسسات الصناعية الضخمة : تتميز الصناعات الألمانية بأنها مؤسســـات عملاقـــة، فهناك إمبراطورية كروب Krupp التي تهيمن على مؤسسات صناعة الفحم ومعـــامل فـولاز راينهاوزن، والصناعات المعدنية في مدينة إيسن، وتهيمن شركة سيمنس AEG, Siemns ولى الصناعات الكهربائية. وإمبراطورية باير Baer وباديش إنيلين في مجال الصناعات الكيماويـــة، فعلي سبيل المثال تملك الشركة الأخيرة أكبر معامل كيماوية في العالم. فهي تضم ١٥٠٠ مصنع و٢٠٠ كم من الخطوط الحديدية، و٢ مليون طن من المواد الخام، و٥٠ ألف عـــامل. وتنتــج

٣٠٠٠ مادة كيماوية (أسمدة ـ صبغات ـ لدائن ....، من ثم كان لهذه الشركات القدرة علـــى متابعة العمل من الإنتاج إلى الأسواق المحلية والعالمية.

النقل المائي الرخيص ممثلا في مجموعة الأنهار والقنوات التي تصل بينـــها وعلـــى راسها نهر الراين الذي يضج بحركة الملاحة نظرا لاعتماد الصناعة على الخامات الثقيلة الآتية من الخارج خاصة بعد نمو صناعة البتروكيماويات التي ترتبط بتكرير البترول المستورد كمـواد الصباغة، والمطاط الصناعي، والبلاستيك، والألياف الصناعية، هذا ولا تقـــل أهميـــة السـكك الحديدية في المساهمة في نقل الخامات والسلع.

المراكز الصناعية الرئيسية والحضرية في غربي ألمانيا :

١ ـ مقاطعة الراين الشمالية / وستفاليا (إقليم الروهر): تعتبر ولاية الراين الشمالية / وستفاليا هي القلب الصناعي. بمناجم فحمها ومصانع صلبها، ومؤسساتها الصناعية الضخمة الأخرى بحيث يعمل فيها ٣ مليون عامل فهذا المورد الفحمي للروهر يجعل دائما مصانع الصلب متوهجة، تعمل ليل نهار لتخرج كما ضخما من الصلب لجميع الاستعمالات. فهذا الإقليم قطـــب الصناعات المعدنية، وعادة ما تكون استيراد الخامات ويعتمد الإقليم على الصناعات المعدنيـــة وهذه عادة ما تكون قريبة من مناجم الفحم وتعتمد على استيراد الخامات المعدنية من الخـــارج وأهمها الحديد والألومينا وغيرها. ويعتبر حوض الراين الروهر أهم مراكزها بل هـــو المركـز التقليدي والنواة لهذه الصناعات. وخلق وجود الفحم منطقة صناعية تبلغ مساحتها ٥١٨٠ كـم، ويرجع نمو هذا الإقليم إلى جانب وفرة الفحم، قربه من حديـــد اللوريـــن الفرنســـي وســـهولة حصوله على حديد السويد، فضلا عن الشريان الطبيعي لنقل السلع والخدمات وهو نهر الرايـــن والقنوات التي تربطه بمختلف أجزاء ألمانيا، ووقوعه في قلب أوروبا التجاري، وعادة ما يقسم هذا الإقليم إلى قسمين : القسم الشمالي هو ميدان استخراج الفحم والجنوبي إقليـــم صناعـــات الحديد والصلب، لذلك يتميز حوض الروهر بكثافة وتركيز في المدن مثـــل إســـن دسـلدروف، ودورتمند، وديسبرج التي تعتبر ميناء الروهر الأول وهناك أيضا كولوني وأخـــن ففـــي إســـن Essen (٦٥٠ ألف) عاصمة الروهر تقـــوم صناعـــة الصلـــب ولـــوازم السـكك الحديديـــة والكيماويات وهي مركز لمؤسسة كروب Krup، وتقوم في دورتمند (٦٠٠ ألف) في الطـوف الشرقي للإقليم أفران صهر الحديد والصلب، فضلا عن شهرتها بصناعة الجعـــة، وتقـــوم فـــي ديسبرج التي تقع عند اقتران الروهر بالراين مصانع الصلـــب والآلات البحريـــة وقـــد أقـــامت

مؤسسة كروب أكبر مصنع للحديد والصلب في مدينة راين هوزين Rhein hausen المقابلـــة لها. ويدل على عظمة وأهمية هذا الإقليم هي ناطحات السحاب في دسلدروف عاصمة الإقليـــم، فهي العاصمة (٥٨٠ ألف) موطن كثير من الصناعات الألمانيـــة خاصـــة الحديـــد والصلـــب والكيماويات وساعد على نموها أيضا وقوعها على الراين، وارتباطها بالخطوط الحديديـــة فـــي جميع الاتجاهات. وتقع سولنجن (١٧٠ ألف) إلى الجنوب الشرقي من دسلدروف حيث تقـــوم صناعة الآلات القاطعة كالسكاكين والشفرات التي كانت تنتجها منذ العصور الوسطي. واشتهرت كولوني (نحو مليون) منذ فترة بصناعة الروائح العطرية (الكولونيا) ولكنـــــها الآن مركـــز لصناعات السيارات (فورد) ومركز لكثير من الخدمات كالبنوك والتامين والتجارة.

وشهرة فرانكفورت (٦٥٠ ألف) الأولي كمركز تجاري ومالي منذ العصور الوسطي. ومازالت إلى الآن هي مركز البنك المركزي للاتحاد الأوروبي الذي يصك عملة اليورو، أي أنها العاصمة المالية للاتحاد. ومع ذلك فهي مركز لإقليم صناعي كبير. مصــــانع لقــاطرات الســكك الحديدية والكيماوية والأدوات الكهربائية وأجهزة البصريات، ومصانع شركة أوبل للســــيارات، وقد ساعد على نموها وقوعها المركزي على شبكة خطوط حديدية. وبريـــــة، فضـــلا عـــن أن مطارها مطار دولي.

ميونيخ : أومنشن عاصمة إقليم بافاريا وثالث مدن ألمانيـــــا (١,٤ مليـــون)، وقـــد استمدت أهميتها منذ العصور الوسطي كإقليم مرور لتجارة الملح بصفـــة خاصـــة، وهـــي الآن مركز لصناعة القاطرات ومركز للخطوط الحديدية، وتقوم فيها أيضا صناعة أجـــهزة التصويـــر (أجفا) وبها أعظم الاستوديوهات الألمانية، كما أنها أشهر المدن الألمانية في صناعة الجعـــة (يقام احتفال سنوي بها يطلقون عليه عيد الجعة).

وتقوم في *شتوتجارت* (أكثر من نصف مليون) أكبر مدن إقليم المرتفعات الوســـــطي وركيزتها الصناعية هي السلع التي تعتمد على المهارة الفنية الفائقة أكثر مـــن المـــادة الخـــام كالساعات والأجهزة العلمية، الدقيقة والأجهزة الطبية، والأدوات الموســـيقية ولكـــن شـــهرتها الأكبر في صناعة سيارات المرسيدس بنز. ومما هو جدير بالذكر أن مصانع فولكس فاجن تقـــع بالقرب من برنزويك.

وتقوم في ألمانيا صناعة المنسوجات بأنواعها، قطنية وصوفية، فضلا عن تفوقها فـــي

الألياف الصناعية، ونظرا لأنها ليست من الصناعات الثقيلة، فهي أكثر انتشارا وأقل تركيزا من الصناعات الثقيلة، من مراكزها الرئيسية فوبرتال Wuppertal على الهامش الجنوبي لإقليم الروهر.

أما *في إقليم سكسونيا* في الجنوب الشرقي كانت الصناعات الكيماوية هي محور القوة الاقتصادية الألمانية، وظهرت ألمانيا الآن مرة أخرى بوصفها اللاعب المهيمن على هذه الصناعات في العالم، وتفوقت حتى على الولايات المتحدة الأمريكية، وأي دولة أوروبية في هذا المجال، ويقود هذه الصناعات ثلاث شركات كبرى ألمانية هي باير Bayer وهوكست Hoechst وباسف Basf.

وتقوم صناعة بناء السفن في *الموانئ الألمانية*. وهامبورج هي الميناء الأول في ألمانيا والمدينة الثانية (١.٧ مليون) وتقع على ذراع لنهر إلب على مسافة ٨٠ كم من البحر فهي أهم الترسانات البحرية الألمانية ونظرا لموقعها كميناء أول تستقبل البترول والخامات المعدنية، وتقوم فيها معامل تكرير البترول، ومصاهر النحاس، وصناعات كيماوية، وغذائية، وهي لا تخدم ألمانيا فقط. بل تمتد جنوبا إلى التشيك.

بريمن هي الميناء الرئيسي الذي يتعامل مع أمريكا الشمالية في القطن، والطباق، كما أنها من أكبر الموانئ الأوروبية في استيراد مختلف المنتجات المدارية وفليهلم Wilhelm هي نقطة البداية لخطوط الأنابيب المتجهة نحو الشمال الغربي. كما أن الميناء الرئيسي ذو المياه العميقة الذي يمكن أن تنافس روتردام في هولند في استقبال السفن الضخمة، خاصة ناقلات البترول (٣٨٠ ألف طن). وكما شيد ميناء إمدن بغرض أسر بعض التجارة المتجهة إلى ميناء روتردام، هو الآن نهاية خطوط أنابيب البترول النرويجي من بحر الشمال، وكان اتصاله السهل بإقليم الروهر الصناعي عن طريق قناة دارتموند ــ إمز كان سببا في نموه وازدهاره، وأن كانت لا توجد فيه صناعات تذكر.

المراكز الصناعية الرئيسية في شرقي ألمانيا :

برلين العاصمة وأولى المدن (٣.٥ مليون) رغم أنها تقع بعيدا عن مصادر الطاقة والخامات، فقد قامت فيها صناعات متعددة تعتمد على المهارة بالدرجة الأولى : الآلات البصرية، أجهزة كهربائية. فضلا عن صناعات المدن كالمواد الغذائية والأثاث، وكانت منذ

تقسيم ألمانيا إلى قسمين عاصمة لألمانيا الشرقية، ثم عادت عاصمة للدولة الموحدة (الشرقية والغربية)، بعد أن كانت بون عاصمة ألمانيا الغربية سابقاً.

وتعتبر *بوتسدام* هي مركز لهندسة السكك الحديدية، وصناعة الأفلام السينمائية، تقوم في اندنبرج صناعة الصلب اعتمادا على الخردة المستوردة وفحم الكوك، وبها أكبر مصانع لصناعة الجرارات الزراعية في ألمانيا، وتقوم في *ليبزج* (نحو نصف مليون) مصانع سكر البنجر لأنها تقع وسط إقليم شهير بزراعته، وهي مركز رئيسي لصناعة المخصبات والبلاستيك والمفرقعات اعتمادا على غني الإقليم الذي تقع فيه مناجم فحم اللجنايت. تقوم في *درسدن* (نصف مليون) صناعة السجائر والأجهزة البصرية، وآلات القطع. فضلا عن صناعة الطائرات. أما *روستوك* فهي المركز الرئيسي لصناعة السفن في القسم الشرقي من ألمانيا وميناؤها الرئيسي ومركز رئيسي للصيد الأسماك وتصنيعه، ويزيد من أهميتها أنها تتصل بطرق سريعة ببرلين العاصمة.

الفصـــل الثـــالث

ســــويســـــرا

سويسرا في عيون الآخرين :

عندما بدأت السياحة في الانتشار في أواخر القرن التاسع عشر، كانت جبال الألب هـي الصورة المطبوعة في ذهن العالم عن سويسرا (رغم أنها تمتد خارجها) ويكمل هذه الصـورة تلك المساكن الخشبية (أشبه بالشاليهات)، في أوديتها وعلى ســفوحها، والأرض الخضـراء التي تتناثر عليها الزهور الملونة، والمراعي التي تتحرك عليها الأبقار والماعز الجبلـي فـي هدوء، ولكن سويسرا استمدت شهرتها بأنواع الجبن والشيكولاته والساعات!

سويسرا ليست كل هذا بل هي أيضا من الأمم الصناعية المتقدمة والتي تتمتع بـأقدم نظام ديمقراطي في العالم ذلك أنها كانت تتكون مـن مقاطعـات اجتمعـت معـا فـي الاتحـاد السويسري.

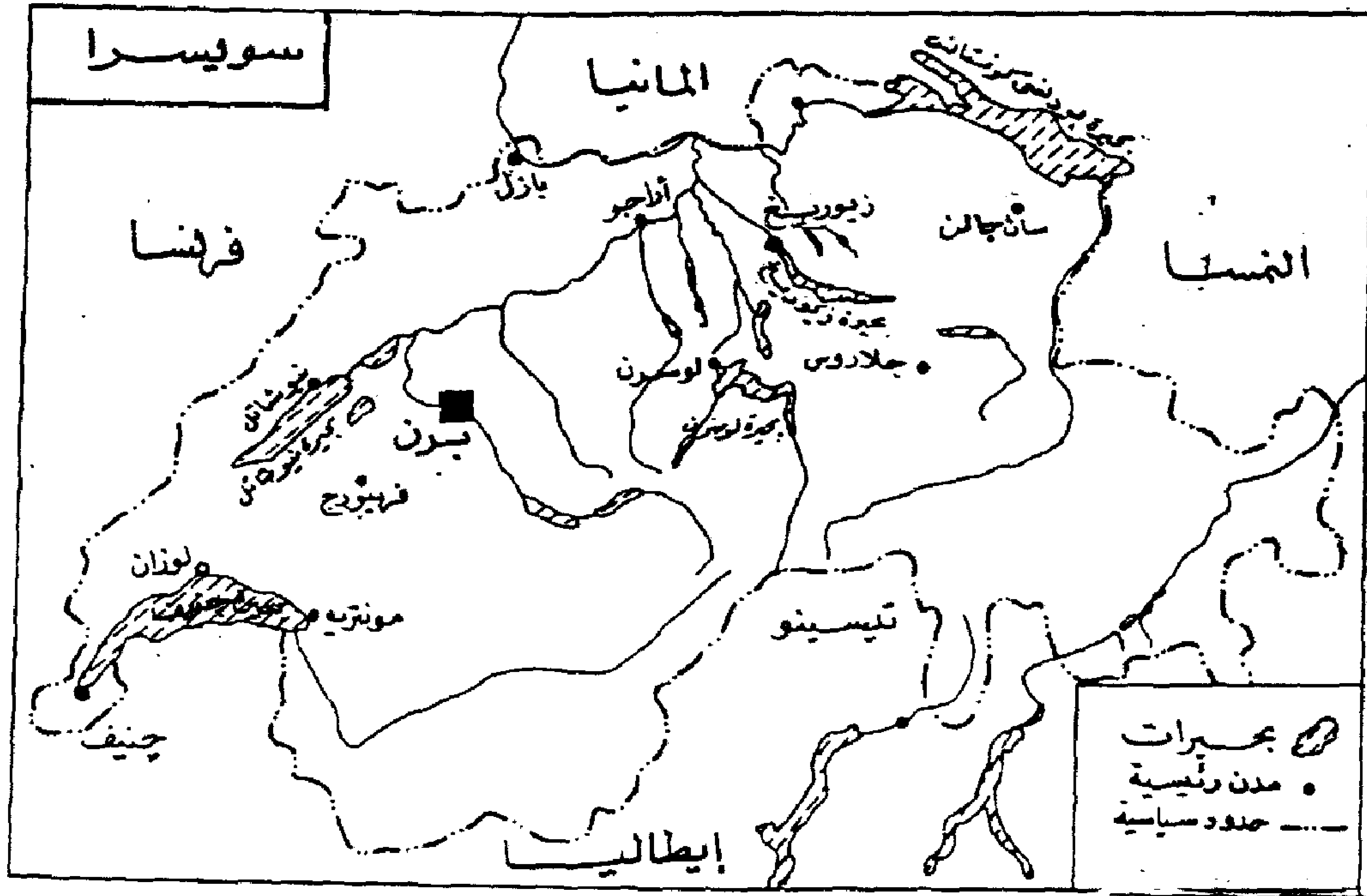
الدولة السويسرية : في الأول من أغسطس عام ١٢٩١ أجتمـع نفـر مـن ثـلاث مقاطعات وأقسموا على الاتحاد في وجه الغزو الأجنبي، وذلك لتأسـيس الاتحـاد الكنفدرالـي السويسري، ثم انضمت إلى الاتحاد تباعا المقاطعات الأخرى، فقد شعرت هذه المقاطعات أنـها لابد لها من سلطة مركزية، بعد أن طمع فيها الطامعون كنابليون الذي حولها إلـى جمهوريـة على النظام الفرنسي عام ١٧٩٨، وبعد استفتاء صوتت فيه ٢٢ مقاطعة (الآن ٢٣ مقاطعـة) كانت نتيجته الموافقة على دستور بمقتضاه تتحول سويسرا من نظام الكنفدرالي إلـى النظـام الفيدرالي على نمط نظام الولايات المتحدة الأمريكية، وأن العاصمة الفيدراليـة بـرن، وظلـت سياسة سويسرا هي الحياد بحكم موقعها بين دول متناحرة دومـا، ظـهر هـذا فـي الحـرب الفرنسية / البروسيه، وفي الحربين العالميتين الأولي والثانية، وأصبحـت مقـرا لكثـير مـن الهيئات الدولية كمنظمة العمل الدولية ومنظمة الصحة العالمية، والصليـب الأحمـر الدولـي، واتحاد البريد الدولي وغير ذلك.

الشعب السويسري : شعار الشـعب السويسـري هـو الوحـدة فـي ظـل التنـوع Unite Par Divereite ورغم أن ولاء الأفراد لمقاطعتهم قويا حتى ليبدو أنه أكثر من ولائـهم

للدولة، فإن هذا لا ينفي ولاءهم للدولة وشعورهم بالتميز عن غيرهم، بسبب عيشهم معا فترات طويلة، في موقع مركزي في القارة، أحاطت بهم الحروب، وطبيعة البلاد الجبلية، وتشابه هذه الطبيعة في أنحاء الدولة السويسرية، واعتراف العالم بحيادهم، وقد يرجع شعار الوحدة مع التنوع الذي يدين به السويسريون إلى أن سكانها البالغين نحو ٧,٢ مليون نسمة يتكلمون بألسنة متعددة، فاللغة الألمانية التي تنتشر في المقاطعات المجاورة للحدود الألمانية يتكلمها ٦٥% من السكان، على حين تنتشر الفرنسية في المقاطعات المجاورة لفرنسا بنصيب ١٩%. بينما نصيب اللغة الإيطالية ١٠% في مقاطعات الحدود الإيطالية خاصة في تيسينو **Ticino**، هذا فضلا عن الرومانية **Romanch**، وهي لغة قديمة مشتقة من اللاتينية، ويبدو أنها كانت اللغة الوطنية الأصلية. وكثافة السكان في سويسرا ليست عالية، فهي تدور حول ١٨٢ نسمة لكم٢. نظرا لأن مساحتها البالغة ٤١ ألف كم٢ تضم ٧,٢ مليون نسمة، من هؤلاء ١,٤ مليون من الأجانب أي يمثلون ١٩% من مجموع السكان، وكذلك من مجموع القوى العاملة.

مناخ سويسرا ونباتها : يتأثر مناخ سويسرا بارتفاعها، وإن كانت درجات الحرارة تتقارب حسب الارتفاع. فالشتاء في سويسرا بارد بوجه عام، تنخفض حرارة يناير في برن إلى الصفر، وترتفع إلى ١٨م صيفا ومن ثم كان صيفها دفئ، وتكسوا الثلوج المرتفعات مبكرا، بل وتغطي الثلوج معظم القمم التي تعلو على ٢٧٠٠ مترا مما يعطي المظهر الطبيعي جمالا وفي نفس الوقت حين تذوب الثلوج ربيعا وصيفا تتدفق الأنهار بالمياه، وإذا كان مناخ الهضبة أقل تطرفا منه في جبال الألب فإن سفوحها الجنوبية المطلة على إيطاليا تنتمي إلى مناخ البحر المتوسط بدفئه شتاء وحرارته المرتفعة صيفاً. ولطبيعة البلاد الجبلية، تغطي الغابات الصنوبرية ٧٠% من مساحات الغابات و٣٠% من الغابات العريضة الأوراق (النفضية) وتتباين مساحة الغابات من إقليم إلى آخر، إذ أن ٧٠% منها في جبال الألب، ٢٠% منها في جبال جورا، على حين تنخفض هذه المساحة إلى ١٠% على الهضبة، وغالباً هي بقع متناثرة ولا غرو فهي أكثر أجزاء سويسرا سكانا.

الاقتصاد السويسري : سويسرا بلد خدمات في المقام الأول، ويرجع هذا إلى عوامل طبيعية وعوامل بشرية، من العوامل الطبيعية ظروف السطح، بحيث أصبحت هذه الجبال والهضاب والبحيرات المورد الرئيسي لصناعة السياحة، ومن العوامل البشرية نظام سرية المصارف الذي تعمل به سويسرا، وبالتالي جذبت إليها رؤوس الأموال من جميع أنحاء العالم.



(شكل رقم ٢٠)

جمال سويسرا رصيد لها : الجمال هو المورد الرئيســــي لصناعــة رئيســية وهــي السياحة، ذلك أنها تتمتع بتنوع غير مسبوق في مناظرها الطبيعية صيفاً وشتاء حتى ليقـــال أن جمال سويسرا رصيد لها، ومنتجعاتها دولية في المقام الأول مثل دافوس، زيرمات، إنـــترلاكن، سان موريتز والأخيرة كانت مركز الألعاب الأولمبية مرتين)، فهناك رياضـــة تسـلق الجبـــال، والتزحلق على الجليد وتعمل منتجعاتها هذه طول العام، الجبـــال والثلـــوج شـــتاء والبحـــيرات للسباحة والتجديف، وصيد الأسماك. أو للجلوس حولها في هدوء وأمان صيفا، هذا فضلا عـــن الفنادق والشاليهات المتناثرة في أرجاء البلاد والتي قدرت بنحو ٧ آلاف وحدة. مما أدى إلـــى أن البعض أطلق عليها أمة أصحاب الفنادق Nation of hotel Keepers، أينما ذهبت وجدت فندقا، سويسرا كلها قطعة سياحية. من ثم كانت أول من أقام المدارس الفندقية في العالم. ثـــم كانت الشبكة الجيدة من الطرق. بل والطرق الدولية مع جيرانها، سواء طرق سيارات أو ســـكك حديدية التي تمر من خلال أعلى الممرات الجبلية: سمبلون، سان جوثار، وسنت برنار الكبـــير هذا ويمكن الوصول إليها أيضا من ألمانيا وفرنسا والنمسا وإيطاليا بواسطة السفن التي تتهادي في بحيرات جنيف، وكونستانس ولوجانو. لا عجب أن زراها ١٢ مليون سائح (ما يقرب مـــن ضعفي سكانها) أنفقوا ٧,٥ مليون دولار في عام ١٩٩٩، فشبكة الطـــرق الممتـــازة نســـخت كونها دولة حبيسة شديدة التضرس.

الزراعة : ورغم أن سويسرا من أكثر الدول تصنيعا في أوروبا، فمازالت الزراعة لها دورها الحيوي، ونظرا لظروف السطح تصبح الأرض الممكن زراعتها نحو ٢٥% من مجموعة مساحة البلاد، والمزرعة السويسرية صغيرة الحجم أو متوسطة وهذا شيئ طبيعي، فثلثي الملكيات الزراعية لا تزيد مساحة المزرعة فيها على ٢٥ فدانا، يزرعون القمح والشوفان والبطاطس وبنجر السكر والعديد من الخضروات بفضل نظام البيوت الزجاجية، وتمتد حدائق التفاح، والكمثري، والكرز، والمشمش، في إقليم تسينو المطل على إيطاليا، كما تزرع الكروم منذ أن أدخلها الرومان، وتعتمد عليها صناعة النبيذ السويسري. وقد تضافرت عوامل التضاريس والمناخ والتقاليد لجعل سكان سويسرا لها مكانة ممتازة في إنتاج الألبان فهي تسهم بثلث قيمة الإنتاج الزراعي، وتذهب معظم الألبان إلى مصانع الجبن وتنتج منه نحو ١٠٠ ألف طن سنويا، والباقي يتجه إلى مصانع الزبد والشيكولاته (نستله ــ توبلر) واللبن المركز. وبطبيعة الحال يهتم السويسريون بغذاء حيواناتهم من الأبقار، والأغنام، والماعز، والخنازير. ويعتمد هذا على رعى الحشائش صيفا عن السفوح الجبلية العليا التي انكشفت عنها الثلوج وينزلون إلى الأودية صيفا ومازالت هذه المرحلة الموسمية Transhumance تمارس حتى اليوم، وتضاف الأعلاف المخزونة إلى غذاء الحيوان كمكمل شتاء وأن كانت هذه المرحلة بدأت في الاضحلال نتيجة قلة الأيدي العاملة.

الطاقة الكهرومائية والطاقة النووية : وفي دولة تخلو من الموارد المعدنية ما عدا الملح، كان عليها أن تستورد كل خام لصناعاتها، ولكن السويسريين تغلبوا على مشكلة الوقود باستخدام الوقود الأبيض أي الكهرمائية من أنهارهم مستغلين الانحدارات الشديدة حينا وإقامة السدود أحيانا، فهم يعتمدون على الطاقة الكهرومائية بنسبة تقرب من ٦٠%، ويليها مباشرة الطاقة النووية بنسبة ٣٧%، هذا كما يستخدم الغاز الطبيعي والبترول ولو بنسبة صغيرة. والفضل في هذا يرجع إلى شبكة أنابيب الغاز التي تأتيها من هولند، وشبكة أنابيب البترول من روسيا.

شبكة طرق ممتازة رغم أنها حبيسة وشديدة التضرس: وفي مواجهة الصعوبات التضاريسية أمام السويسريين أقاموا نظاما ممتازا للنقل، أنفاق، وكباري، والسكك الحديدية التي تعمل بالكهرباء، وفتح نفق سان جوثار كطريق للسيارات، وهو أطول نفق للسيارات في العالم بطول ١٦ كم، وكان الغرض الأول منه هو تحسين الحركة بين سويسرا وإيطاليا، فأصبح الآن أقصر طريق بين ألمانيا وإيطاليا وبالاشتراك مع الطريق الآخر الصالح للحركة طول العام

وهو نفق سان برنار الكبير، فقد أضافت الطرق عبر الأنفاق والتي استغلت الممرات الطبيعيـــة الكثير إلى حركة المرور في سويسرا، ثم يأتي نهر الراين كشريان للحركة التجارية، ويقع هنـــا على ٨٠٠ كم من بحر الشمال، ويتعامل مع نحو ١٠٠ مليون طن سنويا، وعليه يقع ميناؤهـــا الرئيسي بازل، يأتيها فحم الكوك من حوض الرور في ألمانيا، والبترول مـــن معـــامل تكريـــر هولند، والقمح من أمريكا سلع وتصدر عن طريقها الجبن والأنبذة والأدوية.

من الساعات إلى القاطرات والإلكترونيات والأدوية: (*) تعتبر صناعات الساعات حرفة منزلية في سويسرا منذ القدم، يقوم بها سكان القرى أثناء الشتاء لزيادة دخولهم، فتجد في كـل بيت ورشة لتركيب أجزاء الساعات التي كانت تمدهم بها المصانع. غير أن هذه الصناعة بـدأت تواجه منافسة شرسة، من مثيلتها الإلكترونية، ولم تعر سويسرا أهمية لهذا في أول الأمر، مما أدى ظهور دول أخرى ثبتت أقدامها في هذه الصناعة وبالذات اليابان (رغم أن مخترع الساعة الإلكترونية مهندس سويسري) عام ١٩٥٤، ولكنها استدركت الأمر وتحولت إلـــى الســـاعات الإلكترونية، وتأتي المنسوجات السويسرية في المركز الثاني كأقدم صناعة سويسرية ولكن مـع فارق كبير بها وبين الصناعات الهندسية، ومع ذلك فلها شهرتها فـــي الخـــارج، أنـــواع مـــن المنسوجات الحريرية والصوفية والقطنية وأشغال البرودرية وتعتبر سانت جـــالن **ST.Gallen** المركز الرئيسي لصناعة المنسوجات، هذا كما تصدر سويسرا أيضا آلات النسيج، هذا وهنـــاك قائمة متنوعة من الآلات وللإلكترونيات، والأجهزة الكهربائية، والأجهزة الطبية والأدوية، هـــذا تصدر سويسرا ٨٠% من إنتاجها الصناعي وتعتبر ألمانيا هي العميل الأول لها.

التنوع الجغرافي : رغم أن هذا البلد الحبيس **Land locked** الذي تحده فرنسا غربـا، وألمانيا شمالا، والنمسا وجمهورية ليشتنشتين القزمية شرقا، وإيطاليا جنوبا وجنوبـا بشـرق يبدو من النظرة الكلية أنها بمساحتها البالغة ٤١ ألف كم٢ جبلية تماما، ولكن الحقيقـــة غـــير ذلك، فالتنوع الجغرافي من سماتها حتى لتقسم إلى ثلاثة أقسام جغرافية: ـــ

أ ـــ مرتفعات الجور Jura في الشمال الغربي، وتحتـــل نحـــو ١١% مـــن مســـاحة

(*) وهناك أسطورة في التراث السويسري تقول بأن سائحا إنجليزيا كان في سويسرا وسأل أحد الحدادين أن يصلح له ساعته. فـــدرس الحداد السويسري ميكانيكية الساعة المعقدة وسلمها للسائح بعد أن أصلحها. ولكن أيضا بعد أن صنع نسخة منها. ومـــن ذلـــك الحين بدأت صناعة الساعات في سويسرا. وأصبحت الساعات الدقيقة من أهم منتجات سويسرا في السوق العالمي. فهناك نحـــو ٢٥ مليون ساعة يد وساعة حائط تنتجها سويسرا سنويا للتصدير.

سويسرا. ويبلغ متوسط ارتفاع جبال الجوار نحو ٥٠٠ متر، وأن كان أعلى أجزائها في الجنوب يزيد على ١٥٠٠ متر، وهي فرع من الجبال الالتوائية لقطعها الأودية، من ثم فهي سهلة الاجتياز عن طريق الممرات والأنفاق التي تمر بها الخطوط الحديدية، ورغم وفرة المطر عليها تتسرب المياه لطبيعة الأرض الجيرية، من ثم كانت كثير من أجزائها قاحلة، في حين تغطي بعض أجزائها المرتفعة الأشجار الصنوبرية، والمساحات الزراعية محدودة معظمها مخصص لزراعة الكروم على السفوح المواجهة للجنوب الشرقي، وتصبح حرفة تربية الماشية هي الحرفة الريفية بالدرجة الأولي والجورا هي مهد صناعة الساعات السويسرية التي غطت شهرتها العالم أجمع، ومازالت صناعة مكونات هذه الصناعة الدقيقة في قرى ومدن الجورا رغم انتقال المصانع الكبرى إلى جنيف، وتقوم في بازل (٢٠٠ ألف) أكبر مدن الجورا والتي تقع على نهر الراين أكبر صناعة كيماويات والتي تمثل ٢٥% من الصادرات السويسرية، فهنا أكبر مصانع الكيماويات وعلى رأسها صناعة الدواء بطبيعة الحال، وإلى جانب الدواء والفيتامين، هناك صناعة البلاستيك والأحبار، ومواد الصباغة، ورغم أن الأخيرة تصدر إلى الخارج، فإن جزءا يستخدم في صباغة المنسوجات السويسرية لا في بازل فحسب، بل في سويسرا وخارجها، وقد ساعد على أهمية بازل وقوعها على نهر الراين قبل أن يتجه شمالا من ناحية عند إلتقاء حدود دول ثلاث، وهي سويسرا، ألمانيا، فرنسا، مما جعلها في مفترق الطرق، كما أن نهر الراين أعطاها مخرجا إلى البحر ومن ثم فميناؤها النهري به أحدث أجهزة التسهيلات الملاحية، وبالتالي كانت أكثر صادرات وواردات سويسرا أهمية تدخل وتخرج من أرصفة بازل بما فيها منتجات بازل نفسها.

جبال الألب السويسرية : في جنوبي وجنوب شرقي سويسرا. وتبلغ نحو ٦٠% من مساحة البلاد، وتمثل القسم الأوسط من سلاسل الألب حيث تشمخ المرتفعات، ومظهرها العام خليط من صخور مختلفة والقمم التي تغطيها الثلوج والخوانق العميقة التي تشقها الأنهار الجليدية، والتي تتحول إلى أنهار مائية في فصل الصيف، وتبلغ أعلى قممها ٤٦٣٤ مترا في مجموعة مونت روزا على الحدود الإيطالية. بل هناك ما يزيد على ٥٠ قمة ترتفع فوق ٣٦٠٠ مترا، كما تمثل كتلة سان جوثار منطقة تقسيم مياه بين حوض الدانوب والراين والرون، ففي القسم الشرقي نهر إن رافد الدانوب، وفي جنوبها ينبع نهر تيسينو أحد روافد نهر البو، ويبدأ نهر أرى من جانبها الشمالي، في حين ينبع نهر الرون من جانبها الشرقي، لا عجب أن قيل " أن سويسرا هي أم الأنهار ـ الأوربية " . وإذا كانت بحيرات الهضبة السويسرية تجتذب

السائحين صيفا، فإن جبال الألب بثلوجها تكسب السائحين شتاء للتزحلق على الجليد.

الهضبة السويسرية أو الأرض الوسطي **Mitteland** من بحيرة جنيف إلى بحيرة كونستانس، أي تمتد بين جبال الجورا في الشرق وجبال الألب في الجنوب، وبذلك تمثل نحو ٢٩% من مساحة سويسرا، وهي ليست هضبة بالمعنى المألوف التي تغلب عليه الاستواء، بل هي مضرسة بفعل المجاري المائية التي قطعتها، والجليد الذي غطاها في الزمن الرابع، وترك ركاماته النهائية والجانبية، وإذا كان سطحها يعلو بالقرب من جبال الألب فيبلغ ١٤٠٠ مترا، فهو ينخفض بجوار جبال جورا إلى ٤٠٠ متر، على أن هذا لا يمنع سهولة الحركة والانتقال عبر الهضبة بفضل تقدم وسائل النقل، ومن المناظر المألوفة التي تعلو الهضبة تلك البحيرات الصافية المياه التي أعطت سويسرا أيضا شهرتها كمنتجع صيفي مثل بحيرات جنيف ولوسرن وزيورخ، نيوشاتل وكونستانس، ويعتدل مناخ الهضبة نسبيا عن جبال الألب، فتنخفض درجة الحرارة فيها دون الصفر المئوي شتاء، ولكنها ترتفع صيفا حتى لتبلغ أحيانا ١١م، وبذلك كانت الهضبة هي أكثر أجزاء سويسرا صلاحية للسكن الدائم. فيسكنها ثلثي سكان سويسرا، وبها ثلثي المدن التي يزيد سكانها على عشرة آلاف نسمة، وهنا أيضا يمكن الزراعة نظراً لدفء الصيف.

زيورخ : أكبر مدن سويسرا (٤٥٠ ألف) في شمالي سويسرا على الطرف الشمالي، بحيرة زيورخ، وكانت منذ القرن الثامن عشر مركزا دوليا وخاصة لتجارة الحرير. ثم توسعت في نشاطها الدولي الخاص بالمشروعات والبنوك، وكمركز جذب للسائحين، وتقوم فيها صناعة المنسوجات الحريرية، وعدة صناعات تشمل الورق، والطباعة، والآلات، ومع ذلك فهي خالية من التلوث الذي يصحب المدن الصناعية، كذلك لم تؤثر المباني الحديثة للبنوك وغيرها على الطابع القديم للشوارع والمباني. فمازالت الشوارع الضيقة الكثيرة الانحناءات والكنائس القديمة.

وتقع *جنيف :* عند النهاية الغربية لبحيرة جنيف قرب الحدود الفرنسية (٢٠٠ ألف)، وتقولون عنها أنها أكثر المدن السويسرية فرنسة، فكثير من شوارعها لها الطعم الباريسي تحوط شوارعها من الجانبين محلات المجوهرات والسلع الثمينة، ورغم أنها تبدو فرنسية، فهي دولية في طبيعتها، فمنذ القرن التاسع عشر ساعد أحد رجال أعمال على تأسيس الصليب

الأحمر فيها، أصبحت اليوم مزدحمة بالوكالات الدولية، فهناك الفرع الأوروبي للأمم المتحدة مطلا على البحيرة والذي بنى عام ١٩٣٠ ليكون مبنى لعصبة الأمم، ومنظمة العمل الدولية واللجنة الأوروبية للأبحاث النووية، فضلا عما لا يقل عن ٢٠٠ منظمة دولية أخرى هذا كما تستضيف الكثير من المؤتمرات، ولعل أبرز مظاهر جنيف هي تلك النافورة **Jet d`Eau** أكثر النافورات ارتفاعا في العالم (١٣٠ مترا) سباق اليخوت، والأوبرا، والجامعة. وتقع *لوزان* (١٥٠ ألف) على بعد ٦٤ كم شرقي جنيف على شاطئ بحيرة لوزان مبنية على سفح الجبال ومطلة على البحيرة من ثم كانت مركزا سياحيا، فضلا عن قيام الصناعات الغذائية والآلات القاطعة.

أما برن : (١٥٠ ألف)، العاصمة الاتحادية فقد شيدت في القرن الثاني عشر على نهر آر **Aar** أحد روافد الراين، وكانت في الأصل حصنا ثم تطور الحصن ليصبح مدينة وعاصمة ورغم أنها عاصمة، فهي ليست المدينة الأولي سكانيا ما يعيدك إلى الماضي وفيها كالطرق الجانبية الضيقة، والنافورات البديعة وتماثيل الشخصيات التاريخية، أو الأسطورية. وكعاصمة بها مركز الحكم والبرلمان السويسري.

إقليم جنوب وسط أوروبا

(*حوض الدانوب*)

ويدخل في إطار هذا الإقليم المجر ورومانيا وبلغاريا ويوغسلافيا، وأحيانا يطلق عليـها حوض الدانوب، وأن كان الدانوب يجري في ألمانيا (منابعه) والنمسا وجـزء مـن التشـيك والسلوفاك، ولكنه ليس الظاهرة الرئيسية السائدة، وبدخول الدانوب المجر محاط بسهول سهلية متسعة على الجانبين، ونظرا لأن هذه السهول منفتحة على الشرق، فقد ظلت بوابة الـهجرات الآسيوية من الاستبس الروسي خلال الألفي سنة الماضيين. ويحاط القسم الأوسط والأدنى مـن الدانوب بسلاسل جبلية من الشمال والجنوب مما يجعله مميزا أو وحدة جغرافية مـن الناحيـة الطبيعية، ولكن السلالات العديدة التي عبرته واستقرت فيه جعلت من وحدتـه البشـرية أمـر صعب، فأرض هذا الحوض تضم بشرا ولغات وديانات وثقافات بحيث لا يمكن مقارنته بأي إقليم آخر في العالم وبنفس الحجم، هذا فضلا عن جباله المحيطه به التي سكنتها أقوام متباينه.

بنية وتضاريس : يمكن القول بصفة عامة أن إقليم جنوب وسط أوروبا يرجع تاريخـه بنيويا إلى نهاية الزمن الثاني أي إلى العصر الكريتاسي، ذلك أن مياه البحر ظلت تغمـر هـذا الحوض حتى آتت حركة الرفع الألبية التي أظهرت مجموعة الجبال الألبية المعروفة باسم جبال الكربات وتراسلفانيا والبلقان، كما أظهرت كتل بلورية قديمة كهضة رودوب وهضبـة بنونيـان Panonian وحوض الدانوب الأدنى. وبالتالي بدأت الأنهار النابعة من هذه المرتفعات تغطـي برواسبها الغزيرة التي نحتتها من المرتفعات لتملأ الأحواض، وحيـن امتـلأ هـذا المنخفـض بالرواسب والمياه ثم صرفه نهر الدانوب عبر فتحه " البوابة الحديدية " بيـن جبـال الكربـات والبلقان، اختفي البحر وترك مكانه سهلا مستوى غنيا بالإرسابات الطمييه (نحو ١٥٠ مـتر) وإن كان إنبساط السطح قد أدى أيضا إلى وجود مشكلات في الصرف أو ظهور مناطق تعـاني من الأملاح والمستنقعات ويعرف القسم الأوسط من هذا الحوض باسم Alfold، امتدادا للسـهل الأوراسي، ويقسم إلى قسمين : ــ

الفولد الصغرى : في أقصى الشمال الغربي ويتألف من عدة أودية رسوبية لعدة روافد تتجمع لتصل إلى نهر الدانوب سواء من الشمال كالمورافا أو مـن الجنـوب، فضـلا عـن أن المجرى الرئيسي للدانوب يتشعب ويتفرع إلى عدة فروع تترك بينها جزرا كبيرة، وقد جففـت المستنقعات، وأصبحت مزارع للحبوب والخضروات ومراعي لتربية الحيوان، وأهـم المواقـع

النهرية هنا براتسلافا عاصمة سلوفاكيا.

الفولد الكبرى : وتقع بين بودابست وبلجراد، وهو إقليم سهلي يمتد حتى سفوح جبال الكربات، وتجري فيه شبكة واسعة من الروافد من الشرق والغرب تلتقي مع النهر في إقليم البنات (الركن الجنوبي الشرقي من الحوض) قبل أن يعبر البوابة الحديدية، فيأتيه من الشرق عدة روافد لعلها أهمها نهر تيزا Tissa ومن الغرب نهر كابوسي Papos حاملا مياه بحيرة بالاتون شمال شرقي المجر التي تعتبر أكبر مسطح مائي عذب في أوروبا الوسطي هذا فضلا عن الدرافا والسافا ورافده درينا التي تأتي النهر من جبال الألب الشرقية. ويتفرع النهر أيضا في هذا الجزء إلى فروع عديدة، وكانت تنتشر فيه المستنقعات قديما، ولكنها جفت الآن وتحولت إلى مزارع.

المرتفعات المحيطة بالحوض : وهي حلقة جبلية محكمه يتراوح متوسط إرتفاعها بين ١٠٠٠، ٢٠٠٠ متر، وتبلغ أعلاها في الغرب في جبال الألب الدينارية بينما متوسط ارتفاع الكربات نحو ١٥٠٠ متر. وقد أصيب الإقليم بحركات رفع متكررة، وهذه الحركات نفسها التي زادت من ارتفاع الجبال منها ما كان في نهاية الكريتاسي والذي برزت على أثره جبال الكربات وترنسلفانيا والبلقان، ثم حركات أخرى في الميوسين ظهرت على أثرها جبال الألب الدينارية المحاذية للبحر، وفيما بينها كانت كتل بلورية قديمة ترجع إلى الحركة الهرسينية التي تآكلت وطغى عليها البحر، ثم ما لبثت أن برزتها القوى الالتوائية العنيفة كهضبة رودورب وبيهور. وتحتوى هذه الكتل القديمة سدودا من الصخور النارية الغنية بالخامات المعدنية.

ويبدأ هذا القوس الجبلي في الغرب حتى نهايات جبال الألب الشرقية، وبعبارة أخرى مقدمات جبال الألب في النمسا، ثم تكملها عبر دانوب فينا مرتفعات بوهيميا ولسان جبال الكربات الصغرى. ثم يبدأ قوس الكربات الكبرى العظيم الذي يتحول في سلوفاكيا إلى كتلة معقدة تمزقها الأودية العديدة التي تصب جنوبا في الحوض. ويستمر القوس حتى يستعرض تماما في الألب الترانسلفانية، ولكن حدود الحوض تسير مع كتلة هضبة بيهور التي تتوسط ثنية القوس الجبل فاصلة أياد عن حوض ترالسلفانيا. يقوم حائط جبال شبه جزيرة البلقان في كرواتيا وسلوفينيا وعلى الجانب اليوجوسلافي في الجنوب ليكمل الحلقة ويغلق الدائرة. وباستثناء فتحتي الدانوب نفسه عند فينا والبوابة الحديدية، فليس من فتحات تخترق حصار هذه الحلقة سوى بوابة مورافيا شمالا إلى السهل الأوروبي العظيم. وفتحة المورافا الفاردار في

قلب البلقان جنوبا.

المناخ : قارئ بصفة عامة وقمة مطره صيفا، ويمكن أن نميز فيه مناخ الحوض الداخلي: والأقل مطرا. ولا يمسه أثر البحر المتوسط إلا بالكاد في أقصى جنوبه الغربي. وينعكس تطرف الحرارة في المدى الحراري الكبير بين الصيف والشتاء. فالصيف حار يتراوح حرارته بين ٢١ْم في غربي سهل المجر، ٢٤ْم في شرقي رومانيا كما سجلت الحرارة شمالي بلغاريا في يناير ــ ٢٣ْم تحت الصفر، كما أن الشتاء بارد يعرف القسوة والصقيع والجليد طويلا. وتنعكس القارية كذلك في أن الربيع أدفأ، والخريف أبرد، عنه في غربي أوروبا. أما المطر فيتراوح بين ٥٠، ٦٥ سم، أي قد وإذا كان المطر موزعا على مدار السنة فإن معظمه يتركز صيفا فنحو ٦٠% من المطر السنوي يسقط صيفا، هذا بينما تنعكس الظروف القارية في جفاف الشتاء الذي لا يسقط فيه إلا ٢٠% من المطر السنوي، معظمه على شكل ثلوج تجلبها الأعاصير العابرة، وإن كانت هناك قمة ثانوية للمطر في الربيع مصدرها الأمطار الرعدية.

أما مناخ ساحل بحر الأدرياتيك والوادي الأدنى للفردار فهو مناخ البحر المتوسط، فالصيف حار جاف، والشتاء دفئ مطير. وتتراوح متوسط حرارة يوليو بين ٢٥ ، ٢٦ْم، ومتوسط حرارة شهر يناير بين ٤,٥ ــ ٥ر٥ْم. وتبلغ كمية التساقط السنوي فوق الأراضي المنخفضة نحو ٦٠ سم وتزداد فوق المنحدرات الغربية للألب الدينارية حيث يبلغ متوسطها السنوي في بعض أجزائها نحو ٣٠٠ سم، بل الجبل الأسود ما يزيد على ٤٠٠ سم أحيانا.

النبات : الاستبس في الحوض والغابات على السفوح : يترتب على المطر الصيفي فقط أن تختفي الغابة من الحياة النباتية، إلا من سفوح الجبال المحيطة والمرتفعات الوسطي. من ثم كان الغطاء السائد في سهول الحوض أعشاب الاستبس المعتدلة ــ البوشتا Pussta, Puszta كما تسمى شرق الدانوب. فالبوشتا سهول عشبية مترامية، استبس بلا شجر، وهي في الواقع آخر امتداد لاستبس جنوب أوكرانيا، يندفع كإسفين في قلب أوروبا عن طريق سهول مولدافيا وولاشيا. وتحت حرارة الصيف وقلة المطر، كثيرا ما يجف هذا الغطاء العشبي ويحترق، ولم يكن غريبا بعد هذا أن تصبح البوشتا المجرية أرض رعاة رحل، يسودها الرعي في كل تاريخها، لا القديم فحسب بل وحتى منتصف القرن الماضي فقط. فإلى قرن مضى، كانت البوشتا مسرحا للرعي وتربية الماشية والأغنام. وكان اللبن غذاء أساسيا، وكان للخيل مكانة أولى ودور هام. ولم تزل للخيل المجرية الصغيرة الحجم شهرة خاصة في العالم.

ويقوم الرعاة بحيواناتهم بالهجرة الفصلية الرأسية بين السفوح شتاء والأودية صيفا Trunshumance، غير أن النبات يتحول إلى الحياة الشجرية على السفوح الجبلية المحيطة بالحوض، وهو ضرب من الأشجار النفضية المعروفة في وسط أوروبا، تعلوها الغابات المخروطية، وأن كانت تظهر الحشائش أيضا بين هذه الأشجار، ونظرا لقطع الأشجار لاستخدامات البشر، فتحل الحشائش محلها.

إقليم مرور لغزوات وهجرات البشر : تعرض الإقليم لموجات الاستبس الآسيوي التي كانت تدفع بعضها بعضا، وتتقدم إلى الاستبس الأوروبي أي حوض المجر (البوشتا) عبر سهول ولاشيا، وكانت جبال الكربات وترنسلفانيا تقوم بمثابة حاجز لهذه الجماعات تحصرها فيها، واهم هذه الموجات هي قبائل الهون وترجع أصلا إلى منغوليا. وفي هجرتهم اتجهوا إلى الفولجا، وخرجت منهم جماعات إلى حوض المجر في القرن الخامس م. ثم كانت موجة قبائل الافار في القرن السادس م. وكلا من الهون والافار مغولية الأصل. على عكس المجيار التي بلغت الإقليم في القرن التاسع م. ليستقروا نهائيا في القرن العاشر. وكان الأوروبيون يعرفون المجيار باسم Hungars (لاحظ اسم هنجاريا) وهذه العناصر رغم أنها آسيوية الأصل، فيبدو أن غالبية دمائهم من عناصر ألبية (قوقازية) وقد اختلطت بهم عناصر تركية.

الطرق التي سلكوها : وقبل أن ندرس من هم سكان جنوب وسط أوروبا يجب أن نتتبع الطرق التي اتبعوها ليستقروا في الإقليم، فقد كانوا يتحركون عبر ممرات يسهل لهم الحركة، وبالتالي يفضلون السهول العشبية على المرتفعات التي تشغلها الغابات، ولم تكن هذه التحركات حربية في المقام الأول، ولكن تحركات رعاة كانت إما تحت جماعات أخرى أو بحثا عن أراضي عشبية، ولكن أن نميز هنا دروبا أساسية لهذه التحركات تحكمها بطبيعة الحال تضاريس الإقليم.

١ ــ السهول الاستبسية في جنوب روسيا ومنها إلى سهول ولاشيا.

٢ ــ طرق متعددة ضمن قوس جبال الكربات وهي من الشمال الشرقي ممر دوكلا، وممر التتار وهي تربط بين وادي الدنيستر (روسيا) وحوض المجر.

٣ ــ ممر فاردار ــ مورافا، ويقدم طريقا سهلا بين بحر إيجه ووادي الدانوب.

ونود القول بأنه قبل عهد الهجرات والجولات الضخمة للرعاة في القرن الخامس الميلادي، كانت هناك جماعات قد إستقرت في الإقليم، فالرومان أسلاف سكان رومانيا كانوا

على اتصال بسكان حوض الدانوب قبل غزوهم لحوض الدانوب الأدنى بفضل التجارة، وقبائل الليلايا التي كتب عنها هيرودوت بأنهم يعيشون في القسم الغربي من شبه جزيرة البلقان إلى الشمال من الإغريق ويمثلهم الآن الألبان وهم اسم أحد قبائل الليريا ثم بدءا من القرن السادس تقدمت قبائل من الاستبس الآسيوي وعبرت الكربات من جنوبها ومن ولاشيا عبر الممرات التي ذكرناها، كما ظهرت جماعات نوردية متعددة في فترات مختلفة، وجاءت الإقليم جماعات سلافية أو صقلبية من الشمال وعبروا أودية الفستولا إلى أودية مورافا (حوض الدانوب) وعبرو ممر مورافا / فاردار إلى الجنوب وانتشرت الجماعات السلافية الجنوبية Yugoslave والمقدونيين، والكروات والسلوفيين ببطء حتى احتلوا معظم ما عرف باسم يوغسلافيا، وتظهر في البلغار أصول آسيوية من الفن أو جريان (شمالي روسيا) والأتراك، على أن أكبر وأعظم هذه الغزوات والهجرات وترك أثرا في الإقليم غزو الاتراك العثمانيين وحكمهم لمعظم الإقليم بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر فقد وصلوا إلى أبواب فينا، وبذلك احتلوا كل حوض الكربات وجنوبي شرقي أوروبا. ولم ينج منهم سوى سكان الجبل الأسود وسلوفينيا، وبعض الكروات، ومع انهيار الدولة العثمانية كان هناك انسحاب للنفوذ التركي وأن لم يتم نهائيا، إلا بعد الحرب العالمية الأولي، ونظرا لقسوة الحكم التركي فقد لجأ كثير من السكان إلى المرتفعات، على حين ظهرت المؤثرات التركية أكثر وضوحا في السهول كما هو الحال في البوسنة والهرسك.

جماعات متعددة متباينة : هكذا اجتمعت في الإقليم جماعات متباينة ومتعددة مما كان له إنعكاس على استخدام الأرض والنشاط البشري والذي يعكس حضارة هذه الجماعات أو تلك، فالجماعات السلافية هم زراع بالدرجة الأولي، ومربو حيوانات وصائد أسماك، وفضلوا منذ البداية الأراضي السهلية، يقطعون غاباتها، ويزرعون أرضها، وأن قام بعضهم بالرعي الفصلي فكان لديهم الخيل والأبقار والخنازير، ويتاجرون في الأخشاب ثم المعادن فيما بعد. وكان الرومان والبلغار زراعا أيضا يفضلون الأراضي العشبية (الاستبس) والهضاب القليلة الارتفاع، أما الألبان وأهالي الجبل الأسود فقد دفعوا إلى المرتفعات نتيجة ضغط الجماعات السابقة عليهم، على حين وجد المجيار في إستبس الفولد الكبير شبه بيئتهم السابقة. فهي الحياة نموذجية بالنسبة لهم بطريقة حياتهم مؤكدين على الرعي، أما الألمان الذين استقروا على المرتفعات وعلى طول الأودية التي تجري فيها، فقد اشتهورا بأنهم تجار وعمال مهرة Skilled artisans.

بين مطرقة العثمانيين وسندان امبراطورية النمسا : كان لموقع الإقليم بين قوتين كبيرتين، قوة العثمانيين في الجنوب وقوة إمبراطورية النمسا في الشمال الغربي، وعجز المجر أمام قوة الأتراك، فكان تحالف النمسا والمجر ضد الأتراك، وأصبح حوض المجر هو أرض المعركة تستولي عليه تركيا، وتسترده النمسا والمجر، يحدث هذا مرات عديدة ما بين أوائل القرن السادس عشر حتى نهاية الحرب العظمي الأولي (١٩١٤ / ١٩١٨) وكان لخضوع الإقليم لأكثر من إمبراطورية بدءا من الرومان إلى العثمانيين والنمساويين، وسهولة الحركة والتحول داخلها أن أصبح حوض المجر مسرحا لتباين الشعوب وتعدد الأعراق، وحين وضعت الحدود السياسية لم تكن تتفق بحال مع الحدود العرقية، فكان الإقليم على الدوام يفور بالاضطرابات الداخلية وكثرة الادعاءات بخصوص الحدود السياسية.

بعد انهيار الشيوعية : تعتبر ثورة دول أوروبا الشرقية التي تفجرت عام ١٩٨٩ من أبرز أحداث القرن العشرين، ذلك أنها انطوت على تحولات ومتغيرات إقليمية ودوليه واسعة. ويذهب البعض إلى القول بأن التاريخ لم يشهد مثلها من قبل، اللهم إلا إنهيار وسقوط الإمبراطورية الرومانية القديمة، وقد بلغت هذه الثورة ذروة انفجارها في يوم ٩ نوفمبر ١٩٨٩ عندما انهار سور برلين تحت أقدام الهاربين من النظام الشيوعي والباحثين عن الحرية والخبز ذلك أن هذه الدول وجدت نفسها فجأة بعد الحرب العالمية الثانية في قبضة الاتحاد السوفيتي وقد شدد قبضته عليها بدخولها في حلف وارسو عسكريا ومنظمة الكوميكون اقتصاديا، وكما يقول البعض جرى " اختطافها " في أعقاب الحرب العالمية الثانية وفرض النظام الشيوعي عليها.

وقد تميز التخطيط المركزي بالتزامه بالمعايير الكمية، كم تنتج، دون استجابة للكيف وهذا يتناقض مع زمن أصبح فيه معيار المقارنة هو الكيف، فكان الفارق واضحا بين مستوى المعيشة لديهم ومستوى المعيشة في أوروبا الغربية، أدي غياب الملكية الفردية إلى تفشي الإهمال في العمل، وما صاحب ذلك من عجز متزايد في الإنتاج الغذائي، والزراعي، وإنتاج السلع الاستهلاكية، وتخلف تكنولوجي عن نظيره في أوروبا الغربية.

اتجهت دول أوروبا الشرقية بعد زوال عباءة الاتحاد السوفيتي إلى إعطاء استقلال إداري واقتصادي لآلاف المؤسسات والمشروعات الاقتصادية، وسمحت بمشاركة رأس المال الأجنبي، بل ولجأ بعضها إلى إنشاء المناطق الحرة كوسيلة لفتح الباب أمام الاستثمارات

الأجنبية وجذبها. وقدمت طلبات للعضوية الكاملة في الاتحاد الأوروبي، بل وأنضم معظمها إلى حلف الأطلنطي، وبالتالي انتهى حلف وارسو.

شهدت هذه التطورات انفجار النزاعات العرقية في يوغسلافيا بين الصرب والكروات (أرثوذكس ـ كاثوليك) وبينهما وبين المسلمين في البوسنة والهرسك، وبعد ذلك مع مسلمي كوسوفو.

كانت دول أوروبا الشرقية تتوقع بعد انهيار الكتلة الاشتراكية والتوجه نحو الغرب أن ترتفع مستويات رفاهية المواطنين. وتتسارع معدلات النمو الاقتصادي مع تشجيع الاستثمار الأجنبي والأخذ بالملكية الخاصة ولكن هذا لم يتم كما كان متوقعا، وبطبيعة الحال لابد وأن يأخذ هذا وقتا وجهدا لأن هذه الدول ظلت نحو نصف قرن تحت نظام سياسي يسير على نغمة واحدة، وحين تعدد النغم اضطرب الموعون. وتحت نظام اقتصادي جعل الهوة بالغة بين شرقي أوروبا وغربيها سواء في البنية التحتية أو التكنولوجيا ومستوى المعيشة، من ثم فلابد من وقت ليرتفع هؤلاء إلى مستوى أولئك.

دول زراعية في المقام الأول : كان الإقليم مغطي بالحشائش ولا تظهر الأشجار إلا حول المستنقعات حيث تنمو أشجار الصفصاف وبعض الأنواع التي تستطيع تحمل الجفاف، من ثم كان استخدام الأرض لتربية الخيول والأغنام والماشية حتى أوائل القرن العشرين، ولكنه تحول إلى زراعة الحبوب كالذرة والقمح والطباق فضلا عن تربية الحيوان والطيور، كما تزرع الفواكه كالكروم والخوخ والمشمش بين نهري الدانوب وتيزا. وكانت الزراعة حتى قبل الحرب العالمية الثانية، هي زراعة معيشية بالدرجة الأولي فيما عدا المجر وبعض أجزاء يوغسلافيا، وكانت معظم الأراضي في أيدي الإقطاعيين، من ثم فكان الفلاح شبه معدم، وكان أول نهوض للزراعة بعد الحرب الثانية حين تغيرت جميع الظروف سياسيا واقتصاديا واجتماعيا إلى النظام الاشتراكي، وأصبحت المزارع جماعية Collecctive farm على النظام السوفيتي (السابق)، وبالتالي أمكن إدخال الميكنة فضلا عن التسميد. ونظرا لأن نسبة الأراضي الصالحة للزراعة عالية في الإقليم، فهي تتراوح بين ٥٢% في المجر، ٤٢% في رومانيا كانت دول الإقليم مصدرة للحبوب بصفة خاصة. ولكن مع زيادة السكان أصبحت غير مصدرة للحاصلات الزراعية بصفة عامة رغم الإصلاحات التي جرت من تجفيف للمستنقعات، واستخدام الميكنة الزراعية، والتسميد، والجرارات. وكذلك اختفاء النظام الإقطاعي، على العموم فالصورة العامة

للريف هي زراعة المحاصيل في السهول، وتربية الماشية على منحدرات المرتفعات أساسا، وأن كانت السهول أيضا لا تخلو منها، وتصبح الألبان واللحوم منتجاتهم الرئيسية خاصة بعد توطين الرعاة وتحولهم إلى الزراعة. أما عن المركب الزراعي في حوض المجر (دولة المجو وغرب رومانيا) (إقليم البنات) وشمال يوغسلافيا، فمحاصيل الحبوب هي الأساس، على رأسها القمح الشتوي في غربي الإقليم والربيعي في شرقيه، وتنافس الذرة القمح هناك بل أن هذا الإقليم هو أكثر منطقة في أوروبا تنتج هذا المحصول على نطاق كبير، ثم تظهر حبوب المناطق الباردة كالشيلم والشوفان والشعير حيث تقل جودة التربة بحيث لا يمكن زراعتها قمحا. وبعد مجموعة الحبوب هناك مجموعة من الفاكهة، وعلى رأسها الكروم على السفوح الجنوبية للمرتفعات (الحماية من الرياح الشمالية الباردة)، وبالتالي إنتاج النبيذ، ومن المحاصيل الغذائية البطاطس الذي ينتشر في كل الإقليم، ودخلت زراعة الأرز بنجاح في سهل المجر، وهناك بنجر السكر والطباق، وأخيرا وليس آخرا الكتان والقنب وعباد الشمس.

الثروة المعدنية : يفتقر الإقليم إلى الفحم الجيد، ومن ثم يعتمد في وقوده على الليجانيت الذي تمتد مكامنه على هوامش سهل المجر في سلوفاكيا وشمالي المجر وشمالي يوغسلافيا في أحواض هضبة رودوب، وتعتمد أيضا على مصادر البترول الجيد وما يرتبط به من غاز طبيعي في حوض ترانسلفانيا والهوامش الخارجية لجبال الكربات، وقد ارتبط بالنشاط البركاني الذي حدث في الزمن الثالث ظهور مناجم للنحاس والبوكسيت (خام الألومنيوم) والزنك، هذا فضلا عن رواسب هامة للأملاح. وقد عوضت دول البلقان فقرها في الفحم الجيد بالقوي المائية التي زادت العناية بها، فأنشأت محطات الكهرومائية في جبال الكربات لتمد سلوفاكيا ورومانيا، وفي شمال وغرب بلغاريا، وفي كرواتيا وسلوفينيا، واستفادت رومانيا ويوغسلافيا من السد الذي أقيم عند البوابة الحديدية حين يختنق النهر في جبال الكربات (خانق كازان Kazan) واستخدمت الخبرة السوفيتية في إقامة كثير من المشروعات على الأنهار التي تجري في سهول ولاشيا والمجر.

الصناعة : كانت الصناعة متأخرة حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية، ذلك أن الدول الجديدة التي نشأت عقب الحرب العالمية الأولي كانت في معظمها تنقصها مقومات الصناعة. رغم وجود بعض تركيز لها في سلوفينيا (يوغسلافيا) والمجر، إلا أن معظم الخامات المعدنية كانت تصدر للخارج، كما أن استخراج المعادن كان في أيدي مستعمرين أجانب، فكان رأس

المال المستثمر في نحاس يوغسلافيا فرنسيا، والرصاص إنجليزيا وهكذا، ثم كانت حتى الصناعات القائمة للتصدير دون التفكير في تنمية صناعة للسوق المحلي، فكانت معظم صادرات هذه الدول باستثناءات محدودة عبارة عن صادرات زراعية وخامات معدنية، معظمها إلى الدول الأوروبية والتي كانت تؤمن لها احتياجاتها. وبدأت دول الإقليم بعد الحرب العالمية الثانية تهتم بالصناعة، وذلك بأحياء وإعادة بناء الصناعات القديمة، وبعد انتهاء النظام الشمولي (الشيوعي) بدأ الأخذ بالمشروعات الفردية واستيراد التكنولوجيا الغربية وزادت نسبة نصيب الصناعة في الناتج المحلي، وانخفاض نصيب الناتج الزراعي، فقد بلغت نسبته في رومانيا ٢٢% وفي المجر ١٣%. وتأتي الصناعات الكيماوية على رأس قائمة الصناعات التي تقدمت الآن، الأسمدة والبلاستيك، والخيوط الصناعية، والحديد، والصلب، في المجر ورومانيا وبلغاريا ودول يوغسلافيا السابقة وأن اعتمدت على الفحم البيتوميني (الصالح لصناعة الكوك) من بولند. وحقول البترول والغاز والكهرومائية، وكذلك الألومنيوم اعتمادا على بوكسيت يوغسلافيا والمجر، وظهر تطور آخر في ميدان الصناعة، فعلى حين كان التوطن الصناعي قديما مرتبط بموارد المعادن أو الفحم حيث تتجمع المصانع في المدن الرئيسية حيث سهولة النقل والتوزيع، فقد ظهرت مراكز أخرى وزادت المؤسسات الصناعية في المدن المتوسطة الحجم (٤٠ ألف نسمة).

المجـــــــــــــر

في وسط أوروبا دولة صغيرة، بمساحة ٩٣ ألف كم٢ ناضلت لمدة تزيد علــى الألــف عام مع القوى الكبرى التي حولها حكام أجانب تسلطوا عليها حتى حصلت على استقلالها، هــي جمهورية المجر وطن المجيار والذين لا ينتمون عرقيا إلى أي من الشعوب التي تجاورهم مــن كروات وصرب ونمساويين ورومانيين وسلوفاك، غير أنه من بين الاقليات العديدة التي تعيــش فيها نجد الألمان ويبلغون نحو نصف مجموع الاقليات ونحو ٤٠٠ ألف روماني (الغجر)، وفي نفس الوقت تعيش أقلية مجرية ضخمة تبلغ نحو المليونين في رومانيا، وأقليات مجريـــة فــي سلوفاكيا وصربيا. ويرجع تعدد العرقيات في داخلها، ووجود المجريين في الدول المجاورة إلــى أنها كانت جزءا من إمبراطورية النمسا والمجر، ثم اقتطعت مساحات كبيرة منها نتيجة اتفاقيات ما بعد الحرب العالمية الأولي حتى أصبحت مساحتها الحالية ربع ما كانت عليـــه. وهــي الآن دولة حبيسة يجري فيها نهر الدانوب (أو الدونا) والذي يمثل الحدود بينها وبيــن ســلوفاكيا، متجها نحو الجنوب. ويعيش سكان المجر في عزلة ثقافية عما حولهم ذلك أن لغتهم تنتمي إلــى الفن / أوجرى، بينما كل الدول التي حولها يتكلمون لغات تنتمي إلى مجموعة اللغات الســلافية أو الصقلبية وبعددهم الذي يزيد على ١٠ مليون نسمة، تصبح كثافة السكان ١٠٩ نسمة كـم٢، وتعتبر من الكثافات العالية في جنوب شرقي أوروبا خاصة وأن الحرفة الأساسية هي الزراعـة، في رومانيا والحضرية في نمو مستمر فقد كانت ٥٧% عام ١٩٨٠ ارتفعت إلــى ٦٥% عــام ٢٠٠٣، ومع ذلك فالنسبة منخفضة إذا قورنت بنظرائها في دول أوروبا الشمالية والغربية.

سهول في معظمها :

يتألف القسم الشرقي من المجر من سهول الالفولد الكبير، أما إلى الجنوب والجنـــوب الغربي للدانوب تقع الأراضي التي يعبرها الدانوب، وهي عبارة عن أراضي تلاليـــة مموجــه، وأودية متسعة تشغلها غابات البلوط، أما إلى الشمال الشرقي فهناك الفولـــد الصغـير. وفــي الشمال وخاصة شمالها الشرقي تمتد مجموعة من التلال وخلفـــها الجبـــال، وفــي مرتفعاتــها الوسطي تظهر بعض الجبال التي ترجع إلى أصل بركاني. وتفصلها أودية الأنهار عن بعضـــها، وفي هذه الجبال يوجد أكبر مظهر للكهوف في أوروبا بأكملـــها، وبالتـــالي تجـذب الســائحين لمشاهدة الأستلاكيت والاستلاجميت، وتقع أعلى قمة جبلية حول كيكس Kekes بارتفاع يزيـــد قليلا على الألف متر كأعلى قمة في سلاسل جبال مترا أمـــا عــن بحــيرة بـــالاتون بمســاحة

٥٩٦ كم٢ فهي أكبر بحيرة في وسط شرقي أوروبا، وكثيرا ما يطلقون عليها بحر المجر، وهذه وحدها تجتذب نحو المليون سائح سنويا للسياحة والصيد وسباق القوارب فمياهها عذبة تركوازية، وعلى أطرافها الشمالية تربض الجبال.

المناخ : ومناخ المجر قاري ببرودته شتاء ودفئة الصيفي، ولا توجد تغيرات حرارية كبيرة في أنحاء البلاد نظرا إنتظام السطح إلى حد كبير وقد تنخفض درجة حرارة يناير إلى ما دون الصفر المئوي، كما ترتفع درجة الحرارة في يوليه إلى ٢٦,٥ْم وتتراوح كمية التساقط ما بين ٤٠ سم ، ٦٠ سم معظمه صيفاً، وتسقط الثلوج شتاء لمدة تتراوح بين ٢٠ ، ٣٠ يوماً.

الزراعة : بحكم البيئة الأساسية كان المجريون رعاة بامتياز ورعى الخيول في المقام الأول، والأبقار. والأغنام وغيرها، ولكنهم استقروا وتحولوا إلى الزراعة منذ أوائل القرن الماضي، وتحول الرعي الطبيعي إلى تربية للحيوان فضلا عن الزراعة. وأن لم تخلو بعض السفوح الجبلية من الرعاة.

وللزراعة أهميتها رغم أن العاملين بها الآن لا يزيد على ٦% من القوي العاملة، كما تسهم بنحو ٧% من الناتج المحلي الإجمالي للدولة، وقد مرت الزراعة في المجر بمراحل عديدة، فحتى أوائل القرن كان يغلب الإقطاع على الريف، ثم تحول الأمر مع النظام الشيوعي فيما بعد الحرب إلى المزارع الجماعية وإلغاء الإقطاع، مع السماح بالحيازة الفردية لحديقة المنزل ومزروعاتها ولكن بعد انتهاء الشيوعية، أعلن عام ١٩٩٠ عودة الأراضي إلى ملاكها الأصليين وورثتهم بشرط أن يستمروا في فلاحتها بحد أقصى للملكية ٧٥٠ فدان، وللملاك الحق في بيع ما يزيد على هذه المساحة مع تحريم بيع الأراضي للأجانب أو الشركات، فأصبحت الملكية الفردية تضم ٩٠% من الأراضي الزراعية.

وتبلغ مساحة الأرض القابلة للزراعة ١٥ مليون فدان أكثر من نصفها مزروع ونحو ١٢% منها عبارة عن أراضي حشائش ومراعي. وتأتي الحبوب في المقدمة، فهي تشغل نحو ثلاثة أرباع المساحة المزروعة ويتصدر القمح محاصيل الحبوب في السهول ويزرع بنجر السكر في دورة زراعية، لذلك كان توزيع القمح هو توزيع البنجر. كما يجود الشيلم في التربة الرملية بين نهر الدانوب ورافده تيزا، كما تشتهر شمال المجر بزراعة الشعير، وتقترب مساحة الذرة من مساحة القمح وبطبيعة الحال تزرع في الجنوب. أما البطاطس المحصول الغذائي

الأساسي فيزرع في معظم الأراضي الزراعية وخاصة بين الدانوب ورافده وتيزا وجنوب بحيرة بالاتون، هذا إلى جانب العديد من الفواكه كالكروم والخوخ والمشمس والخضروات.

-- *من الرعي التلقائي إلى تربية حيوان وزراعة :* تحول الرعي التلقائي إلى تربية الحيوان مع زراعة النبات، فازداد عدد الأبقار والخيول والخنازير والأغنام خاصة وان الأبقار هجنت بالأنواع السويسرية ونمساوية لتعطى إنتاجا أفضل من الألبان واللحوم، وتتركز تربيتها في القسم الغربي كذلك حلت الخنازير الإنجليزية محل الخنازير المجرية لأن إنتاجها من اللحوم أكبر، وتربي في الجنوب حيث مزارع الذرة لتسمينها، أم الأغنام فمجالها الأكبر هو سفوح المرتفعات الشمالية والشرقية. وأن كانت لا تخلو منها مزرعة بطبيعة الحال.

البترول والفحم والبوكسيت : المجر فقيرة في ثروتها المعدنية، ففي ميدان الطاقة نجد أن إنتاجها من الفحم البيتومين قليل، ومعظمه من اللجنيت (٧ مليون طن) من مناجمه بالقرب من بيكس Pecs، وفي الشمال حول ميسكولك Miskolc، ولا يغطي الفحم اليوم إلا بنحو ٦% فقط من الطاقة اللازمة لتوليد الكهرباء، ومن ثم كانت استخداماته الرئيسية في مصاهر الحديد، وفي الصناعات الكيماوية، ويفوق نصيب البترول (١,٧ مليون طن) والغاز الطبيعي ٥٣٦٥ مليون م٣) نصيب الفحم، وتقع حقول البترول والغاز الطبيعي بالقرب من سيزجد Szeged في الجنوب. والجديد في ميدان الطاقة هو استخدام المجر للطاقة النووية في توليد الكهرباء حتى أصبح نصيبها ٣٨% من الطاقة المستخدمة، والبوكسيت هو أهم معادن المجر بإنتاج مليون طن سنويا، ومناجمه إلى الجنوب الغربي من بودابست، وكان في الماضي يصدر خاما إلى الخارج لحاجة تحويله إلى ألومنيوم إلى طاقة كبيرة ورخيصة ولكن بدأ تصنيعه محلياً، من ثم كان على المجر أن تستورد كثيرا من الخامات اللازمة للصناعة كفحم الكوك من بولند والحديد من روسيا والتشيك، ويشحنه الروس إليها بواسطة الصنادل على نهر الدانوب.

صناعات لا تحتاج إلى خامات كثيرة : تخصصت المجر في صناعات لا تحتاج إلى خامات كثيرة، من ثم تأتي الصناعات الغذائية في المقدمة، تعليب الخضر والفواكه واللحوم والنبيذ، والجرارات والآلات الزراعية، وأدوات النقل، خاصة الدراجات الهوائية، وبعض الصناعات الكهربائية. وأهم المراكز الصناعية بودابست العاصمة ولها نصف الإنتاج الصناعي للمجر، ففيها الورق والمنسوجات وسيارات النقل، وجرارات السكك الحديدية والسكر والطباق والكيماويات.

وتتألف بودابست من مدينتين: بودا Buda على الضفة اليمنى للنهر وهي ذات موقع حصين وبست Pest على الضفة اليسرى حيث الأرض المنبسطة واتحدت المدينتان منذ عام ١٨٧٣ لتصبح عاصمة للمجر تضم وحدها خمس سكانها، فإذا ما أضيفت إليها الضواحي استحوذت على ربع السكان، وهي بموقعها في شمال الوسط تصبح قريبة من سلوفاكيا وبالتالي من المراكز الرئيسية في وسط أوروبا أيضا، وعند التقاء بشبكة ضخمة من الخطوط الحديدية والبرية والنهرية، فهي بوابة كل المسافرين سواء بالطائره، أو البر. أو بالسفن التجارية عبر الدانوب. والواقع أن بست التي شيدت في أراضي سهلية عند بداية السهل المجري العظيم أكثر عصرية وحداثة من بودا. وبمصانعها، ومخازنها وأحواض بناء السفن التي تقع عند مشارفها على الدانوب، ويربط جزئي المدينة من ثم تزداد أهميتها غير أنها عاصمة في أن ٥٠% من صناعات المجر مركزه فيها أو هي منها قريبة ثمانية جسور، ومما يعطى جمالا للمدينة أن جزء على سفوح تلال تغطيها الغابات وتضم ٣٠ حارا وتكثر الجزر في الدانوب مقابل العاصمة وقد حولت إلى متنزهات وطنية وتشغلها الفنادق. *أما ميسكولك :* وهي مركز لنطاق صناعي يعتمد على قربه من مناجم الحديد الوحيدة في المجر إلى جانب مناجم فحم اللجنيت في الأودية المحيطة بها، من ثم قامت مصانع الحديد والصلب والآلات والكيماويات والزجاج.

فاربولويا Varpoloya : حيث يعدن البوكسيت شمالي شرقي بحيرة بلاتون على هامش غابة باكوني، وحيث تنمو صناعة الألومنيوم نموا سريعا. بيكسي Pecs : ومناجمها الفحم إلى مصانع الحديد. وتقوم بها صناعة الخزف والملابس.

يوغسلافيا الاتحادية الاشتراكية

(يوغسلافيا أرض السلاف الجنوبيين)

أطلقت هذه التسمية عام ١٩١٩ على مملكة الصرب والكروات والسلوفينيين ذلك أن إمبراطورية النمسا والمجر كانت تسيطر على القسم الشمالي، في حين كان القسم الجنوبي خاضعا للدولة العثمانية. وبعد الحرب العالمية الأولي، اتحد الصرب والكروات والسلوفين تحت لواء مملكة صربيا، وفي عام ١٩٢٩ اتخذت اسم يوغسلافيا، وتعرضت هذه الدولة للغزو الألماني الإيطالي عام ١٩٤١، ودمرت البلاد تماما ريفا وحضرا مما أدي إلى اتحاد هذه الشعوب لدرء هذا الخطر. وتكونت المقاومة السرية تحت قيادة جوزيف بروز تيتو، وعندما

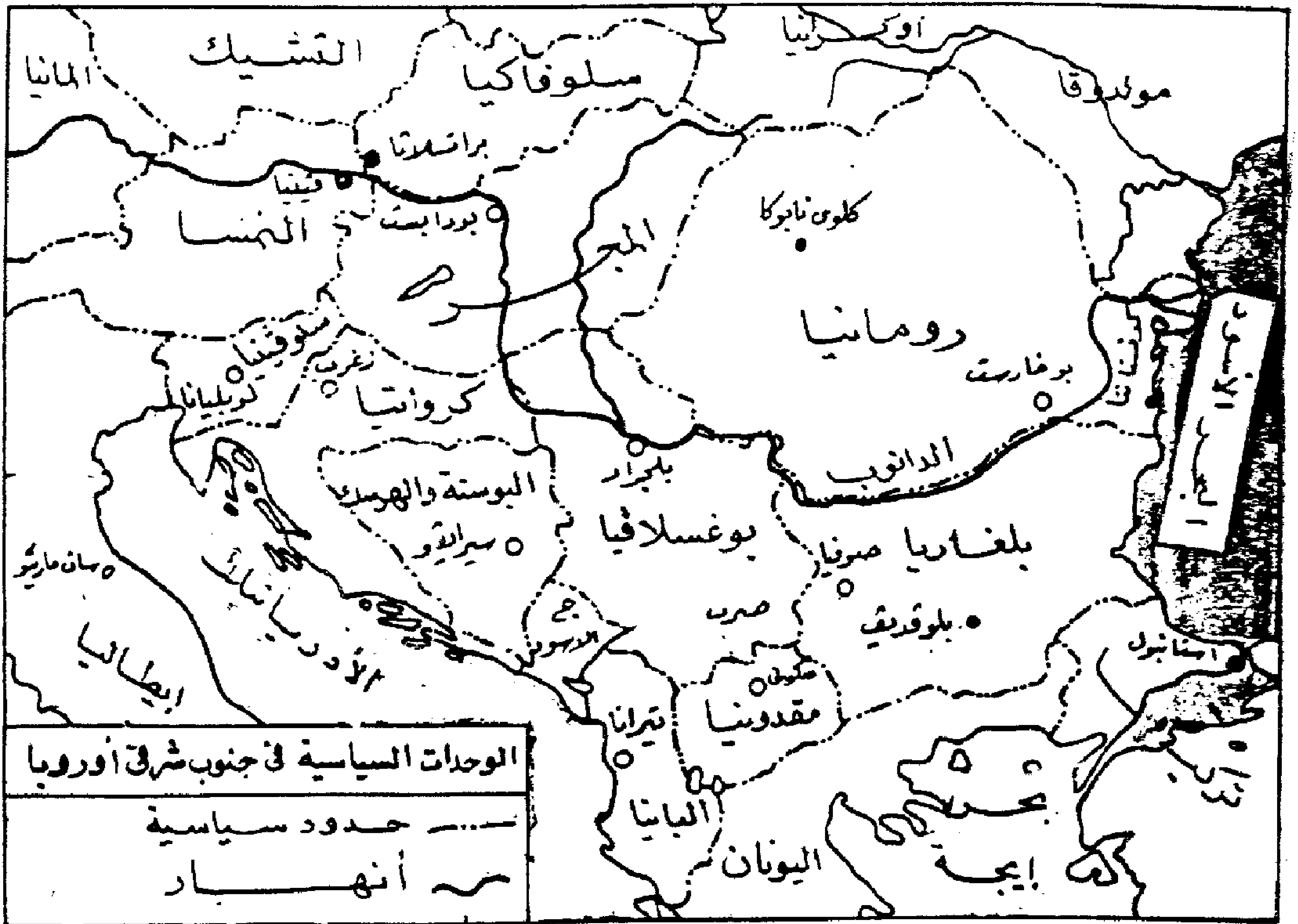
إنزاح هذا الكابوس بهزيمة ألمانيا وإيطاليا عام ١٩٤٢، أحست هذه الشعوب بأنها لابد أن تكون أكثر تماسكا رغم تباينها، وتعايشت معا بفضل قيادة تيتو، وتحولت إلى النظام الفيدرالي الشيوعي فيما بين ١٩٩١/١٩٤٥ مكونة من ست جمهوريات هي : سلوفينيا، كراوتيا، صربيا والجبل الأسود، والبوسنة والهرسك، ومقدونيا، وبفضل قيادة تيتو أيضا لم يستطع الاتحاد السوفيتي أن يفرض عليها سياسته، بل خرج الرئيس تيتو على هذا النظام وأقام علاقات مع الغرب وخاصة ألمانيا الغربية.

التعقيد البشري : نلاحظ من الناحية البشرية أن يوغسلافيا تقع بين عالمين متباينين، السلاف في الشرق، والجرمان في الغرب، أي أنها إقليم انتقال بين العالمين، وأن كان السلاف هم الأصل، ذلك أن طبيعة تضاريس الإقليم تسمح للسلاف أكثر مما تسمح للعناصر الجرمانية بالتوغل في الإقليم، ذلك أن الإقليم تطوقه نطاقات جبلية في الشرق والغرب، وأن كانت النطاقات الغربية ممثلة في الألب الدينارية وأجزائها تكاد تقطع شبه الجزيرة عن وسط القارة، على حين أن الاتصال والحركة أسهل نحو الشرق، لذلك استمدت شبة الجزيرة عناصرها البشرية من أوروبا الشرقية أي من السلاف، على حين أن الألمان وغيرهم يعتبرون بمثابة أقليات، وإذا أضفنا أيضا الأتراك المسلمين أدركنا التعقيد العرقي هناك.

الفزيوغرافيا ضد الاندماج : ومن أبرز سمات السطح أن النطاقات الجبلية تمتد بألسنة أحيانا إلى البحر وتحصر بينها أودية ضيقة في معظم الأحوال، وبالتالي يتحول اللاندسكيب الطبيعي إلى مجموعات من الأحواض وسط المرتفعات المقطعة، وهذا التمزق الطبيعي ينعكس بدوره على توزيع السكان، حيث تظهر الجزر السكانية التي تكاد تنعزل عن بعضها، وما يتبع ذلك من عدم اندماج، وعادة ما تقوم الأودية والسهول كنواة طبيعة لوحدة سياسية مستقلة، كما هو الحال مع الصرب التي تتجمع في وادي مورافا وحوله والذي يعتبر أهم ممرات وسط البلقان، ثم تنحدر بعد ذلك إلى الأقاليم الجبلية المجاورة ، من ثم تتعدد وتتعقد اللغات واللهجات والقوميات والانتماءات.

التفكك والتطهير العرقي : تتعدد الديانات في يوغسلافيا، فعلى حين نجد الكروات في الشمال (كاثوليك) والصرب (أرثوذكس) ومركزهم الرئيسي في الشرق، وقد حصرا بينهما المسلمين (ومركزهم الرئيسي البوسنة)، وحين تفككت الجمهورية وجد المسلمون أنفسهم مهاجمين من المعسكرين الأرثوذكسي والكاثوليكي معا. وانتشر ما يعرف باسم التطهير العرقي

(Ethnic cleansing) الذي يتمثل هنا في طرد المسلمين من ديارهم، وقام به كل من الصـــوب والكروات، ولكن سرعان ما انقلب الأمر وبدأ التطهير العرقي بينهما بتطـــهير الكـــروات مـــن للصرب الذين يعيشون بينهم، وتطهير الصرب للكروات الذين يعيشون في أراضيهم .بدأ بل هـذا التفكك عام ١٩٩١ بإعلان جمهوريتان في الشمال وهما سلوفينيا وكرواتيا الاستقلال، وبـــدأت يوغسلافيا تتحول إلى ساحات للمعارك من يوليه ١٩٩١ إلى يناير ١٩٩٢ في دولـــة كرواتيـــا الحديثة ووجدت مقاومة من الأقلية الصربية في كرواتيا، وبعد فـــترة وجـيزة تحولـت أرض المعارك إلى البوسنة والهرسك في مارس ١٩٩٢ بعدما أعلنت هذه استقلالها، وقــد اســتمرت الحرب رغم تعدد فترات وقف إطلاق النار حتى ربيع ١٩٩٤. من ثم كانت البلقنة وهي أكبر مــا تظهر في يوغسلافيا فالبلقنة Balklization. التي تحولت من اسم (علم) شبه جزيرة البلقــان إلى اسم نوع، أي التفتيت، وقد أصبحت هذه التسمية عالمية على كل إقليم يصاب بداء التفتيــت رغم أنه ليس من البلقان أو فيها.



شكل رقم (١٦)

يوغسلافيا الجديدة

الصرب والجبل الأسود

أعلنت دولة يوغسلافيا الجديدة في أبريل ١٩٩٢ مكونة من جمهوريتي صربيا والجبل الأسود فقط، وهذا معناه في الحقيقة الاعتراف بانسحاب جمهوريات سلوفينيا، وكرواتيا، البوسنة والهرسك، ومقدونيا. ورغم أن يوغسلافيا الجديدة أعلنت في وثيقة إعلان الجمهورية أنها ليست لها ادعاءات إقليمية في أراضي جيرانها، ولكن الدولة الجديدة دعمت سياسيا وحربيا إقليم الصرب في البوسنة في حربهم ضد المسلمين والكروات مما أضطر الأمم المتحدة إلى وضع عقوبات اقتصادية عليها.

أرض ومناخ : يتكون القسم الشمالي والذي يكاد ينطبق على مقاطعة فيفودينا Vojvodina من أراضي سهلية. وهو جزء من حوض الدانوب الذي يمتد إلى المجر ورومانيا، والذي كان في عصور جيولوجية قديمة قاع بحر داخلي صرفه نهر الدانوب، من ثم كان عبارة عن مسطحات واسعة يغلب عليها الاستواء، وما تلبث الأرض أن ترتفع وتتضرس إلى الجنوب من العاصمة بلجراد، وكانت هذه المرتفعات ملجأ للصرب خلال الغزوات المتكررة والتي تعتبر جزءا من تاريخ الإقليم، ولكن هذه المرتفعات الآن هي مصدر للأخشاب، كما تصعد الماشية سفوحها صيفا ترعى حشائشها. ويمر نهر الدانوب في ركنها الشمالي الشرقي عابرا بلجراد قاطعا جبال الكربات فيما عرف باسم البوابة الحديدية iron gate في خانق لا يزيد عرضه على ١٥٢ مترا تحيط به المرتفعات بارتفاع يزيد على ٦٠٠ متر، وهنا أقيم سد ديرلاب Dierlap لتوليد الكهرومائية الذي تستفيد منه رومانيا ويوغسلافيا. تتعدد المناخات في يوغسلافيا رغم المساحة المحدود (١٠٢ ألف كم٢) إذا يميل المناخ في الشمال إلى الاعتدال، في حين يميل في الجنوب والمناطق الجبلية إلى القارية بشتاء بارد،، وصيف حار، ويزداد المطر خاصة في الجبل الأسود لارتفاعه حتي ليبلغ ٤٠٠ سم أحيانا، ولما كانت التكوينات الصخرية جيرية، فهي منفذه للماء وبالتالي تختفي المياد في الصخور مكونة مجاري مياه جوفية.

السكان : يبلغ عدد سكان يوغسلافيا الجديدة ١١ مليون نسمة معظمهم من الصرب، وأن كانت البلاد تتميز بصورة عامة بعرقيات متعددة، فهناك نحو ٤٠٠ ألف مجري في مقاطعة فويفودينا في الشمال، أما في مقاطعة سوفو في الجنوب، فهناك نحو مليون من الألبان، كما

يعتبر سكان الجبل الأسود والذين يقدرون بنحو ٦٠٠ ألف من الصرب وهم سكان الجبال محاربون أشداء يشبهون في ذلك سكان المرتفعات الأوروبية كالاسكتلنديين والباسك.

وكانت نتائج المواجهات العسكرية بين الصرب والكروات، وبين الصرب والمسلمين في البوسنة والجبل الأسود، مريرة للغاية، فقد قتلت المعارك نحو ١٠٠ ألف نسمة، وأصبح أكثر من ٢ مليون نسمة لاجئين في عام ١٩٩٤، كما هرب مئات الآلاف إلى المجر وألمانيا والنمسا ولكن معظمهم ظل في جهوريات يوغسلافيا القديمة، هذا فضلا عن نازحين displaced بمئات الآلاف.

اقتصاد : يرتكز الاقتصاد اليوغسلافي على تنوع موارده الطبيعية التي تشمل الحديد، النحاس، والرصاص، والكروم، والبوكسيت، والفحم، والغاز الطبيعي، والبترول ٩٨٠ ألف طن. وكذلك على توليد الكهرباء من المجاري المائية التي تنحدر من المرتفعات، كما أن غاباتها مصدر للأخشاب. وإذا كانت الزراعة وتربية الحيوان منتشرتان في أنحاء يوغسلافيا، فإن الثلث الشمالي بخاصة إقليم فويفودينا الخصيب هو بمثابة مزرعة يوغسلافيا الأساسية، إقليم منتج للقمح والذرة، وعباد الشمس، والطباق، والفاكهه بحيث تقترب يوغسلافيا من الاكتفاء الغذائي. وتقوم الصناعة على أساس استغلال المعطيات الطبيعية، لذلك كانت صناعة الورق والواح الخشب، الأثاث، الكيماويات والمنسوجات، السيارات، والصناعات الغذائية وإذا ذكرت الصناعة لابد وأن نذكر بلغراد العاصمة (١,٧ مليون) فهي القطب الصناعي تدولة فيها، وحولها نصف الصناعات، وللمدينة وضعها الاستراتيجي، على الطريق بين الشرق والغرب الأوروبي، من ثم كانت دائما عرضة للتدمير من الجيوش المتحاربة، ثم يعود السكان إلى بنائها مرة أخرى.

سلوفينيا

في أقصى الشمال، وقد تفادت الحرب الأهلية بعد استقلالها بفضل وحدتها العرقية، تجدها شمالا النمسا، بينما تقع المجر في شمالها الشرقي، وفي جنوبها الشرقي كرواتيا، وإيطاليا في الغرب، وتمتد بلسان صغير إلى الأدرياتيك جنوب ميناء تريست. وسلوفينيا أقرب إلى وسط أوروبا تضاريسا ومناخا، فهي أطراف جبال الألب التي تغطي قممها الثلوج، ممثلة في جبال كرافانك Karavenk في الشمال وجبال الألب الجوليان وفي الشرق Jaulian ، وفيها أعلى قمة في الجمهوريات الست هي قمة جبل تريجلاف Triglave (٢٨٦٥م) أي ذات

الرؤوس الثلاثة، ويقصد بذلك أهل سلوفينيا قمة تمثل الماضي، وأخرى تمثل الحاضر والثالثة تمثل المستقبل. ويبدو الإقليم ممزقا تشقه الأودية النهرية منها وادي سافا، وقد تتسع الأودية الضيقة أحيانا حتى لتصبح أحواضا كما في حوض لوبلبانا، ولما كانت الصخور جيرية منفذه لماء المطر، اشتهرت بالكهوف لعل منها ذلك الكهف الذي يمتد لمسافة ١٩ كم خارج لوبليانا، والذي حفره نهر باطنى يأتيه السياح لمشاهدة ظاهرة اللاستلاكتيت، ومن المناظر الجبلية الخلابة أيضا تلك البحيرة الكبيرة التي تتوسطها جزيرة والتي يزعمون أنها كانت موطن الآلهة زيف Zive آلهة الحب والحياة!!

ويبلغ عدد سكان سلوفينيا ٢ مليون نسمة، وهي أقرب الجمهوريات المستقلة إلى أوروبا الوسطي والغربية، مناخا وبشرا وإنتاجا فهي منتجة للقمح والذرة وبنجر السكر والبطاطس والكروم، فضلا عن ثروة غابية، وهي أيضا منتجة للفحم (٨٠٠ ألف طن) وقامت الصناعة اعتمادا على أخشاب الغابات في صناعة الورق والأثاث اعتمادا على مساحات الغابات الواسعة نفضية وصنوبرية. وتقوم هذه الصناعة بصفة خاصة في وادي مورا Mura حيث توجد أكبر محطة لتوليد الكهرباء وأجهزة الرياضة، فضلا عن وسائل النقل والأدوات الكهربائية والأسمنت. وتبدو عاصمتها لوبلبانا بسكانها الذين يزيدون على ٨٠٠ ألف نسمة هي القطب السكاني والصناعي للدولة، ففيها وحدها أكثر من ثلث السكان وهي مركز للسكك الحديدية، وبها مصانع الألومنيوم، ومعامل الكيماويات، والأدوات الكهربائية، والمنسوجات، هذا على حين تقع ماريبور Maribor في شمال شرقي سلوفينيا عند حضيض جبال كرافنك وبها محطة ضخمة لتوليد الكهرباء، وبها أيضا معامل تكرير البترول ومصانع الأسمنت.

كرواتيا

وهي أشبه بفم تمساح مفتوح وفي داخله البوسنة والهرسك أو على شكل هلال يمتد طرف منه في سهول المجر والطرف الآخر متآخم بحر الادرياتيك، وقد اندلعت الحرب فيها بعد إعلانها الاستقلال في يونيه ١٩٩١ بأسابيع قليلة، وقامت الحرب الأهلية فيها بين القوات الكرواتية وقوات الأقلية الصربية التي دعمها الجيش اليوغسلافي (الصرب) ذلك أن من بين سكان كرواتيا البالغين ٥ مليون نسمة، والكاثوليك مذهبا، هناك أقلية صربية تقدر بنحو ١١% من السكان يتبعون المذهب الأرثوذكس. وقد أرهق الجانبان نفسهما حتى تدخلت قوات الأمم المتحدة عام ١٩٩٢. حدودها كلها أودية نهرية، نهر مورا Mura مع المجر. ويحدها الدانوب

شرقا مع صربيا، وحدها الشمالي هو نهر سافا مع البوسنة والهرسك. وتتكون من ثلاثة أقاليم جغرافية، أكبرها الهضبة الداخلية التي تمتد شرقا إلى ما بين العاصمة زغرب، والقسم الثاني هو الطرف الغربي الضيق الذي يكون شبه جزيرة أستريا Istria ، والقسم الثالث هو ساحل دلماشيا والذي تقع عليه مدن تاريخية مثل دبروفنيك، وتمتد على طول الساحل مئات الجزر. وقد أدي اتساع مساحات الغابات في الداخل وتنوعها على السفوح السفلي نفضية إلى مخروطية على السفوح العليا إلى قيام صناعات الورق ولب الخشب خاصة في وادي مورا حيث تقع محطة من أكبر محطات توليد الكهرباء. هذا على حين تغطي سفوح الجبال السفلي بساتين الكروم وحدائق الفاكهه، وكما هو الحال في مثل هذه البيئات تقوم الماشية برحلاتها الموسمية صعودا وهبوطا على الجبال. ويعتمد اقتصادها الهضبة على الزراعة خاصة القسم الجنوبي منها، وهي منتجة للقمح والذرة وبنجر السكر، وعباد الشمس، والكتان. والكروم (النبيذ)، أما الصناعة فتقتصر على وجود الفحم (٩٦ ألف طن)، والبترول ١,٥ مليون طن، والبوكسيت (١,٢ مليون طن) والأملاح، من ثم قامت فيها الصناعات المعتمدة على الأخشاب كالورق والأثاث، والصناعات الغذائية والكيماويات. وبناء السفن، وتضم زغرب عاصمتها نحو ثلث السكان ونصف الصناعات. وتقوم على ساحل دلماشيا زراعة محاصيل البحر المتوسط كالكروم والزيتون والتين فوق الأراضي السهلية المحدودة، وعلى جوانب التلال. وإلى جانب الزراعة يعمل سكان الساحل بالصيد البحري من بحر الادرياتيك وقد تحدد قيام المدن ونموها على هذا الساحل على اعتبار أن السهول الساحلية متقطعة، من ثم كانت نشأة كل مركز حضري باعتباره مركزا لإقليم زراعي، ولا يتصل هذا المركز بغيره من المراكز المجاورة باليابس لامتداد الألسنة الجبلية، من ثم كان الاتصال عن طريق البحر. ونمت مدن ذات الشأن أينما وجد المرفأ الجيد كما في ريبكا (فيومي) (١٨٠ ألف نسمة) وسبليت (٢٠٠ ألف نسمة) ودبروفنيك. وقد تغلبت ريبكا على سبليت كالميناء الرئيسي الأول لكرواتيا، ساعدها على ذلك سهولة اتصالها بالنمسا عن طريق سلوفينيا، وأصبحت سبليت مركزا لتجارة الحبوب والماشية. هذا وتقوم صناعة بناء السفن في كل من ريبكا وسبليت. أما شبة جزيرة إستوريا في شمال الأدرياتيك فترعى الأغنام الحشائش التي تعلو الهضبة. وعند طرف شبة الجزيرة تقع بولا Pula وهي مركز لصناعة السفن، وكان هناك نزاع على ميناء تريستا التي تقع إلى شمالها بين كل من إيطاليا ويوغسلافيا سابقا، وانتهي النزاع بالاتفاق على أن يكون به ميناء حر ليوغسلافيا السابقة.

مقدونيا

يرتبط هذا الاسم تاريخيا بإقليم أكبر من حجمها الحالي بل كان يضـم جنـوب غربـي بلغاريا وقسما كبيرا من اليونان. وذاعت شهرتها لأنها كانت منبت الإسـكندر الأكـبر ومركـز لإمبراطورية ضخمة في تاريخ العالم القديم، وقد عقدت هذه الجذور التاريخية وضعها الحـالي، فقد قامت قيامة اليونان منذ إعلان استقلالها عام ١٩٩١، لأن هذه الجمهورية أخـذت لنفسـها اسما إغريقيا وشعارات إغريقية. ولكن صار الاعتراف بها عالميا عام ١٩٩٤، بمساحتها التـي تقدر بنحو ٢٥٧ ألف كم٢ وتحدها ألبانيا، ويوغسلافيا، وبلغاريا، واليونان.

وأراضي مقدونيا معظمها كتل جبلية يفصلها بعضها عن بعض أحواض وأودية، ومن أهم هذه الأودية وادي فردار الذي يقع في جنوبها الشرقي، والذي يمر عبر سـكوبي Skopje العاصمة في طريقه إلى بحر إيجه وخليج سالونيك ولوادي الفردار هذا أهمية الاستراتيجية، من ثم فهو مطمع لبلغاريا المجاورة. وتقع أعلى قمم مقدونيا في شمالها الغربي، على حين تقع أهم بحيرتين فيها في الجنوب في برسبا Pespa وأوركهيد.

ومناخ مقدونيا هو مناخ البحر المتوسط المعتدل، وقد تنخفض درجة حرارة سـكوبي إلى درجة التجمد في يناير، بينما ترتفع في يوليه إلى ٢٤م ، من ثم تجود زراعة القمح بسـبب الجفاف الصيفي. يبلغ عدد سكان مقدونيا ٢ مليون نسمة، ثلثيـها مـن السـلاف الجنوبيين ويتكلمون لغة شبيهه بالبلغارية. وإذا كان ٧٥% يدينون بالأرثوذكسية، فإن ١٥% من سـكانها من الألبان المسلمين كما استقرت بها عناصر كثيرة من الصرب والبلغار والأتراك. وهي دولـة زراعية في الدرجة الأولي دولة غنية نسبيا ببعض المعادن مثل الرصاص والزنـك والنحـاس والكروم، ومع ذلك فهي دولة زراعية أولاً ويأتي القمح في المقدمة، والشعير، والذرة العريضة وبنجر السكر، وعباد الشمس. والطباق، والبطاطس، فضلا عن تربية الحيوان وصيد الأسـماك. وتقوم فيها بعض الصناعات، سيارات الركوب، والثلاجات، وحامض كبرتيك، وغـزل القطـن، فضلا عن شهرتها في صناعة السجاد والحفر على الخشب. ومركز الخطوط الحديدية والبريـة، وتضم صناعات عديدة أخرى غذائية والطباق والمنسوجات.

ويسكن سكوبي العاصمة نحو نصف مليون نسمة. ورغم أنها مدينة قديمة فمظـهرها الآن مدينة حديثة، دمرتها الزلازل عام ٥١٨م، وضربتها الزلازل مرة أخرى بشدة فـي يوليـه

١٩٩٣ مما أدي إلى انهيار نحو ١٠% من مبانيها وقتل نحو ألف نسمة، من ثم بنيت سكوبي جديدة حول نهاية السكك الحديدية التي تركت كمبني تذكاري بساعتها التي توقفت عند حدوث الزلازل الساعة ٥.١٧ صباحاً، كذلك احتفظوا بكثير من المزارات التاريخية بما فيها ذلك الجسر الحجري الذي يعلو نهر الفردار والذي يرجع إلى القرن الخامس عشر.

البوسنة والهرسك

دولة شبه حبيسة بمساحة ٥١ ألف كم٢، ولا يتعدي ما تطل به على بحر الأدرياتيك سوى ٢٠ كم فقط دون مرافئ، وباستثناء مساحات سهلية قليلة على طول نهر سافا، ووادي نيرتفا في الجنوب ونهر درينا في الشرق، فهي بلاد جبلية، والجبال هنا هي جزء من سلاسل الألب الدينارية والتي تمتد بموازاة الساحل الدلماشي من شبة جزية إستربا باتجاه جنوبي شرقي . وتتألف البوسنة والهرسك في معظمها من جبال وهضاب فمعظم القسم الغربي من البوسنة والهرسك جزء من الألب الدينارية بظاهرتها الكارستية التي تتركب من صخور جيرية عظيمة النفاذية للماء سريعة الذوبان، وبالتالي يكاد ينعدم فيها التصريف المائي الا من القليل. لا يعزى هذا إلى قلة التساقط، بل إلى اختفاء ماء المطر وذوبان الثلوج لتكون شبكات مياد باطنة، وإذا ما اتجهنا نحو الشرق دخلنا في الألب الدينارية وهي متنوعة في تكوينها، غير أن ما يميزها قلة الصخور الجيرية فيها، وبالتالي فلا تمتص الصخور مياد الأمطار، كما هو الحال في الألب الدينارية. وتكسو معظمها الغابات، وتغطي أشجار البلوط، والزان، وكذلك الأشجار الصنوبرية نحو نصف مساحة البوسنة، وإذا ما تركنا هذه الهضاب تبدأ مقدمات حوض الدانوب في الظهور حيث تجري فيها أنهار البوسنة وفرنا متجهة نحو سافا أحد روافد الدانوب. ومناخ البوسنة والهرسك يميل إلى القارية، وأن كانت الجهات الغربية من السواحل أقرب إلى مناخ البحر المتوسط.

يبلغ عدد سكان هذه الجمهورية شبه الجبلية ٤.٥ مليون نسمة، عاشوا في جبالها وهضابها، ويتكونون من ثلاث عرقيات أساسية المسلين السلاف (٤٥%) والصرب الأرثوذكس (٣١%). والكروات الكاثوليك (١٧%)، وهناك ما يقرب من المليون يعيشون في الخارج وقد عاشت هذه الجماعات معا في وئام، بل وتزاوج بينهم بفضل قيادة الرئيس تيتو. ولكن بحلول مارس ١٩٩٢. وحين أعلنت استقلالها قامت الجماعات الصربية بمهاجمة المسلمين والكروات معا بشدة. ذلك القتال الذي استمر حتى عام ١٩٩٤.

ورغم وجود بعض المعادن كالفحم وبعض الحديد فمازالت البوسنة والهرسك زراعية في المقام الأول، زراعة وتربية حيوان، وكما هو معتاد في هذه الأقاليم ينمو القمح والشيلم والذرة والبطاطس والزيتون، ويعتبر حوض سيرايفو القلب الزراعي للبوسنة، إذ يمتد كحوض ضخم يمتد لمسافة ٨٠ كم من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي محاطا بالمرتفعات الشاهقة.

وفي مجال الثروة الحيوانية تضم البوسنة والهرسك أكبر مراعي للأغنام في الإقليم وتقوم بعض الصناعات وأهمها القائمة على الأخشاب، فهي مصدرة للأخشاب والورق فضلا عن صناعات حديدية ومعدنية إعتمادا على الفحم والحديد وهذه مركزها مدينة زينيكا Zenica شمالي غربي سيرايفو (١٠ ألف نسمة) ولعل ما يؤيد بأن البوسنة والهرسك زراعية في المقام الأول أن نسبة الحضرية ٣٥% فقط، وبالتالي فغالبية السكان ريفيين، ومن أهم هذه الحواضرسيرايفو العاصمة (*) التي يقرب عدد سكانها من نصف مليون نسمة، فضلا عن كونها مركز إقليم زراعي. فهي قطب صناعي رئيسي تقوم فيها صناعات هندسية ثقيلة وكيماويات إعتمادا على توليد الكهرباء من مياه نهر نيرتفا وكذلك الصناعات المعتمدة على الأخشاب كالأثاث والورق، وقد ساعد على قيام الصناعة فيها أيضا إرسابات فحم اللجنيت والمنجنيز والحديد على طول وادي نهر البوسنة، كما تمثل سيرايفو مركزا رئيسيا للتجارة، ويظهر فيها التأثير التركي في المباني، فأسقف المباني مسطحة عكس الحال في سلوفينيا في الشمال ذات الطابع الأوروبي، فضلا عن المساجد جنبا إلى جنب مع الكنائس الأرثوذكسية. وتقوم في بنيالوكا (١٧٥ ألف نسمة) الصناعات الهندسية اعتمادا على الحديد والصلب الذي تنتجه مصانع ليوبيا. وفي موستار (٩٠ ألف نسمة) العاصمة الإدارية للهرسك والتي تقع في وادي نهر نيرتفا الأدني مصانع القطن ومصانع للمنسوجات والصناعات الغذائية والتبغ.

(*) اسم سيرايفو مشتق من اللغة التركية Saraj Ovasi ومعناها قصر الحكم الذي تحيط به البساتين. وكان عصرها الذهبي في القرن السادس عشر حين بني فيها أكثر من ٧٠ مسجدا. ويرتبط اسم سيرايفو بالحرب العالمية الأولى. فقد اشتعلت شرارة الحرب منها حين أطلق شاب من البوسنة الرصاص على الأرشيدوق فرانز فرديناند النمساوي في ٢٨ يولية ١٩١٤.

الباب السادس : أوروبا المتوسطية

الفصـــــل الأول

في شخصية الإقليم

يتألف إقليم أوروبا المتوسطية من الأراضي التي تتاخم الجانب الشمالي مــــن البحــر المتوسط، وتمتد على طوله من المحيط الأطلنطي غرباً حتى المضايق التركية شرقاً. وهو يشمل أشباه جزر كبرى ثلاث هي : أيبيريا وإيطاليا والقسم الجنوبي من شبه جزيرة البلقان الذي يبرز في البحر المتوسط ذاته. والإقليم بهذا يضم عدة وحدات سياسية هــــي : البرتغــــال وأســـبانيا، وإيطاليا، وألبانيا، واليونان، وتركيا الأوروبية، كما يشمل وحـــدات سياســـية صغـيرة هـــي : جمهورية سان مارينو، والفاتيكان. ومالطة، وجبل طارق. وأندورا، وقبرص. ورغم المســــافات الكبيرة باتساع البحر الموسط وأذرعه الممتدة في القارة. فإن مساحة هذا الإقليـــم لا تزيـــد إلا قليلا على الألف كم٢ أو نحو $\frac{1}{7}$ مساحة أوروبا، وتتفاوت مساحة الوحدات السياسية بصــــورة كبيرة أكبرها أسبانيا، وهي ثاني أكبر الدول بعد فرنسا (باستثناء روســـيا) وأصغرهـــا ســـان مارينو ٢٤ كم٢.

مناخ الإقليم : ومناخ الإقليم استمد أسمه من البحر، وهذا النوع من المناخ هـــو أقـــل المناخات مساحة على سطح الأرض، ويتمثل في أوضح صورة علــــى هوامـــش هـــذا البحــر، ومعروف بالعبارة المشهورة حار مع جفاف صيفاً ومطر مع اعتدال شتاء. ففي جبـــل طــارق متوسط درجة حرارة يوليه ٣٠°م ومتوسط يناير ١٢°م، وقد يكون من الأصوب القول بأن مطره في الشهور غير الصيفية لأنه في كثير من الأحيان يكون معظم المطر فـــي الخريـــف أو فـــي الخريف والربيع، وكميات الأمطار الساقطة متواضعة فهي تتراوح بين ٥٠ سم ، ٧٠سم، مـــع اختلافات حادة بين السهول والسفوح الغربية للمرتفعات فهي قد تبلغ ٨٥ سم في جبل طــــارق، والمناطق الداخلية التي تقع في ظل المطر. فهي أقرب إلى الصحراء صيفا وأقرب إقليم غــــرب أوروبا شتاء وعادة ما يكون الربيع أقل حرارة من الخريف لأن الربيع بعد الشتاء، على حيـــن أن الخريف بعد الصيف، من ثم كان الربيع هو ألطف فصول العام حيث الدفء بعد برد الشـتاء، ويصفو الجو وتنتعش جمع مظاهر الحياة بعد مطر الشتاء، ويظهر هذا بصــــورة خاصـــة فـــي النباتات، والزهور البرية بألوانها المختلفة فوق المنحدرات، من ثم ينجذب السائحون الأوربيون

إلى هذا الإقليم إذا كان لديهم وقت بالتوجه إلى الإقليم في هذا الفصل لأن إقليم البحر المتوسط في هذا الفصل يكون قد اكتسي بحلة زاهية قشيبة.

على أن هناك ظاهرتين مرتبطان بهذا النوع من المناخ.

الأولي : أن هناك فصل نمو طويل يتراوح بين ٨ ، ١٠ أشهر.

والثانية : أن هناك إنحراف كبير في المطر عن المتوسط العام خاصة في الجهات التي تعتمد عليه في الزراعة، خاصة وأن فصل النمو طويل، وأن الإقليم يضم تنوعا تضاريسيا، وكذلك عامل الموقع بالنسبة للمسطحات المائية قربا وبعدا والسفوح المواجهة للشمال والسفوح المواجهة للجنوب، وغيرها من العوامل التي تحدث تعديلات جوهرية في المناخ، فالسفوح العالية لاشك نصيبها في الثلوج كبير كجبال الألب الإيطالية والأبنين الشمالية وسيرانيفادا، كما أن سفوح المرتفعات الرطبة هي مصدر لمياه الري التي تتجه إلى السهول المجاورة، فضلا عن تغطيتها بالمراعي في الربيع، وهي ملجأ للهاربين من صيف السهول في إجازاتهم.. على أنه يمكن أن نستثني من هذه الصورة تلك التي تخرج عن هذا النمط رغم أنها تقع في هذه العروض ويسقط مطرها صيفا كحوض البو في إيطاليا، وقد تكون أطراف الإقليم الشمالية أكثر حظا كما في شمالي إيطاليا وأسبانيا واليونان، فقد استطاعت هذه الدول أقامة السدود لتوليد الكهرباء (مطر شتوي – ذوبان ثلوج ربيعاً وصيفاً) على عكس أطراف الإقليم الجنوبية. والممثلة في إقليم بروفنسال حيث يقولون " أن الماء كالذهب " Here water is gold، بطبيعة الحال مع المبالغة. وباستثناء مواضع محدودة فالمناطق الغزيرة المطر محدودة، والماء يصبح إلى الندرة أقرب في أوروبا الجنوبية، ولم يقتصر هذا على وقتنا الحاضر، فهناك مواد في القانون الروماني خاصة بحقوق الماء لم تعرفها قوانين الأنجلو ساكسون، ويصبح الري سواء كان نهريا أم من مياه جوفيا أمر حتميا، مارسته الشعوب منذ القدم وكان لوفرة الماء أو وندرته أثره في توزيع السكان والمستوطنات الكبرى، والتجمعات الصناعية، والمراكز الحضرية في أوروبا الجنوبية.

التصريف المائي : تتميز أنهار الإقليم في أوروبا الجنوبية بقصرها، وموسميتها وذات ذبذبات حادة لطبيعة المطر السلبي الشتوي من ناحية ولانحدارها من المرتفعات وسقوطها فجأة في سهول ضيقة، ويبلغ الأمر مع نهاية الصيف إلى حد الجفاف أو هي منه قريب. ونضيف على هذا وذاك عدم صلاحيتها للملاحة لموسميتها وسرعتها، هكذا تكون قطاعات الأنهار حادة حتي أن كلمة (Canon) بمعنى خانق Cangon هي أسبانية الأصل، ومع الأمطار السيلية

شتاء، وأراضي مكشوفة اقتلعت أشجارها defroested ما يؤدي إلى فيضانات ذات خطر وضرر كبيرين، وما أحدثه نهر Arno عام ١٩٦٦، مع فلورنس ومتاحفها لا ينساه الإيطاليون. ولموسمية المطر أيضا أثره في أن النقل النهري في هذا الإقليم ليست له الأهمية التي تجدها في أنهار أوروبا الغربية. غير أنه كان لهذه السرعة أيضا فوائدها، فيما حملته هذه الأنهار القصيرة السريعة من كميات ضخمة من الرواسب كونت بها سهولا فيضية ودلتاوات خصبية أصبحت الآن بعد أن تعهدها الإنسان بالعناية غنية بالزرع والضرع، وكان منها ما تحول إلى مستنقعات فيما مضي استضافت بعوضة الملاريا.

النبات : وتتفق معظم أجزاء الإقليم في أن النبات الطبيعي السائد، هو ما يعرف بأحراج البحر المتوسط الدائمة الخضرة وهو نمط نباتي يتميز بضم مجتمعات من الغابات والأحراج مع وضع الاختلافات الإقليمية من تباين في التضاريس، والمطر، وآثار تدخل الإنسان في الاعتبار ونظرا لأن فصل المطر لا يتفق مع فصل الحرارة، فالمطر شتوي والجفاف صيفي، وبالتالي تقل الحشائش ولا تكون غطاء أرضيا، وإن ظهرت فهي حشائش الحلفا الخشنة Esparto وإن كانت هذه لها قيمتها في صناعة الورق، وأدت قلة الحشائش إلى أن الأغنام والماعز أصبحت هي الحيوان الرئيسي وليست الأبقار، أما الحياة الشجرية في أوروبا المتوسيطة فهي من نوع المقاوم للجفاف بصغر حجم الأوراق أو الأوراق الملساء الصغيرة كشجرة الزيتون التي تعتبر علما في كل أجزاء الإقليم ذات لحاء سميك كما في أشجار البلوط الفليني Cork oak، وقد تتجمع على هيئة أحراج كثيفة تتخللها الأعشاب الخشنة ويطلق عليها Maquis في جنوب فرنسا والماكشيا Maechia في إيطاليا، والماتورال Mattoral في أسبانيا، وهناك غابات الجاريج Garigue وهو نوع متدهور من الغابات السابقة ويظهر حيث التربات الجيرية بصفة خاصة. هذا الإرتفاع وإنخفاض درجة الحرارة كان معتاد ظهور أشجار الأرز والسرو وذلك على ارتفاع فوق ٣٠٠ متر فوق سطح البحر.

السكان : تختلف أوروبا الجنوبية عن أوروبا الشمالية في أنها الأولي أصغر مساحة، ولكنها أكبر سكانا فعدد سكان أوروبا الشمالية ٩٥ مليونا، بينما أوروبا المتوسطية ١٤٧ مليونا عام ٢٠٠٣ (أي نحو مرة ونصف)، ومازال توزيع السكان مرتبطا بالسهول والأحواض الزراعية وعلى طول السواحل، وأحيانا على المدرجات الجبلية، ومن ثم تعطي القادم من الخارج صورة جميلة لأنها كلها ذات طلاء أبيض. وتجذب شواطئ هذا الإقليم المحمية من الرياح الشمالية (الريفييرا) شتاء أعداد ضخمة من السائحين للتمتع بالشمس

الدافئة. ويستثني من هذا التجمعات السكانية الكثيفة في شمالي إيطاليا وشمالي أسبانيا حيث المراكز الصناعية الرئيسية، ويعتبر حوض البو أكثر أجزاء الإقليم كثافة سكانية، بينما مرتفعات الألب وجبال اليونان والبرانس هي أقلها كثافة، وقد انتقلت دول الإقليم من مرحلة الخصوبة والزيادة السكانية المرتفعة إلى انخفاض الخصوبة وانخفاض معدلات الوفيات منذ أوائل التسعينيات، وأصبحت لديهم أيضا مشكلة شيخوخة السكان.

الاقتصاد : تشترك دول الإقليم في انخفاض نسبة الحضرية فهي في اليونان ٦٠% وفي البرتغال ٦٦% وإيطاليا ٦٧%، ماعدا مالطا فهي ٩١%، وهناك المدن الطاغية كما في أثينا اليونان، ولشبونة البرتغال، فكل منها عاصمة وميناء ومركزا صناعيا، وكذلك الحال في مدريد، وأن كانت ليست لها وظيفة الميناء. ونظراً لأن المناطق السهلية متقطعة كما ذكرنا على هيئة أحواض في معظمها، فالأراضي الزراعية ليست متصلة الامتداد. وهذه السهول الصغيرة تغطيها تكوينات رسوبية اكتسحتها السيول الشتوية من المنحدرات الجبلية لترسبها في هذه المنخفضات، ونظرا لأن هذه السهول محدودة كان لابد من تدريج الجبال. فالمدرجات الزراعية هي من ظاهرات الإقليم، لا يخلو قطر من أقطار أوروبا الجنوبية منها، من أسبانيا إلى إيطاليا إلى اليونان، وتحاط هذه المدرجات بحواجز صخرية لتمنع التربات من الانهيار مع سقوط المطر، وتعتمد مزارع البحر المتوسط على محصول أو عدة محاصيل تتفق والنظام المناخي للإقليم.

(١) الحبوب الشتوية خاصة القمح والخضروات والتي تعتمد على المطر والمناخ المعتدل الأقرب إلى البرودة.

(٢) نباتات تتحمل الجفاف ومعظمها شجرية كالزيتون (شعار الإقليم)، والبلوط الفليني، واللوز almond، والكروم ذات الجذور الطويلة، وغيرها من التي تتحمل جفاف الصيف والتي نقلت من الإقليم الصيني كالحمضيات.

(٣) مجموعة متنوعة من المحاصيل التي تعتمد على الرى كالخضروات والموالح والزهور، والأرز، وبعض الحاصلات التجارية النقدية كالقطن، والطباق، وأن كانت الأخيرة لا تحتل مساحات واسعة لكنها لها أهميتها من حيث القمية في أوروبا الجنوبية.

المعادن وموارد الطاقة: وفيما يختص بموارد الإقليم المعدنية، فهي أفقر أقاليم أوروبا في ثروتها المعدنية وبالتالي فهي أقلها تصنيعا فيما عدا شمالي أسبانيا وشمالي إيطاليا، وهذه الأخيرة كان استغلال الكهرومائية، ومع ذلك تستورد كما ضخما من البترول والفحم وخامات

الحديد، أما أسبانيا فمازالت تصدر معظم حديدها إلى أوروبا الغربية وحتى مواردها الغابية استنفد معظمها، ورغم تضرسها الشديد الذي كان يمكنها من توليد طاقة كهرومائية، فإن ظروف المطر الفصلي يحول دون ذلك وهكذا. باستثناء حوض البو، وجيوب هنا وهناك تظل أوروبا المتوسطية هي أقل أجزاء أوروبا تصنيعا ، كما أن صناعاتها أقل تنوعا، كما أن الصناعات الثقيلة وكذلك الدقيقة والتي تحتاج إلى أبحاث مستمرة قليلة، كما هو الحال في الصناعات التي تعتمد على الصلب والصناعات الهندسية، بل إن إنتاج الصلب في كل أوروبا المتوسطية لا يعادل سوى أربعة أخماس إنتاج ألمانيا وحدها، فهي دول فقيرة بالنسبة لأوروبا الغربية أو الشمالية، رغم الخطوات الواسعة في ميدان التنمية الاقتصادية التي شهدتها إيطاليا وأسبانيا.

السياحة : تشهد دول البحر المتوسط ازدهارا سياحيا كبيرا، وتأتي أسبانيا في المقدمة، بل قد تكون الأولي أو الثانية على أكثر تقدير، فقد تفوقت على إيطاليا من حيث الدخل السياحي، ثم تأتي إيطاليا، واليونان، يمثل هذا القطاع ركنا أساسيا في دخل دول أوروبا المتوسطية، ولعل أسباب جذب دول المتوسط للسياحة بسيطة للغاية، فهي قريبة من دول الشمال والغرب الأوروبي الغنية. وهذه الطبقات الغنية أصبحت السياحة لديها جزء من قضاء أوقات العطلة، ساعدها على هذا سهولة وسرعة وسائل السفر، والهروب من المناخ المغلف بالضباب معظم السنة إلى أجواء مشمسه جافة، فضلا عن جمال بلاد الجنوب الأوروبي الفريد بين السهل والجبل، أي الطبوغرافية والمناخ، هذا فضلا عن الملابس الوطنية ذات الألوان الزاهية، والأماكن السياحية أثرية ورياضية، وثقافية، والأسعار التي تعد معتدلة نسبيا عما في بلادهم، ولا شك أن هذا الدخل السياحي يسهم في إصلاح ميزان المدفوعات، وأن كان هذا له بدوره آثاره على عملية التلوث. ذلك أن تدفق السائحيين بالملايين إلى شواطئ هذه البلاجات صيفا قد لا يقابله معالجة النفايات البشرية بنفس الدرجة، وأن كانت فرنسا قد قامت بجهد كبير في توفير معالجة هذه النفايات قبل بلوغها البحر ومع ذلك فمع تدفق الملايين في فصل الصيف إلى هذه البلاجات لا يمكن القول بأن الإجراءات كافية لمنع تلوث مياه البحر، والحال أشد سوءا لطبيعة الحال بالنسبة لسواحل إيطاليا واليونان. ولذلك ذلك يقول الأستاذ Carlo Mortarino أستاذ الهيدروليك في جامعة تورين " أن مياهنا الساحلية أصبحت للمتعة ميتتة تماما، و ٧٠% من شواطئنا أصبحت مخاطرها الصحية كبيرة، فالمسألة ليست متى سيموت البحر لأنه بالنسبة لإيطاليا فقد حدث هذا فعلا، وبالنسبة للشواطئ الأخرى أصبحت مسألة وقت ".

الفصـــــل الثانــــــي

اليـــــــونان

" أرض جرداء هَزُل جسمها حتى ظهرت ضلوعها، واختفت من هيكلها كل الأراضـــي الجيــدة " (أحد الجغرافيين).

لا شك أن هذه الانطباع توحي به آلاف الجزر والأجزاء الجنوبية من اليونان التي تمتـــد فـــي البحر المتوسط على هيئة الأصابع.

تحتل اليونان مكانة فريدة في فكر البشر، فقد لعب اليونانيون القدامى دورا رئيسيا فـــي نمو الحضارات القديمة، بل وهنا كان الأساس للحضارات الأوروبية، فهي أم الحضارة الغربيـــة، وإذا ما تذكر الإنسان دول المدن القديمة تذكر ما أضافته للفن، والهندســـــة، والأدب، واللغـــة، والفلسفة، بل أنها كانت ملهمة لكل نظريات الديمقراطية الحديثة.

في أقصى جنوب شرقي أوروبا أو عند أقصى الطرف الجنوبي لشبه جزيرة البلقـــــان، كما تضم حوالي ٢٠٠٠ جزيرة، وتبلغ مساحتها ١٣٢ ألف كم٢ منها ٢٥ ألف كم من الجـــزر، وتحدها من الشمال ألبانيا ويوغسلافيا، وبلغاريا، وتركيا، أما فـــي الجنـــوب فيطوقـــها البحـــر المتوسط بألسنته المختلفة. البحر الأيوني في الغرب، وبحر إيجه في الشرق، وبحر كريت فـــي الجنوب. وقد استغرقت اليونان نحو مائة عام حتى تظهر خريطتها كما نراها الآن، فقد اســـتقلت اليونان عام ١٨٣٢ وكانت الدولة حينئذ تتكون من البلوبونيز (الموره) وسيكلادس وجزيـــرة إيوبيا فقط، وتوالت عمليات الضم من الأراضي التي كانت تحتلها تركيا، وبلغاريـــا، وبريطانيـــا حتى أخذت صورتها الحالية عقب الحرب العالمية الثانية (١٩٤٧).

أرض اليونان : يقع قلب اليونان في القسم الجنوبي لشبه جزيرة البلقان، في حد ذاتها شبه جزيرة، مقسمة إلى قسمين بواسطة خليج كورنث، لدرجة أن الثلث الجنوبي لها هو عبارة عن شبه جزيرة فعلا المعروفة باسم البلوبونيز أو المورة، وعادة ما تدرس كجزء قائم بذاتـــه، أما الثلثان الآخران فيعرفان بشبة جزيرة اليونان، وكلما اتجهنا شمالا تتسع شبة الجزيرة إلـــى سهول وتلال مقدونيا، وإلى الشرق إلى تراقيا التي تمتد شرقا حتى حـــدود تركيـــا الأوروبيـــة، وتمتد حول سواحل اليونان عدة أرخبيلات تتكون من الجزر التي يتراوح حجمها على الخريطـــة

من نقط إلى أخرى تقدر بمئات الكيلومترات.

ويمكن أن نقسم اليونان إلى : ــ

١ ــ شبه جزيرة اليونان الأصلية. ٢ ــ شبة جزيرة البلوبونيز أو المورة.

٣ ــ مقدونيا وتراقيا. ٤ ــ الجزر اليونانية.



(شكل رقم ٢١).

١ ـ *شبة جزيرة اليونان:* في القسم الشمالي وهي عبارة عن سلاسل جبلية تمتد غربي وشرقي شبة الجزيرة ممثلة لجذع البلاد والذي يعتبر امتدادا للألب الدينارية ويمكن تقسيم شبة الجزيرة إلى أقسام فرعية.

١/أ غربي شبة الجزيرة: ويعرف عادة باسم إبيروس Epiros، ويتألف من عدد من السلاسل الألتوائية ممتدة موازية للساحل، ونادرا ما ترتفع إلى ١٥٠٠ متر، وتعتبر قمة كوريفي (١٧٠٠ متر)، هي أعلاها، وهي مؤلفة من تكوينات الحجر الجيري والرملي، وتمتد بين هذه السلاسل عدة أودية صغيرة وأن كانت خصبة وأكثر سهولها اتساعا سهل أرتا Arta حول خليج أمفراكيا Amvarakia، وفيما عدا هذا نجد أن السلاسل الجبلية تصل إلى البحر بانحدارات شديدة وشواطئ صخرية، وتقل الثغرات ما بين الساحل والداخل، وتؤلف جزر البحر الأيوني القريبة منها قوسا يحيط بها من أهمها جزيرة كورفو Korfu وهذه الجزر هي قمم لمرتفعات غمرتها مياه البحر.

١/ب وسط شبه الجزيرة : وتمثله السلاسل الالتوائية التي تعتبر امتدادا للألب الدينارية الممتدة في ألبانيا ويوغسلافيا، وتقطع هذه السلاسل في الشمال منخفضات تحتلها أحيانا البحيرات، وأعلى قمم هذا القسم هي سموليكس Smolikas (٢٩٠٠ متر) وباتجاه هذه السلاسل نحو الجنوب تزداد ارتفاعا، وتعتبر جبال بندس Pindus عائقا للاتصال بين شرقي وغربي شبة الجزيرة، فلا توجد خطوط حديدية تعبرها، وإنما بضعة طرق، ترتفع إحداها إلى ١٦٥٠ مترا. وتتألف هذه السلاسل من الحجر الجيري أساساً، من ثم كانت تربتها كارستية جرداء.

١/ج شرقي شبة جزيرة اليونان : وهنا تمتد السلاسل الجبلية في اتجاه بحر إيجة، وتمتد بين هذه السلاسل العديد من الأودية الفيضية، ورغم وجود السلاسل الجبلية، فجبالها تعتبر أكثر أجزاء شبة الجزيرة أرتفاعا، وتكثر فيها السهول، وتعاريج السواحل، من ثم تظهر فيها المرافئ الجيدة، ولعل سهول تساليا وأتيكا من أكثرها اتساعا ويشرف على سهول تساليا جبل الأولمب Olmpius الشهير (٣١٦٠ مترا) المرتبط بتاريخ اليونان وأساطيرها. وأما سهول أتيكا فهي قلب اليونان القديمة.

٢ ـ *البلوبونير أو المورة :* شبه جزيرة ترتبط بصلب اليونان ببيرزخ كورنث (شقت فيه قناة) وهي جبلية بوجه عام. تكملة للسلاسل الالتوائية شمالها، وتمتد إلى أصابعها

الأربعة، وترتفع قممها إلى ما يزيد على الألفي متر، ولا تظهر الأراضي الشبه الفيضية إلا عند أطراف الأصابع على هيئة أحواض تفصلها السلاسل الجبلية عن بعضها، مثل سهول أرجوس واسبرطه وفي هذه السهول قامت دول المدينة المعروفة لدي الإغريق.

٣ ـ *مقدونيا وتراقيا :* وتقع إلى الشمال من بحر إيجه وتعرف بمقدونيا العليا أي المرتفعة على خلاف مقدونيا الشرقية التي تتميز بمنخفضاتها، وتتألف من كتل جبلية تمتد حتى بحر إيجه، ونادرا ما يزيد ارتفاعها على الألف متر، ويظهر في خط هذه الكتل الجبلية حوضين كبيرين، أحدهما في الشمال وهو الذي يضم بحيرة أوستروفو Ostrovo، وثانيهما في الجنوب حول نهر الياكمون Aliakmon ، ويتكون شمال شرقي اليونان من سهول سهلية وتلال قليلة الارتفاع بين بحر إيجه وهضبة رودوب، ويقسمها نهر نستوس إلى مقدونيا الشرقية في الغرب وتراقيا في الشرق. وهنا سهول سالونيك أكثر سهول اليونان اتساعا والتي يجري فيها نهر الفردار. وكان القسم الغربي من هذا السهل تشغله بحيرة جففت وحولت إلى أرض زراعية وإلى الشرق من سهول سالونيك ترتفع الأرض مكونة شبه جزيرة هضبية تنتهي إلى البحر بحروف صخرية جيرية، وبعدها مباشرة سهول نهر ستروما الفيضية، وهي أخصب سهول اليونان، أما هضبة ردوب فلا تقع منها في اليونان إلا أطرافها الجنوبية، ولا يوجد جزء في اليونان يبعد أكثر من ١٠٠ كم عن البحر، فلا توجد أنهار تصلح للملاحة ولا توليد الكهرباء، وفائدتها الوحيدة في استخدامها للري.

٤ ـ *الجزر اليونانية :* والمقصود بها هي تلك التي تقع شرق اليونان في بحر إيجه، والذي يعرف في الجنوب باسم بحر كريت، وهذه يمكن أن نضعها في مجموعات : ـ

أ ـ مجموعة الجزر الشمالية وتشمل سبورادس الشمالية، وهي أرخبيل من الجزر الصغيرة أكبرها تاسوس والتي تعتبر جزء من هضبة رودب ويوبيا.

ب ـ مجموعة الجزر الجنوبية : سيكلادس (*) وأصلها ناري ولكنها مغطاة بطبقات جيرية، ويبدو أثر نشاط البراكين القديمة في التربة البركانية التي تغطي الأجزاء السهلية فيها.

جـ ـ في الشرق بالقرب من تركيا وهي جزء من البنية الجيولوجية التركية مثل جزر ليسبوس وشيوسي والدوديكانيز (*) (سبورادس الجنوبية) والتي تشمل جزيرة رودس.

(*) سكلادس معناها باليونانية الدائرة لأن اليونانيين القدماء وجودها على هيئة دائرة.

(*) الدوديكانيز معناها باليونانية ١٢. وهي فعلا هذا العدد إلى جانب بعض الجزر الصغيرة. وهي قريبة من تركيا.

د ــ كريت أكبر جزر بحر إيجه (١٥٠ ميلا × ٨ ــ ٢٠ ميلا) والتـــي يبـــدو أنـــها استمرار لمرتفعات الألب الدينارية، البلوبونيز ولكن باتجاه شرقي غربي، ولها عمـــود فقـــري مستعرض يضم عدة قمم جبلية بعضها يزيد على ٢٥٠٠ متر، ومكونة بكاملـــها مـــن صخـــور جيرية، وتنتهي هذه السلاسل جنوبا إلى البحر بسهول ضيقة، ولكنها متسعة بعض الشيء فـــي الشمال، وأهمية كريت في أنها أم الحضارة اليونانية، فقد قامت فيها الحضارة المينوية.

المناخ : رغم أن الموقع الجغرافي يضع اليونان في نطاق مناخ البحر المتوسط، غير أن الفروقات المحلية كثيرة نظرا لطبيعة السطح بالدرجة الأولي بحيث يمكن بشيء من التعميم أن نميز ثلاثة أقاليم :

مناخ البحر المتوسط المثالي، ويوجد في سواحل شبة الجزيرة والجزر، ممثـــلا فـــي الصيف الجاف الحار والشتاء المعتدل الأقرب إلى الدفء وتتراوح درجـــة الحـــرارة بيـــن ٧م لمتوسط ليناير، ٢٦ْم كمتوسط ليوليه، وبطبيعة الحال يكون المطر اغزر على السفوح الغربيـــة لمواجهتها للرياح عن الجهات الشرقية، فيتراوح مطر جزيرة كورفو بين ٤٠ ــ ٥٠ سم سنويا تسقط شتاء، بينما لا يسقط في أثينا سوى ١٢ ــ ١٥ سم.

سفوح المرتفعات الغربية، بمناخها متوسطي ولكن يعدله عامل الارتفـــاع، فـــلا تزيـــد درجة حرارة السفوح على ١٥م. ويقسو برد الشتاء، حتى لتسقط الثلوج. ويقدر التساقط سنويا بما يتراوح بين ٧٠ ــ ٨٠ سم. ورغم أنه شتاء معظم الأحوال فقـــد تســـقط بعـــض الأمطـــار الصيفية القليلة والذي يسمح ببقاء الماء في المجاري المائية متدفقا.

مناخ مقدونيا وتراقيا : في الشرق حيث يميل المناخ إلى القارية، وظهور الصقيع فـــي السهول، وتتراوح متوسط حرارة سالونيك بين ٤,٧ْم في يناير، ٢٦ْم في يوليه، ويبلغ مطرهـــا ٢١,٥ سم تسقط موزعة على طول العام مع قمتين لها في مايو ونوفمبر. أما حرارة جزر بحـــو إيجه ترتفع أحيانا إلى ٢٨ْم مما يساعد على نشاط نسيم البحر، هذا فضلا عن تعرضها للريـــاح الأتيزية المنخفضة الحرارة والتي تهب من الشمال الغربي شتاء ومن الضغـــط المرتفـــع علـــى أوروبا الشرقية إلى الضغط المنخفض نسبيا على حوض البحر المتوسط، وتؤثر في كـــل بحـــر إيجه والأراضي المجاورة، وهي رياح إلى جانب برودتها قد تصل في قوتها إلى حد العاصفة.

النبات : من مجموعة مساحة اليونان البالغة ١٣٢ ألف كم٢ منها ١٨% عبارة عـــن مناطق جبلية عادية من التربة. أو مستنقعات، ١٥%، غابات، ٣٩%، مراعي، ٢٧% أراضـــي

زراعية، أما ٢% الباقية فهي بحيرات، ومدن، وطرق. وتوجد الغابات على مرتفعات بندس وأركاديا في البلوبونيز ممثلة في أشجار الصنوبر والبلوط على السفوح العليا، وأشجار الزيتون الذي على السفوح الدنيا، وقد أقتطعت مساحات كبيرة من الغابات مما أدي اكتساح التربة وظهور المستنقعات الساحلية (الملاريا) كما دمرت مساحات أخرى أثناء الحرب العالمية الثانية، فقد دمرت في الحرب ١/٤ مساحات الغابات، وجرت محاولات بعد الحرب لإعادة التشجير ولكنها كانت عملية غير ناجحة أمام استهلاك أهل الريف للأخشاب كوقود، من ثم فقد احتلت شجيرات فقيرة محل الغابات الأصلية، وهذه تجد فيها الماعز ما يقم أودها، ولما كان الحيوان الرئيسي هنا هو الماعز، فقد ساعدت الماعز بدورها على تدهور الحياة النباتية لأنها تأكل كل شئ يصادفها، على العموم فمجال اليونان هو في جبالها الجيرية البيضاء التي تطل على بحار زرقاء أكثر منه ناتجا عن النبات الطبيعي.

اليونانيون : يشير اليونانيون إلى أنفسهم باسم هيللنين **Hellenus**، وإلى اليونان هيلاس **Hellas**. ونظرا لطبيعة السطح الجبلي فهم يعيشون في مواطن مختلفة من أصغر القرى إلى أكبر المدن كأثينا. ومع تطور وسائل النقل والاتصال تضاءل الفرق بين المدينة والقرية.

والثقافة اليونانية اليوم هي جماع ثقافات متعددة امتزجت ببعضها على مدى القرون السابقة، يتكلمون اليونانية، ويدين ٩٨% منهم بالمسيحية الأرثوذكسية. ويبلغ عدد سكان اليونان ١١ مليون نسمة يعيشون بكثافة عامة ٨٢ للكم٢. ونظرا لأن أربعة أخماس البلاد جبلي، وبالتالي لا يمكن أن تأوي أعدادا كبيرة، فهي كثافة مضللة، وتصبح الكثافات المرتفعة في الأراضي السهلية كسهول أتيكا ويوبيا، مع أعلى كثافة في إقليم أثينا / بيريه (العاصمة والميناء والصناعة) فتزيد إلى ما يزيد على ١٥٠٠ لكم٢، بل إن أثينا وميناءها بيريه يضمان ٤٠% من سكان الدولة. ثم تأتي بعد ذلك بقية الأقاليم السهلية كسالونيك وسهول جزيرة كورفو وبها أكثر من ١٠٠ نسمة للكم٢، وكثير من هذه السهول المزدحمة نسبيا تحيط بها الأراضي الجبلية منخفضة الكثافة، أما أهم الأقاليم المنخفضة فتتمثل في جبال بندس وسيكلادس والكتل الجبلية على حدود ألبانيا.

ونسبة الحضرية منخفضة في اليونان بالنسبة لدول الشمال الأوروبي غربية فهي لا تعدو ٦٠%، وتأتي *ثلاث مدن* رئيسية في هذا المجال.

أثينا : شيدت منذ ألف عام، على سفوح جبل أتيكا، يحميها حصن الأكروبــول الــذي شيد على قمة الجبل، ثم امدت على مدى الأزمان إلى السهول المجاورة. وهي العاصمة والقطب الاقتصادي والثقافي لليونان، وتلعب دوراً رئيسيا في حياة اليونانيين، اتخذ اسمها تيمنا باســم الآلهة أثينا Athena وهي جوهرة الحضارة الإغريقية القديمة، ورغم نموها منذ أوائل القــرن العشرين، فإن إنفجارها السكاني بدأ بعد الحرب العالمية الثانية، فقد بدأ الشباب يهجرون القــوى ويتجهون إلى أثينا في سبيل حياة أفضل، فهنا قلب اليونان الاقتصادي ومعظم سفن اليونان تمر بمينائها بيريه. تشتهر أثينا بآثارها التاريخية، لعل من أكثها شهرة البارثينون والاكروبوليــس وتقوم الصناعة في جنوب غربي المدينة ويمتد الإقليم الصناعي إلى ميناء بيريه، حفظ الأسماك والمنسوجات والكيماويات، والأجهزة الكهربائية، وفي بيرية تقوم صناعة بناء السفن، وتكريــر البترول، وتتعامل مع بيريه ٤٥% من صادرات اليونان و٦٥% من وارداتها. من ثــم أصبــح عدد سكان العاصمة والميناء ٣.٥ مليون نسمة.

وسالونيكا ثاني مدن اليونان ($\frac{٢}{٣}$ مليون) أكبر مدن مقدونيا، وكــانت علــى طــول التاريخ هي العاصمة الإدارية والثقافية والتجارية والدينية للإقليم الشمالي، ومتاحفـــها مليئــة بالتحف البيزنطية حتى لتنافس متاحف استانبول، ومازالت سالونيكا هي القطب التجاري، ويأتي ميناؤها بعد ميناء بيريه في حركة السفن، وباتراس : (٢٠٠ ألف) أكبر الموانئ البحرية فــي شبه جزيرة البلوبونيز (المورة) وتقع وسط إقليم إنتاجه الرئيسي الزبيب، كمــا أنــها مركــز صناعي كبير تقوم فيه صناعة المنسوجات، والورق، وإطارات السيارات، والنبيذ، والكيماويات.

النشاط الاقتصادي : تعرض الاقتصاد اليوناني في أكثر من أي اقتصاد آخر للضغــوط الخارجية، فقد تعرض في القرن العشرين وحده آثار حرب البلقان عــام ١٩١٢، ١٩١٣، ثــم الحرب العالمية الأولي، والحرب اليونانية التركية في العشرينيات من القرن الماضي، والكســاد العالمي عام ١٩٣٠، ثم الحرب العالمية الثانية (١٩٣٥/١٩٤٥) ثم الحرب الأهلية اليونانيــة في الأربعينيات.

زراعة : المعروف عن اليونان أنها بلد زراعي، على اعتبار أن ٢٠% مــن الســكان يعملون بها، كما تمثل الصادرات الزراعية، أهم بند في قائمة صادراتها من الزبيب والزيتــون وزيت الزيتون، والتبغ والكروم، والموالح، ومن بين هذه القائمة يأتي التبغ في المقدمة، ورغم ذلك تمثل الصادرات الزراعية نحو ثلث مجموعة الصادرات وهي أكبر نســبة مــن الصــادرات

الزراعية بالنسبة لدول الاتحاد الأوروبي.

والمزرعة اليونانية صغيرة الحجم (الطبيعة الجبلية) فلا تزيد المســاحة علــى ١٠ أفدنة، وفي نحو ٩٠% من المزارع اليونانية، من ثم لا يستطيع أصحاب هــذه المــزارع مــد الأرض بالسماد والآلات، وبالتالي تصبح إنتاجيتها ضئيلة، وتحاول الحكومة التغلب علــى هــذا بتشجيع التعاونيات، وأن كان يقف في سبيلها أن المزارع صغيرة، كما أن معظمها في الداخــل في حضن الجبال.ومع ذلك مازالت الزراعة تمثل ركنا أساسيا في حياة اليونانيين رغــم ضآلــة المساحة الزراعية والمساحة الصالحة للزراعة، فضلا عن إمتناع الشباب للعمل فــي الحقــول، وتفضيل حياة المدنية، والمحاصيل المزروعة هي محاصيل إقليم البحر المتوسط بامتياز، وعلــى رأسها القمح، والكروم، والزيتون، والتين، والموالح وأيضا الأرز والخضــروات، كمــا يــزرع القطن والطباق أساسا للتصدير، وتأتي الأغنام في مقدمة الثروة الحيوانية.

ثروة معدنية وصناعة : لم تهب الطبيعة اليونان ثــروة معدنيــة فيمــا عــدا بعــض البوكسيت، وقليل من الفحم، والمنجنيز، والنيكل، وكان اكتشاف البترول أخــيراً فــي جزيــرة تاسوس في بحر أيجه سببا في قيام نزاع بينها وبين تركيا، وحتى في الثروة المعدنية التي قــد تكتشف، تقف أمامها عقبة عدم وجود وسائل النقل الرخيصة في الداخل. وقد اهتمت الحكومــة بالصناعة كأحد المخارج الاقتصادية، فتطورت الصناعة بعض الشــيء ولكنــها كلــها خفيفــة صناعات هندسية خفيفة، منسوجات، حفظ المواد الغذائية، وتعليبها، العصائر، حفظ الأســماك، السجاير وبعض المنسوجات، والأسمنت، والصلب، والواقع أنه يقف أمام النمو الصناعي نــدرة الخامات المعدنية باستثناء البوكسيت وقليل من حديد بيريت إلى جانب نقص موارد الطاقة، وإن اكتشف البترول ولكن إنتاجه قليل ٣ مليون طن وهو يكفي ٧٠% الاستهلاك ومــازالت تعتمــد على الفحم بنسبة ٦٥,٥% لتوليد الطاقة الكهربائية، والبترول ١٥,٥% والغاز ٨%. نظــرا لأن بترولها لا يكفي، فهي تعتمد على الغاز الطبيعي الذي يأتيها من روسيا عــبر الأنــابيب ومــن الجزائر بالنقل عبر البحر كغاز سائل.

وكان دخولها الجماعة الاقتصادية الأوروبية عام ١٩٨١ عبءا على هــذه الجماعــة، والتي حاولت مساعدة اليونان كثيرا بقروض ميسرة، ولكن يبدو أنها تفلح في هذا السبيل.

نقل بحري : وتعد اليونان من الدول ذات الأساطيل البحرية الكبيرة، وهناك العديد مــن

السفن اليونانية التي تعمل تحت أعلام دول أجنبية، وقد بلغت عدد السفن اليونانية ألفي سـفينة عام ١٩٩٩ بحمولة ٢٥ مليون طن، وعدد السفن اليونانية التي تحمل أعلامـا أجنبيـة ١٣٠ سفينة بحمولة ٣ مليون طن، وكان لحفر قناة كورنث بطول نحو ٦ كم في المضيق بين شـبة جزيرة البلوبونيز، وبين بقية اليونان أثره في تسهيل حركة الملاحة بين البحرين الأيوني وبحـو إيجه وانتعاش حركة الموانئ بيريه ميناء أثينا، وسالونيك، وبتراس، وفي اليونـان الآن ١٢٣ ميناء بها تسهيلات للمسافرين والبضائع.

الفصـــل الثالـــث

إيطاليـــا

تمتد إيطاليا في وسط البحر المتوسط، في شبه الجزيرة الوسطي، بين شـبه جزيـرة البلقان، وشبه جزيرة إيبيريا. ويمتد جذع إيطاليا على هيئة ساق طويلة، ثم تمتد شـمالا حتـى تصل إلى السفوح الجنوبية للألب. وتتبعها جزيرة صقلية وسردينيا، وبضعـة جـزر أخـري، ويوجد في داخل إيطاليا دولتان قزميتان هما الفاتيكان وسان مارينو، ويقوم اقتصادهما أساسـا على السياحة. وإيطاليا دولة بحرية بامتياز، تمتد في البحر المتوسط لأكثر من ٩٠٠ كم فاصلـة بين البحر التيراني (غربها) وبحر الادرياتيك (شرقها) ويبلغ طول شـواطئها ٨٥٠٠ كـم، وأبعد نقطة فيها عن البحر هي ٢٨٠ كم، وأن كان معظمها لا يبعد أكثر من ١٠٠ كم.

وجه إيطاليا: ويغلب على إيطاليا الصفة الجبلية، فالجبال والهضاب تمثل أكثر من ثلثي مساحة البلاد، ويمكن أن تميز فيها من ناحية التضاريس.

١ ــ سفوح جبال الألب الشمالية.

٢ ــ السهل الإيطالي أو سهل لمبارديا أو حوض نهر البو.

٣ ــ جبال الأبنين العمود الفقري لشبة الجزيرة.

٤ ــ السهول الساحلية (سندرس هذا بالتفصيل أثناء دراسة الإقليم الجغرافيـة فيمـا بعد).

مناخ إيطاليا ونباتها : إيطاليا أكثر أشباه الجزر الجنوبية ممثلة لمناخ البحر المتوسـط سواء شبة جزيرة البلقان في شرقها، أو شبه جزيرة أيبيريا في غربها، ويرجع ذلك لامتدادهـا في البحر باستطالة، وضيق جبالها. مما يسمح للرياح الغربية بأعاصيرها بالتوغل فيـها فـي فصل الشتاء، كما يسمح لسواحلها بنسيم البحر صيفا، غير أن هذه القاعدة العامة تسمح أيضـا

بوجود إختلافات محلية متعددة بحيث يصبح إقليم البحر المتوسط ممثلا بصورة خاصة في شبة الجزيرة والجزر، على حين أن سهل البو وجبال الألب الإيطالية لهما مناخهما الخاص بهما وهو أقرب إلى المناخ القاري.

(١) *مناخ جبال الألب:* تتدرج فيه الحرارة بحسب الارتفاع مع التساقط الغزيرة، نتيجة عامل الارتفاع، كما أن التساقط مستمر طول العام مع قمة، وتتميز سفوحها الجنوبية المطلة على إيطاليا بشتاء أدفأ من شتاء وسط أوروبا لحماية الجبال لها من الرياح الشمالية الباردة فتتراوح متوسطات الحرارة شتاء بين ٢°م، ٣,٥°م مع غزارة في المطر، فهي تبلغ في كومو على سبيل المثال ١٦٨سم.



(شكل رقم ٢٢)

(٢) مناخ حوض البو أو سهل لومبارديا: وهو الواقع في حضن القوس الجبلي ممثــلا في جبال الألب غربا وشمالا، من ثم عزلتة المرتفعات الغربية عن تأثيرات البحـــر المتوســط، ويصبح مناخه أقرب إلى وسط أوروبا بقاريته. فقد تنخفض درجة حرارة يناير في ميلان إلـــى ٢ْم. وترتفع في شهر يوليه إلى ٢٠م أي أن المدى الحراري يبلغ ١٨ْم (القارية)، وأما عــن المطر فيكاد يكون موزعا طول العام مع قمة صيفا، ولا يقل متوسط المطر الشتوي عن ٥٠ سم ويقل بالاتجاه شرقا، فهو ١٠٠ سم في ميلانو ينخفض إلى ٧٥ سم في فينسيا.

مناخ شبة الجزيرة : رغم أننا ذكرنا أنه ينتمي إلى مناخ البحر الموسط بصورة عامة، غير أن هناك اختلافات بين شرقي وغربي شبة الجزيـــرة، وكذلـــك اختلافـــات بيـــن شـــماليها وجنوبيها وإن اتفقت جميعا على المطر الشتوي. فعلي سبيل المثال تبلغ درجة حرارة يناير فـــي جنود ٨ْم شتاء، ترتفع إلى ٢٥ْم في أغسطس. وتقترب نابولي أيضا من مثل هـــذا المتوســـط فترتفع حرارة يناير في صقلية لتبلغ ١٢ْم وتظهر الاختلافات في المطـــر فـــهو ٨٩ ســـم فـــي فلورنسا، وفي نابولي ٨٠ سم. وفي بالرمو ٧٥ سم وبطبيعة الحال ستظهر إختلافـــات محليـــة متعددة نتيجة التضاريس، ومواجهة الإقليم للرياح أم في ظلها.

كانت إيطاليا غنية بغاباتها الطبيعية التي قطع الكثير منها على مر العصـــور، بحيـث أصبحت الغابات لا تغطي أكثر من خمس مساحة البلاد، وتتركز أساسا على المرتفعات في جبال الألب والأبنين، وتنتشر متفرقة في شبه جزيرة كلابريا في الجنوب، وجزيرتى صقلية وسردينيا، ومعظم هذه الغابات نفضية ومخروطية كالصنوبر والسرو والســـنديان والكســتناء والزيتـــون البري. وسارعت الدولة بعمل المحميات الطبيعية نظرا لأن بعـــض الأنـــواع أصبحـــت مـــهددة بالانقراض، ومن أقدم هذه المحميات محمية جران باراديزر (الجنة الكبرى).

السكان

يبلغ عدد سكان إيطاليا ٥٨ مليون نسمة يعيشون في مساحة ٣٠١ ألف كم وتصبـــح كثافة السكان العامة نحو ١٩٦ نسمة لكم٢، وكانت إيطاليا مـــن الـــدول ذات النمـــو الســـكاني المرتفع ولكنها الآن أصبح شأنها شأن دول الغرب الأوروبي تكاد تكون قد توقفت فيها الزيـــادة الطبيعية، أن لم تقل وازدادت الوفيات على المواليد. ففي عام ٢٠٠٣ كانت نسبة المواليد ٩ في الألف في حين كانت نسبة الوفيات ١٠ في الألف !! مع ملاحظة أن هناك فرق بيـــن الجنـــوب

الإيطالي والشمال الإيطالي. فالجنوب بحسب طبيعته الريفية أكثر مواليدا.

وترتبط الكثافة أكبر ما ترتبط (إذا تركنا الصناعة جانبا) بالأمطـار، فالأمطـار فـي إيطاليا أغزر في الغرب عنها في الشرق بصورة عامة، من ثم تجد نطاقـات الكثافـات العاليـة تترامي على الساحل الغربي أكثر منها على الساحل الشرقي، وإن كانت أكثر تقطعا على الساحل الغربي بسبب امتداد الجبال إلى السحل، ولذلك تظهر نواتان مرتفعتا الكثافة نسبيا فـي حـوض أرنو **Arno** في إقليم توسكانيا، وفي نابولي، وليس صدفة هذا الأمر إذا عرفنا أيضا أنه، مرتبط بالتربة الخصبة، فتربة بركان فيزوف تكمن وراءها. ويأتي سهل لمارديا في المقدمة، ذلـك أن هذا السهل الذي يمثل خمس مساحة إيطاليا يحتكر نصف سكانها، ويختص بـأكبر عـدد مـن المدن، وليس هذا صدفة بل هذا أكبر أقاليم إيطاليا تقدما زراعة وصناعة. فهنا ترتفع الكثافـة إلى ٣٠٠ نسمة في الكم (باستثناء المدن). وإذا كان الشمال الإيطالي يتحمل الكثافة المرتفعة. فإن الجنوب الإيطالي يعجز عن تحملها بسبب تواضع إمكاناته الاقتصادية. خاصـة وأن سـكان الجنوب أيضا يتبعون المذهب الكاثوليكي الذي يحرم استخدام وسائل منع الحمل، من ثـم كـان كانت الهجرة أو الخروج هي الحل، أما إلى الشمال الصناعي، وأما إلى الخارج، أما المنـاطق المنخفضة الكثافة فهي الأقاليم الجبلية وهي متسعة في إيطاليا، تشمل جبال الألب الإيطالية فـي الشمال وسلاسل الابنين في الوسط والهضاب الجيرية التي يختفي فيها ماء المطر.

ومن الظاهرات السكانية عقب الحرب العالمية الثانيـة كـان الـهجرات والتحركـات الواسعة النطاق لسكان الجنوب الإيطالي لتحسين أحوالهم المعيشية. فهاجر نحو المليـون مـن شباب الجنوب بعائلاتهم، ومثلهم في الستينيات والسبعينيات والثمانينيات، بـل وتـرك سـكان الجبال إلى السهول، واستقر الذين هاجروا من الجنوب إلى الشمال على أطراف المدن الصناعية الكبرى في الشمال الإيطالي، وأكثرهم عبر جبال الألب للعمل في أوروبا الشـمالية والغربيـة. وكان من آثار ذلك أيضا أن أصبحت إيطاليا بلدا مستقبلا لهجرات من الشمال الأفريقـي. وقـد تكون بعض هذه الهجرات فصلية في مواسم معينة لجني الكروم أو زراعة بنجر السكر أو شـتل الأرز وجمعه في حوض البو، ومن أكثر جهات إيطاليا استقبالا المدن خاصة إلى روما بصفـة خاصة والمدن بصفة عامة بحثا عن عمل وحياة جديدة، فعلي سبيل المثال يتألف ثلـث عمـال مصانع فيات في تورينو من أهل الجنوب الإيطالي. وإذا كانت الهجرة الخارجية بدورهـا لـها دورا كبيرا في حل مشكلات السكان في إيطاليا. فكانت بالهجرة إلى الدول الأوروبية المتقدمـة.

فقد استقبلهم العالم الجديد خاصة الولايات المتحدة الأمريكية. وأن زادت الهجرة الآن إلـى دول الاتحاد الأوروبي، ذلك أنه في ظل عضويتها في الاتحاد الأوروبي، أصبح تحرك الإيطالي حـرا في دول الاتحاد، وبالتالي يمكنه الهجرة النهائية والاستقرار فيها، ويقدر عدد المـهاجرين إلـى الخارج بنحو ٦ مليون نسمة.

الإيطاليون بين الريف والحضر : تبلغ نسبة الحضرية في إيطاليا ٧٠%، وهي بذلـك دون نسبة الحضرية في دول أوروبا الشمالية والغربية، وهناك أطروفة إيطاليـة تقـول بـأن لإيطاليا عواصم ثلاث، *روما* العاصمة السياسية، *ميلان* العاصمة الماليـة، *وتوريـن* العاصمـة الصناعية، ويمكن أن نضيف إليها نابولي وجنوه عواصم سياحية، كما أن القائمـة يمكـن أن تشمل جنوه عاصمة الإبحار البعيد Seafaring، *وفلورنس* العاصمة الثقافية، *وبالرمو* العاصمة الفعلية لجزيرة صقلية، والواقع أن المدن الثماني هي أهم وأكبر مدن إيطاليا، التي يقال عنـها أنها دولة المدن، ففيها ١٥٠ مدينة يزيد سكان كل منها على ٣٠ ألفا.

النشاط الاقتصادي

زراعـــة : تمثل الجبال والتلال نحو ٧٥% من مساحة إيطاليا، وبالتـالي تشـغل السهول نحو ٢٥%، ورغم ذلك فإن المساحة الزراعية تقترب من نصف مساحة إيطاليا، ممـا يدل على الجهد المبذول للتغلب على الظروف الطبيعية التي تقف عقبة أمام النشـاط الزراعـي سواء كان فقر تربة، أو تطرف مناخي، أو قلة الماء، وتشير الدلائل على أن جهودا بذلت وتبذل في سبيل إستغلال الإمكانات الزراعية لتجفيف المستنقعات على سواحلها المطلة على التـيراني أو الأدرياتيك كما هو الحال في دلتا البو، أو في الجنوب حيث ارتبطت هذه المسـتنقعات أيضـا بانتشار الملاريا حتى فترة ليست بعيدة، كذلك أمتدت شبكة الري حتى أصبحت إيطاليا لديها أكبر مساحة زراعية تعتمد على الري في أوروبا سواء في سهل لمبارديا في الشـمال وفـي بقـاع متفرقة في الجنوب، ومنها أيضا التحكم في فيضانات الأنهار، وتحسـين شـبكة المواصـلات، والنقل. وبناء المساكن، والمدارس، والمستشفيات وإمداد الريف بالمياه النقية والكهرباء حتـى لا يهجره أهله إلى المدينة وقام صندوق استثمار الجنـوب Cassa del mezzogiorno الـذي خصصت ميزانيته لدعم الجنوب والنهوض به اقتصاديا. إلى جانب إعادة تشـجير كثـير مـن سفوح التلال حتى لا تنهار التربة. وتزيد أخطار الفيضانات واستصلاح الأراضي. قام الصنـدوق بشراء ما يقرب من ٢ مليون فدان حيث كانت الملكيات الكبيرة أو الابعديات Latifundia مـن

كبار الملاك ووزعها على المعدمين في مساحات تتراوح بين ٢ ، ١٥ فدانا، على أن يسـددوا أثمانها في بحر ثلاثين عاما، وإلا يبيع المالك الجديد أرضه أو يفتتها خلال الثلاثين عامـا، وأن يتبع النظم التعاونية مما أدي إلى توطين ١٠٠ ألف عائلة في نحو ٢ مليـون فـدان، ودخلـت الزراعة أيضا مضمار التطور الحديث باستخدام الجـرارات والحـاصدات كلمـا أمكـن، وإزداد استهلاك الأسمدة مما أدي إلى ارتفاع إنتاجية الأرض، وزيادة أعـداد الماشـية بقـرا وضانـا وخنازير، وأصبحت إيطاليا منتجة لنحو ٨٠% من استهلاكها المحلي نن القمح، وما يقرب مـن ١٠٠% من الأرز والذرة وبنجر السكر، وزيت الزيتـون (المدينـة الأولـي) والخضـروات والفواكه والألبان واللحوم، والثانية في إنتاج الخمور وان كانت مسـتوردة للزيـوت النباتيـة والمطاط والقطن والمحاصيل التي لا تجود فيها.

القوي المحركة والمعادن : إيطاليا فقيرة في الفحم، فهو لا يعدو ٣ مليون طن، منـها مليون طن من جنوبي غربي جزيرة سردينيا. ومليونان من إقليم توسكاني خاصة أعالي نـهر أرنو. ويستخدم في توليد الطاقة الكهربائية. وقد تضاءل نصيـب الفحـم فـي تويـد الطاقـة الكهربائية كبيرا حتى بلغ نحو ١٠% فقط وحل محله البترول والغـاز الطبيعـي ٣٥%، ٣٤% على الترتيب، ويرجع ذلك لاكتشاف البترول في جزيرة صقلية، والغـاز الطبيعـي فـي سـهل لمباردبا في الشمال، وقد بلغ إنتاج البترول عام ١٩٩٩ نحو ٦ مليون طن، علـى حيـن كـان إنتاج الغاز ١٩١٢٣٠٠٠ ألف م٣، ونظرا لعدم كفاية البترول فهي مستوردة لخامه، وترصـع معامل التكرير السواحل الإطيالية، في جنود. وفينسيا، ولجهورن، ونابولي، فضلا عـن ميـلان وروما، ولا تستورده لكفاية الحاجة المحلية فقط، بل لتكريره وبيـع مشـتقاته. أمـا الطاقـة الكهرومائية فنصيبها ١٧,٥% ومعظمها بطبيعة الحال في الشمال للاستفادة من منحدرات جبال الألب، وهي فقيرة في المعادن فهناك خام الحديد في جزيرة إلبا Elba والبوكسايت في الأبنيـن الوسطي، والزئبق في مقاطعة توسكاني، فضلا عن بعض الرصاص والزنك والكـبريت، ممـا يعطي صورة فقر إيطاليا في الخامات المعدنية.

الصناعـة : لم يكن للصناعة شأن كبير في إيطاليا قبل الحرب العالمية الثانية، غـير أنه بانتهاء هذه الحرب وخاصة بعد عام ١٩٥٣ بدأت إيطاليا تطرق الصناعة من أوسع أبوابها. ويرجع ذلك إلى عدة أمور منها الاستفادة من المنح الأمريكية حتى لا ينقلب نظام الحكـم فيـها وتنضم إلى المعسكر الشيوعي، وظهور البترول وبصفة خاصة الغاز الطبيعي، ودخولها السـوق

المشتركة (الاتحاد الأوروبي الآن) وبالتالي اتساع السوق عددا وقوة شرائية.

وتأتي صناعة *المنسوجات والملابس* كأقدم الصناعات في إيطاليا، وخاصة المنسوجات القطنية ويعد ذلك المنسوجات الاصطناعية، وليس لها تركيز كبير، بل هي موزعة على أنحاء إيطاليا وأن كان هناك تركيز في صناعة الحرير في الشمال على أطراف جبال الألب.

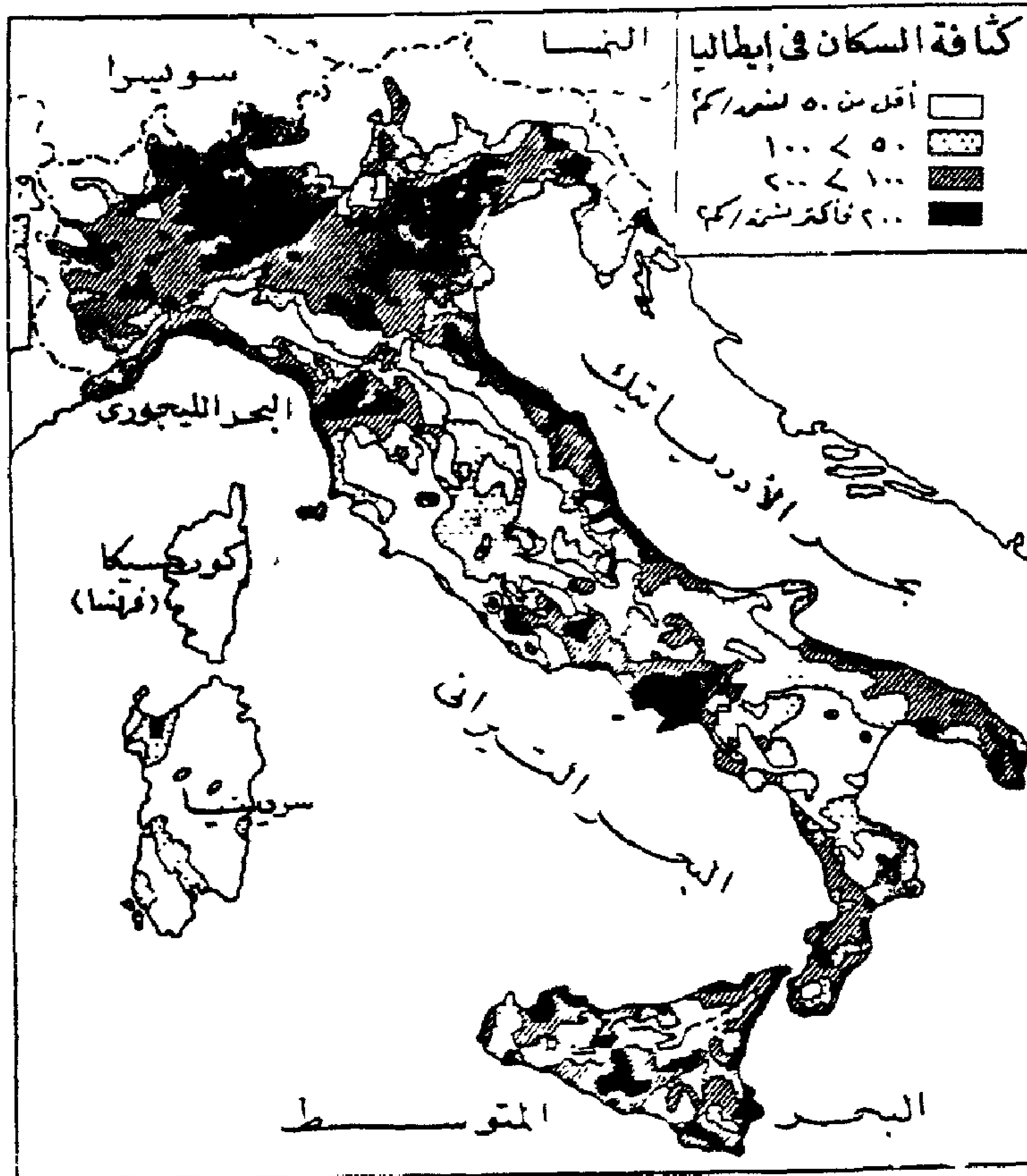
وتمثل *صناعة الحديد والصلب* اعتمادا على استيراد الخامات من الخارج صناعة رئيسية والتي قامت عليها عدة صناعات معدنية وميكانيكية، فقد جددت المصانع القديمة واستحدثت مصانع جديدة، وتم إنشاء مصاهر للحديد والصلب في جهات متفرقة خاصة في الموانئ، جنوه وتريست ولاسبيزيا لخدمة أحواض بناء السفن، وكذلك في الشمال الإيطالي معتمدين على مصاهر الحديد والصلب التي تستخدم المصاهر الكهربائية. وترتب على هذه الصناعة أيضا صناعات خفيفة ممثلة في الدراجات النارية التي اشتهرت بها إيطاليا (الفسبا)، فضلا عن ماكينات الحياكه والآلات الحاسبة، وتوسعت إيطاليا في *الصناعات الكهربائية* التي تتوزع على عدد كبير من المدن. وانتشرت صناعة البتروكيماويات سواء على الغاز الطبيعي المحلي في شمالي إيطاليا أو على المستورد وخاصة في الموانئ وفي الجنوب الإيطالي للحاجة إلى الأسمدة ومن الصناعات الموزعة على أنحاء البلاد أيضا *الصناعات الغذائية* تعليبا وتجميدا للتصدير اعتمادا على الخضروات والفاكهة، وبنجر السكر، ومعاصر الزيتون فهي تنتشر في جميع أنحاء البلاد، وأن تركزت صناعة منتجات الألبان في الشمال.

والظاهرة الملفتة للصناعة في إيطاليا أنها في بعض الأحيان تكون ركيزتها مؤسسات ضخمة كشركة فيات للسيارات. وشركة سبنيافسكوزا في حقل المنسوجات الاصطناعية، وبيريللي في صناعة المطاط وإطارات السيارات، وأوليفتي في الصناعات المكتبية، ولكن في نفس الوقت نجد أن كثيرا من الصناعات تعتمد على المؤسسات الصغيرة (الورش) فتقدم هذه المؤسسات ٩٠% من إنتاج الأثاث في إيطاليا، و ٧٠% من إنتاج الملابس والصناعات الجلدية بوجه عام، يضاف إليها السلع الحرفية والزجاجية.

السياحة : تأتي إيطاليا في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة الأمريكية في جذبها للسائحين، فقد زارها ٣٥ مليون سائح عام ٢٠٠٠ ، أنفقوا على ما يزيد على ٣٠ مليار دولار وبالتالي تمثل هذه الصادرات غير المنظورة دعما لميزانها التجاري، وقد ساعدت الظروف

الطبيعية والبشرية على إعطائها هذه المكانة. منها تنوع السطح بين الجبل والســهل والبحــر. والآثار التاريخية المتعددة، ومن أهم *أقاليمها السياحية :*

١ ـ *ليجوريا:* مقاطعة ليجورا بأجزائها الجبلية والســاحلية علــى البحـر التـيراني ويشتهر شاطئ خليج جنوا هنا باسم " الريفييرا " ويمتد حتى الحدود الفرنســية. وقــد أطلقــت تسمية الريفييرا فيما بعد على منطقة " الكوت دازير " الفرنســية المجــاورة، ويعتــبر (مــع الريفييرا الفرنسية) أول إقليم للسياحة البحرية في العالم. ويسيطر على الســاحل هنــا منــاخ البحر المتوسط، وهو الثروة السياحية الأساسية في الإقليم صيفاً وشتاء، ففي الصيــف يكــون المناخ حاراً وجافاً، أما في الشتاء فالمناخ معتدل ولا تنخفض درجة الحرارة عن ٩°م. علماً بأن الساحل محمي بواسطة الجبال من الرياح الشمالية الباردة، ومن الموارد السياحية الهامة فــي الإقليم نذكر أيضاً مياه الشاطئ النظيفة. وقاعه المنحدر تدريجيــاً، ورمالــه الذهبيــة، وكــثرة الموانئ السياحية المجهزة بالمراكب واليخوت.



شكل (رقم ٢٣)

٢ ـ *فينيسيا (البندقية):* ويضم معظم مقاطعة فينيسيا بما فيها السـهول الساحلية والسفوح الجنوبية الشرقية لجبال الألب، ويتخصص الإقليم في سياحة التسلية البحرية والسياحة التاريخية والثقافية على المستوى العالمي، وخصوصاً في فينيسيا وضواحيها مثل منتجع ليدو الشهير على البحر الأدرياتيكي. وتشتهر مدينة فينيسيا التاريخية بآثارها العالمية القيمة ومنها ٩٠ كنيسة رائعة أبرزها كنيسة سان مارك، ثم قصر الدوج والقصور الأخرى والمتاحف والبرج والجسور الشهيرة والقنوات المائية.

٣ ـ *نابولي:* ويضم السهول الساحلية والسفوح الغربية لجبال الأبنين وذلك في مقاطعة كامبانيا، كما يضم الجزر المنتشرة في خليج نابولي على البحر التيراني، ويشتهر الإقليم بموارده السياحية المتنوعة مثل الآثار والمتاحف الوطنية التي يبلغ عددها ٤٥ متحفاً لاسيما في نابولي ومحيطها، وتزدهر هنا سياحة التسلية البحرية على شواطئ وجزر البحر التيراني، كما تنشط على مرتفعات الأبنين سياحة التسلية الجبلية. ومما يساعد أيضاً على ازدهار الحركة السياحية الداخلية منها والخارجية كثرة الينابيع المعدنية والمغاور الصخرية وخصوصاً على شواطئ جزيرة كابري، وإنتشار البراكين وأبرزها بركان فيزوف الثائر.

٤ ـ *روما:* ويشغل مساحات كبيرة من مقاطعة لازيو سوى في الشواطئ والسهول والجبال. وهو من أهم الأقاليم السياحية في إيطاليا نظراً لأهمية العاصمة التي تجتذب ملايين السياح سنوياً، وذلك لكثرة آثارها التي تعود لمختلف العصور التاريخية، وخصوصاً المعابد والمسارح، والأقواس، والأعمدة. والمتاحف. هذا بالإضافة إلى أهمية روما الاقتصادية والسياسية والثقافية. ويشتهر الإقليم أيضاً بمناخه البحر متوسطي بحيث تزدهر سياحة التسلية البحرية في منتجعاته الساحلية. كما تزدهر سياحة التسلية الجبلية على مرتفعات جبال الأبنين الوسطي ولاسيما جبال أبروتسي حيث التزلج على الثلج شتاء والاصطياف في منتجعاتها المناخية، كما تنشط سياحة التسنية والاستحمام عند البحيرات مثل بحيرة براتشانو وبولسنه وفيكو. ونظراً لكثرة الينابيع المعدنية في الإقليم ولاسيما بالقرب من العاصمة يزور الكثير من السياح المحليين هذه المراكز للاستشفاء. وبالإضافة إلى هذه النشاطات السياحية تزدهر أيضا السياحة الدينية لاسيما في الفاتيكان.

٥ ـ *إقليم الألب* : ويتألف من جبال الألب الإيطالية في مقاطعتي بيدمونت ولمبارديا على الحدود مع فرنسا وسويسرا . ويتخصص الإقليم على الصعيد العالمي بسياحة التسلية الجبلية ولاسيما عند البحيرات (١٤ بحيرة كبيرة) وأهمها : كومو، ماجيوري، ليجانو وجاردا

وإيزو وغيرها، وتنتشر حول هذه البحيرات القرى السياحية ومعظم زوارها من السياح الأجانب. كما يوجد في الإقليم العديد من الأماكن الأثرية، والكثير من الينابيع المعدنية وأكثر زوراها من السكان المحليين. ومما يساعد في ازدهار السياحة في جبال الألب المناخ المنعش صيفاً وكثرة الغابات، والمغاور، والخوانق النهرية والمحميات الطبيعية. هذا وتعبر الإقليم حركة سياحية كبيرة من خلال ممراته العديدة التي تسهل الانتقال إلى وسط في القارة.

أقاليم ايطاليا الجغرافية

أولاً : حائط جبال الألب: تقوس على شكل حائط جبلي في الشمال كقوس دائري لمدرج ضخم يحيط بحوض البو أو سهل لومبارديا، وأشدها إنحدارا هي جبال الألب الغربية، وألب بيدمونت، وتتخللها الصخور البلورية القديمة، وتمر بها الحدود الإيطالية والفرنسية وسويسرا وتقع فيها أعالي جبال أوروبا وهي مون بلان، وإذا تحركنا مع جبال الألب الغربية نحو الشرق نصل إلى الألب الوسطي التي تطل على إقليم لومبارديا، وهي أقل ارتفاعا وسفوحها أقل انحدارا إذ تنحدر نحو السهل على شكل مدرجات وهي مكونة من صخور جيرية. وتتميز جبال الألب الشرقية المطلة على حوض البو بوجود البحيرات المستطيلة التي تشبه الأصابع، والتي ترجع إلى حفر الجليد المنحدر من جبال الألب في البليستوسين، وحين ذاب الجليد قامت الركامات النهائية بسدها وأحتجزت المياه خلفها، وبالتالي تكونت بحيرات ماجيوري ولوجانو وكومو، وجاردا.

تتسع جبال الألب شرق بحيرة جاردا، وتقسمها الأودية إلى كتل جيرية ضخمة، وتبدو الألب الإيطالية هنا كمدرجات جيرية ضخمة. تعاقبت عليها عوامل التعرية والتحات وشقت المجاري المائية فيها أودية كنهر إديج، ونتيجة النحت التراجع، دفع النهر بمنابعه إلى الخلف متوغلا في قلب الألب النمساوية نحو ممر برنر وتنقسم بعد ذلك جبال الألب إلى عدد من الهضاب متوسطة الارتفاع. فهناك القسم المعروف باسم ألب لوليانا التي تمر فيها الحدود الإيطالية مع سلوفينيا (جزء من يوغسلافيا سابقا). وكان لنشاط عوامل التعرية أثرها في شق الأودية والممرات الطبيعية، على سبيل المثال ممر فريجوسي الذي تعبره السكك الحديدية من موندان إلى نيس في الريفييرا الفرنسية. وممر سان برنار بين وادي أوستا أحد روافد البو وفرنسا، وممر سمبلون. وسان جوثار الذي يصل لومبارديا بسويسرا. وممر برينر الذي

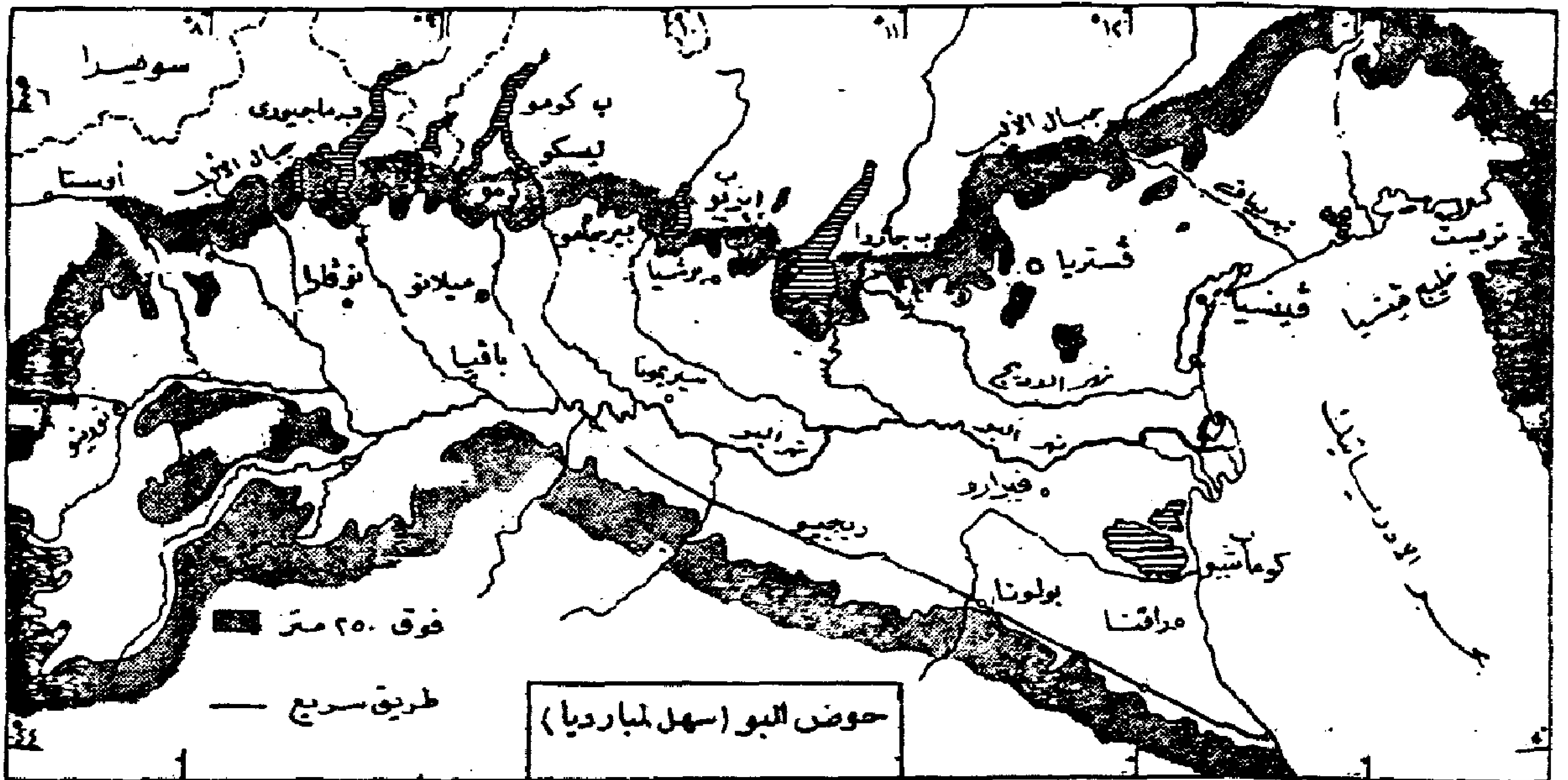
تخترقه السكك الحديدية إلى وسط أوروبا.

ونظرا لوفرة المطر على مرتفعات الألب، تنمو الغابات النفضية والصنوبرية بغـزارة، كما تتسع مساحات المراعي، من ثم كانت حرفتا قطع الأخشـاب والرعـي الفصلـي حرفتـان أساسيتان لسكان الأودية العليا. فضلا عن زراعة بعض المحصـولات علـى السـفوح الدنيـا كالبطاطس والشيلم والشوفان والكروم، ويعتبر إقليم بيدمونت أو السفوح الدنيا للألب الغربيـة، أهم مزارع تربية الأبقار، ومن ثم اشتهر الإقليم بمستخرجات الألبان، كمـا اشـتهر بالسـياحة بفضل وجود البحيرات، وتأتي أهمية جبال الألب أيضا في ميدان الطاقة الكهرومائية والتي كانت سببا في ازدهار الصناعة في سهل لومبارديا بفضل إقامة السدود والخزانات.

ثانيا : سهل لمبارديا أو حوض البو (القطب الاقتصادي): ويشمل سهل لومبارديـا أو حوض البو نحو ١٠% من مساحة إيطاليا، وهو سهل منخفض، تغطيه فتات الصخـور الـذي حملته عوامل التحات والتعرية من الجبال المحيطة وردم خليج ضيق قديم لبحر الأرياتيك، ثـم أضافت الأنهار التي انحدرت من الجبال رواسب فيضية البية. وأهم هذه الأنهار نهر البو الـذي يشق له واديا عميقاً في السهل. وترفد البو عدة روافد من الشمال والجنوب، وهـذه الروافـد سريعة الجريان، حتى أنه أحيانا يفيض بمائة وتصبح مشروعات الصرف ضرورية، وتنبثق من سفوح الجبال المنحدرة إلى هذا السهل عدة ينابيع منتظمة التصرف تساعد على الـري، كمـا تساعد على إنتظام جريان روافد نهر البو. ولما كانت روافد الألبيـة أغزرهـا مـاء سـريعة الإنحدار فهي تدفعه نحو الجنوب ليقترب من سفوح أبنين. ثم تتجمع مياه هذه السيول والروافد الجبلية في نهر يتجه من الغرب إلى الشرق، وهو في هذا الاتجاه يتبع انحدار المرتفعات الألبية الغربية ويدخل في أرض مستوية قليلة الانحدار، ومن ثم يتعرج ويتثني إنثناءات عديدة حتـى يصب في بحر الأدرياتيك، وتغذي الروافد الألبية نهر البو في أشهر الربيع والصيف. أما روافده الجنوبية المنحدرة فتغذيه في الخريف والشتاء، من جبال الابنين، من ثم كانت فيضانـات البـو الأدني في الخريف، ولما كانت المياه تغذي النهر باستمرار فقد جعلته صالحاً للملاحة طول العام من بافيا حتى المصب، وينتهي النهر إلى بحر الأدرياتيك بدلتا كثيرة الفروع تكتنفها البحـيرات الساحلية (اللاجون) وقد نظم سكان الوادي مجري النهر وضبطوا فيضاناتـه واعـدوا السهل المنبسط للزراعة الكثيفة.

وسهل لومبارديا هو القطب الزراعي والصناعي. فهنا أكثر أجزاء إيطاليا تقدما، وهنـا

إقليم جذب السكان، خاصة المهاجرين من الجنوب الإيطالي، فهو زراعي بسبب تربته الخصبة ووفرة الماء، وهنا زراعة القمح، والذرة، وبنجر السكر، والكتان، وأشجار الزيتون، وتربية الماشية، لا على المطر فحسب، بل على الري أيضا، فهنا أكبر مساحة تعتمد على الري في أوروبا، تقدر مساحة هذا السهل بنحو ٥ مليون فدان، وهو من ناحية المحاصيل الغذائية، يعتبر سلة الخبز بالنسبة لإيطاليا، وإذا ذكر سهل لمباردیا خاصة دلتا البو، فهي مشتل أرز إيطاليا، وتمتد الأسواق الزراعية على طول خط أحدهما شمال النهر كبافيا، وفيورنا وبادوا المعتمدة على الإنتاج الزراعي، وهي ليست أسواقا زراعية فحسب، بل قامت فيها كثير من الصناعات الزراعية، فضلا عن الصناعات الكيماوية. وأما مدن النطاق الجنوبي فمنها رجيو، وبولونا. ويمثل سهل لمباردیا أعظم أقاليم إيطاليا صناعيا، بفضل الحصول على الطاقة الكهرومائية ،فضلا عن اكتشاف الغاز الطبيعي والذي عوض فقر إيطاليا في الفحم. ولا يستخدم الغاز فقط كوقود للمنازل والمحطات الكهروحرارية، بل دخل في صناعة الأسمدة الأزوتية.



شكل (رقم ٢٤)

وقامت في سهل مباردیا كثير من المدن التي ازدهرت في العصور التي كانت تقوم بالوساطة ونقل تجارة الشرق عبر الممرات الألبية إلى وسط أوروبا، وكانت أساس عصر النهضة بسبب وفرة التجار الأثرياء، وهذه المدن اليوم هي التي تؤلف قاعدة إيطاليا الصناعية.

فهناك تورين (تورينو) عاصمة إقليم بيدمونت في الغرب ثاني أكبر المدن الإيطاليـــة (نحـو المليون نسمة) وهي العاصمة الصناعية فعلا لإيطاليا وتضم أكـــثر مـــن ٢٠ ألــف منشــأة صناعية أكبرها مصانع فيات (*) وهي أكبر مؤسسة صناعية في إيطاليا بوجه عام، أسست عـام ١٨٩٩، وقد اتبعت شركة فيات التكامل الرأسي، فلديها معامل الصلب الخاصة بها، كما لديـــها أيضا ورش التصليح والصيانة، وإدارة شركات التوزيع، أي من الخامات إلى التسويق. وهــي أحد أهم مصانع السيارات في العالم وتملك شركة فيات ٣٠ منشأة صناعيـــة، منـــها ١٨ فـــي تورين ورغم مصانع السيارات والملابس والصناعات الجلدية والغذائية كالشيكولاته (كـــاندي) فهي بمبانيها شوارعها وتنسيقها ومحلاتها تشعرك أنك فعلا قريب من فرنسا وسويسرا. ولـــها أهميتها التاريخية أيضاً لأنه هنا في تورين أكبر قصور إيطالية أهميـــة Palazzo Carignano حيث كان إعلان الوحدة الإيطالية.

ميلان أو ميلانو : ثاني مدن إيطاليا الصناعية وعاصمة إقليم لومبارديا ميلانـــو هـــي أكثر من مدينة، إنها منطقة حضرية مؤلفة من ١٧٠ ناحية وهي عاصمة إيطاليا الاقتصاديـــة، ففيها تستقر شركات صناعـــة الحديـــد الكـــبرى والصناعـــات الميكانيكيـــة مثـــل الفـــاروميو، والكهرومعدنية والكيماوية، والغذائية، حيث تضم ميلانو إدارتها المركزيـــة ومصانعـــها وكمـــا تنافس ليون في صناعة الحرير. وهنا أيضا يقع أول مركز تجاري في البـــلاد مـــع معرضـــها الدولي حيث تعقد فيها ٣٠% من الصفقات التجارية، وكذلك السلاسل الكبرى للمحلات التجارية. وأهالي ميلان أشبهة بأهل نيويورك فهم يجرون أكثر مما يمشون، وتكاد تكون المدينة الوحيـدة التي يحس الإنسان فيها بنبض مدن رجال الأعمال والاقتصاد المنتج، ناطحات سحاب، أنفـــاق، شوارع متسعة، مطاعم فخمة. فهي المركز المالي والتجاري والبنكي الرئيســـي فـــي إيطاليـــا، وتقود كل إيطاليا في صناعات النسيج والكيماويات. والمنتجات المعدنية والطباعة والنشر.

جنوه : مطلة على البحر التيراني، تحميها جبال الألب، وهي مقابلة لفينسيا رغم أنـــها سادس مدن إيطاليا، فهي ميناؤها الأول وهي المنافس الرئيسي لميناء مرسيليا الفرنســـي فـــي حوض البحر المتوسط، وتعبرها ملايين الأطنان من السلع. ويرجع الفضـــل إلـــى التجديـــدات والتسهيلات الحديثة في مرفأها بحيث يمكن أن تتعامل مع مائة سفينة في وقت واحد، وجنـــوه هي المركز الأول لبناء السفن في إيطاليا، ومن ثم قامت فيها صناعات الحديد والصلب، كما أنها

(*) Fiat هي الحرف الأولى من Fabrica. Italiano. Automobilo. Turino أي المصنع الإيطالي للسيارات في تورين.

تقوم وحدها بإنتاج ربع الصابون الذي تنتجه إيطاليا، مضافا إليه المنسوجات والكيماويات. وتاريخ جنوه كميناء هو تاريخ قديم، بلغت مكانتها الأوج في العصور الوسطي وكان لتجار جنوه مخازنهم في جزيرة القرم (البحر الأسود) والقسطنطينية وسوريا، وأفريقية الشمالية، ويكفي تاريخها أن كرستوف كولومبس هو من جنوه، كما أنها تصرف تجارة حوض البو بأكمله، وتؤلف مع تورين وميلان مثلثا صناعيا ضخما، وزاد من أهميتها ان ممر توشتيا يقع في ظهرها، وهذا يؤدي إلى ميلان، ومنها عبر نفق سان جوثار إلى سويسرا وألمانيا، من ثم فهي تخدم دولا أخرى غير إيطاليا.

فينسيا : المنفذ الشرقي لسهل لمبارديا، وهي من أجمل مدن الدنيا، أسسها المهاجرون الفارون من هجمات البرابرة في القرن الخامس الميلادي، ويبدو أن اختيارهم هذا المكان للاختفاء كان صحيحا لأن مكان الاختفاء هذا نما وأصبح مدينة بنيت على ما يزيد على ١٠٠ جزيرة في لاجون فينسيا في الطرف الشمالي لبحر الأدرياتك، ويطلق الفينيسيون عليها عروسة الأدرياتيك وأنها زفت للبحر، لأن هذا البحر هو مصدر غناهم، ذلك أن موقعها الاستراتيجي عند مفترق طرق التجارة بين الشمال والجنوب جعل منها قوة تجارية ضخمة، وقد بلغت سفنها الشرقين الأدنى والأقصى، تأتي منهما محملة بالحرير والذهب والبخور والتوابل، وقد بنى أغنياء التجار قصورا لهم على طول القنوات التي تجري في فيها بدلا من الطرق والشوارع، وعاش فيها أشهر الفنانين الإيطاليين. ونظرا لتضاؤل أهميتها كمركز تجاري رئيسي بعد حفر قناة السويس، فإن قنواتها وقواربها التي تسبح فيها جعلتها مقصدا للسائحين، وقامت فيها كثير من الصناعات اليدوية التي يطلبها السائحون للذكري، كالعقود، والحلى الذهبية، والفضة والمنسوجات الحريرية، وكامتداد لسهل لومبارديا الصناعي قامت فيها معامل تكرير البترول وبناء السفن، والمنتجات الكيماوية، بحيث أصبحت من الموانئ الرئيسية في حوض البحر المتوسط. وكان لاكتشاف طريق رأس الرجاء حول أفريقية في القرن الخامس عشر بداية لتدهور الأحوال الاقتصادية، نظرا لأن لم يعد لها الصفة الاقتصادية للتجارة، وانتقل باب وسط أوروبا منها إلى تريست على الحدود اليوغسلافية، غير أن البحر الذي كان مصدرا لثرائها أصبح خطر عليها ويهددها، وأصبحت المباني المطلة على القنوات مهددة بالتيارات المائية التي زادت نتيجة زيادة حركة القوارب (بالموتورات)، كما أن مياه البحر أصبحت تهدد أساسات المباني ببطء، ويعتقد أن هذه المدينة تهبط سنويا بنحو قدم أكثر مما كان عليه الحال حين كان يستخدم الجندول والقوارب ذات المجداف في الحركة بين مبانيها، هذا كما أن الهواء المشبع

بالرطوبة والملح وعادم الوقود، كل ذلك يعمل على تآكل الرخام ووجهات المبـــاني، والتمـــاثيل البرونزية، وتقوم الآن دراسات لمحاولة إنقاذها من البحر.

ولا يمكن أن تترك الشمالي الإيطالي دون ذكر ميناء *تريست* الإيطالي من أهم موانـــئ بحر الادرياتيك، وكان هناك نزاع عليه بين إيطاليا ويوغسلافيا، انتهي ببقائه ضمـــن إيطاليـا، ومنح يوغسلافيا منطقة حرة، وتبدو أهميته في كونه منفذا للنمسا وسلوفينيا على البحر، كمـا قامت فيه صناعة السفن والحديد والورق ومعامل تكرير البترول.

ثالثاً وسط إيطاليا : وسط إيطاليا وهو الجزء الأوسط من شبه الجزيرة، الذي ينتـــهي جنوبا بخط يمتد جنوبي روما وجبال أبروزي مباشرة، هذا الجزء تكتنفه جبال البنين على هيئـة قوس يتجه نحو الجنوب والشرق. بحيث يقترب بشدة من ساحل بحر الأدرياتيك، ويفصل بينــه وبين ساحل البحر التيراني سلسلة من التلال القديمة، ويقطع جبال الأبنين هنا وديانا تكتونيـــة عميقة، تخترقها السكة الحديدية الطرق التي تصل فلورنسا برومـــا، علـــى أن جبـــال الابنيـن متوسطة الارتفاع، فهي تقل عن ٢٠٠٠م من فيما عدا بعض القمم القليلة في جبـــال أبـــروزي التي تصل إلى ٣٠٠٠ م. وتتكون جبال الأبنين من شريط عريض من المرتفعات، قطعتها عوامل التعرية المائية، ولذلك كانت عائقاً كبيراً في شق طرق المواصلات بها، ومظهر الجبـــال عامـــة فقير، وأن استغلت المنخفضات في زراعة الكروم وأشجار الزيتـــون، وتتخـــذ ســـفوح الجبـــال مراعي للضأن، ولما كانت سفوح البنين الشرقية اشد إنحداراً من سفوحها الغربية، كمـــا أنـــها أكثر منها استقبالا لأشعة الشمس، وأكثر جفافاً، كانت أكثر تعرضاً لعوامل التعرية، أما الســـفوح الغربية المنحدرة إلى البحر التيراني فهي ذات تضاريس معقدة، تلال متفرقة وأحواض واســـعة وارتفاعات متوسطة، وهذا هو ما يميز إقليم تسكانيا فعلا.

وتقع فلورنسا ــ أهم مدن هذا الإقليم ــ في وادي أرنو أكبر أودية تســـكانيا وأكثرهـا اتساعا، وأغناها زراعيا وهي مثل بقية مدن البحر المتوسط ــ نشأت كمركز إقليـــم زراعـــي، غني، وعاصمة تجارة جلود الضأن والصوف، ولا تزال فلورنسا عاصمـــة إقليميـــة، يســـكنها (نصف مليون نسمة)، وفلورنسا هي مهد النهضة في إيطاليا، بل وفي أوروبا بعامة، ويتوقف مستقبلها على الماء أيضا والذي تعتمد فيه على نهر أرنو الذي تقع عليه، بل والذي يقســـمها إلى قسمين، وهو في نفس الوقت يفاجئ سكانها بفيضاناته الكاسحة، ففي نوفمبر ١٩٦٦ حيـن كان أهاليها يغطون في نومهم قطعت فيضانات النهر ضفافه. وأغرقت أغني أجـــزاء المدينـــة،

التي تحوى تراثا ثقافيا وعلميا وفنيا بطبقة كثيفة من الماء والطين والزيوت، وفي بعض الأحيان بلغ سمك الماء نحو ٩ أمتار، وغطت التماثيل وكثير من الأعمال الفنية الفريدة والكنائس والمتاحف والمكتبات المليئة بالمخطوطات، مثل أعمال دانتي، وميخائيل أنجلو، وجاليليو.

ويجمع إقليم تسكانيا الذي تع فيه فلورنسا بين الثروة الزراعية والرعوية، وبين الثروة المعدنية، إذ يستخرج منه بعض الحديد والمنجنيز كما تقطع من محاجر كرارا الرخام المشهور وقريب من ساحلها بعض الجزر الصغيرة أشهرها جزيرة إلبا منفى نابليون الأول، والتي يستخرج منها خام الحديد في الوقت الحاضر هي وشبه جزيرة مونتي أرجنتاريو المتصلة بالساحل بلسانين رمليين.

رابعا : جنوبي إيطاليا ــ المزوجيورنو : جنوب إيطاليا أو المزوجيورنو هو أكثر أجزاء إيطاليا ازدحاماً بالسكان وأقلها تنمية اقتصادية، وأكثرها تخلفاً وفقراً ، وهذا الجنوب يشمل جزيرتي صقلية وسردينيا وإقليم نابولي، ويضم حوالي ٢٥ مليون نسمة أي ما يقرب من ثلث سكان إيطاليا، لذلك كان من أقاليم الطرد البشري، فقد هاجر منه ما يقرب من ٨ مليون إيطالي واتجهوا إلى شمال إيطاليا أو إلى الولايات المتحدة. ويتميز جنوب إيطاليا بازدياد الحرارة والجفاف، وتقترب جبال الأبنين في الجنوب من البحر التيراني صانعة قوساً كبيراً، وتتكون الجبال في هذه المنطقة من الصخور الجيرية مختلطة بالصخور الرملية والصلصال، كما تظهر بعض الهضاب الانكسارية وسط التواءات الجبال، ومن أهمها هضبة كلابريا الانكسارية ونظرا لأن المرتفعات جيرية فإن التصريف المائي قليل رغم غزارة المطر من ثم كانت المرتفعات مراعي للأغنام، ولا تظهر الزراعة إلا في الجنوب فيها. ويتميز الجنوب أيضاً باضطراب القشرة، التي تشهد عليها الزلازل الكثيرة العدد، فلا يكاد تخلو فترة من زلزال تخوب المدن وتشرد آلاف الضحايا، كما ويشهد عليها أيضاً حركة البركنة النشيطة، ففيها أكبر براكين أوروبا، بركان فيزوف الذي يطل على نابولي (*) وتقذف هذه البراكين بالرماد البركاني والحمم التي تكسب الأرض خصباً، ومن ثم كان اجتذابها للسكان الذين يعملون في الزراعة، وارتفاع كثافة الإقليم بالسكان، ومازالت القرى والزراعة تعتمد على ما تقدمه هذه البراكين من طفوح

(*) ثار بركان فيزوف عدة مرات أثناء العصر التاريخي. كان أكثرها تدميرا ما حدث عام ٧٩م. وتسبب في تدمير مدينة بومبي الرومانية. كما غطى الرماد الساخن مدينة هرقليا.

بركانية تتفتت إلى تربة شديدة الخصوبة. وقد تسببت الملاريا في الماضي تخريـــب فـــي هـذا الإقليم، وتحويلها إلى ارض مقفرة. فقامت مدن جديدة مثل لاتينا، وبذلك زحف العمـــران مـــرة أخرى من سفوح الجبال إلى السهول بعد أن كان الناس قد هجروها منذ ما يقرب من ألف عـــام خوفاً من سطو القراصنة والملاريا.

وتقع نابولي (*) أكبر مدن الجنوب وثالث مدن إيطاليا وسط سهل خصيب يشرف علـــى البحر التيراني، ومنتج للقمح والذرة والخضروات والكتان . وأشجار الخوخ والبرقوق والتـــوت والكروم والزيتون والموالح، كما تسود مراعـــي الضـــأن التـــلال الجيريـــة المشـــرفة عليـــه، واستصلحت كثير من الأراضي التي كانت تشغلها المستنقعات حتى أصبحت سهول كامبين مـــن أكثر الأقاليم الزراعية إنتاجا بعد سهل لومبارديا، يسكنها أكثر من مليون نسمة، وهي تقع علـــى خليج نصف دائري ويشرف عليها بركان فيزوف، مما يعطيها منظراً رائعاً .. ويجتمع في هذه المدينة جمال العمارة الحديثة والفيلات الأنيقة مع أكواخ الأحيـــاء الفقـــيرة وأزقتـــها الضيقـــة البائسة، فهذه المدنية ــ بما لها من شهرة تجارية ــ تجذب إليها الفقراء والمعدمين من الريف المجاور، فإلي جانب كونها الميناء الرئيسي على التيراني بعد جنوه، فهي أعظم مدينة صناعيـــة خارج سهل لومبارديا، صناعة السفن، والكيماويات، والجلود والمنسوجات، وتكرير البـــترول، وفي أحيائها الجنوبية قامت صناعة الحديد والصلب اعتمادا على استيراد الخام والوقـــود مـــن الخارج. وقد أثار موقعها الجميل على خليج نابلي مشاعر الشعراء حتى لقد قال أحدهم " شاهد نابلي قبل أن تموت " Vedi Napolie Poi mouri. وساعد على أهمية الميـنـــاء أنـــها ســـهلة الاتصال بظهيرها، إلى روما شمالا وإلى ساحل البحر الأدرياتي رغربـــاً عـــبر ممـــرات جبـــال الابنين، وقد أصبح ميناء نابولي الآن خامس ميناء بعد *جنوه وتريســـت واجوســـتا والبندقيـــة* وأصبح نشاط الميناء قائم على صناعة السفن والصلب والمنسوجات القطنية وصناعة السيارات والبتروكيماويات.

أما إقليم باسيليكا وكلاباريا إلى الجنوب من نابولي فهما أشد أقاليم إيطاليا فقرا، ولـــم تصنع الهجرة الخارجية شيئاً كثيراً في تخفيف بؤس هذا الإقليـــم، وتبـــذل مجـــهودات كبـــيرة لاستصلاح أراضيه وتطوير اقتصاده. ويعتبر إقليم بولجيا المطل على سفوح جبـــال الأدريـــاتيك أغني بساتين إيطاليا التي تنتج الكروم والزيتون واللوز. كما يـــزرع القمـــح والفـــول وتكـــاد

(*) أسسها الإغريق في القرن الرابع الميلادي وأصلها Neapolis أي المدينة جديدة.

البساتين أن تحيط بمدنية *أوترانتو*، وتعتبر *باري* (٢٩٠ ألف نسمة) أهم ميناء على الأدرياتيك جنوبي البندقية، في حين أن *برنديزي*، ميناء للتزود بالوقود في مدخـل الأدريـاتيك *وترانتـو* عاصمة الإقليم (٢٥٠ ألف نسمة).

خامساً : الجزر الإيطالية : وأكبر هذه الجزر *صقلية* التي يسـكنها ٥ مليـون نسـمة يفصلها عن إصبع القدم الإيطالي مضيق مسينا، وجبالها إمتداد لمرتفعات الأبنين وترتفع بعـض قممها إلى أقل من من ٢٠٠٠ متر، وأشتهرت ببركان إتنا النشيط والذي يسمو ارتفاعه علـى ٣٠٠٠ متر ونظرا لطبيعتها الجبلية يعيش نصف السكان على السواحل، متمركزين في المـدن، التي تحيط بها بساتين الفاكهة والموالح والروم .. ويعيش في *بالرمو* حوالي ٧٠٠ ألف نسـمة، وهي حلقة الاتصال مع موانئ إيطاليا والجزائر وتونس، كما أنـها عاصمـة صقليـة ومركـز الحكومة الإقليمية. وتقع في سهل فسيح تنتهي إلى البحر، أسسها الفينيقيون، وشهدت بعد ذلـك القرطاجيين والرومان والبيزنطيين والعرب وغيرهم، وهي الآن مركز صناعي وتجاري تصنـع من المكرونة إلى الأثاث، والمنسوجات، والزجاج والأسمنت، والكيماويات. والصلب، ويجتـذب جمالها الطبيعي أعداداً متزايدة من السائحين، وتكاد بالرمو أن تكون أهم ميناء وسـط البحـر المتوسط، ومن المدن الأخرى كاتانيا (٤٠ ألف نسمة) وسيراكوز وأجريجنتـو (٢٥٠,٠٠٠ نسمة). أما داخل صقلية فجبلي جاف قفر، وتحتاج الجزيرة لمشاريع لتخزين المياه وتوزيعـها حتى يمكن استحداث حقول وبساتين جديدة، وقد اضطرت صقلية وسردينيا وجنوب إيطاليا إلـى إرسال الفائض من سكانها نحو الخارج، غير أن حركة النزوح هذه لا تحل مشكلة الجنـوب ولا تكاد الموالح والكبريت وهما أهم صادرات الجزيرة أن تضمن لأهلـها مسـتوى معقـولاً مـن المعيشة، وتأمل صقلية أن تكون قاعدة أو حاملة طائرات ضخمة لأمريكا وسط البحر المتوسط. وتقوم بعض الصناعات في مدن صقلية ميكانيكية وهندسية والفخار، والورق. وإلى الشمال من صقلية تع جزر لباري الشهيرة ببركان سترومبولى ومن البراكين الأخرى بران فولكانو الـذي أعطي أسمه لجميع براكين العالم.

سردينيا : تقع في البحر التيراني إلى القرب من الساحل الأوسط لإيطاليا بنحو ٣٢٠ كم، هضبية، تمثل كتلة هرسيينيه قديمة بمتوسط ارتفاع نحو ٩٠٠ متر، وقد تظهر بعض القمم التي تسمو على ١٨٠٠ متر، ورغم أنها تقترب في مساحتها من جزيرة صقليـة، فـإن عـدد سكانها لا يزيد على ثلث سكان صقلية، وهي تعيش فـي حالـة عزلـة. بفلاحيـها ورعاتـها

التقليديين المتخلفين، رغم أن الجزيرة بها من السهول ما هو أكثر أتساعاً من سهول صقليـــة وتربتها أخصب من تربة صقلية، وتضاريسها معقدة، وبنيتها ذات هضاب انسكارية نارية. وبها مناجم القصدير والزنك وحقول الفحم الإيطالية الوحيدة. والجزيرة في حاجة أيضا إلى مشـــاريع ري وتنمية اقتصادية، ويعيش سكانها على الرعي وبعض الزراعة وصيـــد البحـــر. وعاصمـــة سردينيا هي كجليارى (٢٥٠٠٠ نسمة) في الجنوب وتحيط بها بساتين الفاكهة.

السيرة الحلبية

الباب الأول

آسيـــــــــا

الفصل الأول

في شخصية القارة

بـــدايـــــة ونهـــــايـــــة

القارة الوحيدة التي تمتد من ١٠° جنوب دائرة الاستواء ، إلى درجـــــة ٨٠° شمالا، فلا توجد قارة تشاركها هذا الامتداد، من ثم ضمت الأقاليم المناخية جميعــــا: الاستوائي، والقطبي، وما بينهما، ثم كان لامتدادها بين درجتي ٢٨° ، ١٤٥° شــــرقا أن اتسعت عرضا اتساعا لا تنافسها فيه قارة أخرى. وبالتالي تكونت أكبر مســــاحة من اليابس تبلغ نحو ٤٦ مليون كم٢، أو بمعنى آخر لها نحو ثلث اليابس وحدهـــا، من ثم أصبحت شديدة التنوع جيولوجيا. وتضاريسيا، ومناخيا، ونباتيـــا، وبشــريا، واقتصاديا، تضم عوالم جغرافية متباينة. وكل عالم مختلف عن الآخر.

ولكن دعونا قبل أن نبحث في مدى هذا التنوع، وما يجعل القارة متفردة أن نسأل أنفسنا، أين تبدأ آسيا وأين تنتهي خاصة وأن هناك لسان يمتـــد منـــها نحــو الغرب يطلق عليه أوربا. لا شك أن جميع حدودها واضحة مـــن الشـــمال والشـــرق والجنوب ومن الجنوب الغربي، لأن الحدود هنا محيطيه بحرية، ولكنها في الغـــرب مع أوربا، يصبح التساؤل أين تنتهي أوربا، لتبدأ آسيا؟

في بنيتها وتضاريسها ومناخها ونباتها لا تختلـــف القارتـــان إلا بـــاختلاف درجة العرض، والقرب أو البعد عن البحر. فسلاسل وسط آسيا تمتد فـــي سلاســـل وسط أوربا، والسهل الروسي شمالا يمتد في أوربا مع شيء مـــن الضيـــق. وفـــي الجنوب نجد أن نهايتهما متشابهة ممثلة في الجزر وأشباه الجزر، من ثم يقــــال أن أوربا امتداد لآسيا، أي هي الأخ الأكبر لأوربا. بل إن تسميات أوربـــا وآســـيا هـــي

تسميات إغريقية، يبدو أن مصدرها بحر ايجه حيث لفظ آسو Asu معناد مشرق الشمس، أي الشرق، وهو الذي أطلق حينئذ على تركيا وما وراءها، على حين أن لفظ إرب Ereb معناد مغربها أي الغرب، ويطلق على اليونان وأوربا بعامة، ومن ثم ظهرت تسميات المشرق والمغرب، فالأوربيون إذا قالوا الشرق فمعناد آسيا، وحين يضيفون لفظ الأدنى فهو الشرق القريب بالنسبة لهم (الدولة العثمانية) والشرق الأوسط، أي الشرق الذي يتوسط القارات، أيضا بالنسبة لهم. ويتفق الجغرافيون الروس على أن بداية آسيا هي السفوح الشرقية لجبال الأورال، وبالتالي تصبح الأورال بكاملها أوربية على حين أن بحر قزوين آسيوي.

مساحة ضخمة ونقل متخلف

آسيا مساحتها ضخمة ولكنها مندمجة، مسافاتها شاسعة ولكن دون وسائل نقل جيدة كما هو الحال في أمريكا الشمالية، مما أدي إلى ضعف قلبها وتأخر شماليها، ذلك أن الإنتاج التجاري لا يجب أن يبعد أكثر من ١٥ كم عن اقرب سكك حديدية، أو نهر صالح للملاحة، أو طريق للسيارات. وبالتالي يصبح إستخدام البغال والحمير والخيل والإبل والعربات أو القنوات هي الوسائل الأساسية للنقل، وبطبيعة الحال لا تتفق بدائية النقل مع إمكانات التطور الاقتصادي، وإن كانت هناك أقاليم ثلاثة تتمتع مثلا بشبكة جيدة للنقل وتتمثل في القسم الغربي من الاتحاد الروسي، والهند حيث شبكة خطوط حديدية جيدة، والصين حيث تمثل طرق السيارات والأنهار والقنوات وسائل جيدة، ولكن للأسف نجد أن اتصال هذه الأقاليم ببضعها ببعض ضعيف للغاية، فهناك طريق أو طريقان يربطان الهند بميانامار (بورما) وطريق حديدي وطريقان بريان يربطان باكستان بجنوب غربي آسيا، هذا فضلا عن ثلاثة خطوط حديدية وبعض الطرق الصحراوية التي تربط الصين بروسيا الاتحادية.

متضرسة بامتياز وصرفها الداخلي واضح

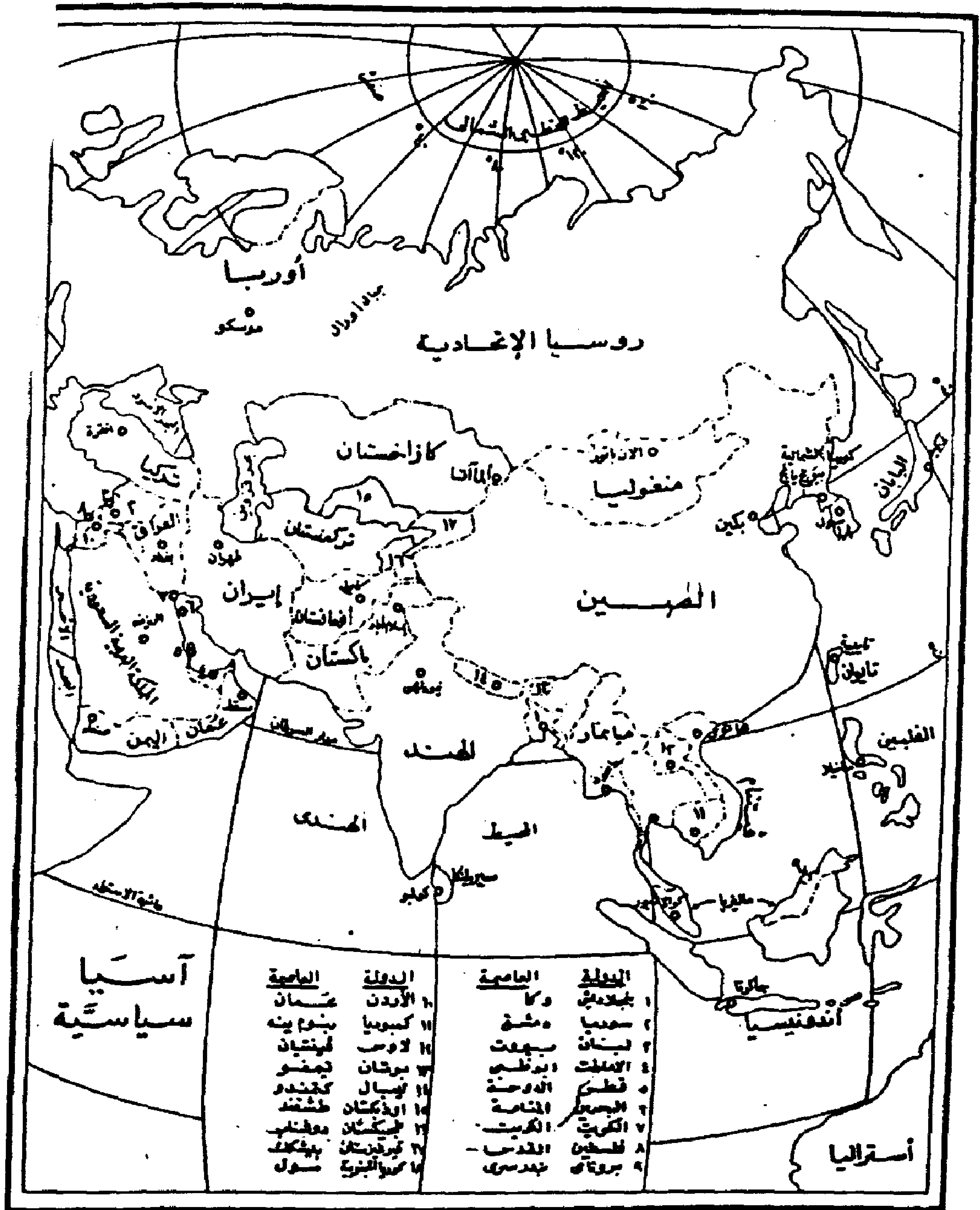
في تضاريسها فريدة آسيا، وتتمثل في نواياتها وعقدها الجبلية وما يشع منها من سلاسل جبلية تعبر القارة من الشرق إلى الغرب، وتحصر هذه السلاسل

بينها هضابا مرتفعة، فلا توجد منطقة من بحر ايجه حتى بحر الصين يمكن فيها عبور القارة من الشمال إلى الجنوب أو العكس دون عبور جبال مرتفعة أولا، وممزقة شديدة التمزيق ثانيا وجميع ممراتها على ارتفاع يزيد على الألف متر إلا في بدايتها ونهايتها، من ثم كان عبورها يكاد يكون مستحيلا شتاء، هكذا تقوم الهيمالايا (*) وأخواتها بإعاقة الاتصال ، ومع حدة تضاريسها، تجد حدة في الانتقال من الأقاليم المناخية والنباتية جنوبها، وتلك التي تقع شمالها، من الموسمي الرطب الحار جنوبا إلى الصحاري المعتدلة والباردة شتاء، وتنفرد آسيا أيضا في تضاريسها بأن بها أعلى قمة جبلية على سطح الأرض ممثله في قمة افرست (نيبال) أقل قليلا من ١٠ آلاف متر (٩٦٧٦ متر)، وعلى النقيض نجد آسيا بها أعمق بحيرة في العالم وهي بحيرة بيكال بعمق ١٥٠٠ متر فتصبح أعمق بحيرة أخدودية في العالم.

وتقوم تلك السلاسل الجبلية وهضابها التي تحتل وسطها كفاصل بين كتل قديمة جيولوجيا تقع إلى شمالها وجنوبها، الكتلة الأوراسية في الشمال والدكن وشبه جزيرة العرب، والصين الهندية في الجنوب، كما أنها فاصلة بين السهول المتسعة في الشمال كسيبيريا، وسهول أحواض الأنهار في الجنوب كأحواض أنهار الجانج والسند والبراهما بوترا.

ومن حيث التصريف المائي تنفرد آسيا وحدها بثمانية أنهار من بين أطول خمسة عشر نهرا في العالم. ومع ذلك فهي قارة الصرف الداخلي بامتياز centripetal فهناك نحو ١٣ مليون كم٢ صرفها داخلي تحتل قلب القارة شمال السلاسل والهضاب الوسطي، فأمطار هذا الإقليم حين تسقط إما تنتهي في بحيرات ملحية، أو تفقد نتيجة التبخر. بل إنه حتى أنهارها التي تصب في المحيط القطبي، هي أقرب إلى الصرف الداخلي نظرا لتجمدها معظم العام، وإذا انصرفت مياهها نحو الشمال، كان ذوبان منابعها قبل مصباتها مما يجعلها تفيض ويضيع جزء كبير من مياهها قبل أن تصل إلى المحيط.

(*) الهيمالايا كلمة تعني " موطن الثلوج الدائمة " في اللغة السنسكريتية.


آسيا
سياسية
روسيا الإتحادية
أوربا
موسكو
كازاخستان
ألماآتا
منغوليا
أولانباتور
الصين
بكين
تركمنستان
إيران
طهران
العراق
بغداد
تركيا
أنقرة
أفغانستان
باكستان
الهند
اليمن
عمان
ميانمار
الفلبين
تايوان
اليابان
كوريا الشمالية
ماليزيا
جاكرتا
أندونيسيا
أستراليا
كولمبو
الهندي
المحيط
الدولة
العاصمة
١ بنجلاديش دكا
٢ سوريا دمشق
٣ لبنان بيروت
٥ قطر الدوحة
٦ البحرين المنامة
٧ الكويت الكويت
٨ فلسطين القدس
١٠ الأردن عمان
١١ كمبوديا بنوم بنه
١٢ لاوس
١٣ بوتان
١٤ نيبال

شكل رقم (١)

قارة التطرف المناخي والتنوع النباتي ونموذج الموسميات

وظروف آسيا المناخية والنباتية، ليست أقل من ظروف تضاريسها تطرفـــا، من الأقاليم الساحلية التي تشهد التأثيرات البحرية إلى الأقاليم الداخلية التي تعـــاني من قارية شديدة، ثم تأتي الجبال لتضيف تطرفا آخر ما بين شمالها وجنوبها، وكـــان لامتداد اليابس الآسيوي العرضي لنحو ثلث محيط الكرة الأرضيـــة علـــى حيـــن أن القارات الأخرى امتدادها شمالي جنوبي أكثر من امتدادها الشرقي الغربي، مـــا أدى إلى أن قطب البرودة في العالم يقع في سيبيريا (ــ ٤٠م) ولم يقع عند القطـــب، فإذا ما تركنا هذا الإقليم إلى أقصى جنوب القارة وجدنا الحرارة المصحوبة بالرطوبة الدائمة وبالتالي جمعت آسيا الأقاليم المناخية جميعا، من المداري الرطب في أقصـــى الجنوب إلى البارد الجليدي في الشمال، وما بينهما من موسميات ومعتدلات دفيئـــة ومعتدلات باردة، حتى الصحاري الحارة الشديدة الجفاف،

على أن الظاهرة الجديرة بالذكر أيضا أنها قارة الموسميات، رغم أن هـــذا النوع المناخي ممثل في قارات أخرى، لكنه ينظر إلى الموسمي الآسيوي باســـتحياء بفضل اتساع اليابس الآسيوي مجاوراً لأكبر كتلة محيطية ممثلة في المحيط الـــهادي وامتداده في المحيط الهندي.

ولئن كانت الموسميات ترتبط بالمطر الصيفي سر الحيـــاه وســـر التجمـــع البشري الضخم في جنوبي وشرقي القارة، فإن مساحة الصحاري كما تشـــير إليـــه الأقاليم النباتية تقترب من ١٨ مليون كم٢، ربما لا ينافسها في هذا سوى أفريقيـــة، وإن كانت صحاري أفريقية حارة، على حين أن صحاري آسيا حارة وباردة. وكمـــا قال أحد الجغرافيين " هذه هي القارية في أكثر صورها وحشية " .

ولما كان النبات هو ملخص للظروف الطبيعية من سطح ومناخ وتربة، فإن ضابط الإيقاع الأساسي هو المناخ، فإذا ما تعددت مناخات آسيا وجدنا كذلك خريطتها النباتية، من الغابات الاستوائية والموسمية في الجنوب، إلى التندرا على الســـواحل الشمالية للدائرة القطبية. وما بينهما من اشجار صنوبرية (تاييجا) فـــي ســـيبيريا،

وأشجار المعتدلات، وحشائش الاستبس، إلى شوكيات الصحاري الحارة ونخيلها، إلى الجبال سيدة الموقف في مناخها ونباتها.

أم البشر أم حاضنته؟

كنا نطلق على آسيا الأم حتى منتصف القرن العشرين؛ لأن الأنثروبولوجيين كانوا يرجحون بأن جنوب غربي آسيا هو مهد البشرية الأول، حتى توصلوا أخيرا إلى أن الأمومة انتقلت إلى أفريقية بعد اكتشاف دكتور ليكي وزوجته عدة جماجم بالقرب من إقليم كافيروندو في كينيا للإنسان العاقل ترجع إلى ٦٠ ألف عام. على حين أنها ترجع في أوربا وآسيا إلى ٣٠ ألف عام أي متأخرة عن أفريقية. وبالتالي آسيا تفقد أمومتها البشرية تماما، ولكنها حاضنة البشرية. تبنت البشر ليخرجوا منها شرقا وغربا، شرقا ليعمروا العالم الجديد فيما عرفوا باسم الهنود الحمر (لاهم هنود ولا هم حمر) فهم من مغول آسيا، وتأصلت السلالات في آسيا في عصور ما قبل التاريخ، وظلت الموجات والهجرات الكثيفة تندفع من قلبها طوال العصور التاريخية لتستقر في شرقي أوربا، كما خرجت هجرات الساميين وغيرهم من جنوبي غرب آسيا لتعمر الشمال الأفريقي.

وإذا كنا قد رأينا تنوعا في الهيئة الطبيعية للقارة **landscape**، فإن الهيئة البشرية لا تقل تنوعا، بل قل الهيئات البشرية؛ من المغول إلى السلاف، والأتراك والدرافيديين إلى القوقازيين، إلى الأقزام **negritto** في جزرها الجنوبية، ويتبع هذا تنوع لغوي لا يفوقه سوى التنوع اللغوي الأفريقي. فقد رصد المهتمون بشئون اللغات عشر عائلات لغوية على الأقل، تتفرع منها مئات اللغات واللهجات.

سقف العالم السكاني ولكنها ريفية

وكما تضم آسيا سقف العالم ممثلة في البامير، وأعلى قمة ممثلة في إفرست. فهي أيضا سقف العالم السكاني، وحاضنة لأكثر من نصف سكانه أجمعين

٣٦٩٠ مليون نسمة، ويقدر أنهم سيبلغون ستة مليارات ونصف عـــام ٢٠٥٠، أي أنها تضم أكثر من سكان العالم عام ٢٠٠٠، وفي توزيعهم يتحلقون فـــي معظمــهم حول القارة في شرقيها، وجنوبيها، وجنوب شرقيها بينما قلبها خالي أو بتعبــير أدق شبه خالي.

ولا شك أن هذا الحجم يرجع إلى الزيادة السكانية، رغم أنها انخفضــت الآن إلى ١٦,٥ في الآلف سنويا بعد أن كانت ٢٢,٧ في الآلف عام ١٩٧٤ ولئــن كــان هذا يرجع إلى نسبة المواليد تدور ٢٥ في الآلف، فإن هذه الزيادة ترجع بدرجة أكبر لانخفاض نسبة الوفيات إلى ٨,٥ في الألف عام ١٩٩٧، مما يدل على زيــادة فــي تحسن الأحوال المعيشية والصحية، والذي ظهرت آثاره أيضا فــي زيــادة متوســط العمر من ٥٦ عاما إلى ٦٥ عاما بين عامي ١٩٧٥، ١٩٩٧، وانخفــاض وفيــات الرضع من ٩٨ في الآلف إلى ٦٥ في الآلف في العامين المذكورين. ومن تناقضاتها أنها تضم أكبر الدول تقدما وأكثرها تخلفا، وإذا ترجمنا هــذا بالمعيــار الاقتصــادي سنجد اليابان يزيد فيها نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي إلى ما يزيــد علــى ٢٥ ألف دولاراً أمريكي سنويا إلى جانب بنجلاديش التي لا يزيد نصيب الفرد فيــها على ٢١٠ دولاراً أي اقل من دولار واحد في اليوم وهو الرقم الذي يعتبر خط الفقــر الدولي، أي أن أهل بنجلاديش يعيشون تحت هذا الخط. وآســيا ريفيــة ومــازالت بالدرجة الأولى. فنسبة الحضرية فيها تدور حول ٣١%، وإن كان هناك تفاوت وهذا شئ طبيعي، بين حضرية زائدة في اليابان وباكستان ودول الخليج حتى ليطلق عليها دول المدن لتبلغ ذروتها في سنغافورة لتصبح المدينة الدولة. فهي حضرية من قمــة رأسها إلى أخمص قدمها.

أرض الحضارات العريقة أم الحكماء والأنبياء

وعلى المسرح الآسيوي قامت حضارات قديمة، في أقصى الغرب حضارات سومر وبابل وآشور في ارض الرافدين (العراق) مقابلة للحضارة المصرية القديمة أو بعدها، وفي أقصى الشرق كانت الحضارة الصينية القديمة، وكــان فضــل هــذه الحضارات على الإنسانية عظيما " فالأبجدية " الوسيلة التي نعبر بها عــن أفكارنــا

كتابة خرجت إلى الوجود في أرض كنعان (فلسطين ولبنان) والأراميون قدموا لغتهم التي صارت وسيلة لتعريف الغرب بحضارته نفسها وبحضارة الآخرين، والعرب أوجدوا بواسطة نظامهم السياسي الظروف المناسبة لتلاقي حضارات مختلفة في دولة كبيرة (الخلافة)، في ظلها أسهم عرب ومسلمون بنصيب في الفلك والرياضيات والملاحة وسائر العلوم.

والصينيون هم الذين إخترعوا الورق باكتشاف مادة تكون الكتابة عليها أسهل منها على الحرير أو الغاب نظرا لأن الحرير غالي الثمن، والغاب ثقيل الوزن، كما اخترعوا الكتابة على الجلد، صحيح أن المصريين القدماء اخترعوا هذا ولكن الحبر الصيني (الشيني) أخذته أوربا عنها، وتبع هذا اختراع الطباعة، وإذا أخذنا نتحدث عن فنون الصين العديدة، فالذي لا جدال فيه أن صناعة الخزف التي انتشرت في العالم كله، كانت عند الصينيين فنا من الفنون الكبرى.

هذه نماذج وليست حصرا، فمن فضل آسيا أنها قدمت للعالم أهم ما في حياة الإنسان الحضارية ممثلة في الدين. ولآسيا أن تفخر على العالم أجمع فيما يختص بأديان البشر، بمعتقداتهم الروحية، فكما أن آسيا أرض الحضارات القديمة، فهي أيضا أرض الديانات القديمة (ولا يعادلها في هذا سوى الديانات المصرية القديمة)، بل مازال فيها بلايين السكان يدينون بالهندوسية والبوذية والكنفوشيوسية وغيرها. قام بها مفكرون، أو مصلحون اجتماعيون لإصلاح مجتمعاتهم في جنوبي وشرقي القارة بحسب رؤاهم ولم يقولوا أنهم رسل من عند الله، هذا فضلا عن ديانات التوحيد الثلاث، اليهودية، المسيحية، والإسلام، وإذا كان معقل المعتقدات الأولى جنوبي وشرقي القارة، فإن معقل ديانات التوحيد هو غربي آسيا، ولم تتقوقع هذه الديانات في معاقلها الأولى، ولكنها انتشرت واكتسحت العالم أجمع، بل أمن بها مؤمنون في أوطانهم قبل أن تزحف إليهم، فلما آن لها أن تزحف، كان زحفها رائعا كاسحا، إنهارت أمامه نظما دينية أكثر تعقيدا لشعوب وأرقى حضاريا كاليونان والرومان، فكان انتصار الوحدانية ختام تطور هام في التفكير القديم، بينما كان تعدد الآلهة هو الطابع المميز قبل ذلك، فآسيا أرض دعوة موسى وعيسي ومحمد عليهم

جميعا السلام، ألا تستحق أذن أن نطلق عليها أم الأنبياء؟

آسيا الزراعية

اليوم في ميدان المحاصيل الغذائية تأتي آسيا الأولي بامتياز في إنتاج الأرز ٩١% من الإنتاج العالمي، لا غرو فسكانها أكلة الأرز، والبعض يطلق على سكانها أصحاب حضارة الأرز، وخاصة في جنوبي وشرقي القارة، فهنا أهم الدول المنتجة للأرز في العالم، وذلك لمناسبة الظروف الطبيعية والبشرية لإنتاجه خاصة الأمطار الموسمية الوفيرة، ووفرة الأيدي العاملة، مستخدمين في ذلك السهول الرسوبية والمرتفعات التي أمكن تدريجها.

أما القمح فنصيب آسيا منه ضنيل بالنسبة للأرز فهو أقل من ثلث الإنتاج العالمي (٣١%) ومع ذلك فالصين ثالثة دول العالم إنتاجا له، ومع ذلك لا يكفي الإنتاج الاستهلاك المحلي لضخامة عدد السكان وارتفاع مستوي المعيشة.

ولا تسهم آسيا كثيرا في زراعة الذرة، فهو ليس بمحصول أساسي هناك، مادام سكان آسيا الشرقية والجنوبية أكلة أرز، وآسيا الغربية أكلة قمح، ومع ذلك فهو يزرع في الصين والهند وباكستان. وإذا انتقلنا إلى المكيفات وجدنا أنها تسهم بنحو ١٤% من إنتاج البن في العالم حيث يوجد تركز كبير له في إندونيسيا وخاصة جزيرة جاوه والفلبين والهند واليمن، ومن المنتظر أن يزداد إنتاج آسيا منه في المستقبل.

وتتصدر آسيا قارات العالم في إنتاج الشاي بإنتاجها أكثر من ثلاثة أرباع إنتاج الشاي في العالم (٧٧%) وتحتكر منطقتي جنوبي وشرقي آسيا إنتاجه، وتأتي الهند في المقدمة ويزرع فيها في السهول والمرتفعات على حد سواء، ويعتبر أحد صادرات الهند الرئيسية. كما تشتهر سيرلنكا بالشاي السيلاني الذي يسهم وحده بنحو ثلثي صادرات الجزيرة. وتأتى الصين بعد الهند في إنتاج الشاي وكذلك يزرع في الجزر الجنوبية في اليابان. فضلا عن جزيرة جاوه في إندونيسيا.

وتسهم آسيا بما يزيد قليلا على ربع الإنتاج العالمي من السكر، معظمه سكر القصب في جنوبي وشرقي القارة خاصة الهند والصين والفلبين وتايلاند وإندونيسيا وباكستان.

وفي ميدان الألياف يأتي القطن في المقدمة، تسهم آسيا أقل قليلا من نصف إنتاجه العالمي، كما تنتج الصين وحدها نحو نصف الإنتاج الآسيوي، وبذلك تحتل الصين المرتبة الأولى بين الدول المنتجة له، وتستهلك الصين معظم إنتاجها، إذا فضلت تصدير الملابس الجاهزة، هذا كما يزرع القطن القصير التيله في الهند، والتي تعتبر رابعة دول العالم إنتاجا، ويزرع أيضا في باكستان اعتمادا على الري ومعظمه طويل التيله، ويزرع في تركيا وسوريا، هذا كما أدخل السوفيت زراعته في دول آسيا الوسطي كازاخستان وأوزبكستان اعتمادا على الري، وكانت هذه الأخيرة تسهم بنحو نصف إنتاج قطن الاتحاد السوفيتي سابقا.

وفي ميدان الصوف لا تسهم آسيا كثيرا (١٥%) وتأتي الصين في المقدمة بإنتاجها الذي يعادل نصف الإنتاج الآسيوي، ويرتبط إنتاج الصوف بتربية الأغنام، غير أن آسيا هي الوحيدة صاحبة نسيج الكشمير، الذي ينسج من شعر نوع معين من الماعز يعيش على سفوح الهيمالايا، وهو ناعم الملمس ذو ألوان جميلة.

وتأتي اليابان في المرتبة الثالثة إنتاجا للألياف الصناعية في العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا الغربية، كما شاركت برؤوس أموالها وخبراتها في إنتاجها خارج اليابان، كما هو الحال في كوريا الجنوبية، وتايلاند، وتايوان، وتصدر هذه الدول الأخيرة أكثر من ٥٠% من إنتاجها إلى الخارج، ولا ننسي الصين في هذا المجال الذي دخلت بإنتاج متطور ومتزايد لمواجهة الطلب على المنسوجات للشعب الصيني، فضلا عن تصديره ملابس جاهزة بعد خلطه بالألياف الطبيعية من القطن والصوف.

مهد الحرير الطبيعي الصين، ونشأة فكرة تربية دود القز هناك، ثم انتقلت إلى اليابان، والهند وغربي آسيا وأوربا الجنوبية، وكان الحرير الطبيعي يمثل سلعة

رئيسية في تجارة القوافل من الصين نحو الغرب (طريق الحرير) تستهلكه الطبقات المترفة، وإذا قلنا الحرير الطبيعي في العالم فنحن نقصد الشرق الأقصـــى، ونقصـد الصين بالذات، فلها أكثر من ٩٠% من إنتاجه يليها اليابان وكوريا، وإن كان يجـد منافسة جادة من الألياف الصناعية (الريون والنايلون) لرخصهما.

وإذا كانت الصين سيدة الحرير الطبيعي، فإن الهند والصيـن وبنجلاديـش وتايلاند هي الدول الأربع الأولى المنتجة في العالم للجوت، أي أن آسيا لـها ٩٥% من إنتاج الجوت العالمي، وتستخدم ألياف الجوت أساسـا فـي صناعـة الأكيـاس والأجوله والخيش لتعبئة السلع كما يدخل في تنجيد الأثاث والحبال.

وآسيا سيدة المطاط الطبيعي دون منازع، فلها أكثر من ٩٠% من الإنتـاج العالمي وتصبح منطقة جنوب شرقي آسيا وجنوبيها هي المنتج الوحيد في القـارة، وإذا كانت آسيا سيدة المطاط الطبيعي فماليزيا هي سيدة آسيا فـي إنتاجـه. فلـها وحدها نحو ٤٠% من الإنتاج العالمي، وذلك لملاءمة الظروف الطبيعيـة لإنتاجـه، وان كانت تأتيها الأيدي العاملة من الدول المجاورة للمساعدة في زراعتـه، وتليـها إندونيسيا فلها نحو ٢٥% من الإنتاج العالمي، الذي يأتي معظمه من جزرهـا، ثـم تأتي تلايلاند، والهند وسيرلنكا. أما ميدان المطاط الصناعي فتبرز اليابـان كدولـة أولي في آسيا تليها الصين.

وكان لامتداد آسيا من المناطق الاستوائية إلى المناطق القطبية، أن امتـد فيها نوعا الغابات الحارة والغابات الباردة، الأولي في الجنوب والثانية في الشـمال الأولى، في إندونيسيا والملايو والفلبين والهند والصين الهندية، والثانية في سيبيريا الأخشاب الصلبة والأخشاب اللينة من خشب التك إلى الصنوبريات، وحظيت القـارة بنحو ١٠% من لب الخشب في العالم ومعظمه من قسـمها السـيبيري، واليابـان، والصين.

وتأتي آسيا في مقدمة القارات في ثروتها من الماشـية (نحـو ٣٠%)، وتأتي الهند على رأس آسيا في أعداد الماشية (١٥%) ثم الصين وبنجلاديش. هـذا

فضلا عن تركستان وغرب سيبيريا، غير أننا إذ تركنا الكم إلى الكيف سنجد أن الاستغلال التجاري غير موجود في الهند، فالبقرة لها تقديسها لا تمس، من ثم يزداد عدد الأبقار بما يزيد عن طاقة المراعي فتتحول إلى حيوانات عجفاء.

وموطن الخنزير جنوب شرقي آسيا، من هناك كانت بداية استئناسه، وتأتي آسيا على رأس القارات إنتاجا للحوم الخنزير (٣٧%)، وخاصة الصين التي تسهم وحدها بنحو ٣١% من إنتاج لحوم الخنازير في العالم.

وتعتبر مياه آسيا المطلة على المحيط الهادي وامتدادها في المحيط الهندي من مناطق الصيد البحري الأولي في العالم، ولدولها الشرقية مكانتها العالمية في الصيد، لذلك تأتي اليابان بمركزها الأول إنتاجا للأسماك لاتساع مصايدها التي لا تقتصر على المحيط الهادي، بل تمتد إلى البحار والمحيطات الأخرى، وكذلك روسيا الاتحادية، ذلك أن أحد مصايدها البحرية الرئيسية هي المطلة على المحيط الهادي وممتدة إلى بوغاز بهرنج، ثم تأتي الصين في المركز الثالث.

آسيا المعدنية الصناعية

رغم أن آسيا أكبر القارات حجما، فهو لا يعني أنها أغناها معدنيا (حتى الآن) ورغم أن معظم القارة مسح جيولوجيا، فمن الصعب إطلاق تعميمات على الثروة المعدنية، كما أن هناك مكامن واحتياطيات ضخمة معروفة الآن، ولكن يقف أمام استغلالها أنها من نوعية غير جيدة، أو لموقع سحيق، أو عدم اجتماع موارد الطاقة مع الخامات المعدنية، فالهند لديها ثروة حديدية ولكنها تفتقر للفحم، وعلى العكس الصين لديها ثروة فحمية ضخمة ولكن حديدها قليل، واليابان فيها الامكانات الصناعية ماعدا الخامات، وقد استثني من هذا روسيا الاتحادية حيث وفرة في الفحم والحديد، ومكامن للبترول في سيبيريا، ومع ذلك فلا يمكن الجزم بثروتها المعدنية في المستقبل وإمكان استخدامها خاصة بعد التطور التقني في البحث واستخراج المعادن، وإذا ذكر البترول في العالم، لابد ويذكر غربي آسيا، إيران والعراق ودول الخليج، وبعدها دول الكمنولث الروسي، حتى ليمكن القول بان آسيا هي قارة

البترول، فإلي جانب بترول الخليج العربي المنطقة الأولي إنتاجا وتصديرا واحتياطيا في العالم، تتزايد أهمية آسيا بترولا وغازا طبيعيا مرة أخرى بعد ظهوره في دول آسيا الوسطي، فمن الست دول التي خرجت من تحت عباءة الاتحاد السوفيتي، هناك ثلاث منها وهي كازاخستان وتركمنستان وأزربيجان بها إحتياطيات ضخمة من النفط والغاز، وكلها تطل على بحر قزوين، مما جذب بشدة شركات نفط عملاقة، ودولا، دع عنك احتياطات البترول والغاز الطبيعي في سيبيريا الغربية والشرقية، وشمال بحيرة بيكال، فضلا عن احتياطي آخر في المحيط القطبي الشمالي وجزر سخالين ومياهها.

وفي ميدان الصناعة لابد وأن نشير إلي التطورات التي حدثت في الربع قرن الماضي، وهي ظاهرة النمور الآسيوية وفي تحليل ظاهرة النمور الآسيوية اقتصاديا (سنغافورة، تايوان، هونج كونج، كوريا الجنوبية) هو الافتقار إلى الأيدي العاملة الرخيصة في دول العالم الصناعية الكبرى، مما أدي إلى الموافقة على نقل بعض مواقع الإنتاج إلى هذه الدول التي تتمتع بأيدي عاملة رخيصة، ومنظمه، ومنضبطة في العمل، مما أدي إلى صب مليارات الدولارات في المنطقة لإنتاج بعض السلع سواء من الولايات المتحدة الأمريكية أو اليابان.

في المحيط الدولي

شهدت آسيا قيام كثير من الامبراطوريات وخرجت هذه الامبراطوريات لمسافات كبيرة خارج مواطنها الأصلية: الفينقيون، المغول، الفرس، الأتراك، وكل هؤلاء بنوا إمبراطوريات، بل وحتى الاتحاد السوفيتي كان أشبه بالإمبراطورية امتدت من موسكو، كما حاولت القوى خارج القارة ممثلة في إنجلترا، هولندا، واليابان قهر أقطار الأطراف، بل وحتى الولايات المتحدة الأمريكية لها قواعدها من الخليج إلى الباسفيك. والواقع أن آسيا من الكبر والتعقيد بحيث لا يمكن أن تخضع لإمبراطورية واحدة، ولا توجد قوة كبري قادرة على إدارة حتى أطرافها الخارجية أكثر من بضعة قرون، ولم تظهر إمبراطورية يمكنها أن توحد أكثر من نصف القارة.

في بداية القرن العشرين كان في آسيا عشر وحدات سياسية مستقلة ثم تضاعف هذا العدد بعد الحرب العالمية الثانية، وما كان مستعمرات نال استقلاله، وانتهي فتات الاستعمار برجوع هونج كونج، ومكاو إلى الصين الأم، وظهرت أسماء جديدة، فعرفنا ميانمار بدلا من بورما وأصبح الآن عدد الدول الآسيوية المستقلة ثمانية وأربعين.

وهناك أربع دول في آسيا يمكن أن تعد من الدول الكبرى وهي الصين، واليابان والهند وروسيا (بما ذلك الجزء الأوربي) وفي نفس الوقت هناك دول ضئيلة بالمقياس السياسي، ضعيفة وتتمثل فيها مقومات الدولة بالكاد مثل لاوس، وبوتان. وبعض دول القارة غني كما هو الحال في الدول المحيطة بالخليج العربي، فضلا عن اليابان وكوريا الجنوبية، وبعضها فقير للغاية كبنجلاديش، ومعظم دول القارة متخلفة نسبيا، كما أن هناك مساحات واسعة خالية من الإمكانات الاقتصادية وأن بدأ القدر يبتسم لبعضها كما حدث لدول آسيا الوسطي أذربيجان وكازاخستان تركمانستان وأخواتها بظهور البترول والغاز الطبيعي.

وقد حددت الولايات المتحدة الأمريكية استراتيجيتها للهيمنة على العالم من خلال الهيمنة على جنوب غربي آسيا أو الشرق الأوسط كما يقولون حيث بترول الجزيرة العربية والخليج بعامة ومنابع البترول المستقبلية والغاز حول بحر قزوين وآسيا الوسطي من ناحية وأن يكون وجودها في شمال وشرقي آسيا: اليابان وكوريا الجنوبية والفلبين وإندونيسيا، وجنوبا في استراليا ونيوزيلند من ناحية أخرى لتكون مستعدة لصحوة الصين العظمي.

وفي الحق كانت المفاجأة التي شهدها العالم في الثلث الأخير من القرن العشرين هي صحوة آسيا بشكل خارق وعلى الأخص منذ السبعينيات، فقد انطلقت اليابان كقوة اقتصادية (صناعة وتكنولوجيا) منذ الستينيات حتى الآن، وتبعتها كوريا الجنوبية، وتحاول الصين اللحاق بالركب.

الفصـــل الثانـــي

الأرض والبشر

البنية والتضاريس

يمكن تقسيم آسيا من ناحية البنية والتضاريس إلى أربعة أقسام كبرى.

أولاً : السهول الشمالية وتأخذ شكل مثلث مــن الأراضـــي المنخفضـــة يحدها شمالاً المحيط القطبي. ويضم هذا الإقليم معظم سيبريا، وامتدادها الغربي هــو السهل الأوربي، وتضم هذه السهول أحواض أنهار أوب وينسي ولينا التي تنصـــرف نحو المحيط القطبي الشمالي. بينما نجد أراضي القسم الجنوبي الغربي ذات صـــرف داخلي تنتهي إلى بحر ارال. ولما كان انحدار الأرض تدريجيا للغايـــة تجـــرى هــذه الأنهار في بطء شديد. وتتجمد مياهها معظم العام إلا في شهور الصيف حين يــذوب جليد منابعها قبل جليد مصباتها، فلا يمكن لمياها الوصول إلى البحر بسهولة إلا فـــي نهاية موسم الصيف، وتتحول هذه السهول إلى مستنقعات ضخمة في أوائل الصيف.

ثانياً : الهضاب الجنوبية القديمة: وتتمثل في :هضبة شـــبه جزيـــرة العرب التي تنحدر بشدة نحو البحر الأحمر (انكسار) وتكـــون أكـــثر تدرجـــا فـــي انحدارها نحو الشرق حتى تصل إلى سهول الفرات. كما تتمثل في هضبـــة الدكـــن، وانحدارها في معظمها من الغرب إلى الشرق، حافتها الغربية تعرف باســـم الجـــات الغربية، وحافتها الشرقية الأقل ارتفاعا تعرف بالجـــات الشـــرقية، وتقطـــع ســـطح الهضبة عدة أنهار مثل ماهانادى وجودافري، ومن المعروف أن الهضاب الجنوبيـــة هي بقايا قارات قديمة (جندووانا)، من ثم كانت صخورها ناريـــة ومتحولـــة فـــي معظمها وهناك سيبيريا في الشمال، وكتلة الصين في الشـــرق وتتمـــيز بصلابتـــها الشديدة، لأنها تمثل صخور القاعدة الأركية.

ثالثاً : السلاسل الجبلية الوسطي، وهي أعظم الظاهرات التضاريســـية

في خريطة آسيا الفزيوغرافية، وهي فريدة بين القارات جميعا في أن هذه السلاسل تتفرع من نوايات أو عقد هضبية، Knot فلا توجد منطقة من بحر إيجه حتى بحر الصين يمكن فيها عبور القارة من الشمال إلى الجنوب والعكس بدون أن تعبر جبالا وعرة، بل شديدة الوعورة، وجميع ممراتها الجبلية على ارتفاع يزيد على الألف متر إلا في بدايتها ونهايتها، وتعمل هذه السلاسل الجبلية المعقدة على عزل السهول في جنوبها عن تلك في شماليها، وتقطع القارة إلى اشلاء.

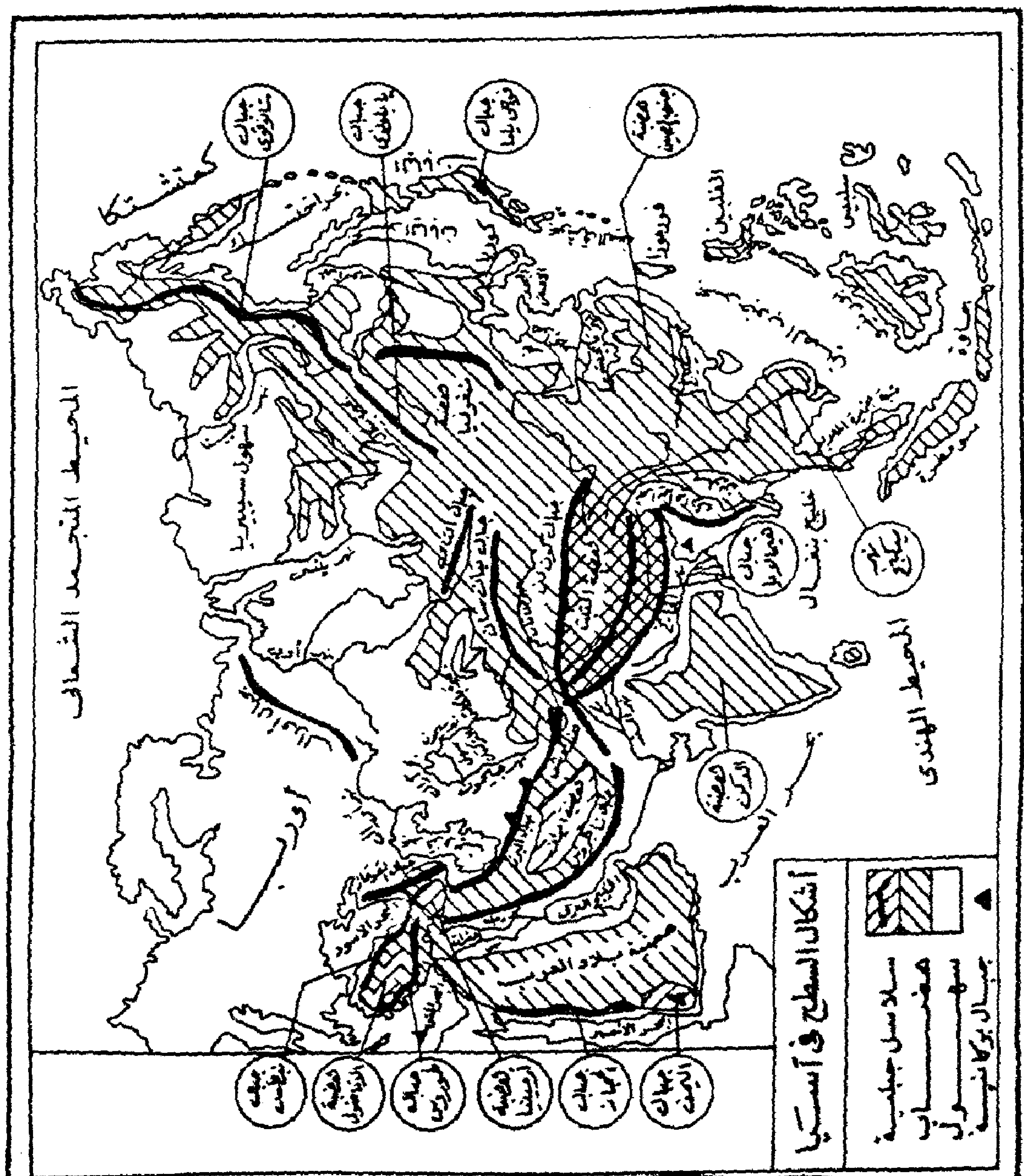
وقد تكونت هذه السلاسل الجبلية بين الكتل الشديدة الصلابة والمقاومة في أشباه الجزر الجنوبية، ونظيرتها في الشمال، حيث يوجد هناك تتابع من السلاسل الالتوائية. وترجع نشأتها إلى الزمنيين الأول والثاني. حين كانت هذه المنطقة يشغلها بحر تيثيس جد، البحر المتوسط، وأن كان أكثر اتساعا منه الآن وفي هذا البحر المقعر القاع تجمعت الرواسب، ثم عملت الحركات البانية للجبال على ضغط هذه الارسابات، مكونة هذه الصخور في نهاية الزمن الثاني تقريبا وخاصة في الكاينوزوى، ولعل الهمالايا هو أحدث هذه السلاسل الناتجة عن تلك العمليات، والذي يعتبر من أحدث الجبال الالتوائية في العالم، ومثلها تمتد الكتل الجبلية من تركيا إلى اليابان (*). إذا بدأناها من الغرب واتجهنا نحو الشرق نجد سلاسل جبلية مزدوجة تبدأ من نوايات أو عقد وتتفرع منها، في آسيا الصغرى جبال طوروس موازية لحوض البحر المتوسط، بينما سلاسل بنطس موازية للبحر الأسود، وتحصران بينهما هضبة الأناضول، ثم يتجمعان معا، ومن عقدة أرمينيا يبدأ تفرع شمالي باسم جبال البرز جنوب بحر قزوين، وامتداها هندكوش وتعرف نظيرتها في الجنوب باسم جبال زاجروس ثم تصل جبال سليمان زاجورس بهندكوش، وتحصر الثلاثة هضبة إيران وتلتقي جبال سليمان مع هندكوش عقدة البامير (سقف العالم ثم يعود التفرع

(*) من أربعين مليون عام تحركت هضبة الدكن نحو الشمال (أي نحو بحر تيثيس القديم فتسبب في ارتفاع الصخور الجيرية التي كانت في قاع البحر القديم. وتكونت شرائح فوق بعضها مثل كعكة ضخمة متعددة الطبقات. كهذه الطريقة بدأت جبال الهمالايا وأحواضها في التشكيل، ومنذ ذلك الوقت ترتفع قمة إفرست بمعدل ذلك وهو ٣ مليمتر في العام.

مرة أخرى. جبال هيمالايا في الجنوب حيث أعلى قمة في العالم (إفريست) أما الشمال فهناك جبال كوين لن والثاي، ثم فرع شمالي آخر هو تيان شان، وهذا الأخير تتفرع منه فروع عديدة، وما بين جبال الهيمالايا وكوين لن تقع هضبة التبت أعلى هضبة في العالم وإلى الشمال من كوين لن، هناك هضبة أقل ارتفاعا، تغطي معظمها مستنقعات في فصل الصيف، وبينما يقع حوض تاريم (٧٠٠ ـ ٢٠٠٠ متر) بين سلاسل كوين لن وتيان شان فهو حوض جاف، تنصرف مياهه إلى بحيرة داخلية. وتمتد هضبة جوبي باتساع كبير إلى الجنوب من سلاسل التاي ويابلونوى، هذا ونلاحظ أن التصريف المائي للأنهار الرئيسية المتجهة في الشرق ينتهي إلى المحيط الهادي. أكبرها أمور، ويانجستي وهوانجهو.

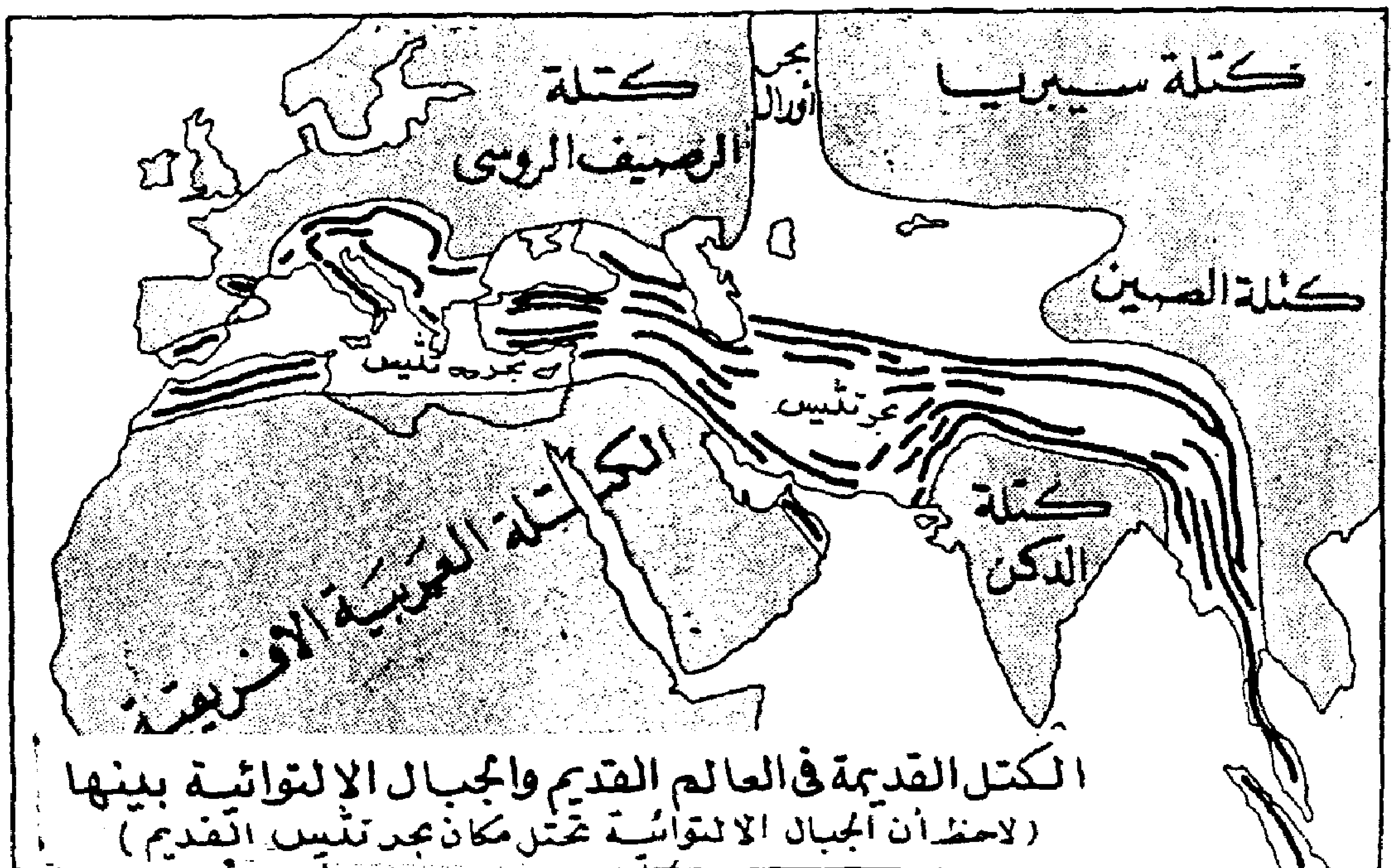
وهنا يجب أن نذكر مجوعات جبلية أخرى من السلاسل الالتوائية تبدأ من النهاية الشرقية للهمالايا نحو الغرب ثم الجنوب في ميانمار (بورما) وتعرف باسم أركان يوما وتواصل امتدادها في جزر أندمان وسومطرة وجاوة وغيرها ويقطع الهضاب المحصورة بين السلاسل عدة مجاري مائية مثل سالوين وميكونج وأعالي اليانجستي. أما المجموعة الأخرى من الجبال تمتد على هيئة حلقات على طول الساحل الشرقي للقارة مكونة جزر كوريل اليابان والفلبين ... الخ، تناظرها مجموعة أخرى على اليابس المقابل ممثلة في ستانوفوى وفرخويانسك.

رابعا: السهول وتمتد في أحواض الأنهار الكبرى وفي الأقاليم الداخلية ذات الأمطار القليلة مثل قراقورم في وسط آسيا، وصحراء تكلا مكان في غربي الصين وجوبي في منغوليا، وثار في باكستان والهند. والظاهرة الرئيسية فيها أنه لا توجد بها أودية نهرية تسود مساحات كبيرة في القارة كما هو الحال في أفريقية أو


أشكال السطح في آسيا
سلاسل جبلية
هضاب
سهول
جبال بركانية
المحيط المتجمد الشمالي
المحيط الهندي
خليج بنغال
أوروبا

شكل رقم (٢)

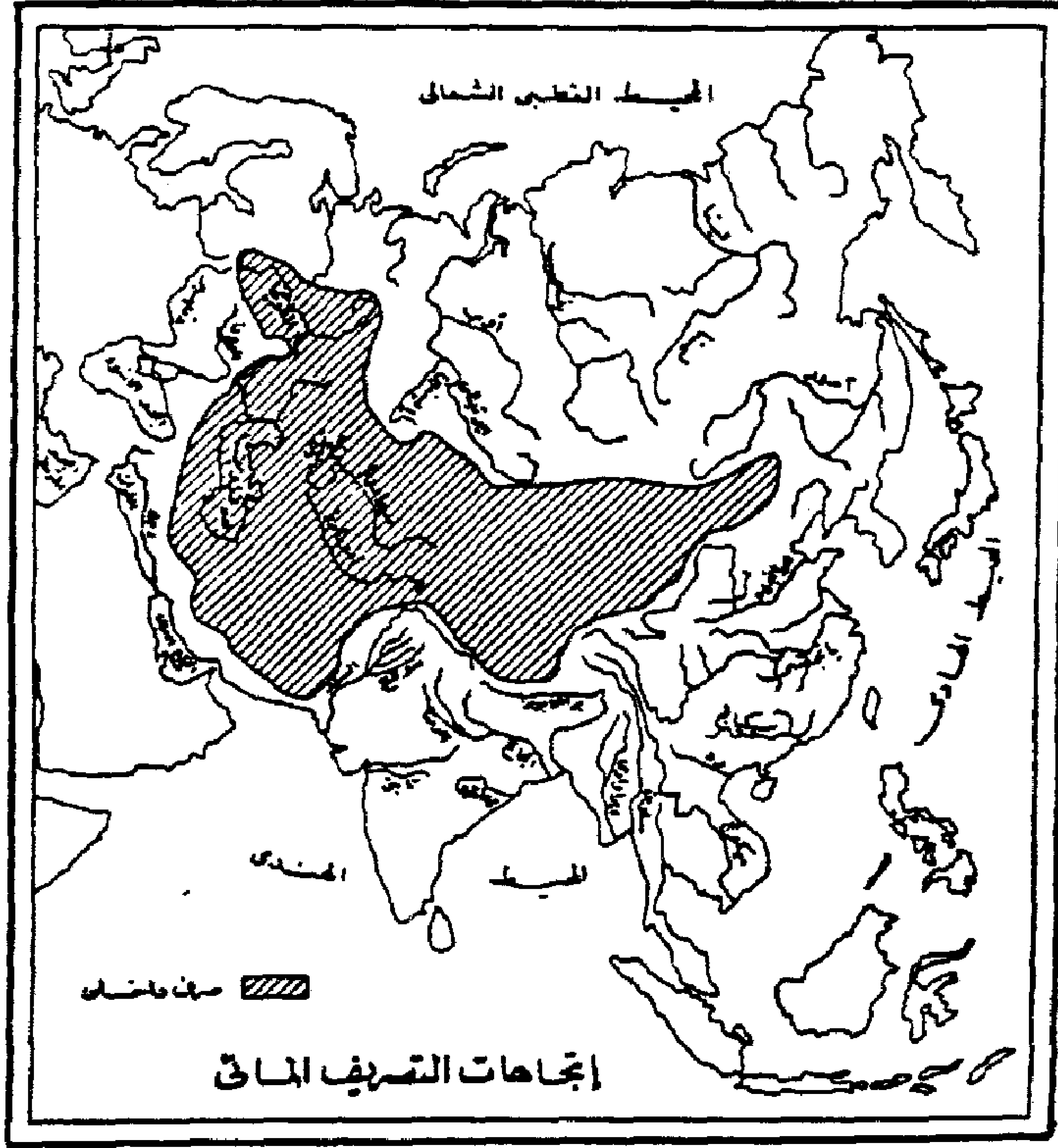
الأمريكتين، ولكن مجموعات من الأنهار تشع من الوسط وتتجه نحو الأطراف فعلـى طول الساحل القطبي تنتهي أنهار أوب، وينسي، ولينا وهي من مجموعـــة الأنـــهار الطويلة، على حين أن هناك مجموعة لا تقطع مسافات طويلة مثل دفينـــا باشـــورا ويانا، وكوليما، ويستقبل حوض الباسفيكي أنهار أربعة رئيسية وهي أنهار طويلـــة ممثلة في أمور وهوانج أو الأصفر ويانجستي وميكونج. ويستقبل المحيط الـــهندي ثلاثة أنهار كبيرة من حيث التصريف المـــائي لا مـــن حيـــث الطـــول ممثلـــة فـــي البراهمابوترا والجانج والسند، فضلا عن أنهار أصغر مثل إيراوادي ودجلة والفرات، هذا وهناك مساحات سهلية بالنسبة لما حولها تبلغ مساحتها نحو ١٥ مليون كـــم٢ تصريفها داخلي أي لا تنصرف إلى بحر، وتسهم قلة المطر وارتفاع البخر في عـــدم وجود الدفع الكافي للماء للوصول إلى البحر، ومن المعروف أنه في عصور ســـابقة كان بحر آرال أكبر اتساعا وامتدادا بحيث كان يصل إلى بحر قزوين والذي بـــدوره ينتهي في البحر الأسود. من أمثلة هذه الأحواض الداخلية ثلاثة أحواض كبرى وهي تاريم وزونجاريا غربي الصين، فضلا عن حوض طوران شرق بحر قزوين.



الكتل القديمة فى العالم القديم والجبال الالتوائية بينها
(لاحظ أن الجبال الالتوائية تحتل مكان بحر تثيس القديم)

شكل رقم (٣)

خامساً : السلاسل الجبلية في آسيا الشرقية والجزر، وهي أقـواس feestons من الالتواءات امتدت على حساب المحيط الهادي، وتمتد أقواس الجـــزر الممتدة شرق اليابس الآسيوي من اليابان، جـــزر كوريـــل، إلـــى الفلبيـــن وجـــزر إندونيسيا. من ثم كان معظمها جبلي، وجبالها مرتفعة لأنها تنتمي إلــــى التـــواءات الزمن الثالث (الحركة الآلبية كسلاسل وسط القـــارة) وأن كـــانت هنـــاك أحيانـــا التواءات أقدم أثرت فيها عوامل التعرية، لذلك لا تظهر في شموخ الجبال الســـابقة، كما هو الحال في شرقي جزيرة سومطرة. ونظراً لحداثة هذا الإقليم جيولوجيا تمـــيز بعدم الاستقرار، ويظهر هذا في تعرضه للزلازل بين الحين والحيـــن، فضـــلا عـــن البراكين الخامدة والنشطة أحيانا، مما كان له أثر سلبي على الحياة والمنشـآت. وأن كان فضل البراكين عليها عظيما في نفس الوقت بسبب ما تخرجه مـــن مصـــهورات تتحول إلى تربة خصيبة بعد أن تبرد وتسقط عليها الأمطار، وبالتالي فهي السبب في خصوبة التربة.



شكل رقم (٤)

شكل رقم (٥)

الأحوال المناخية والنباتية

العوامل المؤثرة في مناخ آسيا:

* إذا كانت آسيا أضخم القارات مساحة، فـــهي مجـاورة أيضــا لأكــثر المسطحات المائية اتساعا وهو المحيط الهادي، فضــلا عــن المحيــط الهندي، ومن ثم كان تأثير هذين المحيطين عليها عظيما، على حيـن أن أثر البحر المتوسط والبحر الأحمر ضئيل. ورغم بعد المحيط الأطلنطــي فقد تصل تأثيراته أحيانا إلى ٥٠٠٠ كم عابرة أوربا إلى آســيا، وأمــا المحيط القطبي فأثره في المطر ضئيل، يتمثل في بعض التساقط الخفيف في شمالي القارة، وان كان مصدرا مغذيا للهواء البارد. كما كان لامتداد القارة العرضي بما يقرب من نصف مساحة البـــابس ـ علـــى عكــس القارات الأخرى، امتدادها الشمالي الجنوبي أكثر من امتدادها الشـــرقي الغربي ـ أثر في اشتداد القارية بها، فهناك جهات تبعد عن البحر بمــا يزيد على ثلاثة آلاف كيلو متر، وأدت هذه القارية إلى أن أصبحت أقــل درجات الحرارة فيها (قطب البرودة) وشتاؤها أكثر برودة من شـــتاء أي قارة أخرى. وإذا كانت متوســـطات درجــات الحــارة تميــل إلــى الانخفاض بوجه عام كلما اتجهنا نحو الشمال، فإن الأهم والذي يوضــح القارية هو المدى الحراري، فهو في سنغافورة وســـيريلنكا لا يتعــدى درجة واحدة، على حين أنه بالقرب من مدار السرطان يبلغ ٥ درجـــات ثم يرتفع في سيبيريا إلى ٨ درجات بينما حول بحيرة بيكال ١٥ْ درجة، ليبلغ المدى أيضا في فرخويانسيك قطب البرودة إلى نحو ٤٠ْ درجـــة، ومعنى ذلك أن المتوسطات في قارة آسيا مضللة للغاية.
* يبرز فيها أيضا ذلك الحاجز الجبلي المؤلف من هضاب وسلاسل جبليـــة شديدة الارتفاع في وسط القارة والتي تكاد تقطع جنوبي القـــارة عــن شماليها إذ ينتقل من المناخ الموسمي ذو المطر الصيفي الغزيـــرة فـــي الهند، إلى الإقليم الصحراوي إذا ما عبرنا جبال الهيمالايا.
* وأثر التيارات البحرية ضئيل يقتصر على الجهات الساحلية في شـــرقي

القارة، فهناك تياركمتشتكا البارد في أقصى الشمال الشرقي، تيار اليابان الدافئ الذي يمر بجوار سواحل اليابان.

* وكان لتجاور مساحة اليابس الكبيرة والمسطحات المائية الضخمة، أثره في ظهور الرياح الموسمية التي تلغي دورة الرياح العامة، وتصبح الموسمية ظاهرة آسيوية، أكثر منها في أي قارة أخرى في نفس العروض.

أسباب هبوب الرياح الموسمية :

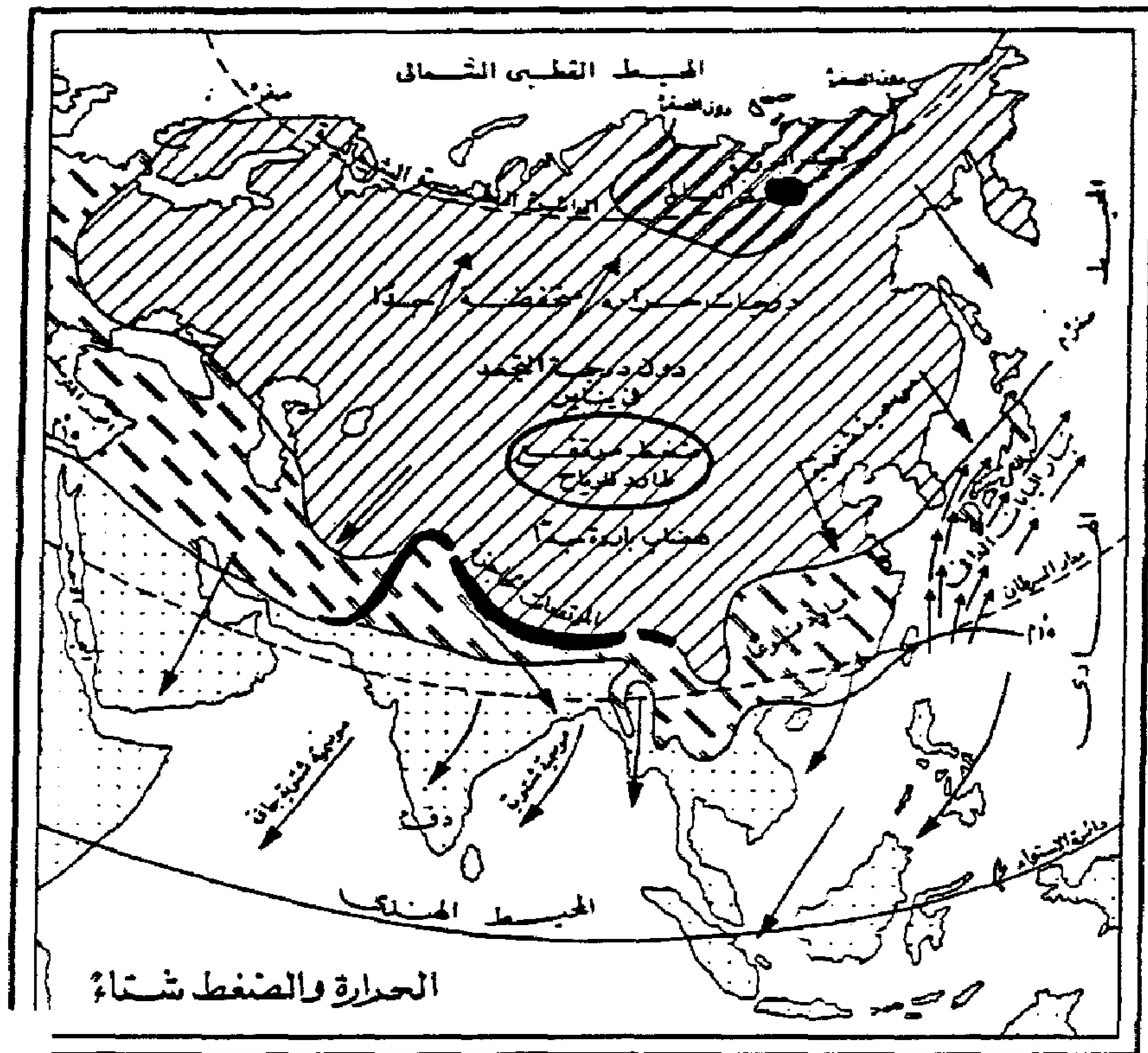
عندما تتعامد الشمس على العروض المدارية الشمالية وتشتد الحرارة اشتدادا عظيما في القارة الآسيوية بحيث تزيد على ١٥° تقريبا عما ينبغي أن تكون عليه بالنسبة للعروض التي تقع فيها، يتكون انخفاض جوي عظيم يزيد عمقه عن الانخفاض الاستوائي، وتنجذب نحوه الرياح التجارية من النصف الجنوبي للكرة الأرضية، وفي هذا الفصل ينمحي الانخفاض الاستوائي تماماً، وتهب الرياح مباشرة من استراليا إلى الانخفاض الآسيوي (الموسمية الصيفية الممطرة على جنوبي وشرقي آسيا). ومما يميز الأمطار الموسمية أن أكثرها يسقط على السواحل الغربية خصوصاً إذا كانت هذه السواحل جبلية كما هي الحال في السواحل الغربية لشبه جزيرة الهند.

وعندما تنخفض الحرارة خلال شهور الشتاء تنخفض الحرارة في وسط آسيا بنحو ٢٥° عما ينبغي بالنسبة للعروض التي توجد فيها، ويتكون ضغط مرتفع هائل تتضاعف فيه قوة الضغط المرتفع الذي يتركز عادة في تلك العروض، ويزداد اندفاع الرياح التجارية (الموسمية الشتوية) التي تخرج منها جافة إلا إذا مرت على البحر وقابلت اليابس مرة أخرى. وهناك من الجهات ما يتمتع بسقوط الأمطار الموسمية في كلا الفصلين. ومن أمثلة ذلك مدراس (شرقي الهند) ويمتد موسم المطر فيها إلى تسعة شهور أو أكثر.

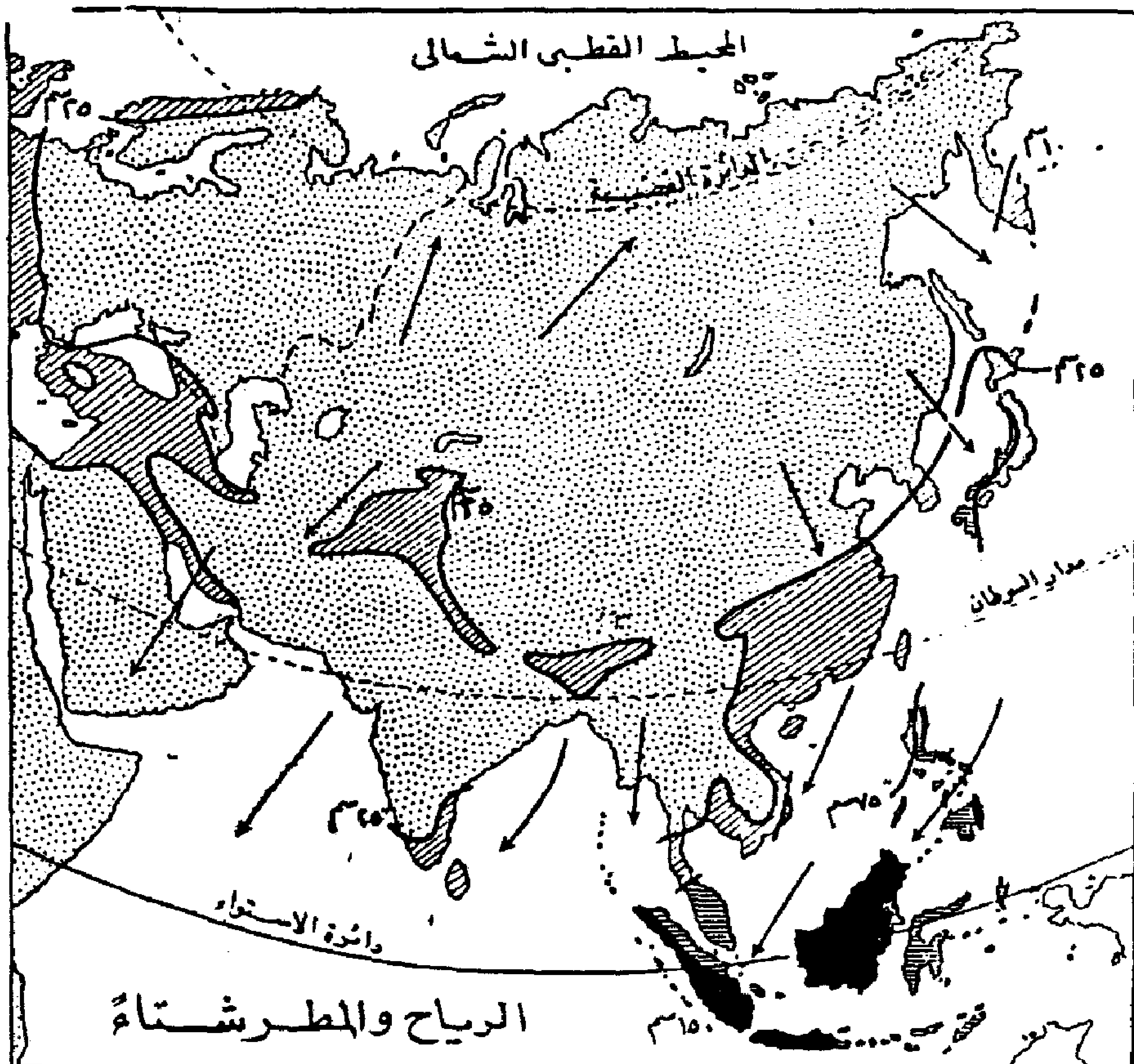
الحرارة والضغط صيفًا

الرياح والمطر صيفًا

شكل رقم (٦)


المحيط القطبي الشمالي
المحيط الهندي
الحرارة والضغط شتاءً

شكل رقم (٧)


المحيط القطبي الشمالي
الدائرة القطبية
مدار السرطان
دائرة الاستواء
الرياح والمطر شتاءً

والمعروف عن الأمطار الموسمية الصيفية أنها تنهمر بغزارة هائلة، ممـــا يؤدي إلى انسياب المياه على وجه الأرض انسيابا يجعل مقدار ما يستفاد به منها في أعمال الري والزراعة مقداراً ضئيلا للغاية. ومما يدل على شدة انهمار المطــر فـــي هذا الإقليم أن متوسط ما يسقط في غربي الهند، وميانمار وماليزيا يزيد علـــى ٣٠٠ سم، فإذا ما علمنا أن هذا يسقط في فصل واحد عرفنا معنى الأمطار الموسمية.

الصورة العامة لفصل الشتاء : يتعرض وسط وشمـــال القـــارة إلـــى انخفاض شديد في درجات الحرارة وتكون منطقة ضغط مرتفع على القارة، فتخـــرج منها الرياح لتحل محل الهواء الدافئ الصاعد على المحيطات (الموسمية الشتوية) وبالتالي تسود هذه الرياح الباردة الجافة كل القارة الآسيوية شمال الهضاب الوسطي وهي جافة إلا إذا مرت على البحر والتقت باليابس كما هو الحال في اليابان فيســقط بعض المطر وتنخفض درجة الحرارة إلى ما دون درجة التجمد في يناير، أمـــا فـــي جنوب هذه المرتفعات الوسطى فيكون المناخ أقرب إلى الدفء. أذن فالصورة العامـة برودة في ثلثي القارة الشمالي، ودفء في ثلثها الجنوبي، وجفاف معظم القـــارة إلا في الجزء الشرقي. وجنوب شرق الهند فضلا عن جنوب غربي القارة سواحل الشـام وتركيا لمرور أعاصير البحر المتوسط عليها.

الصورة العامة لفصل الصيف : ترتفع درجة الحرارة علـــى اليـــابس سواء في القسم الجنوبي أو الأوسط من القارة حتى لتزيد في وســـط القـــارة علـــى ٣٠م، ومثلها في هضبة إيران، وتزيد في شبه جزيرة العرب وصحراء ثار في الـهند لتبلغ أحيانا ٤٥م، ويتحول وسط آسيا إلى منطقة ضغط منخفض أي هـــواء صـــاعد وتحل محله رياح محيطية محملة ببخار الماء من المحيطات المجاورة (الموســـمية الصيفية الممطرة)، وحيث تعترض الجبال مسيرة الرياح تسقط الأمطـــار غزيـــرة، وفي ظل تلك الجبال ترقد الصحاري . وهذه الرياح الممطرة هـــي باعثـــة الرخـــاء والحياة. وإن كانت لها جانبها السلبي، إذا سقطت أمطارا غزيرة فوق المتوسط العام بكثير أو إذا اختل توقيت الهبوب، فهنا تتحول الرياح الموسمية الصيفيـــة الممطـــرة إلى صانعة الفيضانات والخراب والمجاعات.

أذن فصورة آسيا في هذا الفصل مرتفعة الحرارة في معظم أجزائها، الجنوبي والوسط، وتقل الحرارة بعد ذلك كلما اتجهنا شمالا، مع أمطار غزيرة على جنوبي وشرقي القارة نتيجة هبوب الرياح الموسمية الصيفية، هذا وهناك شريط يسقط عليه المطر في جنوبي سيبيريا يسقط عليه قدر من المطر نتيجة وصول أعاصير المحيط الأطلنطي، وأن كان لا يقارن بأمطار جنوبي وشرقي القارة. أما إندونيسيا فمطرها طول العام (استوائي) فضلا عن تعرضها صيفا وشتاء للرياح الموسمية الخارجة من والداخلة إلى القارة، ونظرا لمرورها على المسطحات المائية، فتكون مشبعة ببخار الماء.

الأقاليم المناخية والنباتية

الإقليم الاستوائي الجزرى

ويظهر في المناطق المنخفضة في المناطق المحيطة بدائرة الاستواء، ويظهر في إندونيسيا بصفة خاصة، وجنوبي الملايو، ويتميز بسقوط المطر طول العام وأن كان له صفة الموسمية لأن الإقليم يقع بين كتلتين من اليابس الأسيوي، والأسترالي من ثم فالمطر هنا خليط بين الاستوائي والموسمي، لتعرض الإقليم لرياح من الشمال صيفا، ورياح جنوبية شتاء، ولا تقل كمية المطر الساقط عن ١٢٥ سم، ولا يزيد على ٢٥٠ سم. والحرارة مرتفعة بوجه عام، وأن اختلفت بحسب الارتفاع وتسود الغابات الاستوائية (إلا حيث قطعت) وهي غابات كثيفة متشابكة الأغصان، يلتف حول جذوعها النباتات المتسلقة وتتميز أشجارها بأنها صلبة لا يسهل تشكيلها، ومن أشجارها المطاط، ونخيل الزيت، والماهوجني، والأبنوس وفي الجهات الساحلية تنمو أشجار المانجروف (غابات المستنقعات الساحلية) وقطعت مساحات ضخمة وزرعت بالمطاط والموز والأرز والكاكاو وجوز الهند.

الموسمي الحار

ويسود شمال الإقليم الاستوائي ويمثله مناخ الهند وتايلاند والصين الهندية وبقية الملايو والفلبين، ومطرد صيفا بسبب الرياح الموسمية الصيفية الآتية من المحيط، على حين أن شتاء الإقليم جاف لتعرضه للرياح الموسمية الشتوية الخارجة من القارة، وان كانت هناك بعض الجهات التي تسقط مطرها شتاء أيضا، كما هو الحال في الفلبين والأجزاء الجنوبية من شرقي الهند لمرور الرياح على البحر ثم التقاؤها باليابس مرة أخرى، لذلك كان مطر الصيف يمثل ثلاثة أرباع المطر الساقط عليها وتبلغ الكمية بين ١٠٠ سم، ٢٠٠ سم وقد تبلغ ٣٠٠ سم أحيانا.

وتنقسم السنة إلى ثلاثة فصول :

١ ـ موسم مطر بين يونيه إلى ديسمبر، وكلما اتجهنا نحو الشمال تأخر موسم بدء المطر.

٢ ـ موسم جاف بارد في يناير وفبراير، ولا يسقط المطر إلا في الفلبين وسواحل الصين الجنوبية، والملايو، وأقصى جنوب الهند لمرور الرياح الموسمية الشتوية على مسطحات مائية مثل التقائها باليابس مرة أخرى، كذلك في إقليم البنجاب في الهند وباكستان لمرور أعاصير البحر المتوسط الشتوية.

٣ ـ فصل حار وجاف، من أشد شهور السنة حرارة قبل سقوط المطر إذ تتراوح بين ٣٠م، ٣٥م، وقد تسقط بعض الأمطار الربيعية في بنجلاديش ويزرع عليها الأرز والشاي في أسام.

وتنمو غابات اقل كثافة يطلق عليها المدارية شبة النفضية نظرا لأنها تنفض أوراقها في فصل الجفاف، وأشجارها تشبه أشجار الإقليم السابق، وأن كانت أقل كثافة وأهم أشجارها التيك Teak أو الساج وأشجار النخيل بأنواعها كجوز الهند، ونخيل الزيت، وأشجار الغاب الهندي (الخيزران). ولا شك أن الإنسان قد أزال معظمها لزراعة الأرز والشاي وغيرها.

الصحراوي الحار

ومعظمه في جنوب غرب آسيا، شبه جزيرة العرب وإيران وصحراء ثار في الهند، ووادي السند الأدنى. ويصل متوسط الحرارة في يونيه إلى ٣٨ من وهو إقليم الشوكيات والصحاري الرملية والصخرية.

الصحاري المعتدل البارد

ويمتد في وسط آسيا خاصة في التبت، وصحراء جوبي وحـــوض تـاريم، وهضبة إيران، والتركستان بوجه عام، ويقترب في حرارته من الصحاري الحارة في فصل الصيف، (وأن اختلف بحسب الارتفاع) لصفـــاء السـماء وتسـخين الأرض القارية الجافة، هذا بينما تنخفض حرارة الشتاء أحيانا إلى درجـــة التجمـد، نظـرا للقارية الشديدة وهبوب الرياح الشمالية، ويزداد طول فصل الشتاء بالاتجــاه نحـو الشمال والشمال الشرقي. وقد تمر بعض الأعاصير على إيران بين الحيـن والحيـن فتجلب مطرا قليلا وثلجا إلى تركستان وهضاب إيران وأفغانستان، ويسقط مطر قليـل في فصل الصيف والذي يتفق أيضا مع ذوبان الثلوج على الجبال.

المناخ البارد المنشوري

شمال ووسط منشوريا، وشمالي اليابان وجزيرة سخالين يتمـيز بـالبرودة الشديدة شتاء، حيث تنخفض درجة الحرارة في فلادفستك إلى مادون درجة التجمـد، على حين ترتفع الحرارة صيفا إلى ٢٠م، وتسقط أمطاره صيفا، علـى حيـن تـهب العواصف الثلجية شتاء. وتمتد فيها الغابات المخروطية في مساحات واسعة امتـدادا لنظيرتها في سيبيريا.

المناخات المعتدلة الدفيئة

شرقي القارة أي في الصين وجنوبي اليابان، فهو حار في الصيف ولكن قد يتعرض لموجات قارسة في الشتاء، وان كان تيار اليابان الدافئ يقلل من هذه البرودة، كما تسقط الأمطار صيفا وشتاء، وإن كانت أمطار الشتاء أقل ويتعرض الإقليم لأعاصير التيفون Typho ينتج عنه فيضانات كاسحة، وغابات هذا الإقليم هي من النوع الدائم الخضرة، تسود الأشجار النفضية مختلطة بالصنوبرية، كما تظهر أحراج الخيزران، والبامبو في جنوبي الإقليم.

أما في غرب القارة وهو المعروف بإقليم البحر المتوسط ذو المطر الشتوي والجفاف الصيفي. مع اعتدال حرارة الشتاء. وشدة حرارة الصيف. ونباتاته هي الشجيرات الدائمة الخضرة والتي تحتال على فصل الصيف الجاف بأوراقها الصغيرة، أو بإحاطة ثمارها بطبقة من الزيت كالموالح والزيتون.

المناخات الباردة

نتيجة لبعد سيبيريا العظيم عن البحر ولإحاطتها بالحواجز الجبلية التي تمنع عنها عوامل الدفء في الجنوب، نجد أن قلبها يمثل اشد الحالات القارية تطرفاً، فتشتهر فرخويانسك (ـ ٥١م وأحيانا ـ ٣٠° في يناير) بأنها أبرد بقعة على ظهر الأرض حتى ليظهر أنها أبرد من القطب الشمالي نفسه، ومع ذلك فإن متوسط يوليه ١٦° وتزدهر بها الغابات. رغم أن فصل الصيف لا يتعدى أربعة شهور والشتاء شديد الجفاف. وتمثل الغابات المخروطية (التاييجا) أكبر مساحة للغابات الباردة في العالم، تغطي نحو ٤٢% من مساحة الغابات بالقارة. ممتدة في سيبيريا آلاف الكيلو مترات من الغرب إلى الشرق جنوب إقليم التندرا، وهي من الأشجار اللينة التي يسهل تشكيلها وبالتالي عليها طلب كبير، وأن كان يحد من استغلالها تطرفها، وقلة الطرق الحديدية والبرية. وتجمد مصبات الأنهار رغم ذوبان منابعها، لأن منابعها في الجنوب بينما مصباتها في المحيط القطبي الشمالي واهم أشجارها الصنوبر، والشربين.

شكل رقم (٨)


المحيط القطبي الشمالي
النباتات الطبيعية في آسيا
المحيط الهندي
مدار السرطان
دائرة الاستواء
تندرا وألبي
غابات مخروطية تايجا
خليط من النفضية والعالية الخضرة
نفضية دون مدارية
حشائش معتدلة (استبس)
صحاري حارة معتدلة
سفانا وأشجار مبعثرة
أشجار دائمة الخضرة ونفضية مدارية
غابات مدارية مطيرة (استوائية)
نباتات الجبال
غير معروفة

شكل رقم (٩)

المناخ القطبي

في أقصى شمال القارة، ولا ترتفع الحرارة فوق درجة التجمد إلا في شهر يوليه، وتبلغ الحرارة العظمى ١٠ْم. فإذا ما جاء شهر سبتمبر هبط الترمومتر من جديد إلى ما دون درجة التجمد وبدأ الشتاء، ويصل طول الليل والنهار أقصاه. ففي الصيف يطول النهار حتى ليصبح معظم اليوم، وعلى العكس في الشتاء حيث الليل شبه الدائم، وتغطي الأرض طبقة من الجليد طوال فصل الشتاء التي تذوب لبضعة سنتمترات خلال الصيف القصير، وتنمو فوقها حشائش التندرا، والتي سرعان ما يغطيها الجليد مرة أخرى.

البشـــر

عرقيات ولغات :

يمثل السكان أكثر المظاهر الجغرافية جاذبية. وفي نفس الوقت الأكثر تعقيدا أين يعيشون؟، ومن هم؟ فهناك مئات من العرقيات أكثرها اختلطت بعضها ببعض بحيث يصعب بينها التمييز أحيانا، وقليل منها ما يمكن أن تدعى بأنها سلالة نقية. وفي آسيا نحو ٦٨ جماعة عرقية. فمن وسط آسيا خرج المغول على ظهور الخيل (الآن جمهورية منغوليا الشعبية) حيث السهول الاستبسية المنبسطة، وحيوان الرعي الأساسي الخيل. خرجوا متجهين شرقا وغربا يجتاحون ما أمامهم. وكان عصرهم الذهبي خلال القرنين الثاني والثالث عشر وخاصة في عهد جنكيزخان (١١٦٢ ــ ١٣٢٧ م) وحفيدة قبلاي خان (١٢٥٩ ــ ١٢٩٤م) ودانت لهم معظم آسيا، وبلغوا في توسعهم أوربا، ومن فروع هذا الأصل المغولي نجد الصينيين والكوريين وأهل التبت بشعرهم المستقيم المسترسل. والبشرة الباهته الأقرب إلى الاصفرار، والعيون المنحرفه. ويمثل المغول أكبر كتلة عرقية في العالم، كما اختلطوا بغيرهم من العرقيات، كاختلاطهم بالملاويين فكان اليابانيون، وهناك العناصر السلافية ذات الأصل الأوربي التي تسود الاتحاد الروسي في آسيا تقريبا في شريط يمتد مع خط سكك حديد سيبيريا. وهناك العناصر الأرية وهي قوقازية تمتد من

إيران حتى أواسط الهند. ورغم قوقازيتها فهناك، اختلافات بينها وهذا شئ طبيعـــي، وهناك العناصر التركية التي تمتد حتى غربي الصين والطريف في الأمـــر أن مـــن يعيش منهم في وسط آسيا أكثر ممن يعيشون في تركيا ذاتها، ولا غرو فـــي ذلـــك فوسط آسيا هي منبتهم الأصلي. وهناك العناصر السامية (قوقازية) والتي تشـــمل المشرق العربي، والدرافيديون في جنوبي الهند وبشرتهم سمراء داكنه، على حيـــن أن السلالة السمراء Brown Race تطلق على الملاوييـــن الذيـــن يوجـــدون فـــي إندونيسيا والفلبين، وبقع متفرقة في جنوبي القارة.

والدليل على عدم النقاوة التامة للسلالات، نضرب مثلا ملموسا: فقد كـــانت روسيا بحكم موقعها هي الممر الطبيعي لكل الموجات البشرية والغزوات التاريخيـــة من آسيا إلى أوربا، فيما عدا القلة التي أخذت طريق آسيا الصغرى، وبالتالي طغـــت آسيا طويلا على أوربا في جبهة الأورال. وفاض المد البشري من طـــوران جنوبـــا ومن سيبيريا شمالا على تخوم أوربا طوال العصور القديمة والوسطى ثـــم انعكـــس التيار في العصور الحديثة مع خروج المد الروسي بالملايين إلـــى آســيا الوســطى وسيبيريا خلال نطاق الاستبس وعلى طول الأنهار السيبيرية.

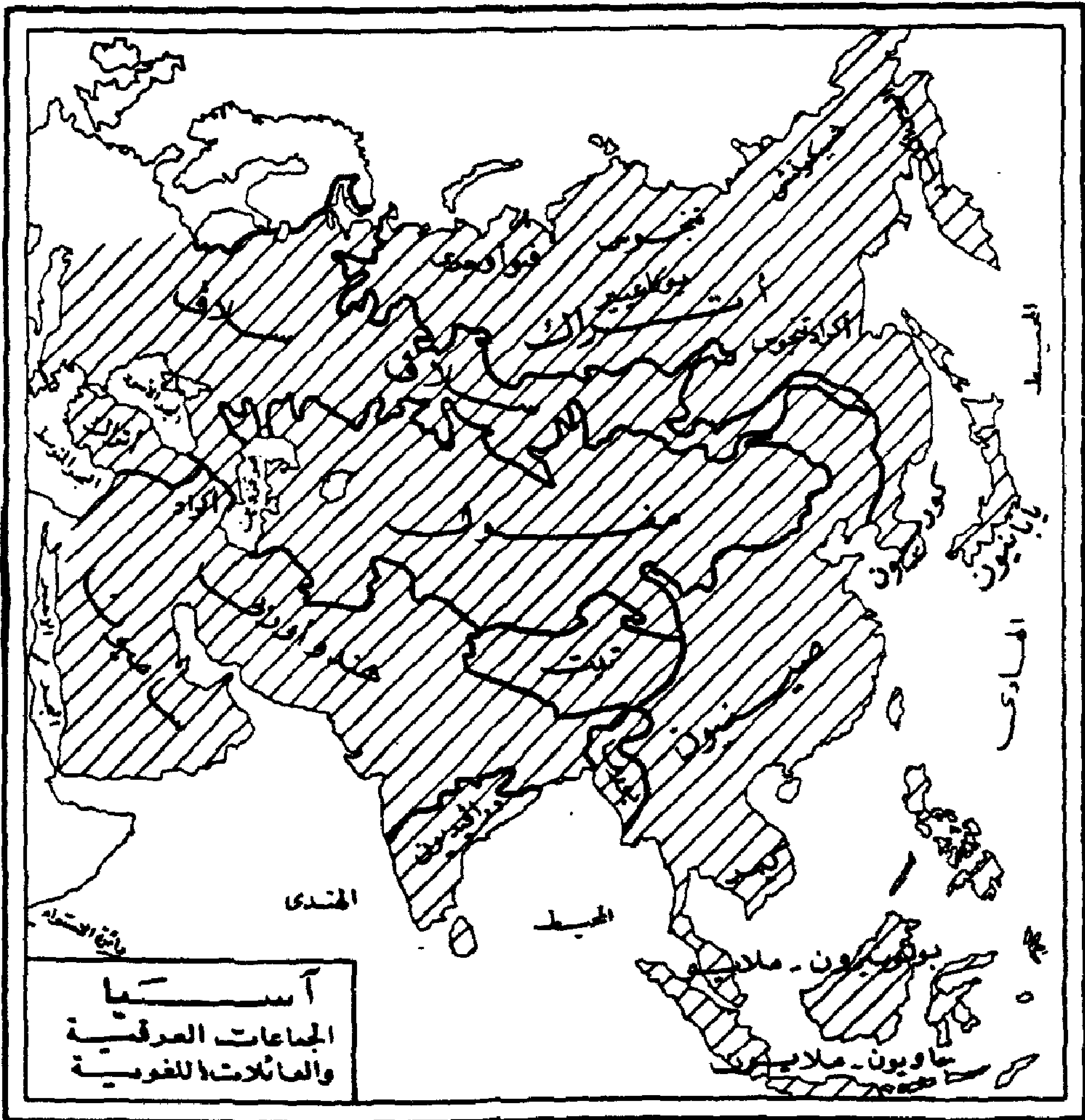
وفي آسيا عشر عائلات لغوية رئيسية، تتفرع منـــها مئـــات اللغـــات الآن، فهناك عائلة الأورال / التاي في وسط وشمالي آسيا، والهند أوربية من وسط الاتحاد الروسي إلى الهند، والصينية Sinitic ومركزها الصين، والسامية في جنوب غربـــي آسيا، والملايو / بولونيز في جزر جنوب شرق القارة، والدرافيدية في جنوبي الهند، وبقايا الأنامية في كمبوديا والفيتنامية والكورية واليابانية.

قلعة البشرية :

آسيا قلعة البشرية. ومخزن السكان يسكنها ثلثي سكان هذا الكوكب كما قلنا على ثلث مساحة اليابس. ومن المرجح أنها كانت كذلك طوال العصـــور التاريخيـــة، وإذا كان عدد سكان القارات يقدر بالملايين، فسكان آسيا يقدرون بالمليارات. وتشير التقديرات أنهم سيبلغون نحو ستة مليارات ونصف عام ٢٠٢٥ أي أزيد قليـــلا مـــن

عدد سكان العالم عام ٢٠٠٠. ويكفي أنها تضم أول (الصين) قاربت على المليـــار وثلث، وثاني (الهند) قاربت المليار، ورابع (إندونيســـيا) وســـابع (باكســـتان) وثامن (اليابان) وتاسع (بنجلاديش) دولة في العالم. أي ست دول مـــن العشـــرة الأوائل سكانيا. ومن المنتظر أي تصبح الهند الدولة الأولي سكانا بدلا مـــن الصيـــن التي تتراجع إلى المكان الثاني، كما قد تتفوق باكستان على إندونيسيا.

ويزيد الآسيويون بنسبة ١٦,٥ في الآلف سنويا مع العلم بأن هذه الزيـــادة



شكل رقم (١٠)

قلت عن ذي قبل، فقد كانت ٢٢,٧ في الألف عام ١٩٧٤. ولاشك أن هذا يرجع إلـى أن بعض دولها الكبيرة الحجم سكانيا كالصين قد أولت مسألة تحديد النسل اهتمامـا، ويدل على هذا انخفاض المواليد من ٣٤ في الألف عام ١٩٧٥، فأصبحت ٢٥ فـي الألف عام ١٩٩٧، وصحب هذا ظاهرة جديدة وصحية، وهي انخفاض نسبة الوفيات إلى ٨,٥ في الآلف عام ١٩٩٧ بعد أن كانت ١١,٥ في الألف عام ١٩٧٥، ٢٤ فـي الألف عام ١٩٥٠، ومن الظاهرات الصحية أيضا زيادة متوسط العمر من ٥٦ عامـا عام ١٩٧٥ إلى ٦٥ عام ١٩٩٧ وانخفاض وفيات الرضع من ٩٨ في الألـف إلـى ٦٥ في الألف.

وارتفاع نسبة الحضر من ٢٤.٥% إلى ٣٤.٥% من مجمـوع السـكان. ويمكن القول أن ثلث سكان آسيا دون الخمسة عشر عاما، أما كبار السن فمـازالت نسبتهم قليلة ٥% وبالتالي تكون نسبة الإعالة نحو ٣٧%، وهي قريبة من النسـبة العالمية (٣٧,٥%)، ولا تزيد عليها في نسبة الإعالة إلا أفريقية ٤٧%.

والآسيويون في توزيعهم يتحلقون حـول هوامـش القـارة مـن كوريـا، واليابان. والفلبين، والصين الهندية، والملايو، وإندونيسيا إلى الـهند، وبنجلاديـش وباكستان فمتوسط الكثافة في هذه الحلقة يدور حول ٥٠٠ نسمة للكم٢، وأن كـان يبلغ أحيانا ٢٠٠٠ نسمة للكم٢ في كثير من ريف الهند والصين.

أما قلب آسيا فهو خالي أو بتعبير أدق شبه خالي، يدخل فـي اللامعمـور، فتتراوح الكثافة بين ١ ، ١٠ نسمة للكم٢، وأحيانا لا تظهر نسـمة واحـدة علـى الإطلاق. كما هو الحال على الأطراف القصوى الشمالية المحيطة بـالمحيط القطبـي الشمالي. هذا كما يشترك في هذه الكثافات المنخفضة معظم جزيرة العرب لا لقسـوة في الحرارة ولكن الجفاف، وتصبح مناطق البترول هي مناطق الجذب السكاني فـي بالدرجة الأولي حتى شهدت أقاليم الكثافة المرتفعة كودة الحصان تحف لسواحل آسيا بدء من اليابان ومنشوريا. إلى الصين، والصين الهندية والهند ثم إيران إلى غربـي سيبيريا.

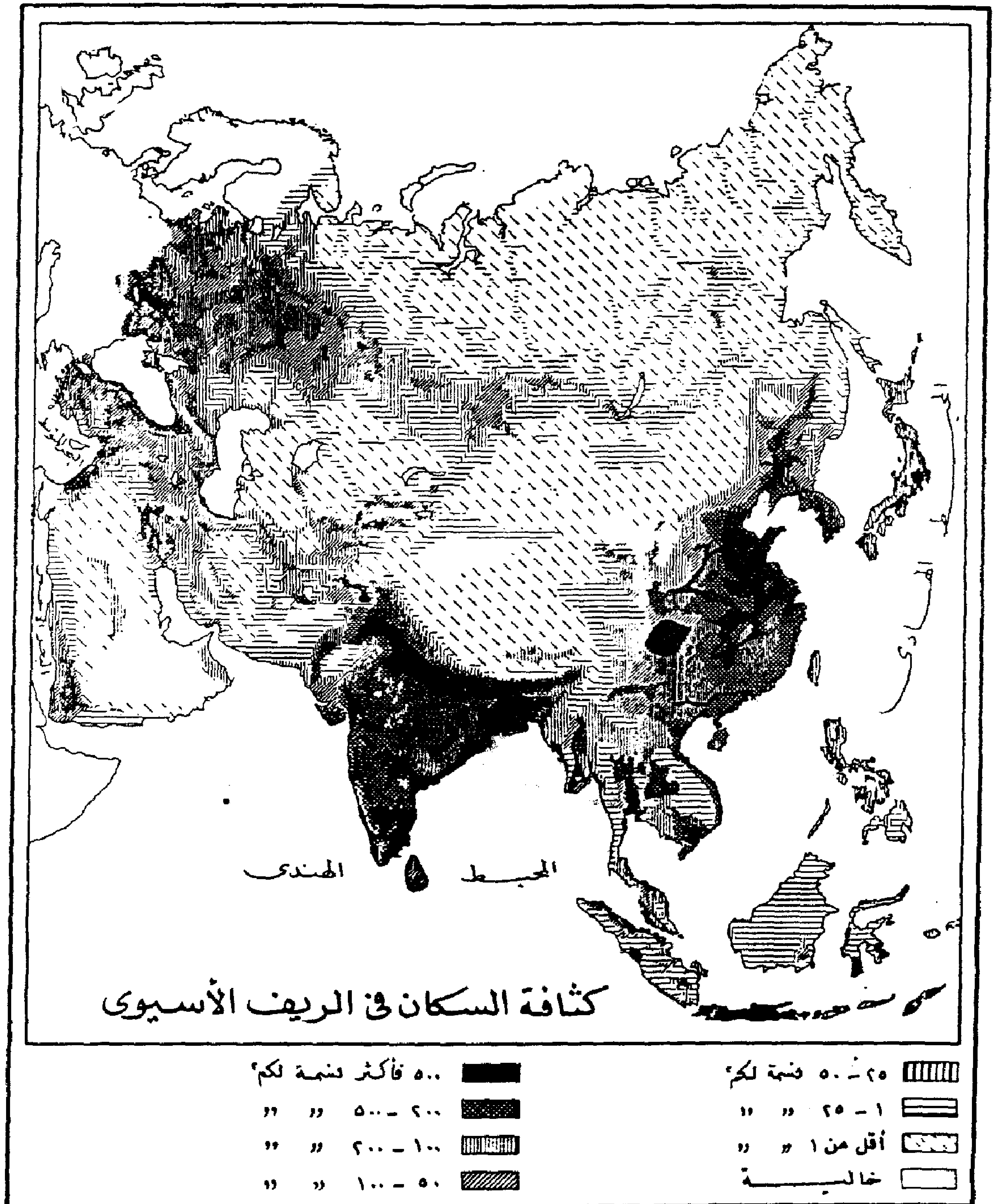
إذن فكثافة آسيا المرتفعة ترجع إلى الأطراف لا إلى القلب، وان كان هذا القلب الخالي أو الميت لجفافه وبرودته وتثليجه كان أشبه بضد إعصار بشري، ظل طول التاريخ القديم والوسيط طاردا للسكان بدء من هضاب منغوليا إلى سهول التركستان، ينفجر بموجات بشرية، وجحافل من الغزاة، والرعاة استهدفت غربي آسيا وشرقي أوربا.

وكما هو معروف ليست هناك علاقة طردية بين حجم السكان والكثافة، فالصين وهي أكبر سكان العالم قاطبة متوسط كثافتها السكانية ١٣٠ نسمة للكم٢ وذلك لأن جزءا كبيرا منها يدخل في نطاق القلب الخالي، على حين أن كثافة السكان في كوريا الجنوبية ٤٦١. وفي سنغافورة ٤٩٩٩ نسمة للكم٢.

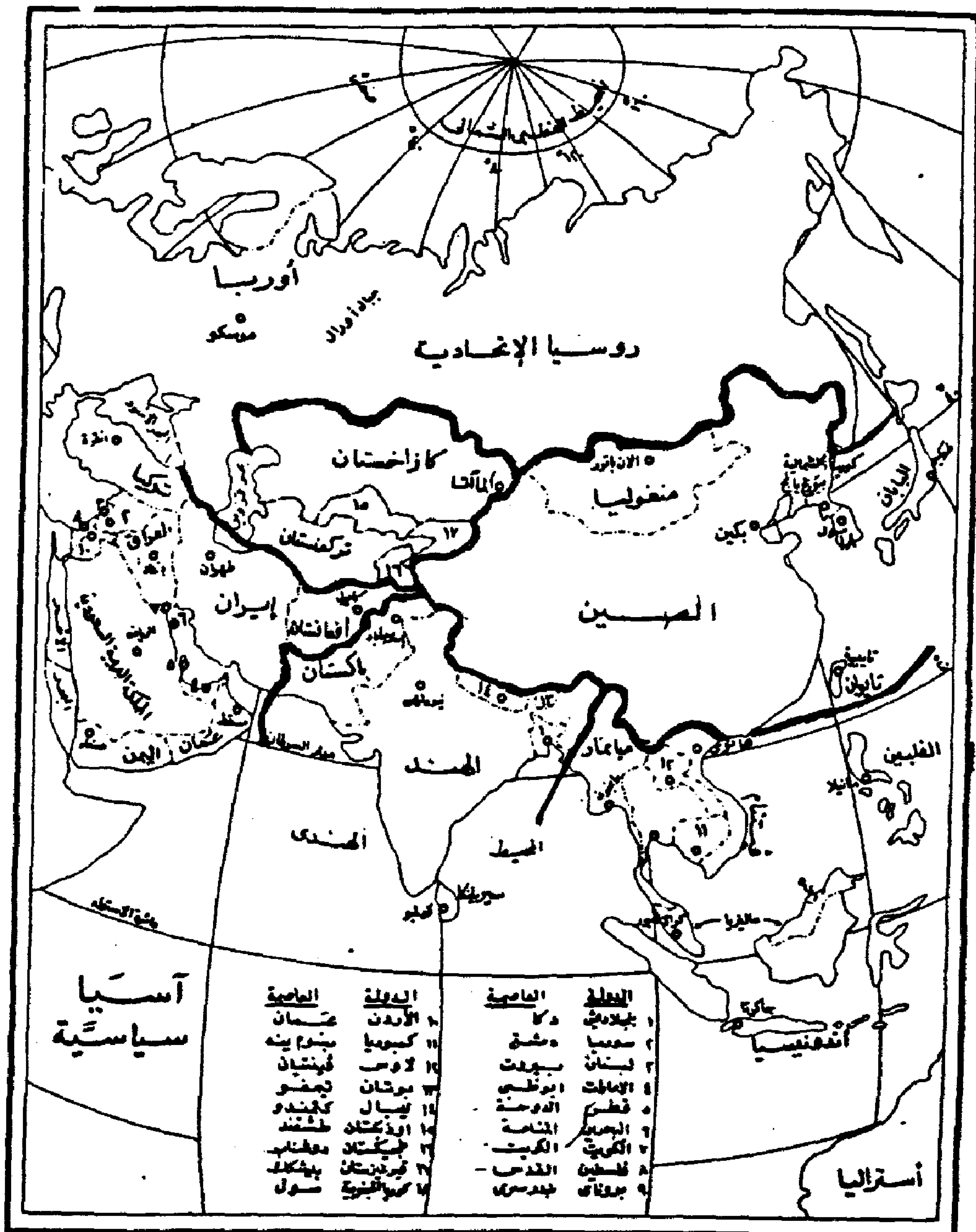
والآسيويون ريفيون بالدرجة الأولي. فتبلغ نسبة الحضرية ٣١%، وأن كان هناك اختلاف كبير بين أطرافها ما بين لاوس ٢١%، والهند ٢٧%، ومن بين لبنان ٨٨%، وأقطار الخليج التي يطلقون عليها دول المدن لتبلغ ذروتها في سنغافورة ١٠٠% لتصبح المدينة الدولة، حضرية من قمة رأسها إلى أخمص قدميها.

وإذا كان معظم الآسيويين ريفيين، فمع ذلك فالمدن في نمو مستمر بطريقة فعالة، فطوكيو هي نظير نيويورك في المكانة العالمية، وهنك عشرات المدن التي يزيد سكانها على المليون، ومعظم مراكز العمل فيها كما في أوربا ناطحات سحاب وإنارة، وتكييف ٠٠٠، ولكن على أطرافها يبدأ التريف السريع.

وإذا كان هناك ٣٠٠ مدينة في العالم يزيد سكانها على المليون عام ٢٠٠٠، فإن هناك ست مدن آسيوية تعتبر من العشرة الأوائل وكلها في جنوبي وشرقي القارة، ممثلة في طوكيو / يوكاهما. وأوزاكا. كوبي في اليابان، وسول في كوريا، وشنغهاي في الصين. وكلكتا وبمباي في الهند.


كثافة السكان فى الريف الأسيوى
المحيـــط الهنـدى
الهـادى
٥٠٠ فأكثر نسمة لكم٢
٢٠٠ ـ ٥٠٠ " "
١٠٠ ـ ٢٠٠ " "
٥٠ ـ ١٠٠ " "
٢٥ ـ ٥٠ نسمة لكم٢
١ ـ ٢٥ " "
أقل من ١ " "
خـاليـــة

شكل رقم (١١)



أقـــاليم آسيــا الكـــبرى

شكل رقم (١٢)

الباب الثاني

عالم آسيا الشرقية

الفصل الأول

في شخصية آسيا الشرقية : (ارض العمالقة)

آسيا الشرقية إقليم لا يشبهه إقليم آخر، في قلبه أكثر أقطار الأرض سكانا وعلى أطرافه تقع أكثر وأقوي الاقتصاديات نموا، وفي جزره وأشباه جزره وسواحله ظهر تحول اقتصادي عجيب بكل المقاييس أدي إلى تحولات سواء في الريف أو الحضر، في داخله تمتد السلاسل الجبلية والصحاري. وهو مخزن لخامات عديدة لم تكتشف بعد وأحواض أنهارد تنتج غذاء يكفي أكثر من مليار نسمة.

يقع هذا الإقليم بين روسيا الاتحادية في الشمال والأقاليم المزدحمة بالسكان في جنوب وجنوبي شرقي القارة، من صحاري وسط آسيا إلى جزر اليابان وتايوان من ثم كان التنوع البيئي الكبير هو سمة أساسية لهذا الإقليم.

* شهد هذا الإقليم تغيرات في الجغرافية السياسية في جزر كوريل التي كانت تابعة لليابان ولكن روسيا تعض عليها بالنواجذ وكما شهد تقسيم كوريا، وانفصال تايوان، واستيعاب الصين هونج كونج ومكاو والتبت.
* استغل الإنسان كل شئ في الأرض للحصول على الغذاء أو الوقود، أو سلعة صناعية، وكل شئ مستساغ يمكن أن يكون طعاما للإنسان والحيوان(من الكلاب إلى السحالي والحيات) وحتى ما لا يمكن استخدامه كغذاء أو كساء لا يهمل. وإذ يستفاد بفضلات الإنسان والحيوان والمنازل بصفة عامة بعد خلطها وإعادة تدويرها فتصير سمادا للحقول وتغذي المحاصيل، ويبدو أن هناك قاعدة ذهنية لدى السكان أنه إذا ما احتاج الأمر بعمل ساعة أو حتى يوم بأكمله لزيادة الإنتاج ولو قليلا سواء في زراعة أو صناعة، فلابد من القيام بهذا العمل، فلا المطر غزير ولا الحرارة شديدة تؤجل القيام بالواجب المطلوب

بفضل تلك القبعة الخوص المتسعة التي تصبح أشبه بمظلة مثبتة على الرأس.

* يتركز السكان في النطاقات الشرقية، وهذا بدوره يعكس أثر الأهمية الجغرافية والتاريخية لأحواض الأنهار الكبرى.
* تعرض الإقليم لضغوط القوي الاستعمارية (غير الأوربية) اليابان، وكذلك القوي الاستعمارية الأوربية.
* فيه تحولات اقتصادية واجتماعية كبيرة من غربي الصين حيث الإسلام إلى تايوان مما يظهر أثره في تحول وتغيير في البيئة الثقافية التقليدية.
* يعد مثلث جاكوتا Jakota (Japan Korea Taiwan) طليعة هذا الإقليم من حيث النمو الاقتصادي الذي قد يكون نموذجا لأجزاء كثيرة من شرقي وجنوبي القارة فمن اليابان إلى تايوان، ومن كوريا الجنوبية إلى هونج كونج تغيرت واجهة آسيا الشرقية الآن كثيرا عما مضى. فهناك ناطحات السحاب في مدن اليابان والسيارات الأمريكية والأوربية إلى جانب اليابانية تجوب الشوارع، والمدن الصناعية، وهناك أيضا هجرة ملايين البشر من الريف إلى الحضر بحثا عن العمل في المشروعات الجديدة والمتجددة.
* إذا ذكرت الصناعة التحويلية في آسيا فلابد وأن يقفز إلى الذهن ذلك الشريط الذي يحف شرق القارة من كوريا الجنوبية إلى سنغافورة والذي جعل تغيير الحلقة الآسيوية الباسفيكية مرادفا لآسيا الصناعية، فهذه الجبهة ترصعها المدن الصناعية سؤل، وبسان (كوريا) وبكين وشنغهاي، وزايمن، وهونج كونج (الصين) فوزو (تايوان) هذا فضلا عن طوكيو، أوزاكا / كوبي ، ناجويا (اليابان) وسنغافورة.

وكانت اليابان هي الرائدة في الهامش الباسفيكي حتى قبل أن يظهر هذا التعبير فقد نجحت في إقامة إقتصاد عملاق له علاقاته الدولية، وكانت الوحيدة لفترة طويلة في الخمسينيات والستينيات، بينما كانت الصين مازالت في شبة عزلة وكوريا الجنوبية تلعق جراحها بعد حربها ضد الشيوعية (١٩٥٠ ــ ١٩٥٣) وأقامت اليابان مجتمعا يختلف تماما عن مجتمعات آسيا الشرقية، حتى انه ليمكن القول بأنها تستحق أن يكون لها عالمها الخاص بها، ولكن التنمية التي حدثت الآن لهذا الهامش

الباسفيكي في طريقها لإزالة هذه الفروقات بين اليابان وجيرانها، فكوريا الجنوبيـة أصبحت منافسا لليابان في الأسواق العالميـة بفضـل سـلعها التـي تنتجـها مـن الإلكترونيات إلى السيارات. وكذلك الحال في الاقتصاد التايواني الذي ازدهر، وفـي جنوب شرقي الصين ظهر عملاق اقتصادي في ولاية Guongdong، وقد ساعدت الاستثمارات اليابانية في هذا النطاق الهامشي لا لتقليل الفروقات الاقتصادية فحسب، بل زادت من الارتباط بين اليابان وجيرانها.

* ومن الصناعات الحديثة للغاية التي تفوقت بها دول الشريط الشرقي الآسـيوي الأنظمة الإلكترونية وأجهزة الكمبيوتر والألياف البصرية، وأبحاث أشعة الليزر. وقد يكون هذا أيضا مقدمة لإنتاج الأسلحة المتطورة للغاية، والذخائر والأسلحة الحديثة ذات التوجيه الذاتي، ونظرا لأهمية الدور الذي لعبته مكونات الحـرب الإلكترونية في حرب تحرير الكويت، فإن قدرة وإمكانـات الإنتـاج الأجـهزة الإلكترونية المدنية لدي هذه الدول سوف تتيح فرصة جدية للتطـور وإنتـاج الحربي من هذه الأجهزة.

* لا يهم أن الاقتصاد الياباني كان كاسحا في الإقليم في النصف الثاني من القـرن العشرين، ولكن ستظل الصين هي عملاق آسيا الشرقية، أحد أقدم الحضـارات الإنسانية، فقد كانت منبت الحضارة حين كانت اليابان تعيش في عزلة في ظـل جماعات الاينو، وكانت الهجرات الصينية إلى كوريا والجزر وانتقلـت مظـاهر الحضارة الصينية إلى كل جيرانها البحريين، وهذا واضح في العقيدة وفي الفـن المعماري، وكما حاولت الصين التوسع مرارا وتكوين إمبراطورية في الألفيـة السابقة.

وقد تشهد آسيا الشرقية مولد قوة عالمية فـي المسـتقبل نظـرا للنمـو الاقتصادي والحربي للصين. وإذا ما تفادت عوامل الانفراط التـي شـهدها الاتحـاد السوفيتي. وإن كان البعض يرجح أن تكون قوة إقليمية لا عالمية أي تمارس نفـوذا في الشرق الأقصى.

الفصل الثاني

الصين (*)

جمهورية الصين الشعبية

حين نفكر في آسيا يتبادر إلى الذهن آسيا الصفراء، عالم المغول والتتار، لذلك يذهب البعض إلى القول بأن الصين ليست آسيوية بقدر ما كانت آسيا هي الصينية !! وتمثل الصين ظاهرة فريدة من الظاهرات الجغرافية، قد توجد جهات أخرى من العالم أكثر قدما في حضارتها أو في جمالها. ولكن لا توجد جهة في العالم تعيش فيها أعداد ضخمة من السكان مرتبطين بأرضهم هذا الارتباط. فلا يوجد جزء على سطح الأرض تبلغ فيه العلاقة الوثيقة والوطيدة بين الإنسان والأرض كما في الصين. وإذا كانت بيئة الصين متسعة أفقيا (٩,٥ مليون كم٢) كمساحة الولايات المتحدة الأمريكية، ولكنها في أعداد السكان متخمة، وهي أيضا متعمقه رأسيا في التاريخ، يعيش فيها عدد من السكان يزيد على ١,٢٥ مليون نسمة أكثر من عدد السكان في أي جهة بنفس المساحة، استغل الإنسان البيئة الطبيعية التي تحت يده بكل ما أوتي من حذق ومهارة وما أتاحته له أدواته، من ثم فالحاضر هو نتاج إرث طويل، وكان أكبر العوامل أهمية في بيئة الصين، ليس التربة ولا المناخ رغم أهميتهما، ولكنه الإنسان. ففي كل مكان تجد البشر يعملون، ومن النادر أن تجد

(*) لفظان دائما يذكران في الكتابات عن الصين هما:

الصين الأصلية China proper يقصد بها أرض الهان الذين يتكلمون لغة المنداري هؤلاء الذين ينتشرون من أقصى الشمال الشرقي إلى الحدود مع فيتنام ومن ساحل المحيط الهادي إلى أطراف التبت، ويمثل الهان القومية الكبرى بنسبة ٩٠% من سكان الصين.

الصين الخارجية outer China وتشمل المقاطعات ذات الحكم الذاتي، كما هو الحال في منغوليا الداخلية وسنكيانج، و تبت أو الغرب الصيني، ويطلقون على سكانها الأقليات من التبت. و سترك أو التاي أو الكوريين.

إقليما لم تلعب فيه يد الإنسان دورا في تعديله، لا متعارضا مع البيئة، ولكن بذكاء وحرفية حتى يحصل منها على أقصى ما تستطيع إنتاجه، حتى لقد قال البعض أن هؤلاء الفلاحين الذين يعملون في الحقول هم جزء من الطبيعة كالتلال نفسها والأودية ذاتها.

غفوة طويلة:

حين دخل الاستعمار في القرن التاسع عشر إليها مستغلا مواردها الطبيعية، وفتح أسواقا جديدة، اشتركت في هذا كل من بريطانيا، وفرنسا، والولايات المتحدة الأمريكية وحتى الألمان واليابان، وعقد المعاهدات التي بموجبها يحق لهذه الدول احتلال بعض الأجزاء الساحلية أو أن يجعل مساحات كبيرة منها أشبه بالمناطق الحرة. كما أن رعايا هذه الدول لا يخضعون لقوانين الصين. بل لدولهم. وأطلق عليها Extra territoriality واتخذ الأجانب أجمل الضواحي في هذه الأجزاء لسكناهم. ووضعوا على مداخلها اليافطات ممنوع على الصينيين أو الكلاب no Chinese or dogs من ثم كانت خبرة الصين بالأجانب مريرة، وكان هذا سببا في قيام ثورات متعددة، أهمها ثورة البوكسر عام ١٩٠٠، وكان الصينيون ينظرون إلى الحضارة الغربية، على أنها ليست لهم، هم غرباء عنها وهي غريبة عليهم، نظرا لأنهم يعيشون حضارة وتراث يرجع إلى أربعة آلاف عام خلت. وفي تاريخها تغلبت على المعتدين، وأغلقت عليها بابها أمام العالم الخارجي حتى ليمكن القول أنه منذ ثلاثة عقود تقريبا أي في أوائل السبعينات كان عدد الأجانب في الصين ما لا يزيد على مائة أجنبي، في وقت كان عدد السكان نحو بليون نسمة، بل وحتى الخبراء السوفيت طردوا بعد الخلاف الذي نشأ بين الدولتين.

ويمكن القول بأن حالة السكان ظلت متردية في ظل النظم الإقطاعية. وكان عام ١٩٤٩ يعتبر فيصلا بين عهد قديم يتمثل في الفقر، والمجاعات، والأمراض، والفيضانات، وعهد جديد بدأت فيه النهوض من كبوتها، وخلعت عنها ثياب الفاقة والمرض.

العوامل الجغرافية والعزلة :

وإذا كانت الحضارة الصينية قد سجلت قمما عالية من الإنجـــازات الماديـــة وغير المادية فهي التي أعطت العالم الحرير والورق، وهي التي اخـــترعت البـــارود وبرزت في صناعة الخزف والفن، وعرفت الحكمة والفلسفة مما بهر رحالة العصور الوسطي، وامتد دورها في محيط كامل من شبة جزيرة الصين الهندية إلى اليابـــان، بل ووصل تأثيرها إلى وسط آسيا. فإن الحضارة الصينية بعد أن بلغت ذروتها جمدت وتوقفت، وأصبحت ماضيا. دخل به عملاق الصين النائم فترة بياته الشتوي التي لـــم يفق منها إلا أخيرا، ويرجع هذا إلـــى العزلـــة الجغرافيـــة: معزولـــة بالصحـــاري، والهضاب، والجبال في الداخل، وبالمحيط الأعظم من ناحية البحر، ويكفـــي للدلالـــة على هذه العزلة الطبيعية الصارمة أن نعرف أن هناك ٩٠٠٠ نوع من النبـــات فـــي العالم، تنفرد الصين بنصف هذا العدد وحدها، بل ويكفي تلك العبارة البالغة التي تـدل على أنها في نهاية الأرض " إطلبوا العلم ولا في الصين " ثـــم أن البيئـــة البشـــرية المجاورة بدورها كانت أقل منها في مستواها الحضاري : جماعات من الرعاة التتـــار ليس لديهم ما يضيفون إلى حضارة الصين، من ثم قد يكونوا قد أخذوا منها، ولكنهم لم يعطوها شيئا، من ثم لم يكن أمام الصين شئ تجدد به نفسها.

فالخريطة الفزيوغرافية لآسيا الشرقية، توضح هذا، فالشمال الصيني يتألف من سلاسل جبلية وعرة مع حدودها مع روسيا الاتحادية، وصحراء جوبـــي، وفـــي الشمال الغربي في سنكيانج تنفتح السلاسل الجبلية، ولكن حين تنفتح تواجه اســـتبس القرغيز (شبه الجافة)، وإلى الغرب والجنوب الغربي جبال تيان شان والبامير ســـقف العالم، أي سلاسل جبلية تغطي قممها الثلوج لجزء كبير من العام، وكأنـــها حوائـــط عالية ترتفع آلاف الأمتار. وفي الجنوب بعد احتلال الصين للتبت نجد حائط الهمالايا، وهو لا بين الصين وجيرانها في هذا الاتجاه بل الفاصل الفريوغرافي بين عالم آســـيا الشرقية، وعالم جنوب آسيا.

ويمكن تلخيص ما سبق في أن الخريطة الفزيوغرافية للصين تعطي صـــورة أراضي جبلية وصحاري، وغابات كلها في حصن كبير،

وهناك عامل المسافة، فمازالت الصين حتى اليوم بعيدة عن منابع التحديث الصناعي، حقا لعد تعاملت الصين مع اليابان وكوريا وتايوان وأجزاء من جنوب شرقي القارة، بل وملايين الصينيين هاجروا إلى تلك البلاد، ولكن هذا كله لا يقارن بأثر العرب الذين جابوا مساحات واسعة، وقطعوا مسافات طوال ناشرين المعرفة والعقيدة، بل والتأثير السياسي من أوربا البحر المتوسط إلى بنجلاديش، ومن أفريقية العربية إلى إندونيسيا والفلبين، وحينما أصبحت أوربا هي مركز التغير في العالم، وجدت الصين نفسها بعيدة برا وبحرا أكثر من أي جزء آخر في العالم. ومازالت رغم وسائل المواصلات الحديثة ــ بعيدة. فالذهاب بالقطار من بكين إلى موسكو. جار الصين الأوربي، رحلة صعبة تستغرق عدة أيام. والطرق البرية المباشرة إلى الهند معدومة. وكذلك حال الطرق مع دول جنوب شرقي آسيا صعبة.

ويبدو هذا أكثر فيما يختص بالعلاقات المكانية مع دول الهامش الآسيوي، أي دول المحيط الهادي. وأن كانت العلاقات السياسية مازالت من العوائق، فعلاقات الصين مع كوريا الشمالية أصابها الوهن لاعتقاد النظام في كوريا الشمالية أن الصين حادت عن الطريق الصحيح (الاصلاحات الاقتصادية) وإن كانت العلاقات مع كوريا الجنوبية قد ازدادت توثقا بعد طول انقطاع. كما تغلغل رجال الأعمال والاستثمارات اليابانية فيها، ولأول مرة في تاريخ الصين، لم تعد الصين قريبة من أكثر الدول تقنية، وقوة مالية فحسب، بل أيضا فتحت أبوابها لمشروعاتهم، وفتحت أذهانها لأفكارهم.

الانفتاح على الخارج :

تحول الأمر ووجد حكام الصين في العقدين الأخيرين أن في الانفتاح عن العالم الخارجي سيكون مفيدا، وكانت زيارة الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون عام ١٩٧٢ بداية ففتح الأبواب، ومن ذلك التاريخ فتحت الصين أبوابها المغلقة أمام السائحين. والمستثمرين والخبراء، ورجال الأعمال.

اتخذت الصين منذ عام ١٩٧٨ سياسة " اقتصـاد السـوق الاشـتراكي أو اشتراكية ذات خصائص صينية "وبدأوا سياسة إقامة مناطق اقتصادية خاصـة فـي مناطق مختارة من الصين. حتى أصبح عددها الآن نحو ٢٠ منطقة، وتختلـف إدارة هذه المناطق عن إدارة بقية الصين، في منح القائمين عليها سـلطات وصلاحيـات إدارية واقتصادية واسعة وللسماح لها بإدارة اقتصادها دون تدخل الدولة، واستخدام آليات إدارية جديدة بعيدة عن نمط الإدارة الاشتراكية والتخطيط المركزي الذي عرف به النظام الشيوعي، ويرون أن الفكرة هي البدء بالإصلاح الاقتصادي فـي منـاطق ومدن مختارة حيث ترمي الدولة بكل ثقلها الاقتصادي خلفـها وبفتحـها للاسـتثمار المحلي والأجنبي بتسهيلات مغرية، بغرض تحويلها إلى بؤر اقتصاديـة وصناعيـة تدفع بحركة الصادرات إلى الأمام، على أن تقوم هذه المناطق بعد غناها بمسـاعدة المناطق الداخلية حتى يتم في عقود قليلة النهوض بكل الصين، وقد نجحت فعلا هـذه المراكز الاقتصادية الجديدة. ودبت فيها الحيوية الاقتصادية.

القوة الاقتصادية :

أصبحت القوة الاقتصادية للصين واقعا عالميا يظهر عبر صـادرات تـزداد سنويا بنحو ١١%، وتنتج فائضا تجاريا مع الولايات المتحدة الأمريكية وقـدرة ٤٠ مليار دولار عام ١٩٩٥. ويرتكز هذا الفائض على إنتاج جيد ومتنوع خاصـة فـي السلع الاستهلاكية، وعلى معدل أجر منخفض قدرة ١٠٠ دولار شهريا، مما يسـمح بزيادة صادرات الصين مستقبلا وخاصة في قطاع الإلكترونيات والسـيارات والآلات وأجهزة الاتصالات والطائرات. فسوق الصين سوقا ضخمـة تجـذب الاسـتثمارات الأوربية، فضلا عن أن المنتجات الصينية الرخيصة تغزو أسواق العالم.

والحقيقة تشهد الصين تحولا في خريطتها الاجتماعية وواقعها الاقتصـادي، وبفضل السياسة، انتقل ما يقرب من ١٥٠ ــ ٢٠٠ مليون صيني (نصـف سـكان أوربا تقريبا) من دائرة الفقر المدقع، وتضاعف ثلاث مرات متوسط الدخل الفـردي لما يقرب من ثلاثة أرباع سكان الصين، وازداد دخل سكان المدن بوجه خاص مـع نمو الاقتصاد سنويا بمعدل ٨% على مدي الخمس عشر سنة. وبحيث تعتبر الصيـن

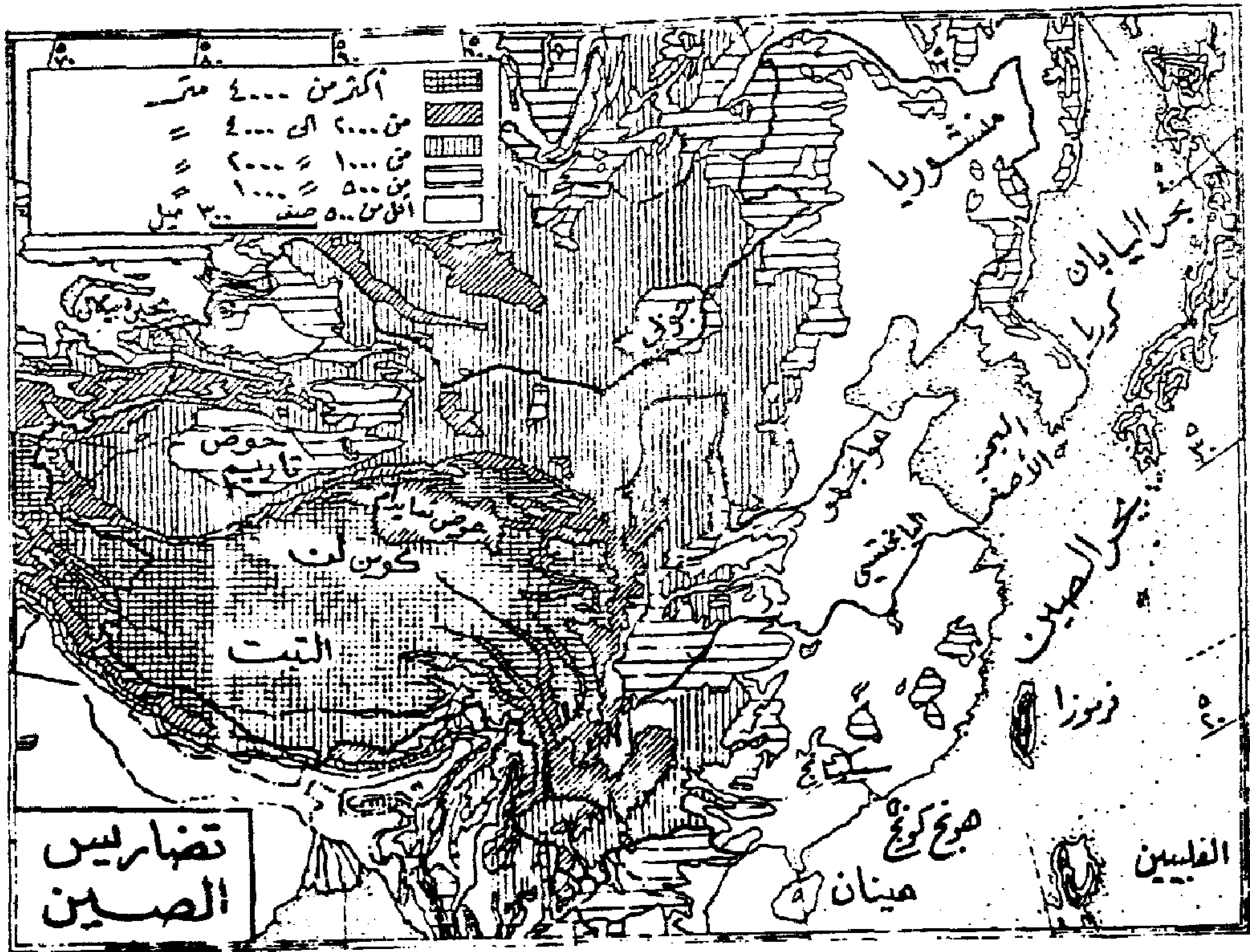
الآن واحدة من أكبر عشر اقتصادات عالمية، وبفضل هذا التحول لم تلحـق الصيـن بالمجتمع العالمي فحسب، بل شهدت انفتاحا غير مسبوق وباستمرار هـذا الاتجـاه أصبح الرأسماليون الصينيون والمستثمرون الأجانب يديرون اكثر من ربع النـاتج المحلي، كما جذبت الصين أكثر من ٤٠ مليار دولار من الخارج، وأصبحت الصيـن قوة منيعة في التجارة الخارجية، وقوة تصديرية تحتل المركز الحـادي عشـر فـي التجارة الدولية.

فزيوغرافيا :

تحتل هضبة التبت جزءا كبيرا من مرتفعات غربي الصين، وهـي هضبـة ضخمة يربو ارتفاعها على الثلاثة آلاف متر، وتمتد منها السلاسـل الجبليـة نحـو الجنوب الشرقي والشرق إلى الصين (الهيمالايا). وتمتد صحراء تاريم إلى الشمال من التبت. وهي حوض منخفض شديد الجفاف جنوبي سنكيانج، يحده شمالا سلاسل تيان شان. وإلى الشمال الشرقي من حوض تاريم تمتد سهوب زونجاريا في شـمال سنيكانج ومنغوليا الداخلية والخارجية. ويمثل سور الصين العظيـم الـذي يفصـل منغوليا الداخلية عن الصين الأصلية فاصلا مناخيا إلى جانب كونه حدا سياسيا قديمـا ذلك أنه إلى الجنوب والشرق من هذا السور يسقط قدر مناسب من المطر كاف لقيـام الزراعة. بينما لا تسقط نفس الكمية في منغوليا الداخلية، فضلا عن أنها اكثر ذبذبة.

وتتكون منشوريا في الشمال الشرقي من سهول متموجة جيدة الصـرف تمتد لمسافة ١٠ آلاف كم من الشمال إلى الجنوب، بينما تتراوح بين ٥٠ ، ١٥٠ كم من الشرق إلى الغرب، وتحيطها الأراضي الوعرة فـي معظـم جهاتـها. وتحيـط المرتفعات بجنوبي منشوريا على هيئة سلاسل جبلية وتلال، كامتداد لهضبة التبـت ولكنها بتقدمها نحو الشرق يقل ارتفاعها وتنقسم إلى سلاسل فرعية.

ويغلب الارتفاع على سطح الصين الجنوبية أيضـا، ولا تظـهر الأراضـي المنبسطة في الصين إلا في مساحات محدودة. وتنبع ثلاثة أنهار من الغرب متجهـة نحو الشرق وهي الهوانجو (الأصفر) مـن الشـمال واليانجسـتي فـي الوسـط، وسيكيانج من الغرب في الجنوب، وتكون هذه الأنهار سهولا فيضية فـي مجاريـها الدنيا، ولعل أكثرها اتساعا هو سهل الصين الشمالي الذي تبلغ مساحته نحو ثلاثـة أرباع مليون كم٢.



شكل رقم (١١)

ولعامل التضاريس أثره لا في السكان ولا في اقتصادهـا بـل أيضـا فـي جغرافية الصين السياسية كما هو الحال في بقية أنحاء العالم، وذلـك لأثـره علـى توزيع السكان وطرق النقل. فهناك بعض المناطق الزراعية التي تبلغ كثافة سـكانها ألفى نسمة في كل كم٢، والتي تدل على الاستغلال الزراعي الكثيف، بينمـا وجـدت جيوب المقاومة والثورات المحلية في التلال والجبال مكانا لها ومستقرا، مـن ثـم كانت العوامل التي تضعف في كيان البلاد، وتصعب عمليات التوحيد السياسي.

الصينيون

أبرز حقيقة عن الصين سكانها، فالصين هي سكان قبل أن تكون شيئا آخر، اقوى قوة ديموغرافية في العالم.

البناء الاجتماعي :

ويتكون ٩٤% من الوطنيين أو الهان Han، وهذا التعبير يقصد به الـهان الشماليين Hanjen، والتانج جن Tang Jen أو اهالي كانتون، ويوجد معظمـهم في الصين الأصلية وفي الشمال الشرقي أي في منشوريا، وان كان توزيعـهم غـير متساوي، حيث يتركزون بكثافة عالية في الأوديـة النهريـة والسـهول الخصبـة، كالسهل الشمالي الصيني والحوض الأحمر، وحوض اليانجستي الأوسط، وسـيكيانج الأدنى بحيث تصل الكثافة في المناطق الريفية إلى ٢٥٠٠ نسمة في كل كم٢، وهـذه أكبر كتلة متجانسة في الصين، في أفكارها وتقاليدها وثقافتها، ورغم تعدد اللـهجات بين الأقاليم المختلفة بحيث تفهم لهجة إقليم في إقليم آخر، إلا أن اللغـة المكتوبـة مفهومه للجميع، وباستثناء الهوي Hui المسلمين الذين يعيشون في إقليم كانسـو ويبلغون نحو ٥ مليون نسمة. فلا توجد أقليات دينية في الصين.

أما الاقليات الصينية فهي القبائل التي قاومت زحف الهان أثنـاء تقدمـهم جنوبا. لذلك اضطرت إلى الالتجاء إلى المناطق الجبلية المنعزلة، لازالت هذه القبـائل محتفظة بشخصيتها وفرديتها من القرون الماضية حتى وقتنا الحاضر. وقد سـجلت

على أنها اقليات قومية National Minorities، وهـي تؤلـف نحـو ٦% مـن السكان. ومن بين الاقليات الصينية سكان التبت، والمغول، والكوريين، ونظرا لقلـة عددهم بالنسبة للمحيط الصيني الكبير، فلا يمثلون مشكلة سياسية.

سياسة الطفل الواحد One Child Policy

ذكرنا أن عام ١٩٤٩ كان الفيصل بين عهدين، العهد الإقطاعي القديم حيث الفقر والأمراض والمجاعات والفيضانات والأمراض التي كانت تفتك بالسكان بـدون أي مساعدة من الدولة، وكانت السلطة والثروة في أيدي الإقطاعيين، وكانت الأطفال تباع، والبنات تشتري، وحتى بعد وصول الأوربييـن ازداد الأمـر سـوءا، ازدادت المجاعات والعشوائيات بالنسبة للسكان المهاجرين إلى المدن ذلك عهد فـرق بينـه وبين عهد ما بعد عام ١٩٤٩ حين هاجم هذا النظام الضعف الصينـي مـن جميـع الجهات، واستفاد من كل القوي المنتجة المتاحة، صودرت الأراضي من الإقطاعيين، أنشئت المزارع الجماعية. بنيت السدود والقناطر، خف خطر المجاعات، وتحسـنت الأحوال الصحية، ولكن نظام ماوتسي تونج عارض فكرة تحديد النسل مع انخفاض نسب الوفيات، أصبح هناك انفجار سكاني في عهده وبدأت سياسة الحد من الزيـادة السكانية بعد وفاته عام ١٩٧٦ باتخاذ سياسة الطفل الواحد للأسرة. واتخـاذ كافـة الإجراءات، ومنها العنيفة كالإجهاض وذلك للإبقاء على هـذه السياسـة وصـدرت العقوبات على العائلات التي يزداد أطفالها على أكثر من واحد، منها الحرمـان مـن مزايا ضريبية وفرص تعليمه، وإسكان.

وإذا كان هذا البرنامج قد لاقي قبولا، فمع ذلك كانت له سلبياته. فقد تعددت حالات الإجهاض، ومنها وأد البنات لأن الأسرة تريد طفلا ذكـرا أو إخفـاء الطفـل الثاني أو الثالث، وذلك بإرساله إلى الأقارب في الريف، ولكن إذا ما اكتشف أعضـاء الحزب هذا، يمكن أحيانا إحراق مساكن الأبوين، وأن كان بدأ تخفيف حدة الموضوع بعد أن ذاع في العالم خبر هذه العقوبات. وأجريت عمليات تعقيم لنحـو ٢٠ مليـون نسمة ذكورا وإناثا في الثمانينيات. على أن هناك استثناءات محدودة فيمـا يخـص سياسة الطفل الواحد. فالمزارع الذي يولد له بنت يسمح له بإنجاب طفل آخر بعد ٤

سنوات. وبعض المزارعين يتحملون الغرامة المفروضة لمخالفة القانون، كما يسمح القانون أيضا لصيادي الأسماك وبعض المزارعين بالطفل الثاني لحاجة العمل. وبعد أن تقدم الأسرة الريفية طلب تصريح بطفل ثاني إذا كان الطفل الأول أنثي، هـذا ولا يسرى هذا القانون على مناطق الاقليات كالتبت، سنكيانج.

وبدأت الصين تشهد تغيرات خطيرة في معدلات الوفيات نتيجة التقدم الطبي في الربع قرن الأخير. وقد ظهر من الأبحاث التي أجريت في الصين للفترة بين ١٩٣٣، ١٩٣٦، أن معدل المواليد كان ٤٠ في الألف، ومعدل الوفيات ٢٧ في الألف. أي أن الزيادة الطبيعية كانت ١٣ في الألف. وقد انخفضت نسبة المواليد إلى ١٨ في الألف والوفيات إلى ٦ في الألف. أي أن الزيادة السنوية هبطت إلى ١٢ في اللف عام ١٩٩٧.

على العموم إذا افترضنا أن الزيادة السكانية تستمر على ١٢ في الألف سنويا فمعناه أن الصين تزيد سنويا بنحو ١٥ مليون نسمة أو أن هناك زيادة سنوية قدرها ١٠٠ مليون نسمة كل ست أو سبع سنوات.

ومن الملاحظات التي تدل على نجاح سياسة تحديد النسل أيضا أن نسبة من هم دون الخمسة عشر عاما تبلغ ٢٧% فقط، أي أن القاعدة ليست عريضة، كذلك زيادة الذكور على الإناث، إذ يزيد عدد الأطفال الذكور على الإناث بنحو ٣٠٠ ألف طفل سنويا.

السكان والأرض :

من خريطة توزيع السكان تظهر العلاقة المستمرة بين الظروف الطبيعية وسكانها، في الدول المتقدمة وجدنا أن علاقة السكان بالأرض الزراعية قد وهنت واتجه الناس إلى الحواضر، آملين في دخل أكبر، وهذا معناه إخلاء الريف من سكانه الذين كانوا في وقت ما سبب ازدحامه، ولكن الصين مازالت بعيدة عن هذه المرحلة، وإن كان هذا لا ينفي أن هناك مدنا كبيرة وكثيرة، ولكنها كالهند تماما ٧٠% من سكانها مازالوا ريفيين يعيشون على الأرض ذاتها، ومن ثم تظهر خريطة توزيع

السكان أهمية وإنتاجية أحواض الأنهار والسهول الصينية.

وتدل الخريطة على أن الصينيين استطاعوا التغلب كثيرا علـى صعوبـات البيئة، يتمثل في تصنيع شمال شرقي الصين، مشروعات الري في منغوليا الداخليـة، واستخراج البترول من سنكيانج، مما أدي إلى هجرة ملايين الصينييـن إلـى هـذه الأقاليم الخارجية، حتى أنـهم الآن فـاقوا السـكان الأصلييـن عـددا ومـع ذلـك فالفزيوغرافية والديموغرافية مازالا مرتبطان بعضهما ببعض، فنجد أحيانا الازدحـام السكاني مرتبطا بالأودية النهرية هذا واضح مثلا في الشريطين اللذين يمتـدان مـع نهري سونجهوا، ولياو في الشمال الشرقي، وفـي حـوض سشـوان (الأحمـر) يانجستي الأوسط، حيث توجد دائرة مزدحمة بالسكان.

أقاليم الكثافة السكانية المرتفعة :

وأخيرا لبيان أهمية أودية الأنهار يمكن أن نقول أن ثلاثـة أربـاع سـكان الصين يتجمعون في : ـ

١ ـ سهول نهري لياو / سنجهوا في الشمال الشرقي.

٢ ـ الجزء الأدنى من حوض نهر هوانجهو (النهر الأصفر) والمعـروف بسهول الصين الشمالية.

٣ ـ الحوض الأوسط والأدنى لنهر يانجستي.

٤ ـ حوض نهر سيكانج في الجنوب.

٥ ـ السواحل الجنوبية الشرقية.

وأن كنا من المهم الإشارة إلى أنه ليس كل من يعيش في هذه الأحـواض النهرية هم فلاحون، فمدن الصين الكبرى نشأت في هـذه الأحـواض أيضـا، مـن المراكز الصناعية في أقصى الشمال الشرقي إلى الهامش الباسفيكي، فالجنوب.

وفي الحق أن أنهار الصين الكبرى وروافدها هي أقطاب الجذب البشري بامتياز (ماء وتربة) والهوانجهو بحجمه وضخامة حوضه، يشير فورا إلي تربة اللويس الشهيرة التي تغطي شمال غرب الصين، وتغطي السهل الأصفر (في أدناه لونه أصفر)، وهذه التربة خصبة جلبتها الرياح من داخل القارة.

ويأتي اليانجستي أطول انهار الصين، وحوضه الذي لا يعتبر من أغني مناطق الصين فحسب، بل وفيه العاصمة القديمة، نانكين، وشنغهاي أكبر المدن الصينية ألان.

وكذلك يعتبر سنيكيانج هو قطب الجذب البشري والاقتصادي في جنوبي الصين. وينفصل حوضه عن اليانجستي بواسطة هضبة جنوبي الصين المرتفعة.

وتزداد أهمية هذه الأنهار في الجذب البشري إذا علمنا أنها ورافدها تتقارب أحيانا. ونظرا لصلاحية معظمها للملاحة، فقد شقت فيها القنوات رابطة بينها كما هو الحال في القناة العظمي التي تصل الهوانجهو واليانجستي. ولفرط استخدام هذه الأنهار في الملاحة يطلقون على الطرق البرية الطرق الجافة!

الحضرية في الصين :

تمر الصين خلال مرحلة تحول حضري لم يشهد تاريخها مثيلا لها من قبل، فهناك ٣٠% من سكان الصين يعيشون في المدن ويقدران هذه النسبة ستزداد في المستقبل غير البعيد لتبلغ نحو ٥٠%. وقد عملت حكومة الصين محاولات للحد من التدفق من الريف إلى الحضر وخاصة المدن الكبيرة كشنغهاي وبكين وكانتون وذلك باتباع وسيلتين، الأولي وهي تشجيع نمو المدن الصغيرة والمتوسطة الحجم والثانية وهي بطاقة " الهوكو "، وهي بطاقة يحصل عليها المواطن الذي يريد الهجرة إلى أماكن أخرى في الصين، وتصرف له من موطنه الأصلي وتمنحه حق الحصول في الموطن الجديد على تصاريح تموين الأرز واللحم والثياب القطنية، ومع ذلك فهناك ملايين المهاجرين الذين يعيشون في المدن بدون " هوكو "، والحياة بالنسبة لهؤلاء تعتبر شاقة. وفي بعض الأحيان يسكنون في مخيمات تقرها البلديات.

وتأتي شنغهاي على رأس المدن المليونية في الصين والتي تبلغ ١٤ مدينة، ذلك أن عدد سكان شنغهاي يزيد على ١٦ مليون نسمة، من كبرى المراكز الصناعية في العالم. خاصة في صناعة الصلب، والصناعات الميكانيكية التي تنتج الآلات للمصانع، وكيماويات بترولية. وبناء سفن، وطائرات، ومنسوجات، والإلكترونيات. هذا ويشمل تجمع شنغهاي، شنغهاي المدينة، وسبع مدن صناعية تابعة، وبضع بلدان صغيرة مجاورة.

تأتي بكين العاصمة بسكان يبلغون نحو ١٣ مليون نسمة، وهونج كونج ٦ مليون نسمة من ثم لا توجد نواة سكانية واحدة في الصين، وإنما عدة نوايات هكذا تصبح متوسط الكثافة في هذه الأجزاء ما يزيد قليلا على الألف نسمة للكم٢، ولكن ترتفع في بعض الأحيان إلى الألفي نسمة. على حين أن في غربي الصين حيث الكتل الجبلية الوعرة والشديدة البرودة، والجفاف تنخفض الكثافة إلى أقل من ٢٥ نسمة للكم٢، بل وقد تصل إلى نسمة أو أقل كما في هضبة التبت وسنكيانج.

وفي الحق لا يمكن للمسافر في الصين الا أن يلحظ ضغط السكان على الأراضي الزراعية، وحتى في الجهات البعيدة في الداخل، والتي قد يقطع المسافر فيها كيلو مترات عديدة دون أن يظهر فيها مسكن واحد، يشتد التزاحم بمجرد ظهور الأرض الصالحة للزراعة. وقد دفعت المجاعات والغزوات وعدم الاستقرار السياسي ـ دفعت الصينيين في كل ركن يحسون أنه قد يقيم أود الحياة من ثم لا توجد أراضي خصبة لم تستغل بعد حتى في الجهات الداخلية البعيدة.

غير أنه لا يمكن ذكر سكان الصين في الداخل، وإغفال المغتربين لما لهم من أثر في النشاط الاقتصادي خارج الصين وداخله وكذلك أثارهم السياسية في البلاد المضيفة.

الصين مهد للزراعة

كانت الصين مهدا لحضارة زراعية منذ أربعين قرنا وكان السكان يستغلون الأرض الزراعية بنفس الطريقة التي يزرعون بها في القرن العشرين. ويحصلون

منها على محصولين أو أكثر في العام.

خصائص الزراعة الصينية والعوامل المؤثرة :

- يختلف المظهر الزراعي للصين من مكان إلى مكان، فتختلف زراعة الواحات في سينكيانج عن زراعة الأودية الجبلية في التبت، عن زراعة الأقاليم الساحلية الرطبة، ورغم هذا فتشترك الأرض الزراعية في الصين بأنها تزرع زراعة كثيفة، ذلك أن متوسط كثافة السكان في الأرض الزراعية هي ٢٠٠٠ نسمة للكم٢، بينما تبلغ ٣٠٠٠ نسمة في بعض المواضع الأخرى.
- تمد الحبوب الصينيين بنحو ٩٠% من غذائهم، بينما لا تمثل اللحوم والفاكهة والخضروات إلا قدرا ضئيلا من هذا الغذاء.
- تتميز المزرعة الصينية بصغر المساحة بمتوسط يتراوح بين ٣،٢ فدان وبالتالي فهي زراعة كثيفة، وتعطي المزرعة الصينية إنتاجا وفيرا للفدان نتيجة للجهود البشرية الكبيرة التي تبذل فيها.
- تعتمد نصف الأراضي المزروعة على الري، ومعظم هذه الأراضي المروية مزروعة أرزا. وتزرع الصين العديد من الغلات الأخرى، ولكن ما يميزها عن جهات أخرى هو عدم التنوع الكبير للغلات الزراعية. ويأتي الأرز والقمح على رأس الحبوب. والقطن كالخامة الأولى للمنسوجات، وهناك مجموعة أخرى من الغلات الغذائية كفول الصويا والذرة الرفيعة والذرة العريضة والشعير والبطاطا والفول السوداني، ومن الزراعات البارزة أيضا الأفيون، والتوت بتغذية دورة القز عليه، هذا فضلا عن الشاي والطباق.

المناخ والزراعة :

يعكس مناخ الصين أثر الموقع الجغرافي في أقصى شرقي اكبر كتلة من اليابس. فتهب الموسمية الصيفية حاملة بخار الماء من الجنوب الشرقي. بينما تهب الرياح القارية بقية العام. وتسقط أمطار كافية للزراعة على شرقي الصين بما فيه

منشوريا، بينما يعاني وسط وغربي الصين ومعظم التبت وسنكيانج ومغوليا الداخلية إلى جانب وعورة السطح، الجفاف فيقل المطر عن ٥ سم والمناخ الشديد البرودة، مما يؤدي إلى تحديد المساحات الزراعية.

وتتميز الصين الجنوبية بمناخها شبه المداري وبأنها أرض الأرز، فضلا عن الشاي، والحرير، كمنتجات ثانوية، كما أن المزارعين هنا أكثر انتعاشا من رفاقهم في الشمال، ويتميز الجنوب أيضا بقيام حرفة الصيد البحري على نطاق كبير، فضلا عن اتصالاته الخارجية الواسعة، ذلك أن معظم مهاجرى الصين من ذلك القسم من البلاد.

وتتميز الصين الشمالية بمناخها المنخفض الحرارة وبإنتاجها للقمح والذرة الرفيعة والحبوب الأخرى. فضلا عن القطن والدخان. كما أن ظاهرة الفيضانات الطارئة أكثر حدوثا هنا عنها في الجنوب، وبينما يتجه جنوبي الصين نحو البحر، يتجه شمالي الصين نحو اليابس.

على أن هذه البساطة التي عرضنا بها الظروف الطبيعية. لا ينبغي أن تنسينا ذلك التنوع الهائل. وتلك الاختلافات المحلية، كما في حوض اليانجستي في وسط الصين، وسهول منشوريا في الشمال الشرقي، والمرتفعات الجنوبية والجنوبية الشرقية، ففي هذه الدولة التي تتسع مساحاتها لتبلغ ٩,٥ مليون كم٢، نجد أن عوامل السطح، والتربة تؤثر في الإنتاج الزراعي، وأن كان عامل المناخ هو العامل الأكثر ضبطا للزراعة خاصة من حيث أنواع المحاصيل، فهي من محاصيل المنطقة المدارية إلى المنطقة المعتدلة الباردة في الشمال، والمنطقة القارية الجافة في وسط (غربي الصين).

المحاصيل الزراعية :

تزرع الصين محصول الأرز وهو بطبيعة الحال من أهم الغلات الزراعية في الصين بل في آسيا الموسمية بأسرها، حيث أنه يحتاج إلى درجات عالية من الحرارة ومياه وفيرة سواء من المطر أو من الري وهكذا فالأرز في الصين يتركز

في المناطق التي يزيد فيها المطر على ١٠٠ سم في السنة. أما في شمال الصيـــن حيث يقل المطر عن ١٠٠ سم فإن القمح والشعير أو الدخن يأخذ مكان الأرز، ومـــن الضروري أن ترتفع الحرارة ارتفاعاً عظيماً في فصل النمو فإذا طال فصل الحــرارة والأمطار تمكن الصيني من زراعة المحصول مرتين وربما ثلاث مرات كما هو الحال في جنوب الصين حيث يزرع أرز السهول في إقليم يكاد سطحه يكون تام الاســتواء ويميل ميلا بسيطا جداً بحيث لا تنصرف المياه عنه بسرعة.

ويمثل وسط الصين زراعة أرز الأحواض أحسن تمثيل، ففي بادئ الأمر تعد الحقول، والقنوات والمصارف، ويسوي السطح وتبذر الحبوب في أحواض ذات تربة مخصبة تخصيبا جيداً بالسماد، وتكون هذه البذور من الكثرة بحيث تكاد تغطي التربة تماماً. ثم تغرس قليلا في التربة وكثيراً ما يحدث أن تغطي الأحواض فـــي المســاء بماء معطن يصرف في صباح اليوم التالي لكي يتخلل التربة ضوء الشمس والـــهواء النقي.

وبعد حوالي شهر تغرس شتلات الأرز الصغيرة في حقول أوســـع واكــبر تكون قد زرع فيها نبات سريع النمو كالقمح الشتوي. وهكذا يكون الصيني قـد زرع غلتين في نفس الحقل، وقبل نقل الأرز الصغير إلى هذا الحقل يكون قـــد اعـد لـــه بالحرث والتخصيب حتى تستطيع الجذور أن تمتد في التربة، ثم تغرس الحشائش في صفوف وتطلق المياه في الحقل.

وقبل موسم الحصاد الأرز تصرف المياه من الحقول لتجف مما يساعد على نضوج المحصول وفي هذه الأثناء (موسم النضوج) يمكن زراعة محصولات أخرى بين صفوف الأرز. ومن ثم يستخدم الصيني الأرض الواحدة لإنتاج ٣ غـــلات فـــي موسم واحد.

هذه هي الطريقة التي توارثها الزراع في الصين جيلاً بعد جيل ولذلك فمـــن الصعب استخدام الآلات الزراعية الحديثة خصوصاً وان الأحواض صغيرة المســاحة، وتكاد تكون الجاموسة هي الحيوان الوحيد الصالح للاستخدام.

وهكذا فالأرز هو أهم محصولات الصين بلا نزاع، ونجاح المحصول أو عدم نجاحه يتوقف عليه رخاء مئات الملايين من الناس خصوصاً إذا عرفنا أن حوالي ٢٥% من الأراضي المزروعة في الصين تزرع أرزا. على إننا يجب أن نشير إلى الأسباب التي تجعل للأرز هذا المركز الممتاز، وتتمثل في أن الأرز غلة تنضج بسرعة ولا تشغل الأرض إلا فترة قصيرة، وأن هذا النبات يمكنه أن ينمو في ظل الظروف المناخية التي تسود الصين بوفرة الحرارة والأمطار بالإضافة إلى التربة الخصبة .. كل هذه العوامل متوفرة في جنوبي الصين بوجه عام. كما الأرز يزرع في الأرض الواحدة السنة تلو الأخرى دون أن يؤدي هذا إلى أنهاك في خصوبة التربة بعكس الغلات الأخرى. كما أن نسبة المادة الدهنية والبروتينية في الأرز قليلة ولذلك فمن الميسور تخزينه دون أن يناله العطب، ولحبة الأرز غلاف يلتصق تماماً وهذا مما يساعد أيضاً على حفظ الأرز حتى في الجهات الرطبة، ولا يناله العطب.

وعلى هذا الأساس يبدو لنا أن الطبيعة منحت الأقاليم هنا الأرز بهذه المميزات ليتسنى للملايين أن تجد غذاءها وأن تخزن الفائض.

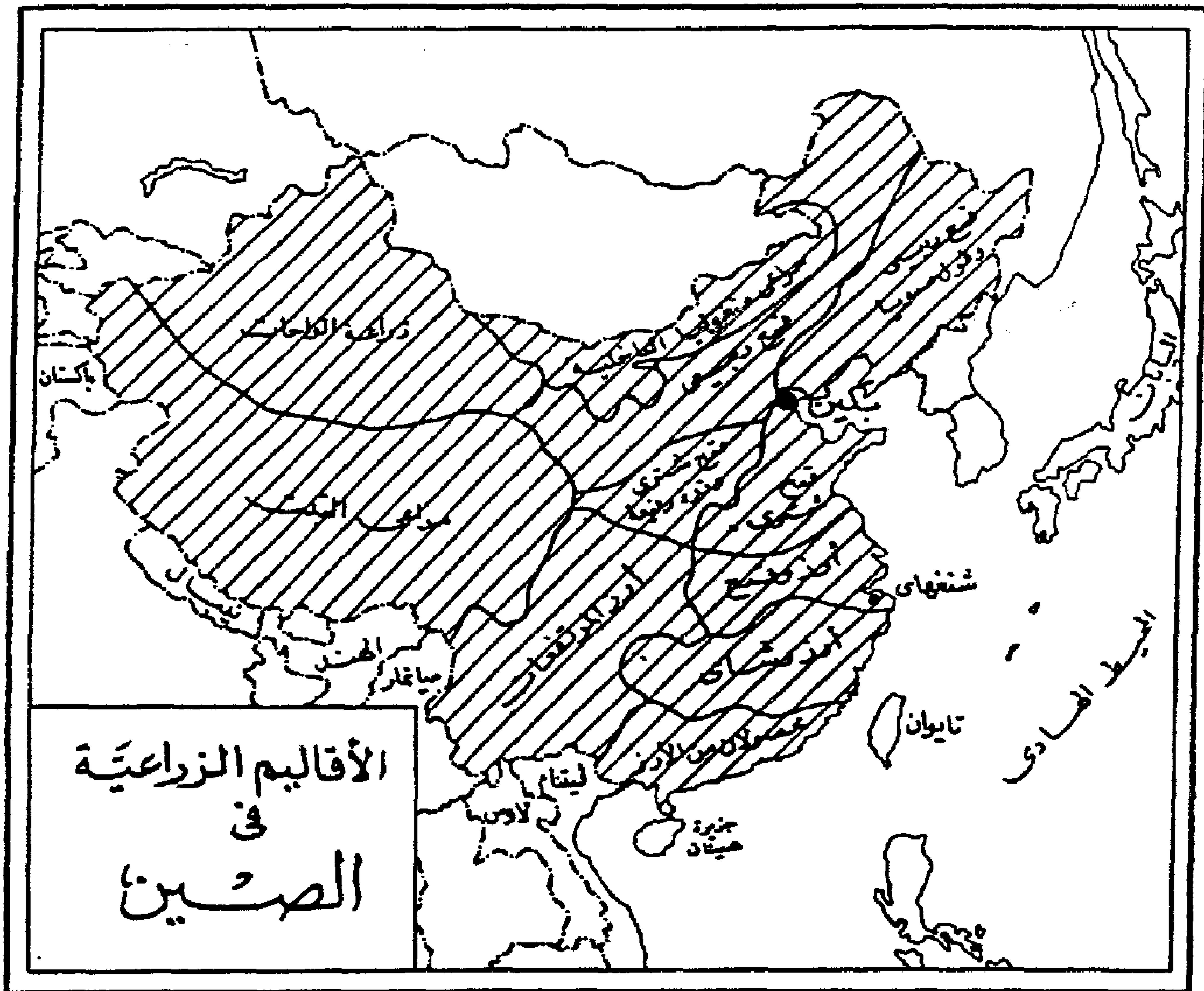
وعلى الرغم من الصين هي المنتج الأول للأرز إلا أنها كانت حتى الخمسينيات الأولي لا تكفي نفسها ذاتياً وتضطر للاستيراد من الخارج خصوصاً من الصين الهندية وتايلاند. يلاحظ أن مركز الصين قد تغير. فبعد أن كانت الصين تستورد الأرز أصبحت الآن تكفي نفسها بل هناك بعض الفائض، حتى أن الصين حالياً تأخذ المركز الخامس بين الدول المصدرة للأرز.

وبالرغم مما تشتهر به الصين من زراعة الأرز واستهلاكه إلا أنها أيضاً من الدول الكبرى في إنتاج القمح، بل أن متوسط المساحة المزروعة قمحاً تفوق مساحة الأرز فالأولي تبلغ حوالي ٥٠ مليون فدان والثانية ٤٥ مليون فدان.

والإقليم الذي يشتهر بإنتاج القمح في الصين هو السهل الشمالي في حوض الهوانجهو ولكن زراعته. تمتد إلى الشمال وإلى الجنوب من ذلك الحوض. حيث يزرع القمح الربيعي. أما في الجنوب فيزرع القمح الشتوي بعد الانتهاء من حصاد

الأرز. وتعتمد زراعة القمح على الأمطار ويتأثر إنتاج القمح بالزيادة أو النقص تبعاً لكمية المطر. ويزرع القمح في الصين الشمالية لأنه يمتاز من النباتات الشديدة التحمل من حيث درجات الحرارة فيمكن زراعته في أجواء أبرد من التي تستطيع غلات كثيرة أخرى النمو فيها.

يتعرض إنتاج القمح في الصين لمنافسة الأرز فالأرز يغلب على في المناطق الجنوبية بينما يعتبر القمح الغلة الرئيسية في المناطق الشمالية، ويلاحظ أن الشعير يزرع في السهل الشمالي بجانب القمح فظروف إنتاجهما تقريبا واحدة. مع قدرة الشعير على تحمل جفاف أكبر.



شكل رقم (١٢)

ويلاحظ أن نصيب الصين من الذرة ضئيل بالنسبة للأرز والقمـح. وربمـا كان قلة المحصول في الصين من الذرة يرجع إلى أن هذه الغلة لا تستخدم في الغذاء البشري مباشرة، وبالتالي فالطلب عليها محدود. وربما إلـى أن التربـة الخصبـة الموجودة هنا تخصص لإنتاج الغلات الأخرى المحبوبة للصينيين كـالأرز، ويـزرع الذرة في شمال الصين حيث المناخ المعتدل البارد نسبيا وفوق التلال والمرتفعات.

وتحتل الصين المرتبة الأولي في إنتاج الشاي حيث كانت الموطن الأصلـي للشاي فقد كانت تجارة الشاي بجانب الحرير أهم السـلع بالنسـبة للصينييـن فـي تاريخهم الطويل. ويحتاج الشاي لأيدي عاملة سواء في فلاحته أو في جمعه وهـذا فيما يبدو العامل الرئيسي لأن هناك جهات كثيرة تتوفر فيـها الظـروف الطبيعيـة الملائمة لزراعته، ولكن يحول دون التوسع في هذه الزراعة أحيانـا قلـة الأيـدي العاملة كما يحتاج الشاي إلى مهارة خاصة، فالأوراق تحضر فـي حجـرات لعـدة ساعات ثم تجفف في الأفران لبضع دقائق ويفرز الشاي ويشحن للتصدير.

تحتاج شجيرات الشاي لمناخ حار وتربة جيدة لصـرف الميـاه والصـرف عامل مهم لذلك فزراعته على سفوح المرتفعات وليس على السهول، ولذلك فالشـاي ينتج في الصين في وادي اليانجستي والجزء الشمالي من وادي سيكيانج. (الصيـن الأوسط والجنوبي) كما أن معظم الشاي ينتج في مزارع صغـيرة. فعمليـة إنتـاج الشاي في الصين عملية تقوم بها العائلة.

وتشتهر الصين بزراعة فول الصويا، وهو نبات بقولي (يشبه الفاصوليـا) وتتركز زراعته في الشمال الشرقي للصين، وأنواعه جيدة غنية بالزيت، ويزرع معه أيضا الفول السوداني. وقد ساعدت الظروف الطبيعية على تركيز الشاي في الصيـن وفي جهات جنوب شرق آسيا عموماً.

وتعتبر الصين ثالث دول العالم في إنتاج القطن في العـالم بعـد الولايـات المتحدة الأمريكية. وبالرغم من عظم الكمية التي تنتجها الصين فإنها لا تبرز بيـن الدول المصدرة لأن الصين تستهلكه محلياً بعد أن قامت الصين بحركـات التصنيـع

الهائلة بعد الثورة الشيوعية، وأن صدرت منه فعلي هيئة ملابس. والقطن الصيني قصير التيله هذا ويتركز إنتاج القطن الصيني في مناطق السهل الشمالي للصين والصين الوسطى.

ويعتبر وادي اليانجتسي أهم أقاليم إنتاج القطن بالصين وهو يزرع كمحصول ثان في أثناء جمع غلة شتوية كالحبوب مثلا أو حتى قبل حصادها، أما مساحة الأراضي القطنية فتتراوح كثيراً باختلاف أسعارها ذلك لأن أراضي المزارعين لإنتاج القطن من اجل شراء مواد الطعام بأثمانه. هذا وتتشابه زراعة القطن في الصين مع زراعة الأرز في اعتمادها على الأيدي العاملة، فهما من المحاصيل التي لا تنجح فيها الآلات فيقدر أن ما تستخدمه الآلات في إنتاجه لا يزيد على ١/٥ المساحة في الولايات المتحدة المزروعة قطناً. ويتشابه المحصولان في نظام الزراعة الكثيفة والمزارع.

والصين هي بلاد الحرير من قديم الزمان. وليس الحرير أليافاً نباتية غير أن اعتماد دودة القز على أوراق أشجار التوت كبيرة لدرجة تجعلنا نضعه في قائمة الألياف النباتية. ومما ساعد على انتشار زراعته في الصين أن هذه الشجرة تستطيع أن تنمو في الأراضي الفقيرة المضرسة التي لا تصلح عادة لزراعة محصولات أخرى وبذلك تترك الأراضي الخصبة الجيدة لإنتاج الغلات الرئيسية الأخرى، كما أن تربية دود القز واستخراج خيوط الحرير هي عملية عائلية، يقوم بها أفراد الأسرة إلى جانب أعمالهم العادية. خاصة الأولاد وكبار السن. ويتركز الإنتاج في حوض اليانجتسي العظيم، وفي الأقاليم الساحلية في غرب وجنوب شنغهاي، وهناك أيضاً إنتاج كبير عند مصب سيكيانج حول كانتون وفي شبه جزيرة شانتنج.

الثروة الحيوانية والسمكية :

تفتقر الصين إلى المراعي الطبيعية الجيدة التي يقتصر وجودها على المناطق الشمالية الغربية وفوق بعض السفوح الجبلية في الغرب. ولم يهتم زراع الصين كثيراً بتربية الماشية لأن ذلك سيكون على حساب الأرض المنزرعة، بينما يبذل الزراع أقصى الجهد والعناية لإستغلال كل بقعة من الأرض (وخاصة المستوية السطح منها) في الإنتاج الزراعي، لذلك يهتمون بتربية الخنازير لقلة مطالبها الغذائية (تأكل أي شئ) ونسلها كثير، وللاستفادة من لحمها وشحمها. وتنتشر الخنازير في الأقاليم الشمالية والجنوبية الشرقية من الصين. ويوجد بالصين الشعبية نحو ٣٠% من جملة عدد رؤوس الخنازير في العالم، وبها نحو ٥% من أبقار وجاموس العالم. وتنتشر تربية الأغنام في القسمين الشمالي الغربي، والغربي من الصين الشعبية. كما اهتمت الدولة بتربية الأغنام للاستفادة من أصوافها، ولتحسين صناعة المنسوجات الصوفية.

وتعتبر الأسماك من المواد الغذائية الشعبية الهامة بالصين إلى جانب الأرز وتصاد الأسماك من المياه المحيطية العميقة، ومن المياه الشاطئية بالبحر الأصفر وبحر الصين الشرقي، وبحر الصين الجنوبي. كما تصاد أسماك المياه العذبة من المجاري النهرية وبعض البحيرات، ومن ثم تعددت أنواع الأسماك بالصين الشعبية، كما يستخدمون الأعشاب البحرية في صنع الحساء والمواد الهلامية. وتتركز أهم مناطق صيد الأسماك البحرية في بحر الصين الجنوبي أمام ساحل هونج كونج، ومكاو، وحول جزيرة هينان.

من الزراعة وحدها إلى ازدياد أهمية التصنيع :

تدين نهضة الصين الصناعية إلى ما بعد ١٩٤٩ أي بعد فترة إنقضاء العهد الإقطاعي وذلك بوضع الخطط التي تهدف إلى استثمار موارد البلاد وصناعاتها بأكبر قدر من السرعة، على اعتبار أن التصنيع هو قاطرة التقدم، ونظراً لأن الصين شاسعة المساحة، فلاشك أن هناك موارد معدنية لم تكتشف بعد، ومع ذلك فقد ثبت أن في الصين موارد أساسية للتصنيع. فهناك الفحم جيد كما وكيفا، بل وكثير من

مكامنه قرب السطح ويسهل استخراجه، والعكس بالنسبة للحديد كمـــا وكيفـــا، وان كانت الاكتشافات بدأت تتوالى، وقد تبشر بالخير، فينطبق هذا علـــى البـــترول، فقـــد كثفت الصين عمليات البحث بالاستعانة بالشركات الغربية، وثبت وجود البترول فـــي أقصى الغرب (سنكيانج) وكذلك في الرصيف القاري، وهذا يفسر ادعاءات الصيـــن بقطاعات من بحر الصين الجنوبي، على العموم فحتى الآن نصيب الصين يقدر بنحو ٤% من الاحتياطي العالمي.

أقاليم صناعية :

نتيجة الجهود التي بذلت للتقدم الصناعي ظهرت عدة أقاليم صناعية أهمـــها الإقليم الشمالي الشرقي (منشوريا)، ويعتبر قلب الصين الصناعي، حيـــث مركـــب ضخم من الصناعات الثقيلة يعتمد على توفر الفحم والحديد في حوض نهر لياو حتى لقد أطلق على شنيانج أنها بتسبرج الصين، فهنا الصناعات المعدنيـــة والهندســـية، وصناعة الآلات، وظهرت أنشان في الجنوب كمركز قائد لصناعة الحديد والصلـــب، كما تقوم في هادبن في أقصى الشمال (اكثر من ٢ مليون نسمة) صناعة النســـيج، والآلات الزراعية، وصناعات خفيفة متعددة، وقام حول العاصمـــة بكيـــن وميناؤهـــا الرئيسي تينتسن Tientsin_إقليم صناعي آخر، مستفيدا من قربه من مناجم الفحـم، ووفرة الأيدي العاملة والإنتاج الزراعي الكبير، ومع ذلك لا يقارن بالإقليم الشـــمالي الشرقي وتقوم بالقرب من الميناء الصناعات الثقيلـــة والمنســـوجات فضـــلا عـــن الصناعات الغذائية.

إقليم شينغهاي ويقع حول أكبر مدن الصين قاطبة، وقد تضخم هذا المجمع الصناعي حول سانج التي تقع على مصب اليانجتسي حتى أصبح هو ونظـــيره فـــي الداخل مجمع واهان أهم أقاليم صناعية تضيف إلى الدخل القومي، كما ظـــهر إقليـــم آخر أكثر بعدا في الداخل حول نهر شان ومركزه شونجكينج، وهكذا نجـــد ضخامـــة الإنتاج وتنوعه في المراكز الثلاثة على نهر اليانجتسي، فـــهي منتجـــة للســـيارات،

والسفن، والكتب، والصناعات الغذائية. والكيماويات وغيرها.

إقليم خوانجزهو (كانتون) في أقصى الجنوب ومع ذلك ظل فترة طويلـة غير جدير بالاهتمام لمجاورته لهونج كونج المستعمرة البريطانيـة سـابقا. وكذلـك لبعده من مصادر الوقود. وأن زاد الاهتمام أخيرا.

ويلاحظ في هذا السبيل أن الدولة اتبعت سياسة جديدة بالانفتاح على العالم الخارجي، ومن مظاهر هذا الانفتاح تحويل بعض الأقاليم المطلة على المحيـط إلـى أقاليم اقتصادية خاصة Special Economic zone (SEZS) " مـدن مفتوحـة".

وأقاليم مفتوحة" لتشجيع الاستثمار الخارجي، فعلي سبيل المثال قامت فـي بودنـج على الضفة اليمني لنهر اليانجتسي مقابلا لشنغهاي مجتمعات صناعية ضخمة. مـن المتوقع أن تنافس هونج كونج، وأصبحت شينزن القريبة من هونج كونج من أكـثر المدن جذبا للسكان بسبب حركة التصنيع التي شهدتها. وهكذا أصبح هـذا الإقليـم الجنوبي في الصين من أهم أقاليم الصين إضافة للصادرات، بعد أن كان في المـاضي لا يلقي نفس الاهتمام الذي يلقاه، الإقليم الصناعي شمال شرقي الصين، بـل ومـن المرجح انه بعد عودة هونج كونج سيصبح مجمع شيترون / هونج كونج/ جواندونج أكبر مجمع صناعي تتحدي به الصين اليابان ودول النمور، وبالتالي تتغير خريطـة الصين الصناعية.

موارد الطاقة والأقاليم الصناعية في الصـــين

حقول غاز طبيعي
حقول بترول
أقاليم صناعية
حقول الفحم

شكل رقم (١٥)

هونج كونج

دجاجة تبيض ذهبا

تتألف هونج كونج من عدة جزر صغيرة المساحة تقع إلى الجنوب من مصب سيكيانج وجنوب مدينة كانتون الصينية بنحو ١٦٠ كم، وتعتبر جزيرة هونج كونج التي يقع فوقها ميناء فيكتوريا أكبر هذه الجزر، ويفصل مضيق ليمون ميناء فيكتوريا عن الساحل المجاور لليابس الصيني الذي يعد بدوره ميناءاً طبيعياً جيداً.

وتبلغ مساحة جزيرة هونج كونج نحو ١٠ كم٢، استولت بريطانيا عليها منذ عام ١٨٤١، ثم منحت حكومة الصين شبه جزيرة كولون **Kowloon** التي تقع أمام الساحل الشمالي لجزيرة هونج كونج إلى بريطانيا لتضيفها إلى أراضي المستعمرة. وتبعاً لنصوص معاهدة بكين عام ١٨٩٨ استولت بريطانيا كذلك على الأراضي الصينية المتاخمة مباشرة لجزيرة هونج كونج، وشبه جزيرة كولون، بصفتها ظهيراً للميناء البريطاني. ومن ثم أصبح إجمالي مساحة مستعمرة هونج كونج البريطانية نحو ١٣٠٠ كم٢.

واتخذت بريطانيا من جزيرة هونج كونج قاعدة بحرية رئيسية في إقليم آسيا الموسمية، وأصبح ميناء فيكتوريا (الذي تقع أرصفته الكبرى على الساحل الشمالي لجزيرة هونج كونج، والساحل الجنوبي لشبه جزيرة كولون) أهم المواني البحرية التي تربط بين الطرق الملاحية التي تصل إقليم آسيا الموسمية بمواني غرب أوربا. ومن ثم تجمعت في هذه المستعمرة رؤوس الأموال، ونشطت حركة التجارة، ونمت كثير من الصناعات الخفيفة، لذلك حين عادت هونج كونج إلى الوطن الأم في يوليه ١٩٩٧ (*)، كانت هونج كونج غير ما تنازلت عنه الصين عام ١٨٤٢ لبريطانيا فقد كان جزرا صخرية بلا أية موارد، يعيش سكانها الفقراء البالغ عددهم ٥ آلاف نسمة على الصيد البحري.

أما هونج كونج التي استردتها الصين، فهي معجزة اقتصادية بجميع

(*) عادت أيضا مستعمرة مكاو البرتغالية إلى الصين عام ١٩٩٩.

المقاييس وتعد من أكبر المراكز التجارية والمالية والصناعية في العـالم وأصبحت قلعة من قلاع الصناعات الخفيفة، يعيش سكانها البالغون ٦,٥ مليون نسـمة في رفاهية، يفوق متوسط دخل الفرد فيها نظيره في بريطانيا ذاتها وقد كانت السياسـة الصينية متفتحة حين أعلنت عن مبدأ " دولة واحدة ونظامان " أي دولـة الصيـن، ونظام اشتراكي في الصين، ونظام السوق في هونج كونج، ممـا يجعلـها منطقـة اقتصادية خالصة أي حرية تامة في تدبير أمورها الاقتصادية.

وهكذا جاءت عودة هونج كونج إلى الصين لتزيد من هذه القوة وتؤكدهـا، فمن مصلحة الصين استمرار الازدهار الاقتصادي فيها، فهي مصدر للعملة الصعبـة، وتتسم العلاقات الاقتصادية مع الوطن الأم بالاعتماد المتبادل، وتداخلـت الأنشـطة الاقتصادية فيما بينها، واستفادت الصين من استثمارات هونج كونج فيها والبالغـة ٢٣ مليار دولار وبالتالي كما قال أحدهم " لا يمكن للصين أن تذبح الدجاجـة التـي تبيض ذهباً ".

الفصل الثالث

مثلث جاكوتا

The Jakota Triangle
Japan, Korea, Taiwan

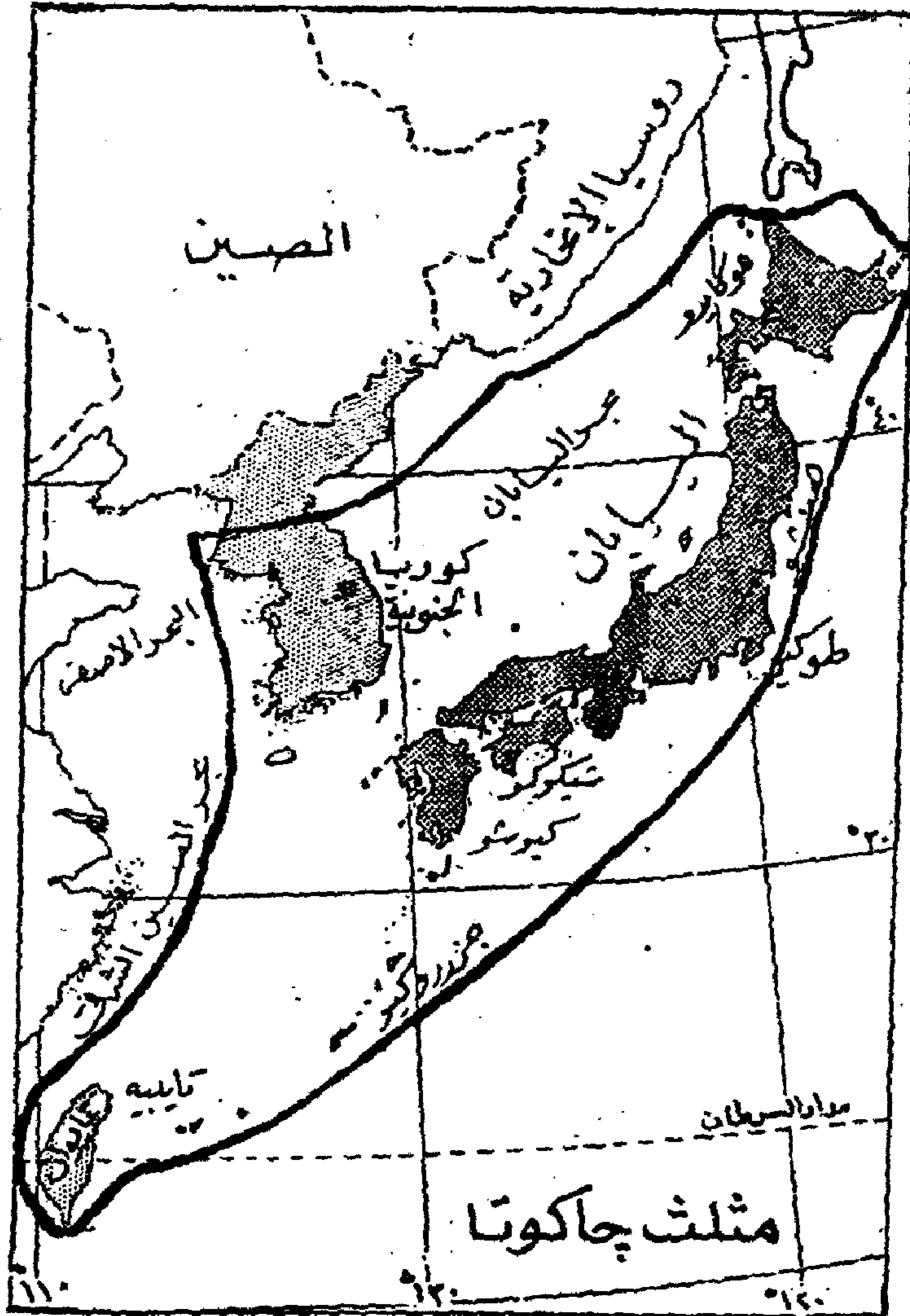
إذا كانت الصين مازالت تمثل الماضي في كثير من جوانبها، فإن الإقليم موضع الدراسة الآن يمثل مستقبل شرقي آسيا، حيث وجدنا أن دول شريط المحيط الهادي (اليابان، كوريا الجنوبية، تايوان) قد خطت خطوات واسعة للغاية في الميادين الاقتصادية، وانعكس هذا بدوره على التحولات الاجتماعية.

من ثم أصبح إقليم المدن الكبيرة، والاستهلاك الشديد للمواد الخام، والتصنيع الكبير، والصادرات الضخمة، والاتصالات العالمية، والفوائض في الموازين التجارية، وأن كان الإقليم له أيضا مشكلاته الاجتماعية والسياسية.

اليابان

العلاقات المكانية :

أرخبيل جزري يقع على الرصيف القاري الأسيوي مكونا من عدة جزر هنشو أكبرها وشيكوكو، وكيشو. وكان الإقليم في العصور القديمة والوسطي على أطراف العالم، أو هامشه. لكن بعد ذلك أصبح على طريق الأمريكتين، فكل خط جوي أو ملاحي من سان فرانسيسكو أو سياتل إلى ساحل الصين، أو الفلبين، أو سنغافورة إما أن يمس اليابان، أو يمر على بعد أميال قليلة من سواحلها، فالخط الجوي من سان فرانسيسكو إلى مانيلا عن طريق هاواي، وجوام يزيد بنحو ٢٠٠٠ ميل عن الخط المباشر إلى مانيلا عن طريق طوكيو، وزادت قناة بنما من أهمية موقعها، كما فعلت قناة السويس بالنسبة لبريطانيا، ولا ننسي أن اليابان تقع على كثب من سوق المليار وربع من سكان العالم، أي الصين.



شكل رقم (١٦)

وهذا الأرخبيل من الجزر الفستونية (*) يترامى في استطالة بالغة، وأيضا شديدة الضيق، وهذا الضيق الشديد يفسر لنا خلو اليابان من أي نهر على أي قدر

(*) سلسلة من الأقواس المستمرة على شكل حبل.

من الطول، وتمتلك اليابان ساحلا شديد التنوع ما بين صخري وسهلي بالغ الطـول شديد التعاريج، من ثم تسمح بالمرافئ الطبيعية، والخلجان المتعمقـة، والـرؤوس البارزة حتى لتبلغ سواحل اليابان نحو ٢٧ ألف كم، وهذا يفسر عدد المواني الضخم في اليابان والذي يبلغ ٧٥٨ ميناء، كما يفسر أيضا علاقة اليابانيين الحميمة بـالبحر صيدا، وقرصنة قديما، وتجارة وصيد الأن.

تنوع اللاندسكيب ودقته :

تسودها المرتفعات والسلاسل الجبلية المعقدة، التي يتراوح ارتفاعها ما بين ١٠٠٠، ٢٥٠٠ متر، وبعض القمم تسمو إلى ما يزيد على ٣٠٠٠ متر. تؤلف هـذه السلاسل العمود الفقري إن لم يكن الأساسي لليابان جميعا، وتشغل نحو ٧٥% مـن مساحتها، أما المنخفضات فهي أساسا على الساحل الشرقي، على شـكل جيـوب أو أحواض متقطعة متباعدة. أكبرها سهل كوانتو أو سهل طوكيو عند كـوع هنشـو، وسهل كينكي في جزيرة هنشو، ثم تقل السهول في الوسط، وعلى الساحل الغربـي، أي أن الجبال لها السيادة المطلقة، مثلما تحيط بها البحار من جميع جوانبها أو كمـا يقول كرسي Cressey " إذا نظرنا إليها من البحر تجدها ترتفع جبلا فوق جبل، وإذا نظرت من اليابس ستجد وجه الماء في كل مكان". وفي نفس الوقت تعد هذه الجبـال من أخطر مناطق الزلازل والبراكين.

تنوع مناخي :

وكان لهذا الامتداد الطولي لليابان بين درجتي عـرض ٣٠°، ٤٥° شـمالا (أي أنها تبدأ جنوبا حيث تنتهي مصر شمالا بـالتقريب) أن يتنـوع المنـاخ فـي داخلها، فهي تبدأ من المناخ دون المداري، وتنتهي شمالا قرب المنطقـة المعتدلـة الباردة حيث يعرف كثير من أجزائها ثلوج الشتاء، من ثـم انقسـمت مناخيـا إلـى قسمين بوجه عام: في الجزر الجنوبية كيوشو وشيكوكو شتاء معتدل، وصيف حـار رطب، وفي الشمال حيث هوكايدو الشتاء القارس والصيف البارد الرطب، واليابـان عموما تخضع للنظام الموسمي ذو المطر الصيفي، وإن كانت تحظى بقدر من المطـر الشتوي نتيجة التقاط الموسمية الشتوية الجافة بخار الماء من على بحـر اليابـان

لتسقطه بعد ذلك على أراضيها المطلة على الشاطئ الآسيوي.

وكان للموقع الجزري أيضا أثره في تلطيف مناخها إذا ما قورنت بقارية الصين، فضلا عن مرور تيار اليابان (كيروسيفو) الدافئ بجوار سواحلها الغربية، وأن حظيت أيضا سواحلها الغربية بالدفء نتيجة التيار الفرعى الذي يخرج من تيار اليابان والمعروف بتيار تسوشيما. وتغطي الغابات نحو نصف مساحة اليابان وبطبيعة الحال معظمها في المناطق الجبلية وهي نفضية أساسا في الجنوب، مخروطية صنوبرية أساسا في الشمال، ويجمع وسط اليابان بين النوعين.

لكل هذا تميز اللاندسكيب الياباني بدقائق التنوع والتغير السريع، لا توجد التراكيب الضخمة والغليظة كما في الصين (التبت ــ حوض تاريم) وإنما أشكال صغيرة ودقيقة كالفسيفساء. فالمناخ مفتت متنوع كالتضاريس وكذلك النبات. ومن هنا كان جمال الطبيعة الأخاذ.

اليابان دولة غنية بشعبها وليس بمواردها :

يبلغ عدد سكان اليابان نحو ١٢٥ مليون نسمة، ولعل الضابط الأساسي في توزيع السكان هو التضاريس أكثر من المناخ باستثناء واحد في أقصى الشمال البارد في جزيرة هوكايدو، وفيما عدا هذا فالجسم الأساسي للسكان يتكدس في السهول والمنخفضات بأحواضها الساحلية المتقطعة، بينما تكاد تخلو المرتفعات والجبال الداخلية إلا من أشرطة من السكني الخفيفة أو المبعثرة على المدرجات بحيث يمكن القول بأن الخرائط الثلاث للسطح والأراضي الزراعية والسكان تكاد تكون متطابقة.

وحين ظهرت الصناعة وكان اعتمادها على الكهرباء أكثر تبعت السكان، أي زادت التوزيع القديم تأكيدا، فيما عدا كيوشو في الجنوب حيث ارتبطت الصناعات الثقيلة بحقول الفحم. وأحد أسرار هذه القوة الاقتصادية، يكمن في الفرد الياباني وحرصه الشديد ليس على حب الوطن والعمل فحسب، بل التفانى فيه والحرص على إنجازه على الوجه الأكمل، فالمواطن الياباني يتجه إلى العمل الجماعي في إطار من الولاء العميق، لأسرته، ومؤسسته ووطنه، لذا أصبحت اليابان دولة غنية بشعبها،

وليس بمواردها، فنسبة التعليم في اليابان تصل إلى ١٠٠%، وهي من أوائـل دول العالم التي استطاعت أن تمحو أمية شعبها، وتحافظ على تراث وثقافة هذا الشـعب، بقدر ما تطبق أوسع درجات التقدم في أسلوب الحياة، فالفاصل هنا واضح المعـالم، بين الالتزام بالتقاليد اليابانية القديمة في الحياة والعمل، وبين تطبيق المدنية الحديثة دون تداخل أو تعارض أو تأثير أي منها سلبا على الآخر.

ابحث عن شجرة إذا كنت تنشد ظلا :

وفي اليابان تعرض العمالة مدي الحيـاة علـى العمـال الأساسـيين فـي المؤسسات اليابانية، ولا يتجاوز معدل دوران العمل في اليابـان ٣,٥ فـي المائـة سنويا ـ أي في تغير الوظائف في السنة يعد أقل من مثيله فـي الولايـات المتحـدة شهريا، وفي اليابان يكون الاحتفال الذي يشترك مستخدمون جـدد عنـد إلتحاقـهم بالشركة في وظيفة مدى الحياة، شبيها بتقديم الولاء للسيد في العصـور الوسـطي. وينظر العامل إلى ترك " مملكة الســرب " أو شـركة يابانيـة باعتبـارد " خيانـة " فالمستخدم يجب أن يعطي الإخلاص في مقابل الأمن الذي تمنحه المؤسسـة إيـاه، وكما جاء في نشرة لشركة يابانية أن معظم المستخدمين الجدد يبدو أنـهم يقـرون بالمثل السائر القديم، " ابحث عن شجرة كبيرة إذا كانت تنشد الظل " فالمرء يصبـح ضمن مجموعة لها هدف أكبر من مجرد زيادة الأجر، من هذا المنظور ليـس مـن الصعب أن تري حكمة فيما تفعله المؤسسات اليابانية التي تعطي ضمانات صريحـة بعمالة مدي الحياة، باعتبارها جزءا من سعيها لخلق أيد عاملة أكثر إنتاجيـة، وأن تعيش هذه العمالة في أمان.

ويكمن سر اليابان في أن اليابانيين استغلوا رغبة بشرية عامة في البنـاء، وفي أن يصبح البلد القوة الاقتصادية الرئيسية في العالم، وهدفهم هو تحقيق أكـبر حصة ممكنة في السوق (الغزو الاستراتيجي) وأقصى قدر من القيمـة المضافـة (الأرباح والأجور معا) وليس مجرد تعظيم الربح.

والإنسان ليس مجرد آلة تحقق زيادة في الاستهلاك ووقت الفـراغ، فـهو أيضا منتج وفي لغة الملصقات الإعلانية : فإن البشر قد يولدون ليتسوقوا، ولكنـهم

يولدون أيضا ليبنوا. وهذه الرغبة في البناء تولد ما يسمونه " اقتصاد المنتجين " الياباني لتمييزه عن اقتصاد المستهلكين " الانجلو ساكسوني ".

هكذا نجد اليابان قوة اقتصادها كاسحة، تتبوأ المكانة العالمية الأسمى، وتخشاها القوى الصناعية العملاقة في الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا.

تطور الأحوال الاقتصادية :

تخيل أن دولة غنية مزدحمة بالسكان الذين يبلغون نحو ١٢٥ مليون نسمة، يعيشون على مساحة قدرها ١٤٥ ألف ميل٢، وهي وبمساحتها هذه تعادل إحدى الولايات الأمريكية، بل ومعظم هذه الجزر جبلي. بحيث لا يزيد المسكون منها على ١٨% من تلك المساحة، وتتعرض هذه الجزر للبراكين والزلازل بين الحين والحين، خالية من البترول. وحظها من الفحم، والمواد الخام اللازمة للصناعة وكذلك الأراضي الزراعية قليل، كانت يابان اليوم إحدى الدول النامية في حاجة إلى المعونات الغذائية والقروض، فإن المبرر ماثل أمامنا. في اكتظاظ سكاني، ونقص في الأراضي الزراعية، وفقر في الخامات وموارد الطاقة. ولكن مما حدث غير ذلك.

إذا أدركنا حين تقييمنا للصين وافترضنا قيامها كقوة كبرى، فإن هذا يعكس ما حدث لليابان في القرن التاسع عشر، حين تولي الحكم أناس متفتحو الأذهان، مجدون، ذلك أنه بانتهاء القرن إلا واليابان قوة اقتصادية، وعسكرية، ومن المصانع حول طوكيو وغيرها خرجت الأسلحة والذخيرة والطائرات الحربية في الثلاثينيات والتي ساعدت اليابان على أن تصبح مركز إمبراطورية استعمارية ضمت كوريا، وشمال شرقي الصين، وجزر ريكيو، وتايوان، والجزء الجنوبي من سخالين وشاهدت الحرب العالمية الثانية زيادة رقعة المستعمرات اليابانية، ففي ديسمبر ١٩٤١ كانت اليابان قد توغلت في مساحات كبيرة من الصين الأصلية، والمستعمرات الفرنسية في الصين الهندية، ومعظم الجزر الغربية في المحيط الهادي، ثم كانت المفاجأة في بناء حاملة الطائرات التي جعلت الطائرات اليابانية في مدي ميناء بيرل هاربر حيث فاجأت الأسطول الأمريكي في هاواي ودمرته عن آخره، مما زاد ثقة اليابانيين في آلتهم الحديثة، استولت بعد ذلك على الفلبين، وجزر

الهند الشرقية (إندونيسيا) وتايلاند، وبورما، والملايو، ولكن مـا هـي ألا بضـع سنوات حتى انتهت أسطورة القوة اليابانية بضـرب الولايـات المتحـدة الأمريكيـة مدينتي هيروشيما ونجازاكي بقنبلتين ذريتين عام ١٩٤٥، وتم القضاء على اليابـان بالكامل.

وفي الواقع إن صعود اليابان من أنقاض الحرب العالمية الثانيـة وتبوأهـا مكانة القوى الاقتصادية العظمي هو قصة النصف الثاني من القرن العشـرين، فقـد خسر اليابان الحرب وفقدت الإمبراطورية، ولكنها حققت اقتصاديات عالميـة علـى المستوى الاقتصادي، عملاقا صناعيا، يعمل بأحدث الطرق التكنولوجيـة، ومجتمـع حضري بالدرجة الأولي، ودولة رفاهية، فلا توجد مدينة في العالم لا تجـري فيـها السيارات اليابانية ولا تخلو من آلات التصوير اليابانيـة ، والعدسـات، والأجـهزة اليابانية، من أفران المايكرويف إلى السفن المحيطية، وغيرها التـي أغرقـت بـها اليابان العالم.

غير أن مغامراتها الاستعمارية القصيرة ساعدت على نجاح من نوع آخـر، في دول النطاق الهامشي نتيجة استغلالها الموارد الاقتصادية والبشرية، ذلـك أنـها فتحت أذهان سكان فرموزا (تايوان)، وكوريا على نظام اقتصـادي جديـد، وبعـد انتهاء الحرب الثانية كان لدي فرموزا، وكوريا بالإضافـة إلـى الخـبرة اليابانيـة الاستعداد لدخول الأسواق العالمية لا موازين بل منافسين لليابان ذاتها.

الزراعة :

<u>الغذاء في اليابان :</u>

تبذل اليابان جهودا خارقة لاستغلال المساحة الصالحة للزراعة، سواء فـي سهول أو منحدرات سفوح جبالها، وذلك باستخدام أصناف الأرز العاليـة الإنتـاج ، والتسميد والري، وإدخال الآلات، نظرا لهجرة السكان نحو الحضر الصناعي، فبينمـا كانت الزراعة تضم أكثر من ٥٠% من القوى العاملة عـام ١٩٢٠، أصبحـت الآن حرفة ٨% فقط من السكان، وحتى هؤلاء يعملون بها بعـض الوقـت، ويكسـبون

عيشهم من حرف غير الزراعة بقية الوقت، وحتى تحد الحكومة من هجرة الأرض الزراعية، ترفع الحكومة أسعار المحاصيل الزراعية بطريقة غير طبيعية، وعندما حدث العراك بين الولايات المتحدة الأمريكية واليابان في التسعينيات فيما يختص بحجم وقيمة تدفق السلع بين الجانبين، وعرضت الولايات المتحدة الأمريكية أن يمد المزارع الأمريكي المستهلك الياباني بالأرز الأمريكي بسعر يبلغ سدس سعر الأرز الياباني، ومع ذلك لم تجد سوقا مفتوحة في اليابان على نحو ما وجدت اليابان أسواقا مفتوحة في الولايات المتحدة الأمريكية لسياراتها.

الغذاء الياباني غنيا بالنشويات وعلى رأسها الأرز ثم القمح والشعير والبطاطس فالأرز سيد المحاصيل في اليابان، له وحده أكثر من نصف المساحة، والنصف الآخر للقمح والشعير والشليم والشوفان تقريبا، وبطبيعة الحال الأرز في الجزر الجنوبية، والقمح والشليم في الجزر الشمالية. ولما كانت مساحة الأرض محدودة، فإن ضغط الزراعة لا يسمح بزراعتها بنبات العلف، وبالتالي تتقلص الثروة الحيوانية، ولكنهم عوضوا مراعي البر، بحصاد البحر. خاصة وأن الجزر اليابانية ملتقى تيارين أحدهما جنوبي دافئ (كيروسيفو) والآخر شمالي بارد (كمنشتكا) مما يخلق بيئة بحرية ممتازة للأسماك، ولا يقتصر الصيد على مياه اليابان، بل بامتداد المحيط من المنطقة القطبية الشمالية إلى نظيرتها الجنوبية، ولو أن الجزء الأكبر من صيدها في المياه الإقليمية، وتقود اليابان العالم في الصيد البحري، فلها ما يقرب من ١/٤ إلى ١/٣ الإنتاج العالمي، ومن ثم فللأسماك مكانتها في حياة اليابانيين، حتى لتصبح هي السلعة الغذائية الوحيدة التي تعرف فيها اليابان فائضا للتصدير، خاصة وان أساطيل الصيد الحديثة مجهزة. وكأنها مصانع متحركة، ولا يعادل صناعة الأسماك في اليابان أي صناعة مماثلة في الولايات المتحدة الأمريكية أو غرب أوربا، هذا فضلا عن تربية الأسماك في حقول الأرز والبرك الصناعية، ومع ذلك فهي بعيدة عن الاكتفاء الذاتي غذائياً، فهي مستوردة للغذاء من الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا واستراليا.

مهد الانقلاب الصناعي في آسيا رغم فقرها في الخامات وموارد الطاقة:

وإذا كانت بريطانيا مهد الانقلاب الصناعي في أوربا، فاليابان مهد الانقلاب الصناعي في آسيا، وأن تأخرت عنها بنحو قرن.

وتتميز اليابان بعدد قليل من المعادن ذات القدر، ويتمثلان في الفحم والحديد وان كان إنتاج الحديد لا يقارن بإنتاج الفحم، وإنتاج الفحم لا يتجاوز ٥٠ مليون طن في العام، ومن أهم حقوله حقل جوبان على الساحل الشرقي لهونشو، ثم نجده في أقصى الشمال وأقصى الجنوب، وسط جنوب هوكايدو، الأخر حقل أتشيكو في شمالي غربي كيوشو.

أما الحديد فلا يتجاوز إنتاجها منه ٣ ملايين طن وبالتالي تستورد اليابان ٩٠% من احتياجاتها من الخارج، كما تتعامل أيضا مع الحديد الخردة من الولايات المتحدة الأمريكية وتقتصر مناجم الحديد على حقلين هما كامايشي في شمالي هونشو، وكوتشان في جنوب هوكايدو.

الأقاليم الصناعية الرئيسة:

يعتبر سهل كانتو الصناعي والمزدحم بالسكان هو الإقليم القائد في اليابان ففيه وحده ثلث العمالة الصناعية، ويرتكز على مجمع مدن طوكيو، يوكاهاما، كواسكي، هذا التجمع الحضري العملاق (أكبر تجمع على مستوي العالم) والذي تتخلله أشرطة المزارع يميل المجمع الصناعي الشرقي لليابان، فهو يمتد باستطالة مكونا منطقة النواة، وساعد على ذلك عوامل جغرافية ممثلة في سهولة السطح، فضلا عن مرفأ يوكوهاما الطبيعي، مناخه المعتدل الرطب، وموقعه المركزي بالنسبة لليابان ككل، وإن كانت مشكلته الأساسية أنه عرضة للزلازل، كما يستفيد أيضا من قربه من طوكيو العاصمة، كثير من المؤسسات الصناعية والمالية حيث تفضل أن تتخذ من طوكيو مراكز لرئاستها.

هكذا يصبح مجمع طوكيو يوكوهاما / كواسكي الرهيب هو القائد في مجال الصناعة لا من حيث القوة العاملة الصناعية فحسب، بل له وحدة نحو ٢٠% من

مجموع الإنتاج الصناعي الياباني، معتمدا على خاماته التي تأتيه من كل صوب، فإذا ضربنا مثلا بإقليم طوكيو وهو من الأقاليم الرئيسية لإنتاج الصلب فيستورد خام حديد من الفلبين وماليزيا، والهند، واستراليا، بل وأفريقيه، كما يستورد معظم الفحم اللازم من استراليا وأمريكا الشمالية، كما يحصل على بتروله من الخليج العربي وإندونيسيا، ولما كان إقليم كانتو (حيث تقع طوكيو) لا ينتج ما يكفي سكانه من الغذاء، فلابد من استيراد الغذاء لهذا العدد الضخم من كندا والولايات المتحدة الأمريكية واستراليا، هكذا يعتمد إقليم طوكيو على الاستيراد سواء للمواد الخام والمواد الغذائية اللازمة لسكانه، مقابل صادراته التي تتدرج من أصغر لعب الأطفال إلى أدق الأجهزة البصرية والسفن العملاقة.

أوزاكا / كوبي / كيوتو :

الإقليم الصناعي الثاني، ويعرف بإقليم كانساي Kansai الذي يقع في النهاية الشرقية للبحر الداخلي، وكان لموقع مجمع أوزاكا / كوبي بالنسبة لمنشوريا (التي كانت اليابان قد احتلتها فترة ما)، موقعا مناسبا فكان القاعدة الرئيسية للتجارة مع الصين وقت احتلال اليابان لها، كما يعتبر المركز الرئيسي لصناعة السفن، وموانيه من أكثر مواني اليابان ازدحاما تصديرا واستيرادا، هذا فضلا عن أنه يقع في إقليم من أهم الأقاليم الزراعية، والأرز هو المحصول الرئيسي، وإن كان كإقليم زراعي لا يرقي إلى سهول كانتو، ويتجمع فيه كم ضخم من السكان في حاجة إلى المواد الغذائية.

هكذا يعتبر سهل كانتو وإقليم كانساي هما الإقليمان الصناعيان الرائدان وبينهما نوايات أصغر ممثلة في كوبي/ وفيها تبرز ناجويا كمركز صناعي للإقليم القائد في صناعة المنسوجات، كما أن إنتاج إقليم ناجويا زراعيا أكبر من كانسي وأصغر من كانتو، وأن كان إقيم ناجويا ليس له مركزية طوكيو ولا موقع أوزاكا على البحر الداخلي واتصاله بطوكيو يتم عنى طريق الشريط الساحلي، كما أن ميناءها دائم الاطماء.

وتظهر نوايات أخرى على شواطئ البحر الداخلي/ مثل تلك التي نمت على

خليج شيمونسكي، وهو مجمع لخمس مدن في شمالي جزيرة كيوشو يمثل مجمعـا لصناعة المنسوجات، وترتبط جزيرتي كيوشو وهنشـو بـالطرق وأنفـاق للسـكك الحديدية، وهناك أيضا إقليم هيروشيما بقاعدته ذات الصناعات الثقيلة.

كما تظهر فوكاكا ونجازاكي كمراكز لصناعة السفن علـى سـاحل مضيـق كوريا، أما المجمع الصناعي الوحيد خارج ذلك الحزام الممتد من طوكيو في الشـرق إلى كيتاكيوشو الغرب هو إقليم تورياما المطل على بحر اليابان مستفيدا مـن الطاقـة الكهرومائية الرخيصة وينتج الورق والكيماويات، وأخـيرا هنـاك آلاف المصـانع الصغيرة والمتوسطة التي تعمل في المدن الكبيرة والصغيرة حتى في أقصى شـمال جزيرة هوكايدو وهذه الجزيرة ترتبط بدورها بجزيرة هنشو (الرئيسية) بنفق سـكك حديدية.

شبة جزيرة كوريا (*)

تبرز شبه جزيرة كوريا في بحر اليابان بسكان يبلغون ٧٠ مليون نسـمة، أراضيها جبلية في معظمها. على العكس اليابان ظلت كوريا أرض نزال أو مخلب قط بالنسبة لجيرانها، الصين واليابان، فعندما حررت من الاستعمار الياباني فـي عقـب الحرب العالمية الثانية قسمت كوريا إلي قسمين يفصل بينهما خط ٣٨° شمالا، وهـو خط وقف إطلاق النار بعد الحرب التي استمرت (١٩٥٠ / ١٩٥٣) وأصبحت هناك كوريا الشمالية ذات النفوذ الصيني ـ السـوفيتي وكوريـا الجنوبيـة ذات النفـوذ الأمريكي، لم تتحد الكوريتان منذ ذلك الحين: الشمالية سارت على النهج الشـيوعي، أما كوريا الجنوبية التي وجدت المساعدات من الولايات المتحدة الأمريكية واليابـان، قد أصبحت جزءا من العالم الرأسمالي المطل على المحيط الهادي، كل يتجه اتجـاه مخالف للأخر، وأصبح خط الحدود الاصطناعي بمثابة حائط مانع بين الجانبين يفصل بين نظامين مختلفين وعائلات واحدة.

(*) يرجع اسم كوريا إلى اسم مملكة القديمة كوريو (٩١٨ ـــ ١٣٩٢) وكلمة كوريو معناها " العالي " ترمز بذلك إلى سماء كوريا الزرقاء.

وإذا قلنا ثلاثية جاكوتا فلاشك تخرج منها كوريا الشمالية لأن ظلال الصين تخيم عليها، لطبيعة النظام الاقتصادي والسياسي في كليهما، كذلك ضعف اتصالات كوريا الشمالية مع الخارج، وهي في هذا أشبه بأقاليم الصين الداخلية، فليست هناك سلع كورية شمالية في الأسواق، ولا يظهر ممثلون لهم في المؤتمرات الدولية أو في الجامعات الغربية، من ثم فزوار كوريا الشمالية المعدودون يرون الفرق عظيما بين الجنوبية والشمالية، بين بيونج يانج عاصمة كوريا الشمالية، وسول عاصمة كوريا الجنوبية، بين الشمالية الزراعية والجنوبية الصناعية، من المصانع الثقيلة في الشمال والمصانع التي تستخدم أحدث التقنيات في الجنوب، والذي لوحظ من منتصف التسعينات أن كوريا الشمالية قد دخلت ميدان الأسلحة النووية وكانت قد وقعت على اتفاقية حظر التجارب النووية ولكنها في ينـاير ٢٠٠٣ طالبت مفتشي هيئة الطاقة الذرية بمغادرة أراضيها، وفكت الأختام عن المفاعلات النووية، وهددت بالانسحاب من اتفاقية الحظر النووي، وإذا حاولت الولايات المتحدة الأمريكية فرض أي عقوبات عليها، فهذا معناه إعلان الحرب عليها الأمر الذي يثير حفيظة الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وكوريا الجنوبية.

ظروف شبه الجزيرة الطبيعية :

تشبه كوريا جزر اليابان في مظهرها الذي يغلب عليه الصفة الجبلية، هذه السلاسل الجبلية التي تنتمي إلى عصور جيولوجية مختلفة، فتمتد سلسلة جبلية من الشمال إلى الجنوب بارتفاع يبلغ نحو ١٠٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر، على حين أن قممها قد تسمو إلى ما يزيد على ٢٥٠٠ متر، وقد قطع نهر يالوا، وتومين اللذان يصبان في خليج كوريا وارافدهما على تقطيع هذه السفوح الجبلية على هيئة خوانق غائرة، وتنحدر سفوح المرتفعات بشدة نحو بحر اليابان، في حين أنها أكثر تدرجا نحو البحر الأصفر، من ثم كان انحدار الأنهار شديدا فوق السفوح الشرقية، وأقل انحدارا نحو الغرب.

أما السهول فهي ساحلية أو فيضية محدودة في اتساعها، ويتميز ساحلها الشرقي بخلوه من الخلجان والتعاريج، ولا توجد جزر بالقرب منه، من ثم كان قليل

السكان إلا من الصيادين الذين يزرعون مساحات بسيطة من الأرز والذرة يستكملون بها غذائهم، على عكس الساحل الشرقي المطل على البحر الأصفر كثـــير التعـــاريج والنتوءات، ويمتد على طوله آلاف الجزر، كما أن مظهر أراضيه سهلية، من ثم كان أكثر أجزاء كوريا سكانا، فضلا عن إمكان قيام الزراعة وخاصة في القسم الجنوبـــي، ونظرا لامتداد هذا الجزء إلى ما يقرب من درجة عرض ٣٤ْم جنوبا، أمكن زراعـــة محصولين في العام ويحصد الأرز المحصول الرئيسي في أكتوبر، على حين يحصـــد القمح والشعير في يونيه قبل سقوط أمطار موسمية الصيـــف، ويقـــع هـــذا الإقليـــم الزراعي الضخم في كوريا الجنوبية.

قلنا أن أراضيها جبلية معظمها، وأما مناخها فيشبه مناخ إقليـــم شـــمال الصين، تنخفض الحرارة دون درجة التجمد لمدة شهر علـــى الأقـــل، خـــلال فصـــل الشتاء. وعلى الرغم من الجفاف الواضح خلال فصل الشتاء تبعا لخـــروج الريـــاح الموسمية من قلب آسيا متجهة صوب المسطحات المائية، فإنه يسقط فوق الســـاحل الشرقي لشبه الجزيرة قدر كبير من الثلوج، على حين ترتفع درجة الحرارة تدريجيـــا في فصل الصيف، ويعد هذا الفصل كذلك، موعـــد ســـقوط الأمطـــار (٨٠ ســـم ـــ ١٠٠ سم) وحدوث الفيضانات بأنهار شبه الجزيرة، وتعزز كمية الأمطار الســـنوية الساقطة فوق الساحلين الجنوبي والشرقي لشبة جزيرة كوريا، وتقل كمية الأمطـــار كلما اتجهنا نحو الشمال الغربي، أي إلى مناطق ظل المطر.

وتبعاً للمظهر الجبلي من ناحية، وغزارة أمطار فصل الصيف فوق معظـــم أجزاء شبة جزيرة كوريا، وسقوط الثلوج فوق ساحلها الشرقي من ناحيـــة أخـــرى، تغطي الغابات نحو ٧٠% من مساحة شبه جزيرة كوريا، ومن ثـــم عنيـــت البـــلاد بالثروة الغابية بإعادة زراعة كثير من الغابات علـــى الســـفوح الجبليـــة الشـــديدة الانحدار، وأهمها الغابات المعتدلة الباردة والباردة. ومن أكثر الأشجار إنتشاراً بشـــبة الجزيرة أشجار الصنوبر، والشربين في الشمال، والزان والبلـــوط، والكـــافور فـــي الجنوب.

كوريا الجنوبية

تمتد بمساحة ٤٥% من مجموع شبة الجزيرة،أو ٩٩ ألف كم٢، ومع ذلك نصيبها ثلثي السكان (نحو ٥٠ مليون نسمة)، برزت كأحد النمور في النطاق الهامشي لآسيا، والأمر الذي يمكن أن يزيدها قوة إذا ما اتحدت الكوريتان لأنهما يكملان بعضهما بعضا، فكوريا الشمالية بها الخامات التي تحتاجها صناعة كوريا الجنوبية وتنتج كوريا الجنوبية الغذاء الذي تحتاجه كوريا الشمالية، وتنتج كوريا الشمالية الأسمدة التي تحتاجها كوريا الجنوبية لزراعتها، ومع ذلك فقد أدارت كل دولة ظهرها للأخرى، فكوريا الشمالية بحديدها وفحمها وقواها الكهربائية هو من أوليات احتياجات الجنوبية، ولكن تأتي علاقاتها مع الصين وبروسيا بالدرجة الأولي، على حين أن توجه كوريا الجنوبية في علاقاتها الخارجية مع اليابان والولايات المتحدة الأمريكية وأوربا الغربية.

أحد النمور الآسيوية :

ولم يكن في الحسبان عندما انتهت الحرب العالمية الثانية أن كوريا الجنوبية سوف تصعد سريعا في سلم الاقتصاد العالمي، فقد كان ٧٠% من السكان يعملون في الزراعة، وكانت الموارد الزراعية عاجزة عن كفاية حاجة السكان، أي اقتصاد راكد، ولكن المساعدات الأمريكية الضخمة التي ضخت في الاقتصاد الكوري كجزء من سياستها لاحتواء الاتحاد السوفيتي وأتباعه، وكذلك المساعدات اليابانية والخبرات اليابانية التي قدمت لكوريا فيما بعد أدت إلى تحول شامل، أعيد تنظيم الزراعة، الغي النظام الإقطاعي وأصبحت الملكية عائلية في حدود ٨ أفدنه مع برامج للتسميد، مما أدي إلى الكفاية الذاتية من الاحتياجات، وأحيانا يبقي الفائض للتصدير.

ارتفع نصيب الفرد من الدخل القومي من ٨٧ دولار عام ١٩٦٢ إلى ٩٦٢٨ دولار عام ٢٠٠٠، كما بلغت الاستثمارات الأجنبية ٥٣٢ مليون دولار عام ١٩٨٠، ارتفعت إلى ١٦ مليار دولار عام ٢٠٠٠. وحين بدأت نهضة الصناعة كانت متواضعة تعتمد على الخامات المحلية ووفرة الأيدي العاملة، ورخصها، والمعونات

الخارجية والأسواق خاصة أسواق الولايات المتحدة الأمريكية. ونجحت السياسات الحكومية في القفز الاقتصادي حتى أصبحت في أواخر الثمانينيات واحداً من أكبر عشر قوي تجارية في العالم، فأصبحت للسفن بناءه، وازدهرت ونمت بسرعة صناعة السيارات، وتجمع كوريا الآن بين صناعة المنسوجات والملابس الجاهزة، وصناعة الصلب، وبناء السفن، والسيارات، والكيماويات والإلكترونيات، وأصبحت الأخيرة على رأس قائمة الصادرات بدءا من الترانزستور، والتلفزيونات، ومسجلات الصوت والصورة، وأجهزة الحاسبات الإلكترونيات الدقيقة، وتأتي صناعة السيارات في مقدمة الصادرات الكورية، وإن وجدت تحديات من الجارة الكبرى اليابان، كما تخشاها أيضا الولايات المتحدة الأمريكية.

ويرتبط بهذه الصناعة أسماء شركات أصبحت عالمية في تصنيع وتسويق السيارات مثل هيونداي. كيا. دايو. ومن مؤشرات هذا الازدهار أن سول (*) أصبح تعدادها ١٢ مليون نسمة. وتعتبر المدينة الحادية عشر في العالم ترتيبا. وهي مأوى لمجمعات صناعية ضخمة في مواجهة البحر الأصفر، وتقع سول العاصمة على نهر هان، وموقعها هذا مثالي بالنسبة للكوريتين ومعناه العاصمة باللغة الكورية، وقد قامت بهذه الوظيفة من القرن الرابع عشر حتى القرن العشرين، ولكنها بعد التقسيم أصبحت تقع في الركن الشمالي الغربي لكوريا الجنوبية، ولا يوجد خط الحدود أو خط وقف لإطلاق النار بعيدا عنها، هذا الخط الذي يقطع مصب نهر هان وبالتالي يحرم سول من مصب النهر ومن ثم ظهر ميناء إنشون Inchón لخدمتها، ولا تعتبر سول عاصمة لكوريا الجنوبية فحسب، بل هي المركز الصناعي القائد يصدر كما ضخما من المنسوجات والملابس والأحذية، والسلع الإلكترونية والسيارات ... الخ حتى ليطلق عليها قلب كوريا. هاجر إليها مئات الآلاف من عمال المزارع بعد انتهاء الحرب الكورية، وأصبح الان يعيش في الريف نحو ٢٥% من السكان فقط، كما هاجروا أيضا إلى أوسان ثاني أكبر مجمع صناعي وتقع على مضيق كوريا مواجهة لجزيرة هنشو، ولم تكن أوسان التي تقع على بعد ٦ كم شمال بوسان منذ ربع قرن

(*) معناها العاصمة باللغة الكورية.

أكثر من قرية من قرى الصيادين بسكان يبلغون نحو ٥٠ ألف نسمة، أصبحوا الآن ثلاثة أرباع مليون نسمة، ويعمل أكثر من نصف عائلاتها في مصانع هيوانداي للسيارات وكذلك صناعة السفن.

ولا شك أن نجاح كوريا الاقتصادي قد آثار حفيظة المنافسين بما فيهم الحلفاء الرأسماليين (لليابان) فالمنسوجات الكورية، وقطع الغيار الرخيصه لاشك منافس خطير لنظيرتها اليابانية، وأسعار سياراتها المنخفضة أدت إلى اقتطاع جزء كبير من سوق السيارات اليابانية والأمريكية والأوربية، ومع ذلك فكوريا مستمرة في الصعود على السلم الاقتصادي الذي تجلس اليابان على قمته.

والآن بعد كل النجاح الذي لاقته كوريا الجنوبية، مازال العامل يعمل أكثر من ١٢ ساعة يومياً وبذلك يزيد على الساعات التي يعمل فيها العامل الألماني الذي يعمل ٧ ساعات فقط، ولا يتمتع العامل الكوري بإجازة أكثر من أسبوع في العام، على حين أن العامل الألماني يتمتع بأكثر من أربعة أضعاف هذا الرقم على أساس أيام العمل فقط.

أدى هذا إلى أن أصبحت تشغل المقعد السادس في ميدان الصناعات الإلكترونية وأجهزة تقنية المعلومات، والخامس في صناعة السيارات. ومع ذلك مازالت القاطرة تسير باندفاعها دون هوادة.

كوريا الشمالية

(جمهورية كوريا الشعبية)

إلى الشمال من خط ٣٨ تمتد كوريا الشمالية في مساحة تبلغ ١٢٠ ألف كم٢ وبسكان يبلغون ٢٣ مليون نسمة وتختلف كوريا الشمالية عن كوريا الجنوبية في عدة أمور غير الاتجاهات السياسية والاقتصادية. وارتباطها بالصين وروسيا بالدرجة الأولي، فهي أكثر بعدا نحو الشمال، وبالتالي يقصر فصل الإنبات، فلا يمكنها زراعة الأرض بمحصولين كما هو الحال في كوريا الجنوبية، وهناك غلبة

التضاريس المرتفعة وقلة مساحة السهول، وكان للطبيعة الجبلية الشديدة التضرس وبسفوح الشديدة الانحدار أن قلت المراعي، وازدادت مساحة الغابات، ومع ذلك فسكانها زراع بالدرجة الأولي، يقومون بزراعة الأرز والقمح والذرة والبطاطس وفول الصويا، ووجهت الدولة جهدها في استغلال الغابات والصناعات القائمة عليها مثل قطع الأخشاب، وصناعة الورق، وبعض الصناعات الخفيفة، هذا فضلا عن زيادة الاهتمام بصيد الأسماك من بحري اليابان والأصفر لتعويض النقص في ثروتها الحيوانية، ومن المفارقات أيضا بين الكوريتين أن الافتقار إلى التربة الجيدة والأراضي السهلية الصالحة للزراعة والمناخ المناسب عوضته لثروة معدنية، ففيها خامات الفحم والحديد حول مدينة بيونج يانج Piong Yang العاصمة، وحول موسان، فضلا عن توليد الطاقة الكهربائية من مساقط مياه سد سابنج Supang على المجري الأدنى لنهر يالو. لذلك تطورت فيها الصناعات الثقيلة والصناعات المعدنية بعامة والكيماوية بفضل مساعدة جارتيها (الاتحاد السوفيتي سابقا) والصين.

تايوان (جمهورية الصين الوطنية)
(فرموزا)

تمثل تايوان العنصر الثالث في مثلث جاكوتا، وهي قصة نجاح أخرى على سواحل المحيط الهادي، وتشمل إلى جانب جزيرة تايوان عدة جزر صغيرة وهي كينمن، ماتسو، وبنجهو. وكانت تايوان جزءا من الصين لعدة قرون حتى احتلها اليابانيون عام ١٨٩٥، وظلت هكذا تابعة لليابان حتى انتهت الحرب العالمية الثانية بهزيمة اليابان، وأصبحت تايوان جزءا بل إقليما إداريا من أقاليم الصين، وفي فترة الاحتلال قام الياباني بمجهودات كبيرة لجعل فرموزا موردا أساسيا يمدهم بالمواد الغذائية، فحولوا الزراعة إلى نظام الزراعة، الكثيفة والعلمية، فارتفعت غلة الفدان، وأقاموا مشروعات الري. ومشاريع توليد الكهرومائية، وشقوا الطرق، ومدوا السكك الحديدية، وبعد انتهاء الحرب وازدياد نفوذ الحزب الشيوعي في الصين، هاجر جنود الصين الوطنية والموالين للزعيم شيانج كايشيك إلى جزيرة فرموزا عام ١٩٥٠

مكونا جمهورية الصين الوطنية بتشجيع من الولايات المتحدة الأمريكية، كجزء من سياستها المعادية للعالم الشيوعي، خاصة وأن تايوان تبعد عن الصين ما بين ١٥٠، ٢٠٠ كم. وقامت الولايات المتحدة الأمريكية بدورها بإعادة أعمار الجزيرة، وقدمت لها المساعدات وهكذا ظهرت مشكلة الصينيين التي لم تجد لها حلا حتى الآن، وقد تكون هذه مشكلة محلية لولا تدخل الولايات المتحدة الأمريكية مساندة لتايوان. هكذا أصبح أمامنا في العالم الصيني :

- تايوان كأحد أعضاء نمور شرقي آسيا التي نمت نموا اقتصاديا مذهلا.
- الصين الشعبية بقوة على الساحة الدولية اقتصاديا، ومن المنتظر أن تتبوأ مكانة في السياسة العالمية كما سبق أن رأينا.

وجمهورية تايوان صغيرة الحجم، في حجم سويسرا بمساحة ٣٥ ألف كم٢، ويكاد يقسمها مدار السرطان إلى قسمين، وأن كان سكانها يبلغون ٢٣ مليون نسمة، يتجمع بعضهم في قوس يمتد من غربي إلى شمالي الجزيرة الكبرى، ذلك أن القسم الشرقي من الجزيرة تمتد فيه باستطالة سلاسل شو نجياج التي ترتفع قممها إلى ٣٠٠٠ متر بمنحدراتها الشديدة وغاباتها الكثيفة، وهي أكثر تدرجا في انحدارها نحو الشرق ، وتجري عليها النهيرات لتسقي المزارع التي ازداد إنتاجها أكثر من ثلاثة أضعاف ما كان عليه الحال عام ١٩٥٠، وإن كان آلاف المزارعين قد هجروها للعمل في المصانع. ونظرا لسهولة القسم الغربي، أصبح موطن الزراعة الرئيسية حيث يمثل الأرز وحده نحو نصف المساحة المزروعة، ويزرع مرتان في الجنوب وثلاث مرات في الشمال في العام الواحد، كما تتركز زراعة السكر في جنوب غربي الجزيرة حيث تزرع البطاطا، والذرة ،وفول الصويا، نخيل جوز الهند والموز، والأناناس، كمحاصيل غذائية، بل ونجح السكان في الحصول على ثلاثة محاصيل من الأناناس كل خمس سنوات، وقامت صناعات عديدة على هذه المحاصيل، فالأناناس يصدر معلبا ومشروبا، هذا فضلا عن انتشار زراعة قصب السكر الذي تقوم المصانع على تكريره.

النشاط الصناعي :

ويمتد الشريط الصناعي لتايوان في غربيها متضمنا تايبي أوتايبيه العاصمة

التي تقع عند النهاية الشمالية لهذا الشريط والذي يمتد جنوبا حتـى كاوهسـيونج، وبعد أن كان اليابانيون مستوردون للفحم من ميناء شيلونج، وهـي ميناء تـايبي العاصمة، أصبح الآن العكس فيستورد هذا الميناء القطـن لصناعـة المنسـوجات، والبوكسيت لصناعة الألمونيوم من إندونيسيا، والبترول من بروناي، وخام الحديـد من أفريقيه، ذلك أنها قد تقدمت بها صناعات الحديد والصلب وتوليد الطاقة النووية، السفن، وكثير من الصناعات الكيماوية، وكثير من صادراتها ذات تقنية عالية خاصة في الكمبيوتر وأجهزة الاتصالات، وتشترك كثير من المؤسسات محلية وأجنبية فـي البحوث الدائرة للتقدم الصناعي، خاصة وأن الدولة قد أقامت مؤسسة للبحث العلمـي المتقدم في هاسنشو.

ورغم أن سكانها لا يعادلون ١ : ١٥ من سكان الصين الشعبية فقد أثبتـت وجودها كدولة متقدمة ذات ذات نشاط تجاري واسع منذ تسعينيات القرن المـاضي، بل أن جزءا من هذه التجارة مع الصين الشعبية ذاتها وأخذت تايوان أيضـا بفكـرة المناطق الاقتصادية، ممثلة في إقليم " كاوهيسونج " على الشاطئ الغربـي مقـابلا للصين.

ويعد النجاح الاقتصادي الذي أحرزته تايوان عجيبا بكل المقاييس في هـذا الشريط الشرقي المحيط باليابس الآسيوي، فقد تلقت حقا معونات وقروض، ولكنـها سرعان ما سددت ما عليها بسرعة أكثر من توقعات المراقبين، واليوم يبلغ نصيـب الفرد من الناتج المحلي نحو ١٠ آلاف دولار، وهو رقم يرتفع عن نظيرة في بعـض الدول الأوربية، وتتمتع بفائض تجاري ضخم يضيف إلى احتياطها النقدي مليـارات الدولارات سنويا، وتستخدم في مزيد من التنمية والاستثمارات الخارجية، فعل سـبيل المثال تعتبر تايوان أكبر مستثمر في فيتنام.

ومشكلة تايوان ليست اقتصادية، بل سياسية، وهي مشكلتها مـع الصيـن الشعبية التي تريد ضمها، كما أن المجتمع الدولي، أصبح لا يعـترف بـها ممثلـة للصين، وهكذا يتناقض الوضع الاقتصادي مع الوضع السياسي.

الباب الثالث

عالم آسيا الجنوبية

الفصل الأول

في شخصية آسيا الجنوبية

- من أيبريا إلى شبه جزيرة العرب، ومن ماليزيا إلى كوريا، أوراسيا عبارة عن كتلة صخمة تحفها الجزر، وتنتهي بأشباه الجزر، ولكن من بينها جميعا لا يمكن مقارنة أحدها بذلك المثلث الضخم وهو شبة الجزيرة الهندية الذي يضرب بسهم طويل في المحيط الهندي، من ثم أطلق على هذا المثلث لضخامته شبة القارة الهندية.
- هذا الإقليم محدد تماما من الشمال والشرق والجنوب بواسطة الجبال والغابات والمسطحات المائية، ومن ثم فهو يضم أحد أكثر العوالم الجغرافية وضوحا لا على مستوى آسيا. بل على مستوى العالم، كما أنه محدد جيدا من الناحية الثقافية، من ثم لا توجد مشكلة في تحديده في الشمال الغربي حيث الحدود والفزيوغرافية والثقافة أقل وضوحا، بل أن الاتصال غربا يتم عن طريق الممرات الجبلية، وهي بدورها وعرة، شديدة البرودة شتاء. ومع ذلك عبرتها هجرات وغزوات زادت من تعقيداته البشرية.
- الإقليم على درجة عالية من التنوع من القمم المعممة بالثلوج، والسفوح الجبلية المغطاة بالغابات إلى الصحاري، وأحواض الأنهار، من الهضاب العالية إلى الشواطئ، وكان لتحرك الصفائح القارية أثره في ظهور تلك السلاسل المرتفعة التي تذوب ثلوجها صيفا فتغذي أنهارا تنحدر عليها.

- ويبلغ النظام الموسمي أوجه ومثاليته في هذا الإقليم نظرا لموقعه الفلكي وموقعه بالنسبة لليابس والماء، فضلا عن وجود الحواجز الجبلية في الشمال، فهذا الإقليم اكثر أقاليم آسيا موسمية، بمطره الصيفي الغزير، وجفافه الشتوي إلا في مواضع قليلة، وحرارته المرتفعة صيفا، كما تأتيه الأعاصير المدارية (التيفون مصغرة) في خليج بنغال.
- هناك انحدار للمطر من بنجلاديش شرقا إلى باكستان غربا، ولا يقطع هذا الانحدار في المطر إلا على هضبة الدكن حيث يغزر المطر غربا ويقل شرقا.
- تمثل أحواض أنهار الجانج والسند والبراهما بوترا شرايين الحياة لملايين السكان، فمياها مكملة لأمطار الموسمية، وسهولها الخصبة هي قلب الزراعة، من ثم كانت قلب الإقليم اقتصاديا وبشريا.
- يقيم في هذا الإقليم أكبر تجمع بشري، يقترب من سكان الصين فإن كانت الهند تضم ما يقرب من المليار، وباكستان سكانها نحو ١٣٧ مليونا، وبنجلاديش ١٢٥ مليونا، ونيبال ٢٤ مليونا، وسيريلنكا ١٩ مليونا أي بمجموع ١٢٧٣ مليون نسمة، أي تجمع بشري ضخم في إقليم واضح فزيوغرافيا، وإذا كانت الهند هي ثاني أقطار العالم سكانا بعد الصين، فتشير الدراسات السكانية أنها ستتفوق على الصين عام ٢٠٢٥.
- كل أقطار هذا الجزء من العالم اقتصادياتها نامية، وكثيرا ما تعاني من المجاعات كما يسود عدم التوازن الغذائي، ويكاد يكون الإقليم الوحيد على مستوى العالم حيث يوجد أقل متوسط للدخل الفردي.
- مازالت الزراعة في آسيا الجنوبية في جزء كبير منها تقليدية وبالتالي أقل إنتاجية.

- معظم سكان جنوب آسيا ريفيون ويعتمدون على الأرض في معاشهم.
- تتعدد الثقافات، بينما تسود الهندوسية الهند، يسود الإسلام باكستان، وتسود البوذية في سيريلنكا.
- كان هذا الإقليم يمثل حجر الزاوية في الإمبراطورية البريطانية فلا غرو أن أطلق عليه جوهرة التاج البريطاني. وخرجت من تحت عباءة الاستعمار البريطاني دولتان كبيرتان هما الهند وباكستان والإطار السياسي للإقليم يظهر لنا الهند، وقد أحاطتها وحدات سياسية صغيرة، فحتى باكستان بعد الاستقلال انقسمت إلى (بنجلاديش) شرقية وباكستان غربية. وإلى الشمال يقع إقليم كشمير المتنازع عليه وهناك دولتان حبيستان نيبال وبوتان، وفي جيستان الطرف الجنوبي تقع سيرلينكا، وقد مثلت الأقطار الحبيسة في الشمال إقليما حاجزا بين النفوذ البريطاني في الجنوب، والنفوذ الروسي الصيني في الشمال.
- والواقع أن الاستعمار البريطاني كان يغطي على تنوع ثقافي كبير، لذلك ما أن حصلت الهند على الاستقلال حتى انفرط عقدها، وانقسمت عام ١٩٤٧. وفي الهند نفسها نجد اتحادا فدراليا بين ١٧ ولاية، فضلا عن عدد كبير من الولايات ذات الحكم الذاتي. ثم كان انقسام باكستان إلى باكستان نفسها وبنجلاديش، ويضاف إلى ذلك الصراع المستمر بين الغالبية البوذية في سيريلنكا، والأقلية الهندوسية من التاميل، كما أن الإقليم يتقابل فيه الإسلام مع الهندوسية، والبوذية، وما يتبع التشدد والتطرف الهندوسي من ردود أفعال وبالتالي فالإقليم مشكلاته الداخلية متعددة نتيجة التنافر العرقي، والحضاري، اللغوي، والديني، فنحن هنا أمام مائتي لغة وتسع معتقدات دينية، وتمثل فيه ربما جميع الأعراق ما عدا الهنود الحمر، والاسكيمو، ومع ذلك ظلت مشكلاته محلية، أي لم تصل إلى مستوى المشكلات العالمية.

- رغم أن دول الإقليم تعتبر من الدول النامية وينخفض فيها مستوى دخل الفرد، فالأحوال الحالية خير مما كانت عليه منذ خمسين عاما، زاد الاهتمام بالزراعة، وظهرت صناعات لم تعرفها المنطقة من قبل.
- ويتألف عالم آسيا الجنوبية من ثلاثة أقاليم كبرى الهند باكستان، بنجلاديش، ثم الجزر الجنوبية ومركزها سيريلنكا ومالديف، الأقاليم الشمالية الجبلية ممثلة في نيبال وبوتان.

الأقاليم الفزيوغرافية

وتقع شبة القارة الهندية الباكستانية بين دائرة عرض ٨° شمالاً، أما أقصى امتداد شمالاً لأراضي شبة القارة فيقع عند دائرة عرض ٣٧° شمالاً. ومن ثم يكاد ينصف مدار السرطان شبه القارة الهندية ــ الباكستانية إلى قسمين شبه متساويين، وتمتد أراضي شبه القارة كذلك فيما بين خطي طول ٦١° ، ٩٨° شرقا، ويبلغ متوسط طول شبة القارة الهندية الباكستانية من الشمال إلى الجنوب نحو ٣٢٠٠، كما بينما يبلغ أعظم إتساع لها من الشرق إلى الغرب نحو ٣٥٠٠ كم، وتبلغ جملة أطوال سواحلها نحو ٤٨٠٠ كم، في حين جملة أطوال حدودها البرية نحو ٦٥٠٠ كم.

والناظر للخريطة الفزيوغرافية لهذا الإقليم، سيجد تنوعا كبيرا من هذه الناحية من القمم التي تكسوها الثلوج إلى المنحدرات التي تغطيها الغابات الاستوائية، إلى الصحاري الممتدة وأحواض الأنهار الضخمة، والهضاب العالية، والسهول والسواحل المطلة على البحار، وكان لاقتراب الكتلتين القديمتين من بعضهما، في الزمن الثالث الجيولوجي قارة انجارا ممثلة في كتلة الصين، وبقايا قارة جندوانا ممثلة في هضبة الدكن، ما أدي إلى ضغط رواسب بحر تثبس وظهور أعلى سلاسل جبلية في العالم التي يذوب جليدها صيفا، فينساب ماء على أودية الأنهار، كما كان لوضع الإقليم فلكيا بالنسبة لدرجات العرض وجغرافيا بالنسبة

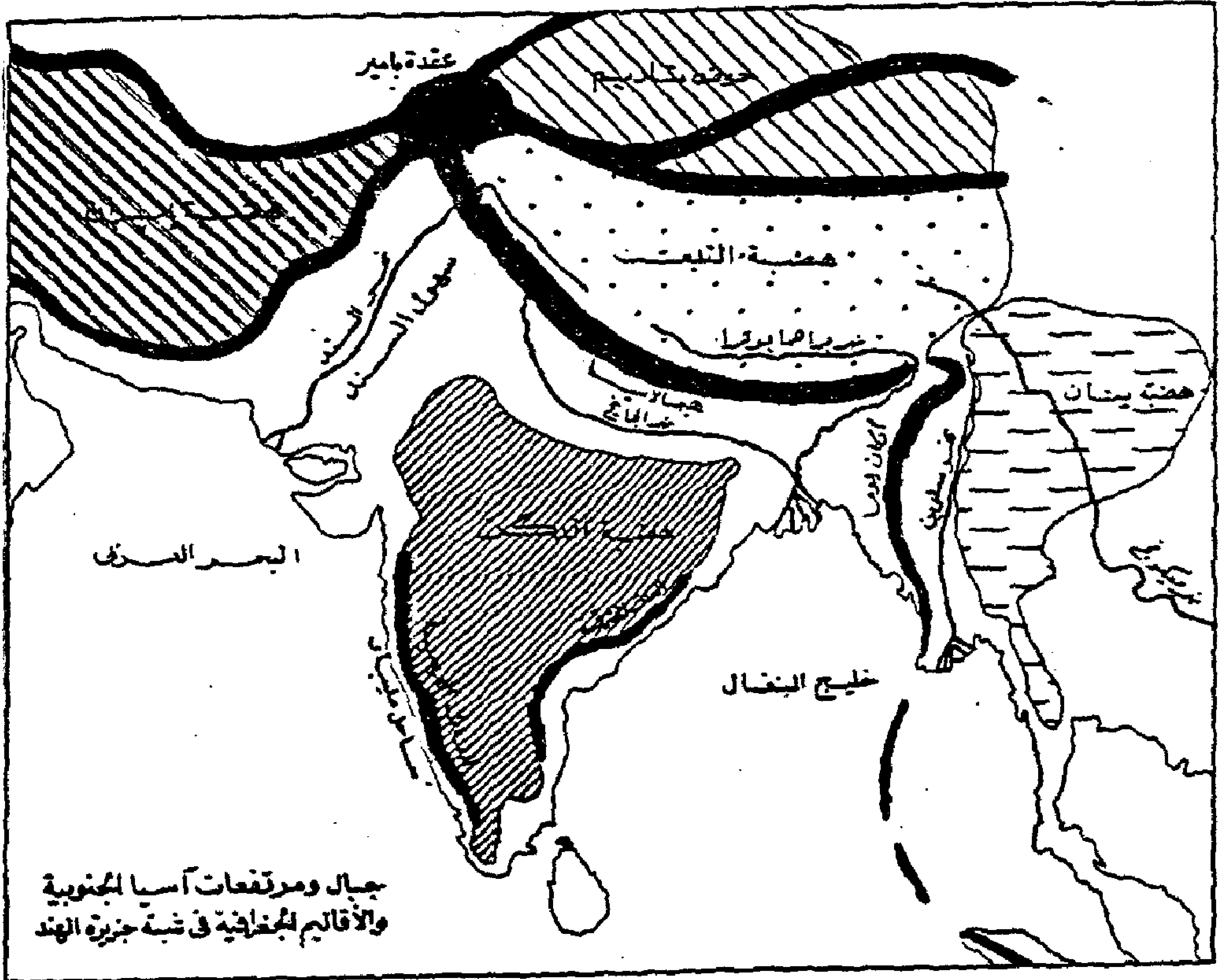
للمسطحات المائية، وبالتالي أن وضع الإقليم في مسـار الموسـميات والأعـاصير المدارية، ويمكن القول ببساطة بأن هناك أقاليم فزيوغرافية ثلاثة في آسيا الجنوبيـة : المرتفعات الشمالية، أشباه الجزر الهضبية، وبين هذا وذاك حـزام عريـض مـن الأودية النهرية، وفوق هذه التضاريس المتباينة يسقط مطر يتدرج في غزارته مـن الشرق (بنجلاديش) إلى الصحراء (باكستان) ولا يشذ عن هذه القـاعدة سـوي ساحل ملبار (ساحل هضبة الدكن الشرقي). ويمكن تقسيم شـبه القـارة الهنديـة الباكستانية إلى : -

المرتفعات الشمالية: من سلاسل هندكوش إلى قراقـورم فـي الشـمال الغربي، والهيملايا في الوسط (قمة إفرست أعلى قمة فـي العـالم ٩٦٧٦م) فـي نيبال، إلى سلاسل بوتان. وهذه السلاسل جافة وجرداء فـي الغـرب علـى حـدود أفغانستان، ثم تخضر وتكسوها الأشجار في كشمير، بل وتتحول إلـى غابـات فـي المدارج السفلي لمرتفعات نيبال، ومنها تنحدر الأودية متجهة إلى حضيض الجبـال حاملة المياه إلى أحواض الأنهار التي تجري في سهول الجانج (البرهمابورترا فـي الشرق، والسند في الغرب).

وتبدأ سلاسل المرتفعات الشمالية بعقدة بامير التي تسمو في ارتفاعها إلـى ما يقرب من ٨ آلاف متر فوق سطح البحر، ومن هذه العقدة تتفرع جبال الـهيملايا على شكل قوس ضخم ارتفاعا وامتدادا ولمسافة ٢٥٠٠ كم، وإذا سرنا مع الـهيملايا بدءا من كشمير غربا نجدها تتألف من عدة سلاسل رئيسـية، الـهيملايا الداخليـة والهيملايا الوسطي، والهيمالايا الخارجية، أما جبال قره قورم التي تتفرع من عقـد بامير أيضا فهي أقل ارتفاعا نسبيا (نحو ٧ آلاف متر)، وباتجاه الـهيملايا نحـو الشرق تزداد ارتفاعا حتى قمة إفرست في نيبال. والـهيمالايا بارتفاعـها وشـدة تضرسها تمثل حائطا جبليا فاصلا بين هضبة التبت شمالها، وشبة القـارة الهندية الباكستانية، وتقف حائلا كما ذكرنا أمام الرياح الموسـمية، فـهي ليسـت فـاصلا

فزيوغلافيا فحسب، بل هي فاصل مناخي ونباتي، ويبدأ انخفاض سطح الهملايا في إمارة بوتان حيث تبلغ نحو ٥ آلاف متر، ثم تأخذ بعد ذلك شكل قوس يتجه نحو الجنوب ممثلا في مرتفعات أركان يوما ومرتفعات جزر أندمان.

هذا كما تتفرع من عقدة بامير جبال سليمان والتي تشكل بدورها حاجزا بين هضبة إيران وشبة القارة الهندية الباكستانية، ممتدة نحو الجنوب الغربي.



شكل رقم (١٧)

ولأن كانت هذه المرتفعات الشمالية شديدة التضرس، فإن تعدد الممرات الطبيعية فيها كممرات خيبر وكيرثار وبولان وجومال قللت من فعاليتها كحاجز ضخم بالنسبة للتحركات البشرية. وبالتالي عبرتها الهجرات والغزوات منذ القدم مما كان له أثر واضح في تعمير شبة القارة الهندية الباكستانية بالسكان.

وأن كان ارتفاع الممرات ووعورتها يجعل احتيازها صعبا في فصل الشتاء القارس البرودة. فكما يقول كريسي Cressey في كتابة عن آسيا " ليس في آسيا منطقة بهذا الحجم وعلى هذا القدر من العزلة، فحائط الهيملايا يكاد يبترها من القارة بترا . كما لو كان المحيط المتجمد الشمالي.

شبة جزيرة الدكن : وهي هضبة مثلثة الشكل يتراوح ارتفاعها بين ٧٠٠م، ١٥٠٠م، يمر مدار السرطان بقاعدتها الشمالية، وهي قديمة، بقايا جندوانا، مائلة نحو الشرق، من ثم كانت حافتها الغربية (الغات الغربية) أكثر ارتفاعا من حافتها الشرقية (الغات الشرقية) وبالتالي كان انحدار الأنهار التي تعبرها من الغرب إلى الشرق مثل جودافري، وكيستنا وكافري، بينما يصب نادابا في الغرب بالقرب من بمباي. ويفصل هضبة الدكن عن السهول التي تقع شمالها سلاسل جبلية عرضية تمتد من الغرب إلى الشرق، وكانت هذه المرتفعات وقت ما فاصلا بين الجماعات الأرية والوافدة من الشمال والدرافيدبين على الهضبة. وكان لحافتها المرتفعة في الغرب أثره في زيادة أمطار الموسميات الجنوبية الغربية، وبالتالي يقل المطر على الهضبة من الغرب نحو الشرق.

غير أن حافة الهضبة المرتفعة وقلة تعاريجها منعت قيام المرافئ الطبيعية التي تستطيع أن تخدم التجارة الخارجية، فهي قليلة لا تتناسب في عددها مع سواحل الهند الطويلة. كما أن الساحل الغربي صخري، أما الشرقي فأقل صخرية، فضلا عن أن المياه ضحلة على طول الساحل لا تساعد السفن على الاقتراب منها.

<u>السهل الشمالي العظيم</u> : تنتهي مجموعة السلاسل الجبلية العظمى بصورة فجائية في الجنوب ليظهر نطاق السهول النهرية من حوض السند في باكستان إلى سهول الجانج المتسعة في الهند حتى يلتحم نهرا الجانج والبرهماوترا بدلتا عظيمة في بنجلاديش، ويعرف القسم الشرقي من هذه السهول بسهول الهند الشمالية بينما تعرف في الباكستان بسهول نهر السند الذي ينبع من هضبة التبت، ويخترق كشمير، ثم يلتوي متجها نحو الجنوب لتصل به روافده الأصلية في البنجاب (أرض الأنهار الخمسة).

هذا السهل الشمالي سهل رسوبي عظيم، كان خليجا بحريا، امتلأ بالرواسب ثم ارتفع وملأته الروافد الجبلية بتربة ممتازة من مفتتات الجبال الشمالية، منبسط شديد السهولة حتى لا يكاد الانحدار يرى ولا يحس، بل حتى ليتحول الصرف أحيانا إلى مشكلة، فيحمل نهرا الجانج والسند كميات ضخمة من الرواسب التي أحيانا ما ترسب الحمولة في بطن المجري ذاته، فيرتفع كثيرا عن مستوى السهل نفسه، مع شدة الاستواء تبدأ أخطار الفيضان والغرق بل أحيانا تغيير المجري، وانتشار المستنقعات في الأجزاء الدنيا.

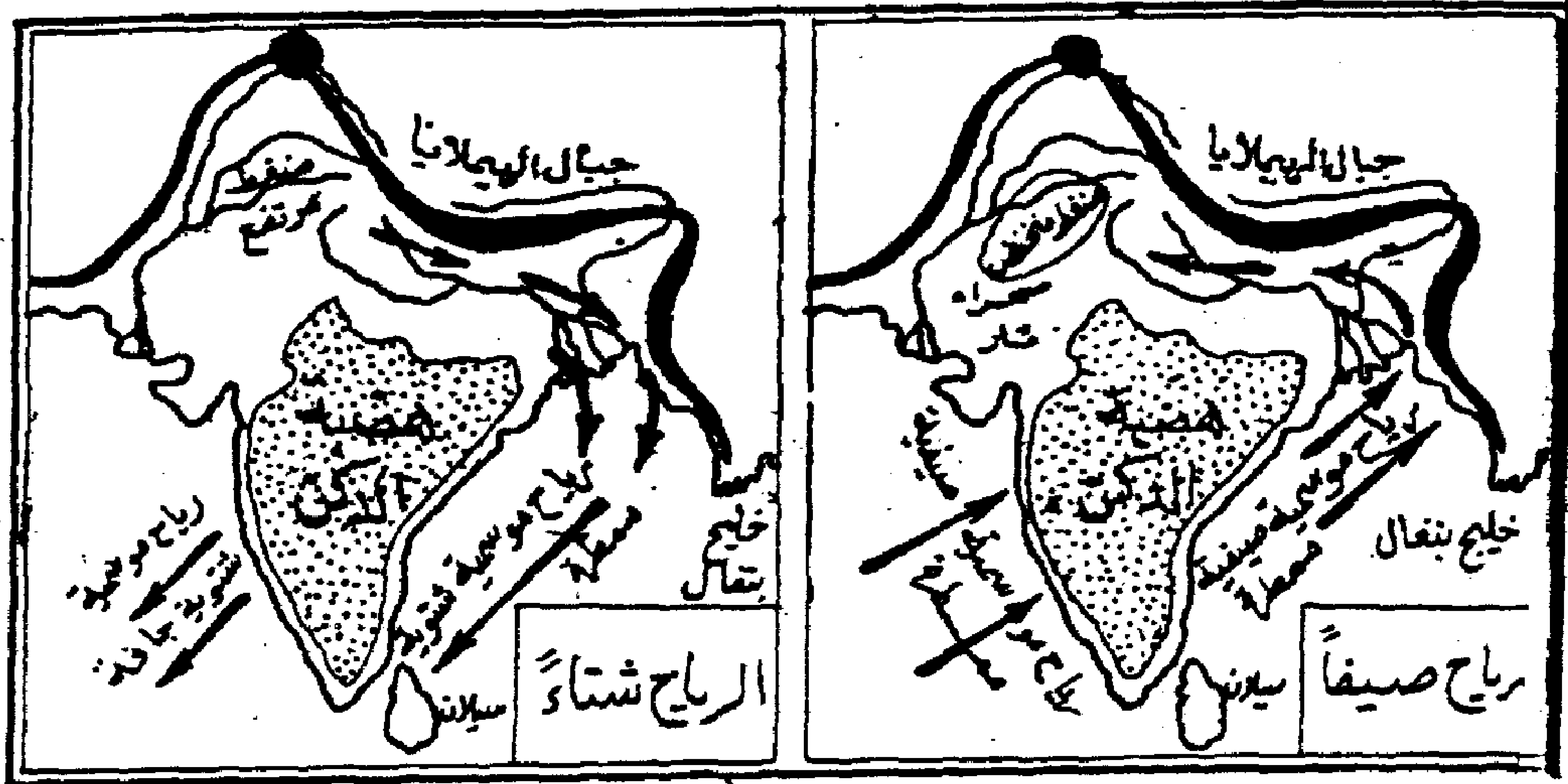
تميز النظم النهرية بأنها تستمد مائيتها من مصدر مزدوج، ثلوج الهيملايا الذائبة والأمطار الصيفية، واللافت للنظر أن نهر الجانج يجنح إلى أن يجري لا في وسط السهل الشمالي، ولكنه قرب تخومه الجنوبية، ويرجع ذلك إلى سرعة اندفاع الروافد الجبلية القوية الآتية من الشمال. وتأخذ هذه السهول في امتدادها شكل قوس ضخم باتساع يتراوح بين ٣٠٠ كم ٥٠٠ كم، ويمتد لمسافة أكثر من ٣٠٠٠ كم. وكان لاستوائها وخلوها من التلال، وسمك رواسبها مما جعلها من أقاليم الجذب السكاني لسهول استخدامها الزراعي.

المنـــــاخ

على الرغم من أن شبه القارة الهندية ـ الباكستانية تقع داخل نطاق المناخ الموسمي، إلا أن درجة الحرارة ومواسم سقوط الأمطار تختلف من مكان إلى آخــر، فوق أجزاء شبة القارة. ويمكن أن نميز ثلاثة فصول سنوية مختلفة تشكل مناخ شبه القارة تتمثل في يلي :

الفصل البارد: يمتد من أكتوبر إلى أواخر فبراير، وتنخفض فيــه درجــة الحرارة كثيرا خلال شهر يناير، بينما ترتفع درجة الحرارة خلال هذا الفصـــل كلمـــا اتجهنا من الشمال إلى الجنوب. فتبلغ متوسط درجة حرارة هذا الفصل في بيشـــاور ١٠°م، وفي أقصى الجنوب ٢٧م. ونظرا لبرودة اليابس وارتفاع الضغط فوقه تخــوج الرياح الشمالية الغربية الجافة الباردة من اليابس وتتجه صوب البحـــار (الضغــط المنخفض) وتؤدي إلى شدة برودة وجفاف الأجزاء الشمالية مـــن شــبه القـــارة. وعندما تعبر الرياح خليج بنغال وتتشبع بالرطوبة. تنحرف نحـــو مراكـــز الضغــط المنخفض المحلية فوق جنوب هضبة الدكن، وتسقط الأمطار على الساحل الجنوبـــي الشرقي الغات الشرقية، والساحل الشرقي لجزيرة سيريلنكا (سيلان).

الفصل الحار: يمتد من بداية مارس إلى منتصف يونيـــه، ومـــع حركـــة الشمس الظاهرية نحو مدار السرطان، ترتفع درجة الحرارة تدريجياً إبتداء مـــن أول شهر مارس، ويعد شهري إبريل ومايو، أشد شهور السنةً حرارة في كـــل أجـــزاء القارة الهندية (قبل سقوط المطر)، بمتوسط درجة الحرارة قد يزيـــد علـــى ٣٠°م خلال هذا الفصل وخاصة في المناطق الداخلية حيث قد يزيد هنا إلى أكثر من ٤٠°م.



شكل رقم (١٨)

<u>الفصل الممطر</u>: يمتد من يونيو إلى نهاية سبتمبر أو أكتوبر، وترتفع الحرارة على اليابس ويصبح منطقة ضغط منخفض تجذب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية من منتصف شهر يونيه، وتسقط أمطاراً غزيرة فوق ساحل الغات الغربية. وطوال هذا الفصل يصبح الاتجاه الجنوبي للرياح هو الإتجاه السائد، ويختلف طول الفصل الممطر من مكان إلى آخر تبعاً لأثر موقع الجغرافي والظروف المحلية. فتزداد كمية الأمطار على سفوح الغات الغربية وسفوح الهيمالايا وأسام (لاحظ تعامد الرياح على المرتفعات بحيث تزيد على ٢٠٠ سم، على حين تقل في شرقي الدكن (١٠٠ سم) وفي باكستان بصفة عامة بين ١٠ سم إلى ٤٠ سم، وكما تكاد تنعدم في صحراء ثار في شمال غرب الهند وجنوب شرقي باكستان.

الفصل الثاني

جمهوريـــة الهـــند

(خمسون عاما من الفيدرالية)

لوحة موزاييك بشري : تحتل جمهورية الهند ثلاثة أرباع شبه القارة الهندية وحدها، وهي من أكثر دول العالم ازدحاما بالسكان، ولنتخيل أن المليار هندي يعادلون سكان كل أفريقية وجنوب غرب آسيا معا، وسوف تتفوق الهند بمعدلات نموها الحالي على كل هؤلاء السكان الذين ذكرناهم، بل ستتفوق على الصين أيضا خلال العقد الحالي ولعله من أعاجيب الزمان أن تظل الهند كوحدة سياسية واحدة حتى الآن. فالهند موازيك ديني ولغوي، وسلالي، واقتصادي، بل يمكن القول أنها أمم، ولعل الاستعمار الإنجليزي، ــ رغم مساوءه ــ ما أضفى عليها هذه الوحدة، عاصمة موحدة، شبكة طرق ومواصلات، لغة تفاهم مشترك، خدمة مدنية، وقد تبنت الهند النظام الفيدرالي منذ الاستقلال عام ١٩٤٧، أي إعطاء الأقاليم بعض الاستقلال ونجحت في هذا إلى حد بعيد، فلم تشهد انقلابات، وديكتاتوريات حاكمة، وأن كان هذا ليس معناه أن الهند لم تشهد عوامل الطرد المركزية Centrifugal forces، فهناك الخلافات الحدودية، وحروبها، الاضطرابات المدنية التي هددت وحدتها أحيانا.

رغم أن الإنجليزية هي لغة الإدارة والأعمال، فهي أيضا لغة التجارة والمال والتعامل، ومع ذلك تعتبر اللغة التي يتكلمها أكثر من ثلث السكان في الولاية هي لغتها الرسمية، وبالتالي هناك ١٤ لغة رسمية في الولايات، كما أن هناك مطالبات بالاعتراف بلغات أخرى. ومن المشكلات الأخرى العرقية كما في الشمال الشرقي، حيث مجموعة الناجا الذين تضمهم ولاية آسام، فقد ثاروا عقب استقلال الهند، مما

أدى إلى تدخل القوات الاتحادية وعقد صلح بعد عقود من المفاوضات، وتم الاعتراف لهم بوضع خاص عام ١٩٦١.

وهناك مشكلات دينية مثل مشكلة السيخ (المنبوذون) التي قامت ضد الهندوس والمسلمين، ووجدت لها تابعين بالملايين في البنجاب والأراضي المجاورة لها. وقد تعاونوا مع الإدارة البريطانية فترة الاستعمار، ولذلك فقد ردت لهم الإدارة الاستعمارية الجميل، بتعيين مئات الآلاف منهم في الجيش والبوليس، ومن ثم تكونت منهم طبقة متوسطة في البنجاب (الشمال الغربي)، وعندما نالت الهند استقلالها هجر الكثير منهم قراهم واتجهوا إلى المدن، ومن ثم فلهم حتى اليوم نفوذ في الشئون الهندية يفوق نسبتهم الضئيلة (٢%)، وقد طالبوا عقب الاستقلال أن تقسم ولاية البنجاب إلى قسمين غربي (السيخ) وشرقي (للهندوس) ووافقت الحكومة على هذا ولم يقتنع السيخ بهذا، بل طالبوا بزيادة استقلال الولاية تحت اسم كاليستان، وقام التمرد والمظاهرات والعنف مما أدى بالحكومة إلى التدخل بعنف ومواجهة عام ١٩٨٤ عند المعبد الذهبي المقدس لديهم. ثم كان اغتيال أنديرا غاندي رئيسة الوزراء على يد حراسها من السيخ. وتعقدت المشكلة، ومن وقتها ازدادت الفجوة بين السيخ والهندوس ويتكرر مثل هذا الاضطراب في العلاقات بين الحين والحين.

ورغم أنه لا توجد ولاية إسلامية في الهند. فعدد المسلمين فيها نحو ١١٥ مليون مسلم، وبهذا تعتبر أكبر أقلية في العالم، ويلاحظ أن الجماعات المسلمة من الجماعات التي يزيد نموها بسرعة، وهم في معظمهم من سكان المدن، فعلي سبيل المثال نجد أن نحو نصف سكان بومباي من المسلمين.

البشـــــــر

يضم عالم آسيا الجنوبية نحو ربع سكان العالم ١,٤ مليـار، والـهند لـها وحدها نحو المليار، وإذا تفوقت سكانيا على الصين خلال الربـع الأول مـن هـذا القرن، تستحوذ على المكانة الأولي، ولاشك أن هذا النمو السكاني له مشكلاته علـى التنمية، مما دفع بالحكومة الفدرالية، وحكومات الولايات، إلـى اتخـاذ الإجـراءات لمحاولة خفض معدلات المواليد، ورغم ظهور بعض النتائج المبشرة، فمازالت الـهند في أواخر تسعينيات القرن العشرين ذات زيادة سنوية قدرها ١٩ في الألف، وهـذا معناه أن سكان الهند، يتضاعفون كل ٣٦ سنة، وبالتالي فأي عملية للتنمية لا تظهر وتبتلعها هذه الزيادة السكانية.

يرتبط توزيع السكان في شبه القارة الهندية بالمطر أولا والسهول ثانيا، من ثم كان السهل الشمالي هو مركز الثقل البشري أي سهول الجانج والسند. ففي كـل منهما نصف سكان الهند ونصف سكان باكستان، وتقل الكثافة كلما اتجهنا شرقا فـي حوض السند. فهنا في هذه السهول حيث المطر وحيث الري قلب الهند البشري.

أما في هضبة الدكن فتجد السهل الساحلي الغربي أكثر كثافة مـن نظـيره الشرقي وبدرجة وسط في هضبة الدكن، ونواة السكان هنا هـي التربـة البركانيـة Deccan Trap التي تعتبر بفضل تربتها السوداء البركانية الأصل، هي حقل القطن الأعظم في الهند.

ولا شك أن انتقال السكان من الريف إلى الحضر من عوامل الحد، ذلـك أن الزيادة السكانية، إذ تنتفي الدوافع الريفية لزيادة النسل، ومازال المجتمـع الـهندي ريفيا ٢٦% من السكان من أهل الحضر، ولكن في نفس الوقت تمثل هذه نحو ٢٥٠ مليونا من السكان، أي ما يقرب من عدد سكان الولايات المتحدة الأمريكيـة. ومـع ذلك فسكان الحضر مازالوا في طريقهم إلى الزيادة، لأن السكان يتدفقون على المـدن

بنحو ٥% سنويا، ولا يرجع هذا إلى جاذبية المدن المعهودة، ولكن يرجع أيضا إلى الفقر، وبؤس الريف، ويساعد على هذه الهجرة أن أقرباءهم في كلكتا أو مدارس يستقبلونهم، ويتم إيوائهم معهم، ويساعدونهم على إيجاد فرص عمل، فيعيش المهاجر داخل جماعة بلغتها ودينها وتقاليدها.

ومن ثم تعتبر المدن الهندية بدورها فسيفساء من التناقضات الاجتماعية، ولا يمكن أن تتوفر لكل هؤلاء تسهيلات الحياة.

فهناك آلاف مؤلفة دون مأوى تهيم على وجوهها، تبيت على الأرصفة والحدائق وتحت الجسور، ومعنى هذا تهديد للسلم الاجتماعي لأن هؤلاء الشباب الذين لا يجدون عملا يكونون بمثابة قنابل موقوتة.

الإنتاج الزراعي

خصائص الزراعة في الهند :

رغم الجهود الكبيرة التي نجحت بها الهند في زيادة إنتاجها الزراعي، فإن بعض الأقاليم تصادفها مجاعات متقطعة، غالبا ما تكون نتيجة موجات جفاف وبالتالي هلاك المحاصيل، واليوم يعيش نصف سكان الهند عند حد الفقر، وإمكانية رفع هذا الفقر ليس أمرا قريبا، فحتى في ظل متوسط دخل الفرد ٢٩٠ دولار سنويا، فإن زيادة السكان تبتلع أي تقدم اقتصادي.

تعتبر الهند نموذجا لتخلف الإنتاج الزراعي في العالم، فالزراعة التقليدية هي السائدة، وانخفاض إنتاجيه الفدان وانخفاض إنتاجيه العامل الزراعي ظاهرتان تميز هذا النوع من الإنتاج، كما أن نقل المحاصيل الزراعية من مناطق الوفرة إلى مناطق الجوع تقف أمامه مشكلات عديدة، طول المسافات، رداءة وسائل النقل، ففي عام ١٩٩٩ كانت ٤١% من مجموع ٦٠٠,٠٠٠ قرية فقط قريبة من الطرق

والسيارات ومازالت حيوانات الجر تفوق الآلية.

ومع زيادة السكان ينخفض نصيب الفرد من الأرض الزراعية، إذ تبلغ الكثافة الفسيولوجية نحو ٨٠٠ لكل كم٢، وإن كانت نصف نظيرتها لدى جارتها بنجلاديش (١٦٠٠ كم٢) ولكن الزراعة الهندية متخلفة بحيث تصبح المقارنة خادعة، إذا أن ثلثي الأيدي العاملة في الهند يعتمدون على الزراعة كمصدر حياة مباشرة، كما أن غالبية الزراعيين الهنود فقراء جدا لدرجة عجزهم عن تحسين التربة أو استخدام آلات. وأما المناطق التي نجح فيها تحديث الزراعة كما في إقليم القمح في البنجاب، فهي جزر متقدمة وسط محيط متخلف. وقد يكون هذا الركود الزراعي راجعا في جزء منه أيضا في ان الهند بعد الاستقلال لم تقم فيها أي مشروعات إصلاح زراعي. فما زال نحو ربع مساحة الأراضي المزروعة يمتلكها ٥% السكان الزراعيين. وربما أن نصف العائلات الريفية تمتلك فدانا (واحدا) أو لا شئ.

الهند دولة زراعية تزرع سنوياً حوالي ٢٩٠ مليون فدان، خمسها على الري والباقي على الأمطار. والري ضروري في الجهات القليلة المطر أو في الجهات التي تتذبذب فيها كمية المطر كأعالي الجانج وشرقي الدكن. وعلى العموم فالزراعة التي تعتمد على مياه الري أفضل بكثير وأضمن من الزراعة التي تعتمد على مياه الأمطار.

من المحاصيل الزراعية الأرز هو المحصول الأساسي مساحة وغذاء. ولما كان الأرز في حاجة إلى وفرة في المياه كانت سهول الجانج الأدنى والأوسط والسهول الفيضية لأنهار هضبة الدكن حيث تزرع الهند أكثر من ٧٠ مليون فدان ويمثل الأرز المكان الأول ويزرع معظمه في البنغال وأسام وبهار، وفي السهول الساحلية للهند في الشرق والغرب يزرع الأرز بكميات ضخمة حيث وفرة المياه والتربة الجيدة، وعلى العموم لا يكفي محصول الأرز المحلي سكان الهند وتستورد

كميات كبيرة كل عام لتكفي حاجة السكان.

وتبلغ مساحة الأرز حوالي ٨٥ مليون فدان أرزاً وتتركز زراعة الذرة فـي القسم الأوسط من هضبة الدكن والحوض الأعلى لنهر الجانج لحاجتها الأقل للمـــاء وهي غذاء قسم كبير من أهل الريف، ويزرع القمح في المناطق شبه الجافة وخاصة في شمالي هضبة الدكن وهو هنا محصول شتوي وتنتشر زراعة الفول الســـوداني كمحصول غذائي أيضا، كما يسهم قصب السكر الذي يزرع فـي مسـاحات واسـعة خاصة حيث تتوفر مياه الري كما في إقليم البنجاب وأعالي حوض الجانج ويسهم في توفير احتياجات السكان من السكر، أما باقي المحاصيل فتشــمل زراعـة الشـعير والسمسم والكتان والبهارات والجوت والخروع والشاي والتبغ.

ومن المنبهات يزرع بالهند شجيرات الشاي والطباق والبن. ويعـد القسـم الشمالي الشرقي من الهند والقسم الجنوبي الغربي من هضبة الدكـن أهـم أقـاليم زراعة شجيرات الشاي بالهند. وتحتاج شجيرات الشاي لنموها إلى تربـة عميقـة خصبة جيدة الصرف. وتزرع شجيرات الشاي على المدرجات الجبلية فـي آسـام. وتحتاج زراعتها إلى كثير من الأيدي العاملة اللازمة للقيام بالشئون الزراعية مـن جهة، ولعمليات جمع أوراق الشاي وتجفيفها من جهة أخرى.

وتزرع الهند مساحة كبيرة من الأرض قطناً تبلغ ١٧ مليون فدان، وهو من النوع القصير التيلة، ولكنه يسد حاجة الملايين، ويتركز إنتاج القطن فـي منـاطق ثلاث الأولي هي منطقة التربة السوداء في الشمال الغربي للدكن إلى الشـرق مـن بمباى والمنطقة الثانية منطقة السهول الرسوبية الخصبـة فـي حـوض الجـانج والأخيرة في منطقة مدراس حيث التربة الحديدية الحمراء وتنسج الهند الأن معظـم إنتاجها من القطن، وقد أنشأت مصانع للنسيج في جهات كثيرة من البلاد، خصوصـاً منذ أن اتجهت إلى تصنيع بلادها وحلت المصانع الحديثة محـل المصـانع اليدويـة القديمة التي كانت منتشرة في معظم قرى الهند بشكل واضح معـروف، وقـد كـان

إنتاج الهند من القطن حسب إحصائية ١٩٩٧ حوالي ١,٢ مليون طـن أي ٩,٥% من الإنتاج العالمي. وكما تزرع الهند الكتان خصوصاً في الشمال لحاجتها لنسـيجه، فضلا عن زيته الذي يدخل في صناعة البويات.

تربية الحيوان:

أما من ناحية الثروة الحيوانية فرغم أن الهند بها عدد ضخم من الماشـية فإنها من النوع الهزيل حيث المراعي الفقيرة، فالعدد الهائل من الحيوانات لا يتفـق مطلقاً مع مساحة المراعي. وتحرم ديانة الهند تحرم ذبح الأبقار، ولذلـك تتكـدس بشكل يلفت النظر، بالهند حوالي ١٨٣ مليون رأس أي حوالـي ١٥% مـن قطيـع العالم، وكثيراً ما تشاهد في المدن وفي الميادين العامة، وألبانها من النوع الـرديء ويجمع بطريقة بدائية غير صحية إلا حول المدن الكبيرة مثل بمبـاي حيـث توجـد معامل حديثة لتعبئة اللبن. كما أن وأعداد ضخمة مـن الـهنود لا يـأكلون اللحـم، وتستخدم الحيوانات في الهند في أعمال الحقل والألبان. وتسبب الماشية المتراكمـة بدون عناية ورعاية تلفاً للأشجار خصوصاً الماعز والضأن كما تساعد على جـرف التربة، فهي تحفر الأرض بأرجلها ويسهل بعد ذلك تعريتها خصوصاً علـى سـفوح الجبال.

والواقع أنه كان من الممكن الاستفادة من الثروة الحيوانية الضخمة أيضـا في تخصيب التربة عماد الإنتاج الزراعي، غير أن هذا لا يتم لأسباب متعددة منها :

- معاناة الماشية من سوء التغذية، وضعف الجسم، ومن ثـم لا تعطـي أنواعاً جيدة من الأسمدة العضوية.
- يستخدم الأهالي روث الماشية بعد عملية تجفيفه كمواد للوقود.
- صعوبة جمع روث الماشية، حيث تمرح الماشية من مكان إلـى آخـر دون أن يخصص لها مكان محدد تتجمع فيه.

من مشكلات الزراعة في الهند :

يقاوم كبار الملاك أي اتجاه للإصلاح ويزيد من قسوة الظروف أن كثيرا من المزارع الهندية مفتتة نتيجة قوانين الوراثة، وبالتالي يمنع هذا الوضع قيام الميكنة، والري المشترك، والتعاون الزراعي، من ثم فلا عجب إلا تنجح المجـــهودات التـــي وجهت نحو الأرض ما عدا في ولاية البنجاب وهاريانا وأوتار برادشي حيث أمكـــن تحديث الزراعة.

وعلى الرغم من المساحات الواسعة التي تزرع فـــي الـــهند والمحـــاصيل الضخمة التي تنتجها غير أنها قد تتعرض للمجاعات. حقيقة أنها أقـــل تعرضـــاً الآن من القرن الماضي إلا أنها تتعرض لخطر الجفاف وتذبذب كمية الأمطـــار بحيـــث لا تكفي الزراعة حاجة السكان، فكثيراً ما يعقب الجفاف حدوث المجاعة وخاصة إذا قل متوسط المطر في إقليمين متجاورين في عام واحد أو توالت بضع سنوات جافة فـــي نفس الإقليم، غير أنه يجب أن نشير إلى أن الفجوة تقل بين الإنتاج واستهلاك فـــي الحبوب. بل صدرت الهند إلى أفريقية في الثمانينيات كميات من الحبوب مشاركة في برامج إغاثة اللاجئين، ومع ذلك فالوضع الغذائي على حد الموســي Razors`edge ورغم المشكلات التي يعانيها القطاع الزراعي في الهند فمازالت الزراعة هي أســـس التنمية، ومازالت الزراعة تستخدم ثلثي الأيدي العاملة. مولدة معظم دخل الدولة مـــن الضرائب، وتسهم المنتجات الزراعية بقدر وافر فهناك صادرات المنسوجات القطنية، الشاي، الفاكهة، الخضروات، منتجات الجوت، والمصنوعات الجلدية وبالتالي تســـهم في دخل البلاد من العملة الصعبة.

الإنتاج الصناعي

حين استقلت الهند عام ١٩٤٧ ورثت بقايا إطار صناعي مهلهل، وإذ بعـــد قرنين من الاستعمار البريطاني لم يعمل بالصناعة سوى ٢% من مجموع العـــاملين ولم يسهم هذا القطاع إلا بنحو ٢% من الدخل القومي.

وسادت الصناعات الغذائية والنسيجية، ولم تعرف الهند الصناعات الثقيلة بصورة مؤكدة إلا بعد الحرب العالمية الثانية، وتركزت الصناعات في المدن الرئيسية الكبيرة، كلكتا، مومباي ثم مدراس.

مقومات الصناعة :

تتمثل مقومات الصناعة في الهند في خامات زراعية ومعدنية وقوى محركة للصناعة وأيدي عاملة رخيصة:

هذا وقد ساعد على نشاط الإنتاج الصناعي في الهند وفرة بعض الخامات التي يمكن استغلالها، منها المحاصيل الزراعية كالقطن والجوت، ومنها ثروة معدنية تأتى على قمتها الفحم الذي يتركز في شمال شرقي الهند، وهذه المنطقة لها وحدها ٩٠% من الإنتاج الفحمي، هذا فضلا عن مناطق متفرقة في هضبة الدكن. وإذا كانت الهند قد اكتشفت حقولا بترولية في ولايات آسام وجوجرات وبارود، فإن إنتاجها لا يكفي الاستهلاك. من ثم تعتمد على الاستيراد، وتعوض الهند هذا باستغلال القوي المائية بإقامة السدود على الأنهار، فضلا عن الاستخدامات النووية. ويتوفر الحديد في الهند ويستغل وتستكمل حاجتها، بالاستيراد، ويساعد المنجنيز الذي يتوفر في هضبة الدكن على قيام صناعات الصلب الشديد المقاومة، وهناك عدة معادن أخرى ولكنها تستخرج بكميات قليلة كالنحاس والميكا.

أخذت الهند سياسة الخطط الخمسية، وذلك لتنشيط الصناعة، وحتى قامت فيها صناعات متعددة من الحرير والصوف والقطن والجوت، وهي صناعات قديمة، إلى الحديد والصلب وقطارات السكك الحديدية والجرارات والسيارات، والألومنيوم، والصناعات الكيماوية كالأسمدة والأسمنت وغيرها وأهم هذه الصناعات : ـ

صناعة المنسوجات، وتعد صناعة المنسوجات القطنية من أقدم الصناعات التي عرفتها الهند، واشتهرت الهند بصناعة المنسوجات القطنية

والحريرية، فقد أنشئ فيها أول مصنع للمنسوجات القطنية عـــام ١٨٥١. وتـــتركز مصانع غزل القطن ونسجه داخل نطاق زراعة القطن، كما في ممباي (بومبـــاي) وأحمد أباد، وناجبور، ومدراس، وكانبور، ودلهي، وكلكتا، وقد تخصصـــت مصـــانع ممباي، وأحمد أباد في صناعات المنسوجات القطنية الجيدة، معتمدة على غزل جيـــد مستورد من الخارج.

وتتركز صناعة الجوت أيضا بجوار مناطق زراعته، من ثم تركزت مصـــانع الجوت على ضفاف نهر هوجلي بالقرب من كلكتا.

أما صناعة المنسوجات الصوفية فهي أقل أهمية إذا ما قورنـــت بصناعـــة المنسوجات القطنية أو الجوت، ومع ذلك فاشتهرت الهند وخاصـــة إقليـــم كشـــمير بصناعة السجاد الجيد، وكذلك صناعة البطاطين وغيرها، وتتركز مصانع هذا النـــوع من المنسوجات في ممباي. وبنجالور، والله أباد، وكانبور.

صناعة الحديد والصلب:

ترجع نشأة صناعة الحديد والصلب إلى فضـــل رجـــل الصناعـــة الـــهندي جامشدج تاتا الذي أقام أول مصنع للحديد والصلب في إقليـــم جامشـــدبور، وأســـس الشركة التي عرفت باسمه (شركة تاتا للحديد والصلب).

وكان اختياره لموقع جامشدبور نموذجيا لوفرة كل مـــن خامـــات الحديـــد، والفحم، والحجر الجيري بالقرب من هذه المنطقة المختـــارة. وأنشـــأ أول الأفـــران العالية عام ١٩١١، وظهرت بداية إنتاج الصلب منذ عام ١٩٣٣، وبعد نجاح هـــذه الصناعة دعمتها الحكومة، وظهرت أفران عالية لصهر الحديد في شمال شرقي الهند (لاحظ توفر الفحم) وفي وسط هضبة الدكن وجنوبيها، هذا وتســـتمر الـــهند فـــي برامجها لزيادة إنتاج الحديد والصلب لأنه أساس لصناعات كثيرة كالسكك الحديديـــة والسيارات والجرارات فضلا عن السفن التي تقدمت في صناعاتها كثيرا.

الصناعات الكيماوية :

وتعد الصناعة الكيماوية أساس التقدم الصناعي للدولة الصناعية بالعـالم، كما تساهم صناعة الأسمنت على سرعة نمو حركة البناء والتعمير بهذه الدول.

وقد وجهت حكومة الهند عنايتها للنهوض بالصناعات الكيماوية. وتـتركز صناعة الكيماويات في أقاليم البنغال الغربية، وكانبور، وولاية جوجارات)، وممبـاى وجنوبي هضبة الدكن، مما أدي إلى زيادة الصناعات الكيماوية وتنوعـها، وأهمـها صناعة الأسمدة وصناعة الأسمنت، ومن الصناعات المستجدة على الساحة العالمية، صناعة برامج الكمبيوتر.

برامج الكمبيوتر وثورة المعلومات: استطاعت الهند الدخول في عمق الثورة الصناعية الثالثة (ثورة المعلومات)، من خلال الأعداد الهائلة من الفنييـن والتكنولوجيين وشركات تكنولوجيا المعلومات، والذين تمكنوا من الدخول في عمليـة التقسيم الدولي للعمل في مجال تكنولوجيا المعلومات، ولو على الأقل كمجرد سمسار صغير لدى شركات الكمبيوتر العالمية الكبري. ويمثل هذا التطور التكنولوجـي فـي الهند نتاجا للسياسات التي اتبعتها الحكومات الهنديـة منـذ عـام ١٩٨٤، ولذلـك أصبحت الهند تمتلك في الوقت الحالي شريحة واسعة مـن المـبرمجين والفنييـن، والذين يتركزون في عدد من المؤسسات، مثل وادي البنغال للسيليكون، ومعهد الهند للعلوم، ووكالة الفضاء الهندية.

الصناعات النووية :

وفي المجال النووي، تتمتع الهند بقدرات عالية في مجـال الاسـتخدامات السلمية والعسكرية للطاقة النووية، فقد بدأ الاهتمام بالطاقة الذرية في الـهند منـذ فترة ما قبل الاستقلال، وكان هذا الاهتمام مرتبطا بشـيوع الإدراك فـي الـهند أن التكنولوجيا النووية تعتبر ركنا محوريا من أركان التطور الصناعي، ويمكن أن يفيـد

الهند بشدة في عملية التطور الاقتصادي، ومما ساعد على استمرار وتطور البرنامج النووي الهندي أن كافة الحكومات الهندية منذ الاستقلال، قدمت الدعم والمساندة السياسية للبرنامج النووي الهندي، وقد تم بناء أول مفاعل نووي هندي في مدينة بومباى في منتصف الخمسينيات، ثم تم بناء مفاعل بحثي نووي عام ١٩٦٠ قدرته حوالي ٤٠ ميجاوات، وفي الوقت الحالي، بلغ عدد المفاعلات النووية العاملة في الهند ٩ مفاعلات، كما يجري تشييد ٧ مفاعلات أخرى، وهي من الأنواع الصغيرة والمتوسطة. وأصبحت المفاعلات النووية توفر حوالي ٣% من الكهرباء للبلاد، وتعتزم الهند إنتاج ٢٠.٠٠٠ ميجاوات من الطاقة الكهربية عن طريق المفاعلات بحلول عام ٢٠٢٠.

شكل (١٩)

مراكز رئيسية للصناعة :

١ ـ تعتبر كلكتا هي المركز الصناعي الرئيسي في الإقليم الصناعي شرقي الهند حيث الصناعات القائمة على الجوت أساساً، وقامت بجانبها صناعات المنسوجات القطنية والكيماويات، كما تقوم في جمشدبور إلى القرب من كلكتا كأكبر مركز في الهند لصناعات الحديد والصلب.

٢ ـ ممباي وحيدر أباد أي الإقليم الغربي، وقد تخصصا الإقليمان في الصناعات القطنية والكيماوية وبعض الصناعات الهندسية والغذائية. وقد اعتمدت هذه المنطقة الصناعية على الظهير الخلفي لها المنتج للقطن في هضبة الدكن، ورخص الأيدي العاملة، وتوليد الكهرباء من مساقط جبال الغات الغربية.

٣ ـ مدراس وهي المركز الصناعي الرئيسي في جنوبي الهند، ويقع خلفها عدة مراكز صناعية صغيرة، كلها تؤدي إلى مدراس وتقوم هنا صناعات النسيج والصناعات الهندية الخفيفة، وبناء السفن في مدراس.

الفصل الثالث

باكستان ـ بنجلاديش

باكستان

التقسيم:

كان الواضح حتى قبل استجابة الحكومة البريطانية لمطلب الاستقلال أن الهند الكبرى لن تعيش كوحدة سياسية واحدة بسبب الصراعات بين الهندوس والمسلمين، ولكن عملية التقسيم لم تكن سهلة. فالغالبية المسلمة كانت تشكل الجزء الشمالي الغربي، وكذلك الجزء الشرقي من الهند الكبرى (بنجلاديش) كما أن هناك تجمعات إسلامية في داخل النطاق الهندوسي، وأي خط يرسم للتقسيم سوف لا يفصل تماما بين الهندوس والمسلمين، لذلك لابد من هجرة ملايين السكان عبر هذا الخط، ولم يكن المسلمون والهندوس هم الذين يستأثرون بهذا التقسيم فحسب، بل هناك السيخ فأرض البنجاب هي مواطن ملايين من السيخ، وهم من اشد أعداء المسلمين، خاصة وأن خط الحدود سيترك السيخ في باكستان، وقام السيخ بمظاهرات حتى قبل يوم الاستقلال في ١٥/ أغسطس ١٩٤٧ ولا يمكن تصور ما حدث للمهاجرين عبر الخط الجديد من الشرق إلى الغرب والعكس لنحو ١٥ مليون نسمة من نهب وسلب وقتل وتشريد، فالمعاناة الإنسانية كانت فوق التصور البشري، ورغم هذه الهجرات عبر الجانبين فلم يكن في الإمكان تنقية كل جانب تماما من العنصر الآخر، فمازال هناك عشرات الملايين من المسلمين في الهند، وقد اقترب حجمهم عن عدد سكان باكستان.

هبة السند :

إذا كانت ارض مصر هبة النيل، فباكستان هي هبة السند، فنهر السند وروافده الرئيسي سوتليج هي باعثة الحياة في قلب هذه الدولة الكثيرة السكان ومن روافده أيضا جيلم، والراوي فضلا عن وستلج، فباكستان ليست كبيرة من حيث

المساحة بمقاييس الدول الأسيوية الكبيرة، ولكن بسكانها البالغين نحو ١٤٠ مليون نسمة، فهذا يضعها ضمن أكبر عشرة دول سكانيا، وتأتي بعد إندونيسيا سكانا من بين الدول الإسلامية. وتمتد باكستان بإسفين بين إيران وأفغانستان غربا والهند شرقا، ومن البحر الغربي جنوبا حيث تبلغ أقصى عرض لها إلى المرتفعات الشمالية التي تتوجها الثلوج، وهنا في القسم الشمالي تتعقد الحدود، ففي الشمال تتنافس الهند والصين وباكستان وحتى وقت قريب الاتحاد السوفيتي (سابقا) في إقليم الحدود الشمالية، ولكن النزاع الأساسي هو النزاع الهندي الباكستاني في وإقليم جامو وكشمير، الذي مر عليه نحو نصف قرن دون حسم.

نقل العاصمة:

حين استقلت باكستان عقب تقسيم الهند الكبرى عام ١٩٤٧ كانت عاصمتها كراتشي على ساحل البحر قرب النهاية الغربية لدلتا السند، ولكن العاصمة الحالية هي إسلام أباد قرب روالبندي في الشمال غير بعيدة من كشمير هي رسالة إلى الهند وغيرها من الجيران بأنها قريبة من مناطق النزاع، وبتسميتها إسلام أباد هي رسالة أخرى إلى الهند الهندوسية، وهكذا كان استخدام العاصمة الوطنية من الناحية الجغرافية السياسية تجسده العاصمة المتقدمة والقريبة من إقليم النزاع.

تنوع الأقاليم :

وتتنوع الأقاليم كما تتنوع الحياة في باكستان نظرا لتنوع الظروف الطبيعية من الشقة الساحلية التي تبرز فيها كراتشي المدينة والميناء المهيمن إلى صحراء بلوخستان إلى البنجاب قلب الدولة والذي تعتمد على زراعة الري إلى الجبال الشديدة التضرس في حدودها مع أفغانستان، إلى مرتفعاتها في الشمال الغربي، وكما تتنوع ظروفها الطبيعية نجد أيضا تنوعا للمجتمعات، تتكلم الأردية كلغة رسمية والإنجليزية لغة التفاهم المشترك **lingua Franca** بين النخبة المتعلمة فضلا عن لغات أخرى متعددة ورئيسية في مختلف أنحاء باكستان.

إقليم البنجاب : هو نواة باكستان وامتد عبر خط الحدود الفاصل بين كل من الهند وباكستان، ومن ثم نجد أن هناك ايضا البنجاب في الهند. وبنجاب باكستان الذي يضم ٦٠% من السكان، بل أنه في المثلث الذي شكله نهر السند مع رافده الرئيسي سوتليج يعيش ٨٠% من سكان بنجاب، وسكان البنجاب يعيشون أساسا على الزراعة الكثيفة، والقمح محصولها الرئيسي، وأن كان ٦٠% من قطن باكستان هو بنجابي، من ثم قامت صناعة المنسوجات القطنية، كما يستخرج من الإقليم كميات قليلة من البترول ويستفيد الإقليم أيضا من توليد الكهرمائية بإقامة السدود على روافد النهر مثل مشروع ماندي وملاكلاند. ويضم هذا الإقليم لاهور المركز الرئيسي للإسلام وعاصمة الإقليم وهي مركز صناعي وتجاري هام، وفيصل أباد هي مدينة صناعية حديثة، وعقدة مواصلات السكك الحديدية ومولتان، وتضم لاهور اليوم نحو ٧ مليون نسمة يعيشون قرب الحدود مع الهند، وقد استقبلت المدينة مئات الآلاف من المهاجرين واستمرت في نموها السريع عقب التقسيم، وإذا كانت لاهور قد تأسست منذ ألفي عام، فإن عهد الإسلام الذهبي شهدته خلال حكم الغول عندما كان إقليم البنجاب ممرا إلى الهند، واتخذت لاهور عاصمة، وبالتالي قامت فيها المباني الجميلة من قصور وجوامع وحصون تعد تحفا معمارية، كما أنها ضمت جامعة لاهور الإسلامية القديمة، ومساحات واسعة من الحدائق التي تشد النظر، من ثم كانت قلب الإسلام في باكستان، وإذا كانت بعد التقسيم قد فقدت ظهيرها، ولكن دورها في باكستان الحديثة حافظ على استمرار نموها.

إقليم السند : إلى الجنوب من اقليم البنجاب ومركزه كراتشي على الساحل وحيدر أباد على النهر في الداخل، ويضم الإقليم ثلاث هيئات طبيعية landscape، التلال الصخرية في الغرب، الصحراء إلى الشرق (صحر ثـار) وبين هذا وذاك الأرض الغرينية المعتمدة على الري في الزراعة، وقد أقيمت مشروعات عديدة للري على النهر مما جعل هذا الإقليم سلة حبوب القمح والأرز بالنسبة لباكستان، كمادتين غذائيتين، فضلا عن القطن كمحصول تجاري، وتقوم عليه مصانع الغزل والنسيج،

واستقبل هذا الإقليم أيضا فيضانات من المهاجرين مما نتج عنه صراع بين المواطنين الأصليين والمهاجرين في هذا الإقليم، وقد تضخمت كراتشي كثيرا بعد وصول المهاجرين، ولم تتحمل بنيتها التحتية تدفق الملايين، فضلا عن انتشار الدخول المنخفضة بين السكان مما أعطاها مظهر المدن الفقيرة.

شكل رقم (٢٠)

بلوخستان: ويمتد من السند كإسفين داخل إيران، وهو صحراوي صخري خفيف الكثافة السكانية، ويعبره السكان ذهابا بين إيران وباكستان وعن طريق هذه

الصحراء الصخرية وصل المذهب الشيعي إلى إيـران، ورغـم أن باكسـتان دولـة إسلامية سنية، فإن الشيعة يمثلون نحو ٢٠% من السكان. وتبدو أهمية بلوخسـتان بالنسبة للمستقبل أكثر مما هي الآن، ذلك أن البحوث تشير إلى إمكانات كبيرة مـن الثروة المعدنية، وقد اكتشفت كميات قليلة من البترول والغاز الطبيعي، ولكن أهميتها استراتيجية لأنها تشرف على ممر بولان، وتتصل بخط حديدي مع زاهدي في إيران.

وعاصمة هذا الإقليم كويتا تقع في واحة خصبة وسط هذا الإقليـم الجبلـي الشديد الجفاف، وقد خربتها الزلازل في الثلاثينيات من القرن الماضي أزالـت كـل معالمها بما فيها الآثار التي اشتهرت بها، ثم كان بظهور حقل بـترول سـوي Sui بالقرب منها سببا في ظهور نهضة صناعية.

إقليم الحدود الشمالية الغربية، وهو الإقليم المجاور لأفغانستان المضطربـة والذي شاهد تدفقات ضخمة من المهاجرين. ويسـود الإقليـم المرتفعـات الشـديدة التضرس وبه أعلى قمة ثانية بعد إفرست وهي قمة جودوين، وتغطي الغابات معظـم هذه المرتفعات والأحواض الجبلية، كما تشقها الممرات الجبلية، ويعتبر ممر خيـبر أهمها، فكان طريق غزوات الأتراك إلى السند، كما تدفق المغول عبره إلى الهند، كما عبره في العقود الأخيرة ملايين من الأفغان بحثا عن الأمن في باكستان.

وتعتبر بشاور أكبر مدن هذا الإقليم على الطريق الاستراتيجي الخطير فـي شمال غربي البلاد (ممر خيبر)، ولكن هذا الإقليم أقل أقـاليم باكسـتان حضريـة باستثناء بلوخستان، وتقع بشاور في وادي خصيب غني بالقمح والذرة، ولكن مـع تدفق المهاجرين الذي بلغوا في بعض التقديرات ٤ مليون نسمة، واجه الإقليم كثـيرا من صعوبات الإعاشة مما استلزم إلى مساعدة هيئات الإغاثة الدولية.

وإلى الجنوب الشرقي من بشاور تقع إسلام أباد العاصمـة قـرب حـدود كشمير، كما تقع شمال روالبندي التي كانت العاصمة المؤقتة أثناء إعداد إسلام أباد.

وتتنوع أصول السكان في هذا الإقليم، حتى قبل وصول المهاجرين الأفغـان،

إذ يتألف الباتان نسبة عالية (معرفون أحيان بالبوشتن) وهم جزء من باتان أفغانستان، وكان لهم دعوي انفصالية للاتحاد مع أقاربهم في أفغانستان. وعندما غزا السوفيت أفغانستان عام ١٩٧٩، تدفقت أعداد كبيرة منهم إلى هذا الإقليم، واستقبلت باكستان هؤلاء المهاجرين وعملت على إيوانهم، في نفس الوقت مدت فيه الطرق الجيدة التي تربطه بأنحاء باكستان.

ومنذ التسعينيات وإقليم الحدود الشمالية الغربية ظل منطقة حساسة فلا تعدو المسافة بين بشاور، وكابول عاصمة أفغانستان ٢٧٠ كم، وكل ما يحدث في أفغانستان لابد وأن يؤثر على باكستان، وعندما خرج الروس من أفغانستان عاد معظم الأفغان إلى بلادهم، ولكن في فصائل متنافرة، ولعل أحداث أفغانستان الأخيرة خير شاهد على ذلك.

بنجلاديش (أرض الفقر والأخطار الطبيعية)

تظهر بنجلاديش (*) في خرائط آسيا الجنوبية وكأنها إحدى الولايات الهندية، ذلك أن الهند تحيط بها من جميع الجوانب، وتحتل بنجلاديش دلتا نهري الجانج والبراهما بوترا، من هنا كانت خصوبة تربتها وقد حصلت بنجلاديش على استقلالها عام ١٩٧١ وبعد انفصالها عن باكستان، وكانت تعرف من قبل باسم باكستان الشرقية، وهي الآن إحدى أفقر الدول وأكثرها تخلفا بسكان يبلغون نحو ١٢٥ مليونا، ويتضاعفون في أقل من ٣٠ عاما.

وكان من أهم عوامل انفصال باكستان الشرقية (بنجلاديش) وباكستان الغربية (باكستان) هي عدم الاتصال بين الجانبين، إذ تفصلهما الهند بريا عن بعضهما بمسافات طويلة تبلغ أكثر من ١٠٠٠ كم وبالتالي، وكان الاتصال بين الجانبين جويا وبحريا، وبالتالي كان هناك إحساس ببعدهم عن مركز الإدارة والحكم،

(*) معناها أرض البنغال.

خاصة وأن مشكلاتهما مختلفة، فأحس أهل الشرق أنهم مظلومون بالنسبة لأهل الغرب.

الأخطار الطبيعية : تواجه بنجلاديش بأخطار طبيعية لعل من أهمها الأعاصير المدارية التي تنشأ في خليج بنغال (الهاركين أوالتيفون) كما حدث في خريف ١٩٩٤ حين أهلكت نحو ١٥٠ ألف نسمة، فالأعصار في تقدمه نحو الشمال أي نحو اليابس دفع أمامه حائطا من الماء بارتفاع نحو ٧ أمتار متجها نحو الجزر والدلتا، واكتسح معظم الجزء الجنوبي الشرقي من ميناء شتيا جونج، بل وتقدم عبر فروع الدلتا مكتسحا مدمرا كل ما صادفه بعيدا عن سواحل الخليج، وعندما انحسرت المياه، رجعت ومعها جثث البشر والحيوان إلى البحر، فكانت كارثة بكل المقاييس، هذا نموذج لما حدث طوال القرن العشرين وكان نصيب بنجلاديش وحدها نحو ٧٠% من كوارث العواصف المدارية في العالم.

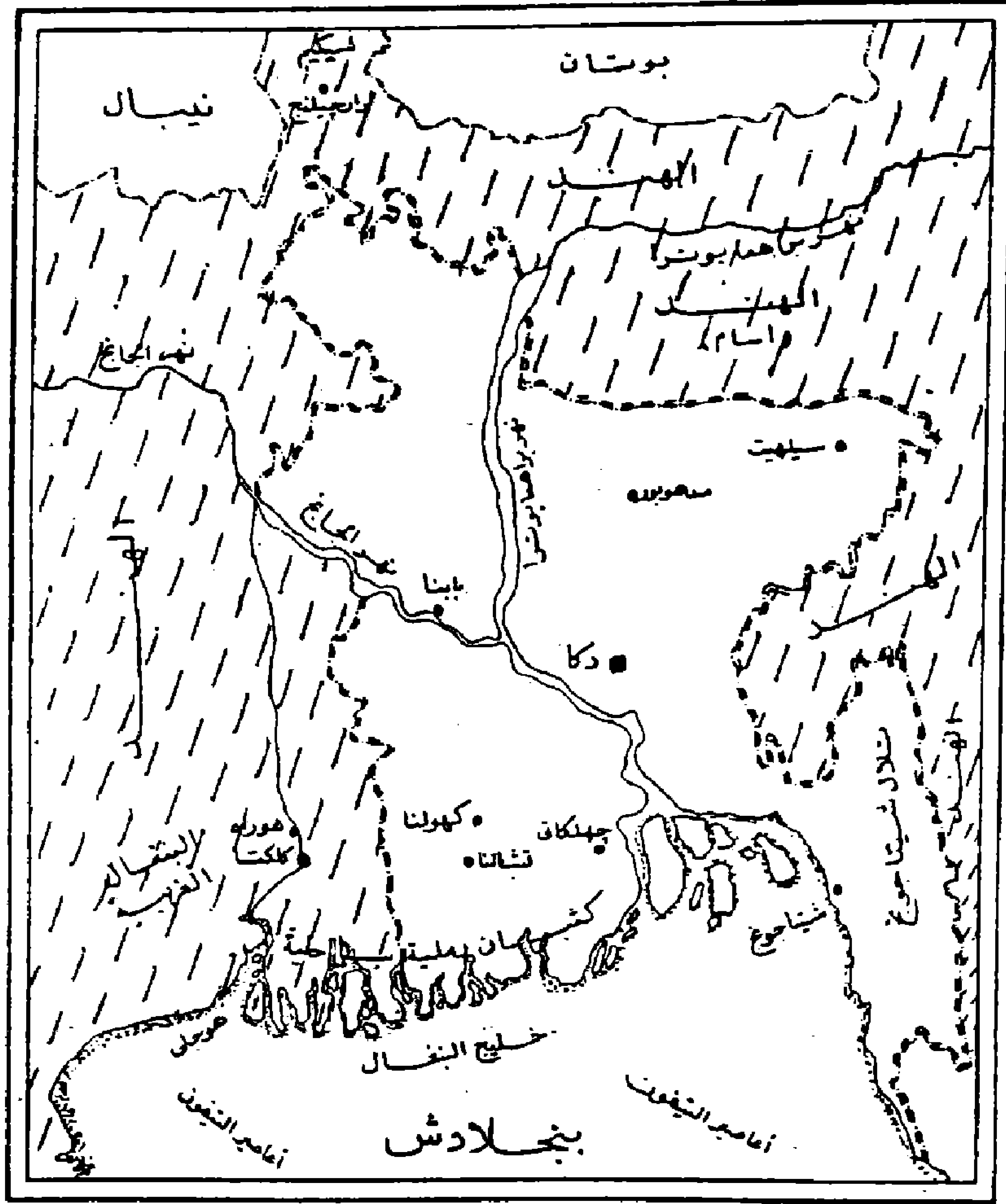
ترجع مثل هذه الكوارث، إلى جانب هجوم الأعصار إلى أن ارض بنجلاديش بالكاد ترتفع فوق مستوى سطح البحر بنحو ١٥ مترا، كما أن دلتا الجانج والبراهمابوترا عبارة عن متاهة من الروافد والقنوات، ولا ترتفع الأرض نسبيا إلا في أقصى الشرق والجنوب الشرقي تمهيدا للتقدم نحو مرتفعات نحو سلاسل شيتا جونج التي تغطيها الغابات. ونظرا لخصوبة الدلتا، فيكاد يكون كل شبرا منها مستغلا بالمحاصيل الغذائية كالأرز. والقمح، ومحاصيل التصدير، كالجوت، والشاي، ويأتي الفيضان كل عام بتربة جديدة تكسب التربة السابقة لها خصوبة، وتساعد على تكوين جزر جديدة، وهذه الأخيرة إذا ما تكونت يسرع إليها الناس يزرعونها، لذلك إذا تقدم الأعصار بحائطه المائي فهو مدمر للإنسان والحيوان والمحاصيل، وحين ينتهي تقدمه ترى القنوات والروافد تجري فيها المياه سريعة وكأنها غاضبة. ولا تستطيع بنجلاديش مواجهة مثل هذه الأخطار.

الأحوال اقتصادية :

يعيش أربعة أخماس السكان في دلتا البنغال لخصوبتها، ويعكس نصيب الفرد من الناتج المحلي الوضع الاقتصادي لسكان بنجلاديش، إذ يبلغ ٢٢٠ دولارا وكذلك الحال في نسبتها الحضرية التي تبلغ نحو ١٧%، فهنا أرض المزارع الذي يفلح الأرض ليكفي حاجته باستخدام الآلات اليدوية البدائية، وهنا أيضا أعلى كثافات سكانية ١٥٠٠ كم٢، ومن ثم كان متوسط مساحة الملكية نحو ثلاثة أفدنه ونصف ولكن هناك في نفس الوقت هناك بصيص من النور يتمثل ارتفاع إنتاجية الفدان من الأنواع المختلفة من الأرز مما أدى شبه اكتفاء ذاتي غذائي من هذا المحصول، كما يزرع الطباق والشاي. ويلعب القمح دورا أخر في الدورة الزراعية بتحسين الأمن الغذائي. ولكن مع هذا مازال هناك عدم توازن غذائي. والنقطة المضيئة الأخرى، أنه رغم بعض مشكلات الحدود مع الهند، وأحيانا اضطرابات داخلية، فهناك حالة من الاستقرار دامت طوال العقود الثلاثة الأخيرة، لأنها دولة تعيش على الكفاف. فلا يمكنها أن تعيش في ظل اضطرابات سياسة خاصة وأن بنيتها التحتية سيئة للغاية.

ورغم أن هناك مصانع متفرقة في بنجلاديش، فاعتمادها أساسا على صناعة نسيج الجوت الذي يصدر على هيئة أجولة، وشنط، قطع من القماش لتغليف السلع الأخرى، وأخيرا قامت بعض صناعات أخرى كالمنتجات الجلدية والمنسوجات القطنية، والصناعات الغذائية والأسمنت، ولكن يظل الجوت هو مصدر العملة الصعبة أساسا.

وتعتبر دكا العاصمة، فضلا عن شيتاجونج الميناء الرئيسي هما المركزان الحضريان الرئيسيان، ونظرا لشدة الحركة في مرفأ شيتاجونج، فقد أقامت الحكومة ميناء تشالنا لتخفيف الضغط. وهناك مشاكل النقل، فلا توجد كباري على فروع نهر الجانج، ويوجد خط حديدي واحد. وإذا أردت أن تسافر من دكا إلى أي جهة من الجهات عليك أن تواجه طرق سيئة، ووقت ضائع في انتظار القوارب، بل وكثير من أجزاء البلاد لا يمكن الوصول إليه إلا بالقوارب التي تملأ المجارى المائية بالآلاف.



شكل رقم (٢١)

ولعل خط الحدود بين بنجلاديش والهند هو خط ديني أيضا، ذلــك أن ٨٤% من سكان بنجلاديش مسلمون وهناك ١٦% هندوسي، على حين أن ولاية البنغـــال الغربية الهندية والمجاورة لبنجلاديش وتشــبهها فــي ظروفــها الطبيعيــة أغلبــها هندوسي، وبها أقلية مسلمة.

الجنوب الجزري : سيريلنكا

كانت معروف باسم سيلان قبل عام ١٩٧٢، هذه الجزيرة التي تتخذ شكل الكمثرى ولا تبعد عن الطرف الجنوبي للهند إلا بنحو ٣٥ كم، بما يعرف بمضيق بالك Palk، وموقع سيرلينكا استراتيجي في وسط المحيط الهندي، وعلى الطريق الملاحي الرئيسي بين قناة السويس، والشرق الأقصى، وكانت كولمبو عاصمتها في فترة الاستعمار البريطاني محطة رئيسية للفحم بعد بورسعيد وعدن.

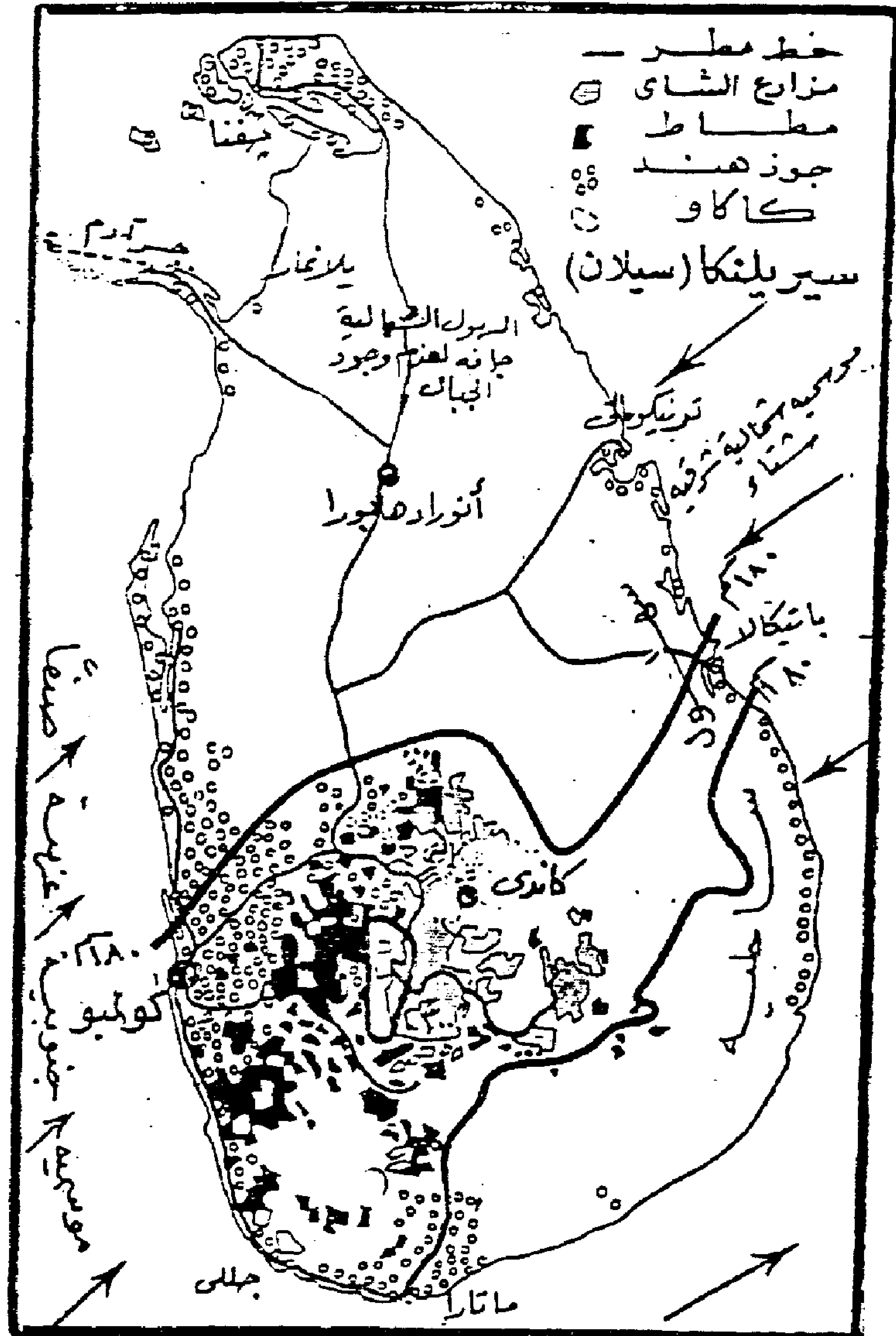
وتعتبر الدولة الرابعة التي حصلت على استقلالها عن بريطانيا في آسيا الجنوبية. وكان عليها بعد الاستقلال عام ١٩٤٨ أن تواجه مشكلات اقتصادية وسياسية بعضها شبيه بمثيله في الهند، والبعض الآخر مختلف تماما. وكان هناك سبب وجيه لخلق دولة سيريلنكا، سكانها غالبيتهم ليسوا هندوسا ولا مسلمين. بل أن ٧٠% من سكانها البالغين ٢٠ مليون نسمة بوذيون من العناصر التي يطلق عليهم السنهاليين، ويعيش معظمهم في جنوب وغربي الجزيرة، كما تختلف عن الهند وباكستان في أن الزراعة هنا هي الزراعة الواسعة، زراعة الابعديات الضخمة Plantation الموجه ناتجها للتصدير.

هذا ومعظم سكان سيرلينكا آريين، وليسوا درافيديين، أي أن المؤثرات البشرية، هي تلك المؤثرات التي سادت في شمالي الهند، ذلك أن أسلاف الآريين هاجر بعض منهم إلى سيريلنكا في القرن الخامس قبل الميلاد، وبالتالي نقلوا إليها حضارة شمال غربي الهند المتقدمة، ولعل البوذية تمثل هذه المؤثرات أكمل تمثيل، هذا فضلا عن تقنيات الري، واليوم نجد خلف هؤلاء الغزاة ممثلا في " السنهاليين " يتكلمون السنهالية، وبدورها تنتمي إلى عائلة اللغات الآرية التي تسود شمالي الهند.

أما العنصر الرئيسي الثاني فهم التاميل ينتمون إلى تاميل جنوب الهند (الدرافيديين) لم يأتوا بإعداد كبيرة بحيث يتحدون السنهاليين، وأن كانوا قد أدخلوا طريقة الحياة الهندية. ولغة التاميل في شمالي الجزيرة، وأصبحوا يكونون أقلية تبلغ

نسبتها نحو ١٨% من مجموع السكان، وقد ازداد عددهم فقط في منتصــف القــرن التاسع عشر، عندما جلبتهم الإدارة البريطانية للعمل في المزارع التي أنشئت حينئــذ للشاي والطباق.

وتتهم حكومة سيريلنيكا بعد الاستقلال أنها همشت أقلية التــاميل (رغــم الاعتراف بلغتهم كلغة رسمية عام ١٩٧٨، مما أدي إلى قيام ثورة عارمة في شــمال الجزيرة تحولت إلى حركة انفصالية (نمور التاميل).



شكل رقم (٢٢)

وأن كانت سيرلينكا تتميز بحجمها الصغير، فهي تتميز أيضا بسطحها الجبلي في معظمه فيبلغ الارتفاع في جنوبيها إلى نحو ٢٥٠٠ متر، وتنمو الغابات على سفوح هذه المرتفعات التي تؤدي إلى المناطق السهلية التي تحيطها، وكذلك الحال في شبه جزيرة جفنا في أقصى الشمال، وكان لهذا الارتفاع أثره في أن مياه الأمطار حين تسقط على المرتفعات تنساب لري حقول الأرز، سهول حضيض المرتفعات.

الإنتاج الزراعي :

ويعتبر الإقليم الجنوبي الغربي للجزيرة هو الإقليم الزراعي القائد، ومازالت الزراعة الواسعة التي أدخلها الأوربيون مستمرة، منتجة لجوز الهند في المنخفضات وفي السهول الغربية والجنوبية الغربية، والمطاط على الجهات المتوسطة الارتفاع في غربي الجزيرة والشاي على منحدرات المرتفعات الوسطي. ومازال الشاي مسئولا عن ربع قيمة الصادرات، وله شهرته العالمية. وإلى جانب هذه المحاصيل النقدية الرئيسية، هناك قصب السكر، والقطن، والفلفل الأسود، والحبهان، والقرفة، والقرنفل، والأرز، هو محصول الغذاء الرئيسي، فيزرع في المنخفضات، ونجحت سيرلينكا في بلوغ الاكتفاء الذاتي فيه لفترة ما، ولكن الزيادة السكانية المرتفعة مع عدم كفاءة الزراعة، أعاد سيرلينكا إلى عملية استيراد الأرز مرة أخرى.

وتتمتع سيرلينكا بثروة غابية متنوعة من أشهر أشجار البامبو (الجيزران) ومنه نحو ٤٠٠ نوع، وعليه طلب كبير في الخارج.

الصناعة ومحاولة التحديث :

وتعتبر كولمبو العاصمة المركز التجاري المركز الرئيسي للصناعة وهي صناعة غذائية في المقام الأول، ثم المنسوجات القطنية، والأسمدة، والأسمنت، وتعتمد على التصريف في السوق المحلي الضيق. وبدأت كولمبو منذ الاستقلال في الازدهار والتحديث، ولكن الحرب الأهلية التي قام بها التاميل في الشمال، في منتصف التسعينيات. والتي تخرج من حي التاميل في كولومبو من حين إلى حين،

كثيرا ما تؤدي إلى انحسار السياحة، خاصة وأن السكان يعتمـدون أساسـا علـى الخدمات والتجارة، فضلا عن السياحة، ويدعي التاميل أنهم يطلبون المسـاواة فـي حقوق التعليم والتوظيف، وملكية الأرض والتمثيل السياسي، (يري قادتهم أنـه إذا كانت الدولة غير قادرة على تحقيق مطلبهم، فلتقم دولتان كما هو الحال في قـبرص. ولاشك أن التاميل يجدون دعما من الخمسين مليونا تاميلي الذين يعيشون في جنوبي الهند.

الباب الرابع

عالم جنوب شرقي آسيا

بين العمالقة : الهند والصين

الفصل الأول

في شخصية جنوب شرقي آسيا

الموقع الجغرافي يجذب الاستعمار:

هو إقليم الجزر وأشباه الجزر، الركن الجنوبي الشرقي من القارة بين عـالم المحيط الهندي في الشمال الغربي وعالم الصين في الشمال الشرقي، تغسـل ميـاه المحيط الهندي شواطئه الغربية، بينما تمتد مياه المحيط الهادي منه إلى الشرق. وقد غزته الصين بالسكان، ومدته الهند بالتجار، وعبر المحيط الهندي أتاه التجار العرب، ولعب أهالي حضرموت دوراً هاما في نقل هذه التجارة حتى قبل الإسلام بوقت طويل واتخذوا طريقهم إليه في البحر سربا، وتبعهم الأوربيون ليكونوا إمبراطوريات، ثـم عرج الأمريكيون عليه.

كان الإقليم ومازال ذا موقع استراتيجي خطير، فهنا مضيق ملقا malacca بين سنغافوره وسومطره ممراً عالميا تطل عليه سنغافورة وكأنها مراقـب للحركـة وأول حرب خسرها الأمريكيون كانت هنا (حرب فيتنـام) بـاعت فيـها الولايـات المتحدة الأمريكية نصف لحتياطيها من الذهب، كما كان هذا الإقليم ميدان كبير مـن ميادين الحرب الباردة. هكذا كان لموقع الإقليم أثره في أن شاهد تحديات مـن بعـد وعن كثب.

موازييك من الدول الصغيرة :

وقد يشبه جنوب شرقي آسيا من الناحية الجغرافيـة بطريقـة أو أخـرى شرقي أوربا كلاهما موازاييك من الدول الصغيرة على هامش وحدتين من كبريـات

دول العالم، أو وهي بمعنى آخر شقة حرام أو حاجز buffer zone بين هاتين الوحدتين العملاقتين، محمل بالضغوط من كل جانب، وكشرقي أوربا أيضا هي مسرح لتنوع ثقافي، وهي أيضا كشرقي أوربا في أن خريطتها تغيرت حديثا، فقد انفصلت سنغافورة عام ١٩٦٥ عن الملايو لتصبح واحدة من أصغر الوحدات السياسية، دولة المدينة City state، وكذلك اختفي الحد السياسي بين فيتنام الشمالية وشقيقتها الجنوبية عام ١٩٧٦، وكما كان الحال في يوغسلافيا عندما شدت انتباه العالم لصراعاتها الثقافية والعرقية وما صاحب ذلك من كوارث بشرية وهجرات واسعة، ونظراً لأن خريطتها السياسية معقدة أيما تعقيد، لذلك يجب دراستها بإنتباه، في الغرب نجد ميانمار Myanmar وكانت معرفة باسم بورما قبل ١٩٨٩. وهي الدولة الوحيدة في جنوب شرقي آسيا التي لها حدود مع كل من الهند والصين وتشترك مع تايلاند في رقبة شبة جزيرة الملايو، والأخيرة هي قلب هذا الإقليم، أما الجزء الجنوبي من شبة الجزيرة فهو جزء من ماليزيا دون سنغافورة التي تقع في طرفها الأقصى، وفي مواجهة تايلاند تقع كمبوديا، حتى إذا ما تحركنا مرة أخرى وجدنا فيتنام، وهي شريط طويل يمتد حتى حدود الصين، بينما تقع لاوس حبيسة في الداخل. وأخيرا نجد جنوب شرقي الآسيوي الجزري الفلبين في الشمال، وإندونيسيا في الجنوب، بينهما جزيرة بورنيو الإندونيسية، ولتكملة الخريطة السياسية لابد من ذكر بروني أصغر الوحدات السياسية في هذا العالم من حيث عدد السكان، ولا نجد في هذا الإقليم دولة مهيمنه dominant كالصين، أو البرازيل، أو الهند، وإن كانت إندونيسيا عملاقة بسكانها فهي مفتتة في أرضها. ومع ذلك قامت القوى الأوربية بما عجزت عنه القوى المحلية، وهو إقامة مستعمرات ودول فيما بعد تضم أناسا ومجتمعات مختلفة معا، وإذا ضربنا مثلا بإندونيسيا فهي تتكون من ١٣ ألف جزيرة بسكان يجعلها رابعة دول العالم سكانيا، وما أمكن لتسع سلطنات الماليزية أن تتحد، سواء اتفقنا أو اختلفنا على أثر الاستعمار فقد ظهرت في النهاية تسع دول من صنع الاستعمار والعاشرة سنغافورة، استقلت بعد استقلال ماليزيا.

بل وحتى من ناحية الأرض نجد تنوعا وتبعثرا، تتكون الأرض الأصلية الرئيسية من شبة جزيرة كبيرة يضاف إليها آلاف الجزر مكونه أرخبيل إندونيسيا

والفلبين، كان هناك البرتغال في تيمور (القسم اشرقي من الجزيرة) ومحمية بروناي في سراواك في كلمنتان، هكذا يختلف هذا الإقليم عن آسيا الشرقية وآسيا الجنوبية في تفتته، بينما نجد الكتل الضخمة ممثلة في الصين والهند في الإقليمين السابقين.

ثقافات ولغات واستغلال الاستعمار لها :

وفي أودية الأرض الأصلية وأحواض أنهارها تختلف ثقافات، وتتعدد لغات، وتنوع ديانات، وفنون، وطعام، ولكن لا تظهر ثقافة لها القدح المعلي على الجميع. واستغل المستعمر الأوربي الذي كون إمبراطوريات التعددية الثقافية باللعب عليها والوقيعة بين الجماعات بعضها والبعض الآخر، " فرق تسد "، بدأ بشركاته التجارية وهكذا ظهرت خريطة الإقليم السياسية نتيجة التدخل الأوربي، فلم تسلم من هذا التدخل سوى تايلاند، بل كانت ذات فائدة لكل من الاستعمارين الإنجليزي في الغرب، والفرنسي في الشرق، فكانت حاجزا بين القوتين، مانعا للصدام، ورغم أن الاستعمار نحت في هوامش خريطتها ولكن ظل القلب مستقلا.

كان أهم شيء عندهم هو البحث عن الثروة في هذا الإقليم الغني، وكانت من أهم السلع التي يتاجرون بها البهارات والسكر، والمنسوجات القطنية، والحريرية، وكان الصراع هائلا بين الأسبان، والهولنديين، والإنجليز، والفرنسيين، وكان الصراع هائلاً أدي إلى الاتصال بين الشرق والغرب وخرج جنوب شرقي آسيا من عزلته، وأصبح يلعب دوراً هاماً منذ ذلك الوقت في السياسة العالمية.

انتقل جنوب شرق آسيا من أيدي التجار إلى أيدي المستعمرين، وتأسست شركات بقصد التجارة ولكنها ثبتت أقدامها عن طريق جيوشها، وعقدت معاهدات مع الحكام الوطنيين وانتهي الأمر بالسيطرة السياسية الأوربية على الإقليم بأجمعه. وكان ذلك في القرنين ١٧، ١٨. وخرجت بريطانيا وهولندا بنصيب الأسد، فقد أسست هولندا شركة الهند الهولندية الشرقية، وسيطرت على جميع أجزاء جزر الهند الشرقية، وسيطرت إنجلترا على شبه جزيرة الهند وبورما والملايو كذلك بورنيو

الشمالية. أما الفرنسيون فقد جاء دورهم متأخراً واتجهوا إلى الصين الهندية بعد أن أفلحت إنجلترا في السيطرة على الهند، واحتلوا جزرا في المحيط الهادي استولت عليها اليابان في الحرب العالمية الأولي، أما أسبانيا فاستولت على جزر الفلبين وبعض الجزر في المحيط الهادي وانتهت كل منهما إلى الولايات المتحدة.



مظاهر السطح في جنوبي شرق آسيا

شكل رقم (٢٣)

التضاريس :

يتميز هذا العالم بكثرة الحواجز الجبلية والأراضي الوعرة Rugged غير المنتجة مع الأرض الخصبة سواء في دالات أنهارها، أو في أوديتها، والتربة البركانية على مدرجاتها الشديدة الخصوبة، التي تسقيها الأمطار طول العام، أن لم يكن معظمه.

وتنقسم الهند الصينية إلى أحواض كبيرة يفصل كل منهما عن الأخر سلاسل جبلية تمتد حول الهضاب القديمة، أهمها هضبة ينان وهضبة جنوب الصين، وتكون السلاسل الجبلية الشمالية حافة حوض النهر الأحمر، وتفصل نهر الميكونج عن الصين، والسلسلة الأخرى تفصل حوض النهر الأحمر عن الميكونج، وفي شمالي لاوس تصل معظم القمم إلى ارتفاع ٢٠٠٠ متر، وتصل بعض الهضاب إلى إرتفاع يتراوح بين ١٠٠٠.١٥٠٠ متر. ومن هذا المركز تخرج سلاسل أنام Anname نحو الجنوب الشرقي. وتسير السلاسل الجبلية موازية لساحل أنام وتفصل بشكل واضح أنام عن لاوس.

ولما كانت السلاسل غير منتظمة في ناحية الارتفاع والشكل وفي امتدادها تكونت أحواض ينفصل الواحد عن الآخر تماما، أو أحياناً تتصل بممرات على ارتفاع كبير، وأهم هذه الممرات بوابة أنام. وتفصل أيضاً أنام الشمالية عن الجنوبية، وتستمر الهضاب في الامتداد شرقا، ثم تتجه نحو الجنوب على طول الساحل نحو خليج تايلاند، من ثم يعتبر النقل البري صعبا عبر السلاسل الجبلية.

وتتكون سهول الهند الصينية من سهول تونكنج في الشمال، والحوض المستوى السطح في كمبوديا والسهول الدلتاوية في ميكونج في الجنوب، ومن أهم المظاهر الجغرافية في سهل كمبوديا البحيرة الكبرى وتعرف باسم توتل ساب Toutel Sab، وتتصل بنهر ميكونج بواسطة قناة طولها يتراوح بين ٦٥، ٨٠ كم، وتحمل نفس اسم البحيرة. ويكون تيار مياهها لمدة ستة أشهر من ميكونج إلى البحيرة وبقية السنة من البحيرة إلى ميكونج، وقد تتأثر البحيرة بحركات المد والجزر وتبدو أهميتها للغاية لأنها تنظم فيضان الميكونج.

المناخ :

جنوب شرقي آسيا إقليم مداري، فهو يقع في معظمه بين المدارين، بل وأطراف شبه الجزيرة وجزر إندونيسيا تنتمي للمداري الرطب طول العام (الاستوائي)، ونظرا لموقعه يضم ثلاثة أقاليم رئيسية هي : الموسمي،السوداني (السفانا)، الاستوائي، ولا يظهر المناخ دون المدارى إلا في شمالي فيتنام وميانمار ولاوس. ولا يشتهر جنوب شرقي آسيا رطوبة وحرارة مرتفعة دائما وغابات الأمطار فحسب، بل يشتهر أيضاً بجباله البركانية على الأقل في الارخبيلات، جبل كراكتوا Kraktoa في مضيق السوند بين جاوة وسومطره، فقد انفجر هنا بركان عام ١٨٨٣ بشدة أدي إلى نسف الجبل بأكمله وتطايرد في الهواء، مرسلا طبقات كثيفة من الرماد البركاني غطت الغابات والقرى لمئات الكيلو مترات وأدت إلى مقتل نحو ٤٠ ألف نسمة في الجهات الساحلية، وأدت إلى سيادة الظلام.

البشـــــــر

إذا ما قورن سكان هذا الإقليم بالأعداد الضخمة في آسيا الجنوبية أو آسيا الشرقية، فيبدو أن أعداد سكان دول الإقليم تعد متواضعة باستثناء إندونيسيا، فتايلاند والفلبين وفيتنام، كل منها يتراوح عدد سكانه بين ٦٠، ٨٠ مليون نسمة على حين أن لاوس يبلغ سكانها نحو ٦ مليون نسمة فقط، وكمبوديا ١٢ مليونا. بصورة أخرى أنه من مجموع ٥٠٠ مليون نسمة تقريبا الذين يسكنونه، تختص إندونيسيا والفلبين معا بنحو ٢٧٥ مليون نسمة أي ٥٥% من مجموع سكان الإقليم، بينما ٤٥% الباقية من نصيب السبع دول الأخرى على الأرض الأصلية للإقليم.

الكثافة العامة ليست عالية في الإقليم باستثناء سنغافورة الحضرية بالكامل، كما أن الكثافة الإنتاجية أيضا أقل من نظيرتها في شرقي الصين أو الهند، لذلك إذا ما استقرت الأحوال السياسية، فيمكن لهذه الدول أن يكون لديها فائضا من الأرز للتصدير. ويبدو أيضا هذا الإقليم يشبه أن آسيا الجنوبية، وآسيا الشرقية في تجمع السكان في أودية الأنهار والأراضي السهلية وخاصة الدلتاوات، حيث ترتفع الكثافات

وتخطط الأراضي للزراعة وخاصة الأرز، ولكن خارج هذه السهول الفيضية، وعلى المستويات الأكثر ارتفاعاً تبدو حشائش السفانا هي السائدة التي تنمو في التربة الحمراء الأقل خصوبة، وبالتالي تقل كثافة السكان، وفي نفس الوقت هناك بيئات في جزر الفلبين وإندونيسيا لا توجد في بيئات آسيا الجنوبية والشرقية، ففي هذه الجزر التربة البركانية الخصبة التي ترويها مياه الأمطار، فيتحول المظهر الطبيعي إلى مساحات من الغابات الخضراء على مدى النظر، وتعطي إمكانات كبيرة للإنتاج الزراعي، لذلك نجد سفوح المنحدرات وقد تحولت إلى مدرجات تكسوها المحاصيل الزراعية.

إقليم مرور حركة مستقبل للهجرات :

نظرا لموقعه كإقليم مرور وحركة وجدنا التأثيرات البشرية والثقافية قد آتته من الخارج، فالهندوسية والبوذية التي نشأت في الهند، انتشرتا عبر خليج بنغال إلى الملايو مباشرة، كما بلغه الإسلام عن طريق التجار العرب، حتى أصبحت إندونيسيا أكبر الدول الإسلامية سكانا، وأما الصين فقد أمدته بالعنصر البشري، خاصة من جنوبي الصين واستمرت في شبه جزيرة الملايو بخاصة، وإن كان مجالها أكبر من هذا بكثير، وإذا فصلنا قليلا بالنسبة لهذه الجاليات الأجنبية، يمكن القول بأنه على الرغم من أن الهنود أقل عددا من الصينيين فقد أثروا تأثيراً واضحاً في النصف الشرقي. فقد هاجر عدد من الهنود إلى ميانمار للاشتغال بالتعدين، ثم في إنتاج الأرز بعد ذلك، ويسكن معظمهم الآن في رانجون، ودلتا الإيراوادي وعلى طول خطوط النقل. ويقرب عددهم ٦,٥ مليون نسمة، وعدد الهنود في الملايو نحو ثلاثة أرباع المليون، بينما يبلغ عددهم في سنغافورة مائة ألف أغلبهم جاءوا في خلال القرن العشرين لمساعدة المستعمرين في زراعة المطاط. وقد تركوا الآن في معظم المزارع لزراعة أراضيهم أو للعمل بالتجارة وفي المكاتب الحكومية. وقد أصبحوا مصدر مشكلات متعددة في ميانمار لأنهم يستأثرون بمعظم الأعمال المربحة.

واتصل الصينيون في عصور مبكرة بجنوب شرقي آسيا ربما منذ القرن الأول الميلادي، ويمتاز الصيني بأنه لا يكون جاليات متكتلة كالهنود. والصيني في

هجرته الحديثة لا يعمل فقط بالتعدين، بل يقوم ببعض أعمال لا يقوم بها الهنود، ويمتاز الصيني بأنه يستطيع المعيشة في أي بيئة اكثر من أي شعب آخر: ويعمل الصينيون في مناجم القصدير في الملايو، كما يشتغلون في عدة أعمال كالزراعة والحرف والوظائف المختلفة، ويبلغ عددهم نحو ٢ مليون نسمة في ماليزيا، وفي سنغافورة وحدها يوجد ٩٠٠ ألف صيني، وقد أصبحت سنغافورة مركزاً لكل إقليم جنوب شرقي آسيا بسبب استقرار الصينيين الذين يسكن معظمهم الآن حول المدن الكبيرة.

وتعتبر ماليزيا أكبر مركز للاستيطان الصيني لأنها قريبة من وطنهم الأصلي، وعدم ازدحامها بسكانها الأصليين الذين لا يرغب معظمهم في العمل في المزارع أو المناجم أو التجارة.

محاصيل الإقليم :

يشتهر الإقليم بحاصلاته النقدية كالمطاط والسنكونا والكوبرا والقصدير والبترول. وهو أعظم مناطق إنتاج الأرز في العالم، وتتمثل مناطق إنتاجه في دلتاوات الميكونج وسالوين وايراوادي. ويمكن زيادة رقعة المساحات الزراعية. وإن احتاج الأمر مكافحة الملاريا وتوفير رءوس الأموال، ومازالت رءوس الأموال الأوربية تلعب دوراً هاماً.

وفي بعض مناطق جنوب شرق آسيا تأسست مزارع علمية واسعة، ففي الملايو يزرع فيها غلات نقدية تصدر معظمها للخارج كالمطاط، وإن كان معظمها يتبع شركات ورؤوس أموال أجنبية تستخدم طرق استغلال مستوردة من الخارج وليست نظما محلية سائدة. فالفلاح الصيني أو الهندي تربطه طقوسه الدينية ونظمه الاجتماعية في استغلال الأرض.

عناصر القوة والضعف:

وعلى الرغم أن جنوب شرقي آسيا يتميز بأكثر من عنصر من عناصر القوة: وهي الموقع وعدد السكان وغنى الإقليم، وتنوع ثروته الزراعية، أو المعدنية

غير أنه لم يلعب في يوم من الأيام دوراً في السياسية العالمية، كما أن الدول التي ظهرت فيه بعد الاستقلال دول ثانوية. كما أن حضارته لا تقارن بحضارة الهند والصين. والسبب في ذلك الشكل العام للتضاريس الذي لا يساعد على إيجاد وحدة بين أجزائه، بل تعمل على تقسيم شبه الجزيرة لأقسام ثانوية تكاد تكون منفصلة بعضها عن البعض، فالجبال تمتد من الشمال للجنوب وتترك أودية طويلة هي مناطق العمران في الملايو ميانمار وتايلاند. ثم تمتد السلاسل الجبلية إلى الجنوب، وتظهر قممها العالية على شكل جزر منفصلة بعضها عن البعض الآخر. كل هذا لا يساعد على إيجاد عامل الوحدة والترابط، ثم نجد تعقيدا بشريا في هذا الإقليم، عناصر مختلفة تمثل هجرات قديمة. ثم عقائد مختلفة، نجد الديانات السماوية جنباً إلى جنب مع العقائد البدائية، ويوجد عدد كبير من المسلمين، تنتشر المسيحية والبوذية والهندوكية، ثم نجد فرقاً كبيراً في المستوي الحضاري: جماعات تعيش على الصيد والجمع، وجماعات تعيش على الزراعة الكثيفة، أو الزراعة على أحدث الطرق العلمية خصوصاً في مزارع المطاط.

يمكن أن نقسم عالم جنوب شرقي القارة إلى :

- الأرض الأصلية : وتشمل فيتنام، كمبوديا، لاوس، تايلاند (بورما) ميانمار.
- إقليم الجزر : ويشمل ماليزيا، سنغافوره، إندونيسيا، بروناي، والفلبين.

الفصل الثاني

دول في صلب القارة

فيتنام

عندما انتهت حرب الصين الهندية عام ١٩٧٥ كان عدد سكان فيتنام نصف عددهم الآن، فقد قارب عدد سكان فيتنام الآن ٨٥ مليون نسمة، أكثر من ٦٠% منهم دون سن الحادية العشرين، من ثم فحروب الستينيات والسبعينيات محفورة في

عقل الفيتناميين كجزء من تاريخهم، وكل هم الفيتناميين هو التغلب على آثار تلك الفترة التعيسة واللحاق بالنهضة الاقتصادية في الإقليم.

تمتد فيتنام كشريط يمتد في استطالة من الحدود الصينية حتى راس دلتا نهر الميكونج لمسافة ٢٠٠٠ كم وهي حدود من صنع الاستعمار الفرنسي، وقسم الفرنسيون هذا الشريط إلى ثلاثة أقسام لعدم تجانسه:

الأول هو تونكين وهي أرض النهر الأحمر ومركزه هانوي في الشمال.

والثاني كوشين صين أو إقليم دلتا الميكونج ومركزه سايجون (هوشي منه) في الجنوب.

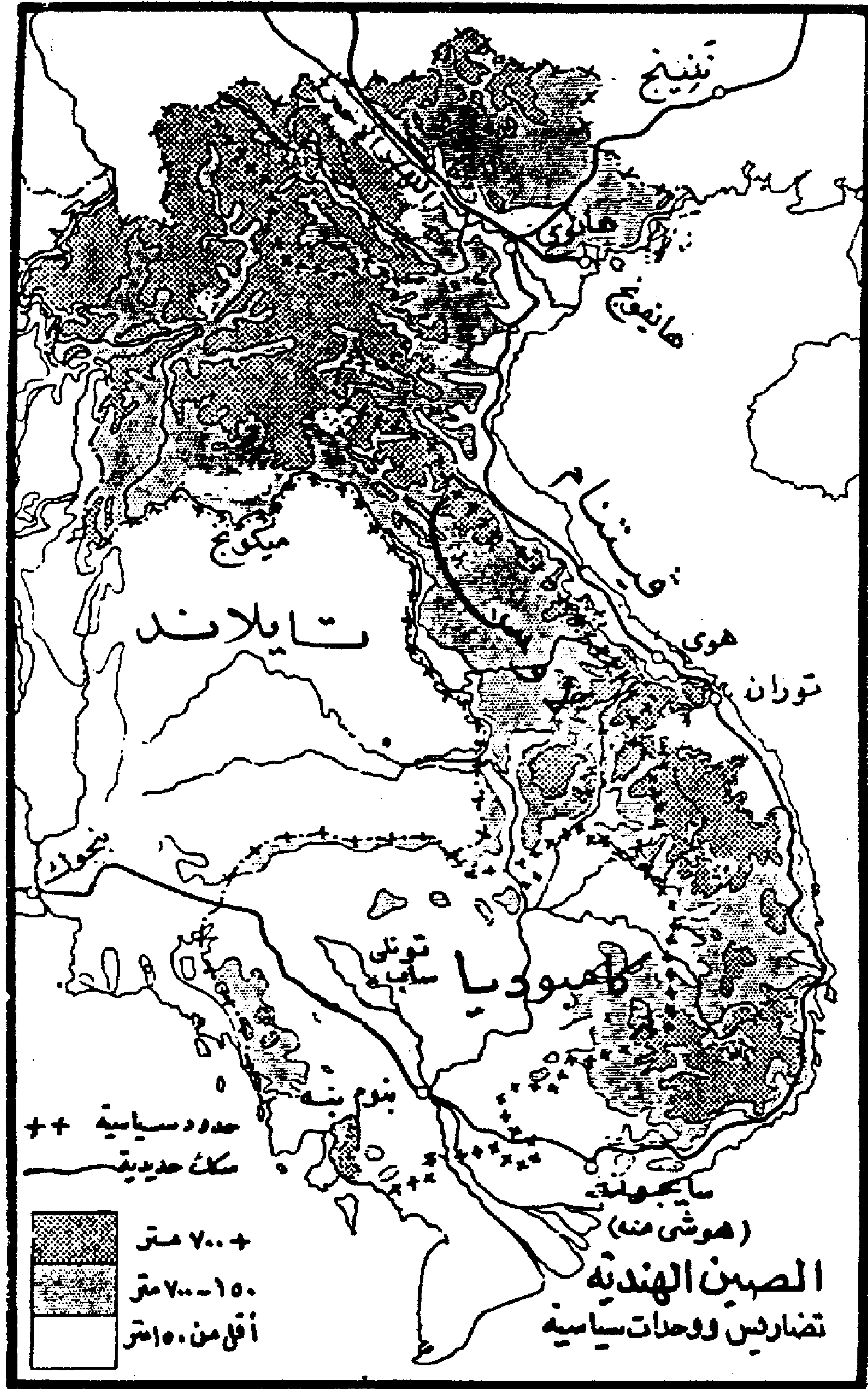
والثالث هو أنام ومركزه مدينة هويه بين الإقليمين السابقين.

وقد أدخلت الإدارة الفرنسية اللغة الفرنسية كلغة تفاهم مشترك، ولكن حين احتلها اليابانيون أثناء الحرب العالمية الثانية نشطت القومية الفيتنامية، وبعد هزيمة اليابانيين عام ١٩٤٥، حاولت فرنسا العودة، ولكنها وجدت مقاومة شديدة انتهت بهزيمتهم في موقعة ديان بيان فو عام ١٩٥٤. على أن فيتنام بعد خروج الفرنسيين لم تخرج دولة واحدة، بل كان هناك النظام الشيوعي في الشمال ومركزه هانوى، ونظام غير شيوعي في الجنوب ومركزه سايجون. ولعل ما شجع على ذلك أن شكل الدولة ذاته متسع في الشمال والجنوب، وضيق في الوسط، فكأنهما عالمان منفصلان. وتورط الأمريكيون في الصراع الذي قام بين النظامين في الستينيات، بإرسال المستشارين العسكريين إلى سايجون لمقاومة النظام الشيوعي الشمالي، وعندما لم ينجح الجنوبيون في صد المد الشيوعي، كانت الخطوة التالية، فأرسلت الولايات المتحدة الأمريكية الأسلحة والقوات حتى بلغ عدد القوات المسلحة الأمريكية في وقت من الأوقات نحو نصف مليون جندي، وكانت خسائر الأمريكيين فادحة، مما أدي إلى قيام المظاهرات والاضطرابات في الولايات المتحدة الأمريكية ضد اشتراك الولايات المتحدة في هذه الحرب، وكانت نتيجتها سقوط الرئيس جونسون في انتخابات الرئاسة، وسقطت حكومة سايجون (الجنوب) عام ١٩٧٥، وخرج الأمريكيون كما خرج الفرنسيون من قبل. وأصبح السوفيت هم الراعون للنظام

الجديد بعد انتهاء الحرب، وبعد أن اتحدت فيتنام بالكامل عام ١٩٧٦ تحت النظام الشيوعي.

يشبه الفيتناميون جغرافية بلادهم بتعبيرات ثقافية، فيقولون أنها أشبه بمزارع يحمل سلتي أرز على كتفيه السلة الشمالية يمثلها حوض نهر الأحمر، والسلة الجنوبية وتمثلها دلتا الميكونج، وإن كانت الحقيقة تزيد عليها ثلاثة أقاليم أخرى، المرتفعات الشمالية في أنام، والسهول الساحلية. فالمرتفعات الشمالية المتاخمة للصين ولاوس تعطيها الغابات، وهي قليلة السكان وبها أقصى مرتفعات فيتنام ممثلة في قمة سيبان أكثر من ٣٠٠٠ متر، أما سلاسل جبال أنام فتمتد من المرتفعات الشمالية حتى تقترب من هوشي منه (سايجون سابقا) بنحو ٨٠ كم٢.

والأرز هو المحصول الأساسي في فيتنام يزرع في مساحات كبيرة في دلتا الميكونج، ويستخدمون الجاموس بكثرة في حقول الأرز. ويكفي الأرز حاجة السكان ويبقي فائض للتصدير، كما تربي الخنازير للحومها وشحومها، ومن المحاصيل الثانوية الذرة، البطاطا، وقصب السكر، والطباق، وجوز الهند، والمطاط، والقطن، هذا إلى جانب صيد الأسماك نهرا وبحرا، وهناك قطع أخشاب التك وجمع غاب البامبو للتصدير، وتستغل حقول الفحم ومناجم الفوسفات والقصدير من شمالي فيتنام، وتعتبر هوشي منه (سايجون) أهم مدنها وموانيها بسكانها البالغين نحو ٨ مليون نسمة، كما تقوم فيها بعض الصناعات الغذائية، كما أنها المركز المالي والتجاري للبلاد، وهناك دانتج المدينة والميناء الثاني في الجنوب، اتخذها الأمريكيون أثناء حربهم في فيتنام قاعدة حربية: ومقابل هوشي منه في الجنوب هانوي في الشمال، وهي العاصمة بعد وحدة البلاد، وهي ثانية مدن البلاد حجما وتقع على دلتا النهر الأحمر، وتقوم هايفونج كمنطقة صناعية تخدم ميناء هانوى.



تنينج
هانوى
هانيفنج
فيتنام
هوى
توران
ميكونج
تايلاند
تونلى ساب
كمبوديا
بنوم بنه
سايجون
(هوشى منه)
الصين الهندية
تضاريس ووحدات سياسية
حدود سياسية ++
سكك حديدية
+ ٧٠٠ متر
١٥٠ - ٧٠٠ متر
أقل من ١٥٠ متر

شكل رقم (٢٤)

تايلاند (أرض الأحرار) (*)

تعتبر تايلاند من جميع الوجوه هي الدولة القائدة في الصين الهندية، فمتوسط دخل الفرد هو الأعلى، وهي الوحيدة بين دول المنطقة التي لحقت بقطار النهضة الاقتصادية التي يشهدها الهامش الشرقي الآسيوي، كما أن بانجوك عاصمتها هي أكبر تجمع حضري، وإذا كان عدد السكان نحو ٦٥ مليون نسمة (قريب من عدد سكان مصر) فنسبة الزيادة السكانية فيها هي أقلها أيضا.

ومن أوجه الاختلاف أيضا عن بقية دول الصين الهندية هو شكلها العجيب فالجزء الرئيسي منها أو قلبها مندمج حيث معظم السكان وحيث قلب الإنتاج، ثم يمتد منها لسان طوله ١٠٠٠ كم. ويقل عرضه أحيانا عن ٣٥ كم حتى حدود ماليزيا.

ولذلك يشبهها البعض، بزهرة ساقها ممتدة في شبه جزيرة الملايو وتتفق تايلاند في أقاليمها الجغرافية على مواردها، ففي الشمال غابات التك الكثيفة تغطي المسطحات الجبلية والأودية الشديدة الانحدار، أما السهول الوسطى فهي مركز التجمع السكاني والنشاط الزراعي، وفي هذه السهل تجمعات عواصم أربع متعاقبة على البلاد، وأما الشمال الشرقي من البلاد حيث هضبة كورات فيعاني من نوبات جفاف وفيضانات مما يجعله أفقر الأقاليم.

ورغم أنه في تايلاند لا توجد دلتاوات أنهار كبرى مثل الميكونج، والنهر الأحمر، والإيراوادي، فهي تتمتع شبكة مجاري مائية تتدفق من المرتفعات الشمالية وهضبة كورات في الشرق وأهمها نهر مينام.

والأرز هو المحصول الزراعي الرئيسي، للاستهلاك المحلي وللتصدير، يمثل أكثر من نصف قيمة الصادرات، وبالتالي يتفوق على صادرات القصدير (خامس منتج له في العالم) والمطاط، (المصدرة الثانية في العالم) وخشب التك،

(*) سميت أرض الأحرار لأنها الوحيدة في جنوب شرقي آسيا التي لم تخضع للاستعمار، وكان اسمها القديم سيام أي ذات القباب الصفراء (الذهبية).

وتعتبر اليابان وسنغافورة من أحسن عملاء الأرز التايلاندي، هذا وقد نشطت الصناعات الخفيفة في تايلاند، وأصبحت تدخل ضمن الصادرات ولعل نجاح تايلاند في هذا المجال يرجع إلى موقعها الجغرافي على رأس خليج تايلاند، ذلك أن قلب الدولة هنا منفتح على بحر الصين الجنوبي وبالتالي المحيط الهادي، كما أن نفس الخليج يعتبر مصدر ثروة سمكية ضخمة، واكتشف فيه أخيراً زيت البترول، وأقيم مصنع للتكرير، ولكن أهم عوامل التقدم الاقتصادي فيتمثل في الأيدي العاملة الوفيرة، والتي تعمل بأجور متدنية للغاية لإنتاج سلع منخفضة السعر تنافس في أسواق التصدير، وبالتالي جذبت استثمارات أجنبية وفيره، وفتحت كثير من المؤسسات الأجنبية فروعا لها فيها كشركات السيارات والأجهزة الكهربائية اليابانية، فإذا زرت ميناءها لايم شابانج ستجد كم المنتجات متجهة إلى التصدير إلى الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها. وقد أصحت منافسا خطيرا في صادرات النسيج ولعب الأطفال والتونة والأناناس المعلب.

وتلعب الأنهار والقنوات المائية دورا كبيرا في حياة السكان، فنظرا لازدحام المدن وخاصة بانجوك العاصمة، نجد المساكن العائمة على جانبي النهر والقنوات، بل ومخازن السلع، ويقوم ساكنيها بالتجارة وهم على قواربهم.

ومما هو جدير بالذكر أن بيئات تايلاند وسكانها وآثار حضارتها ممثلة في المعابد البوذية الرائعة، يجذب ملايين السائحين (اسم سيام القديم معناه الذهبي الأصفر نسبة إلى المعابد المنتشرة بكثرة) يأتونها من ألمانيا، وأيضا من اليابان، ويورون أيضا سواحل جزيرة بوكت في أقصى الجنوب قرب الحدود الماليزية بحيث أصبح دخل تايلاند من السياحة يمثل نصف قيمة الدخل القومي، وإن انعكس أثره على انتشار مرض الإيدز. وأصبحت تايلاند توضع في مقدمة الأقطار التي ينتشر فيها الإيدز، فاكتسبت سمعة سيئة من الناحية الصحية، فضلا عن هلاك البشر.

الفصـــل الثـالث

دول جزرية وشبة جزرية

ماليزيا

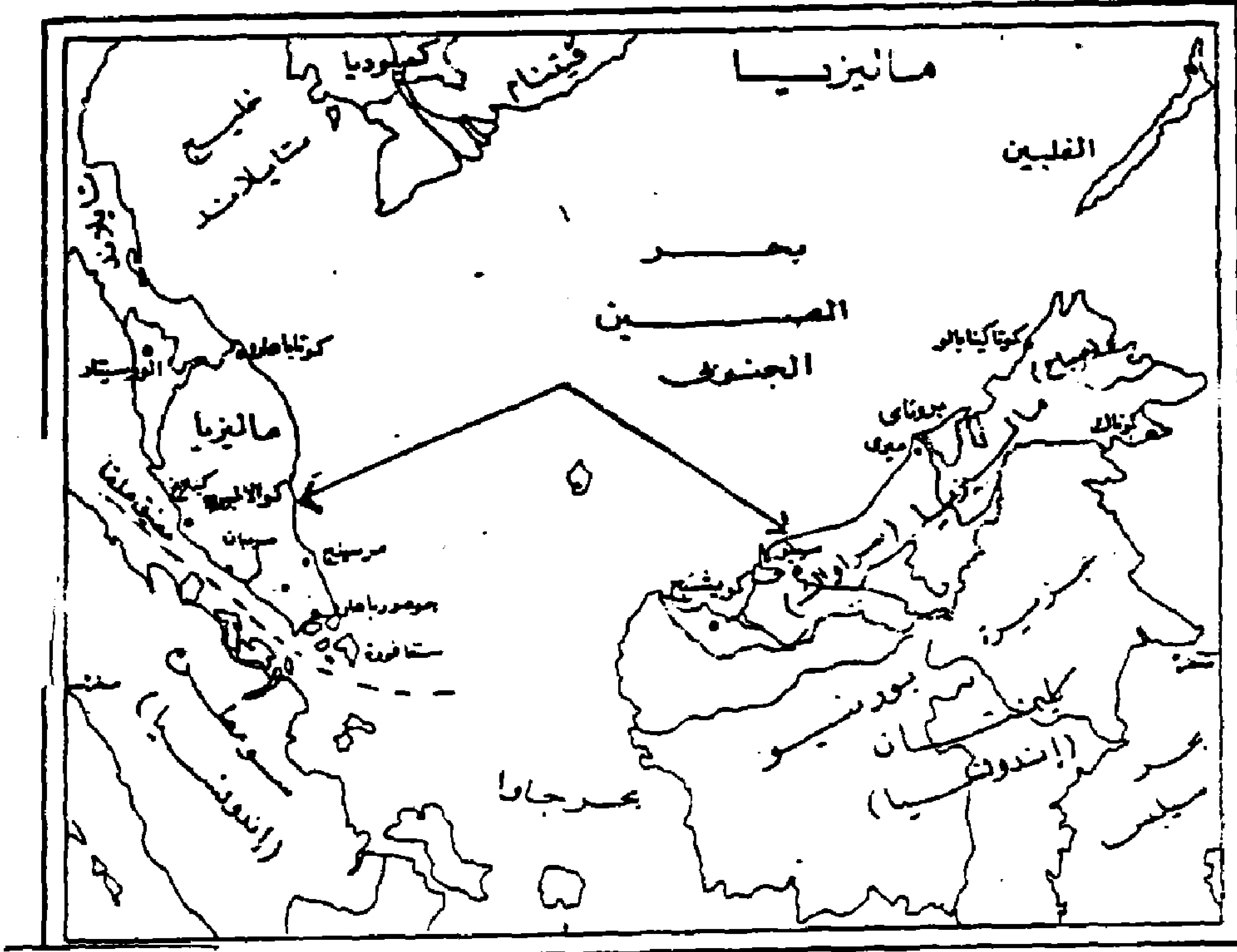
تعتبر ماليزيا من الدول المجزأة إذ تتكون من الامتداد الجنوبي لشبه جزيرة الملايو، فضلا عن الجزء الشمالي من جزيرة بورنيـــو والمعـــروف باســم صبـــاح وسراواك، وكانت سنغافورة في وقت ما جزء منها عند بدأ تكويـــن اتحـــاد ماليزيـــا الفيدرالي، ولكنها انسحبت منه عام ١٩٦٢. وكانت كل هذه الأراضـــي فـــي نطـــاق المستعمرات البريطانية وحتى حصلت الملايو على الاستقلال عام ١٩٥٧.

ماليزيا الغربية (شبه الجزيرة المتصلة بالصين الهندية):

ويتألف سكان هذه الدولة من أعراق مختلفة وبالتـــالي تختلـــف عقـــائدهم الدينية، وعاداتهم وتقاليدهم. والأهم من ذلك وذاك مصالحهم فمن مجمـــوع ســـكان ماليزيا الذي يبلغ نحو ٢٤ مليون ٥٨% من المالاى (الأصليين) والصينيون ٢٧% والهنود ٠,٧٥، من ثم تنوعت الديانات وأن كان الإسلام هو الدين الســـائد، ومعـــه البوذية والهندوسية والمسيحية بنسب ضئيلة.

ويتركز معظم السكان في غرب ووسط ماليزيا من ملقا إلى كوالالمبور حيث انتشار مزارع المطاط ومناجم القصدير، ومن هنا كانت كوالالمبور العاصمة في حزام المطاط والقصدير، ومركز تجمع الثروة والنشاط التجاري، ورغم أنـــها لا تتوســـط الدولة، فهي على اتصال جيد بجميع أطرافها.

أما العناصر الصينية والهنود فيسكنون نطاقا عرضه مائة كم على الســـاحل الغربي، فيضم هذا الحزام ٩٠% من الصينيين، ٩٥% من الهنود المهاجرين.



شكل رقم (٢٤)

الإنتاج الزراعي:

يعيش الماليزيون على الأرز والسمك خصوصاً على طول الساحل الشرقي حيث تنتشر قرى الصيد: ويجففون السمك بطرق خاصة لتلائم المناخ الحار، وتتخذ القرى أماكن محمية حتى لا تتعرض للعواصف الموسمية الشديدة، وتحتمي المنازل بأشجار زيت النخيل، وتعمل شباك البامبو لصيد السمك على الساحل الغربي الضحل الهادي، وان كان الصيد يتوقف بين شهري نوفمبر ومارس لقوة الرياح، ويعمل صائد السمك أيضا في الزراعة أو يعيش على جمع جوز الهند. ومعظم أسماك الساحل الغربي تدخل في التجارة والباقي يأتي من الساحل الشرقي لكنه يستهلك محلياً كما أن معظم المواصلات في هذه المنطقة بحرية ساحلية.

وتزرع مساحة تبلغ نحو المليون فدان أرزا من مجموع المساحة الزراعية والتي تقدر بنحو ٦ مليون فدان، ويزرع في دلتاوات الأنهار والسهول الفيضية، كما

يزرع في أشرطة ضيقة على طول الأودية التي تفصل سلاسل الجبال بعضها عن بعض، ويبلغ محصول الأرز في الملايو حوالي مليون طن أي ما يكفي ١/٣ عدد السكان فقط وتستورد الأرز من الخارج لتسد حاجتها.

ومن أهم المحاصيل التجارية المطاط الطبيعي، ثم المطاط المزروع وقد أصبح أهم سلعة تجارية في الملايو حيث يحتل مليون فدان أخرى ويقوم بزراعته معظم السكان الذين يعملون بالزراعة، ويعمل بزراعة المطاط أكثر من ٤ مليون مزارع وعندما أدخلت زراعة المطاط اتجهت أولاً نحو سفوح الجبال بالقرب من مناجم القصدير، فهذه المناطق تمتاز أولاً بأنها بعيدة عن نطاق المستنقعات التي تضر بالمطاط، وثانياً وجود طرق المواصلات التي أنشئت لجل تعدين القصدير وقد امتدت مزارع المطاط على السفوح الغربية على شكل شريط على طول السكك الحديدية.

وأدت زراعة المطاط إلى فتح أحراج وغابات الملايو. وطهرت المنطقة، وزرع المطاط البرازيلي الذي نجح نجاحاً كبيراً أكثر منه في موطنه الأصلي. زرعت ماليزيا محاصيل تجارية أخرى كالبن، والشاي، وقصب السكر، ولكن نظراً لفقر التربة وقلة العمال الزراعيين المهرة اختفت هذه الأنواع ما عدا الشاي الذي استمرت زراعته اعتمادا على استيراد العمالة من الخارج.

وينتشر جوز الهند على طول الساحل ولا يحتاج لأيدي عاملة كثيرة لآن الثمار مستمرة طول العام ويجفف ثماره بتعريضها للشمس أو الدخان. ولا يحتاج لمهارة خاصة لجمعه وتجفيفه ومعظم عماله من الملايو ويتعرض سعره للاهتزازات ويتكلف نقلة نفقات باهظة.

أما أشجار زيت النخيل فقد أدخلت من غرب أفريقيه، ويزرع بكثرة في الأودية وعلى طول السهول الساحلية وكانت معظم زراعته في أيدي البريطانيين حيث يشرفون على مزارعه الواسعة، ويقوم الهنود بالعمل وتحتاج زراعته لطرق مواصلات جيدة وينقل جزء كبير من زيته إلى سنغافورة عن طريق البحر وتنتج

ولاية جوهور Johor وحدها نصف ما تنتجه الملايو كذلك تساهم ولاية بيراك وسلنجور Selangor بقدر وفير من الإنتاج، كما تزرع الملايو الأناناس أيضاً ويجمع محصوله على دفعتين في ديسمبر ويوليه بعد سنة ونصف من زراعته ويدخل قائمة الصادرات أيضاً، وتعتبر التجارة في القصدير مقسمة بين ماليزيا مركز التصدير الأول والولايات المتحدة مركز الاستيراد الرئيسي، وتصدر ماليزيا من يقرب من ثلث الإنتاج العالمي ومعظم العمال من الصينيين والهنود.

التعدين:

ومن ناحية الثروة المعدنية نجد القصدير يلعب دوراً هاماً في اقتصاديات ماليزيا، ومعظم مناجمه مكشوفة في الرواسب الطمية وتحتوي أكاسيد القصدير على نسبة عالية منه (٧٥%) وتظهر معظمها مختلطة مع الحصى والزلط والرمال التي حملتها عوامل التعرية المائية.

يمتد نطاق المناجم على طول السلاسل الوسطى خصوصاً في غربها في وادي كينتا Kinnta وحول كوالالمبور حيث يستخرج من هناك ٣/٤ قصدير ماليزيا، وكما توجد مراكز تعدين أخرى في الشرق في أقصى الشرق لقلة وسائل النقل وبعثرة أكاسيد القصدير على طول الساحل عند سفوح السلاسل الشرقية من نهر بسيت Besut حتى جوهور.

ويوجد الحديد في الملايو ونسبته نحو ٥٠ ــ ٦٥%. وتوجد أكاسيد الحديد مختلطة في مناجم مفتوحة في جوهور وكلانتان، بهانج، ترنجانو، ويقوم بالتعدين عمال من الصينيين ومعظم المناجم في شرقي ماليزيا، وتستخدم الأنهار في نقل أكاسيده حتى الساحل، ويوجد الذهب بكميات قليلة في الرواسب الطمية، وكما يوجد في جهات متعددة في ويبراك وملقا وسانجور.

وقد أصبحت كوالالمبور العاصمة مركزا للصينيين، ومد خط حديدي بينها وبين تايبنج وحتى أقرب ميناء سويتنهم Swetenham وولد Wold ثم مد خط حديدي على طول السفوح الغربية حتى سنغافورة.



شكل رقم (٢٥)

<u>ماليزيا الشرقية</u>: وتتكون من سراوك وصبا في جزيرة برنيو.

أما <u>سراواك</u> فهي متأخرة حضارياً إذ لا زال يعيش أكثر من ٥٠% من سكانها حياة شبة منعزلة في الغابات، يعملون على جمع الطعام والقيام بالزراعة المتنقلة البدائية، وصيد الحيوانات، والأسماك. ولم تتغير حياة سكانها كثيراً منذ العصر الحجري حتى الوقت الحاضر.

وقد عمل المهاجرون الجدد من الهنود والصينيين على استغلال الأرض القابلة للزراعة بسرواك، وزراعة الأرز، والتوابل. وأشجار المطاط الطبيعي. وأصبحت سرواك اليوم بفضل مجهودات الزراع الصينيين من الأقاليم المصدرة

للتوابل، وتتركز النطاقات الزراعية الخاصة بالأرز والتوابل على طول الساحل الشمالي لسرواك، ولا يزيد مساحتها على ١٨ كم٢.

وكانت صبا ضمن المستعمرات البريطانية في جزيرة بورنيو، واعتبرت بريطانيا أراضي صباح محمية بريطانية منذ عام ١٨٨٨ وخلال الحرب العالمية الثانية استولت اليابان على أراضي صبا، ثم بعد انتهاء الحرب، وهزيمة اليابان عادت صبا مرة ثانية مستعمرة تابعة للتاج البريطاني، وفي عام ١٩٦٣ أصبحت صبا ولاية مشتركة في اتحاد ماليزيا الفيدرالي وعُرف اسمها رسمياً باسم " صبا " وتبلغ مساحتها نحو ٤٨ كم٢.

يعيش فوقها نحو نصف مليون نسمة ولا زال يعيش معظم سكان " صبا " (جماعات الدوسون Dusuns، والباجاو Baaus، والسولوك Suluks، والموروتث Muruts)، حياة أولية. منعزلة في الغابات ومناطق المستنقعات. وقد عمل المهاجرون الجدد الذين وفدوا من إقليم جنوب شرقي آسيا على استغلال أراضي صباح في الإنتاج الزراعي، ومن أهم غلاتها الزراعية الذرة، والأرز، والكاسافا، قصب السكر، وجوز النخيل. كما يعمل بعض السكان بقطع الأخشاب من الغابات، وتمثل الأخشاب نحو نصف قيمة الصادرات السنوية لصبا، ويحتكر المهاجرون الصينيون الأعمال التجارية الداخلية للبلاد والإشراف على تجارتها الخارجية.

سنغافورة

(دولة قزمية حجما وسكانا وعملاق إقتصادي)

دولة قزمية بمساحة ٦٥٠ كم٢، وسكان يبلغون نحو ٣,٥ نسمة (أي حجم حي شبرا في القاهرة) دولة بلا موارد اقتصادية ذاتية يزورها نحو ٦,٥ مليون سائح سنويا أي ضعف عدد سكانها، ومتوسط دخل الفرد ٣٨ أف دولار سنويا، وتتعدد أصول السكان كما هو الحال في ماليزيا، ولكن غالبيتهم من الأصول الصينية ٧٧%. وماليزيون ١٤% وهنود ٧%. فضلا عن باكستانيين وأوروبيين.

كان لأهمية الموقع الجغرافي لسنغافورة عند الطرف الجنوبي لشبة جزيرة الملايو، التي تنفصل عنه بواسطة مضيق جوهور Johore، أن أصبحت محطة بحرية رئيسية لتموين السفن التي تبحر على خطوط النقل بين شمال غربي أوربا، وشرقي آسيا واستراليا. من ثم ظلت بريطانيا محتفظة بسيادتها عليها، إلى أن منحت سكانها حق تكوين جمهورية سنغافورة عام ١٩٥٧. وكان من المنتظر أن تشترك سنغافورة في اتحاد ماليزيا الفيدرالي، إلا أنها انسحبت من هذا الاتحاد بعد تكوينه بفترة وجيزة. وتتألف جمهورية سنغافورة من جزيرة سنغافورة، وبعض الجزر الصغيرة المجاورة لها بما فيها الممرات والخلجان البحرية التي تفصل جزيرة سنغافورة عن بقية هذه الجزر الأخرى السالفة الذكر.

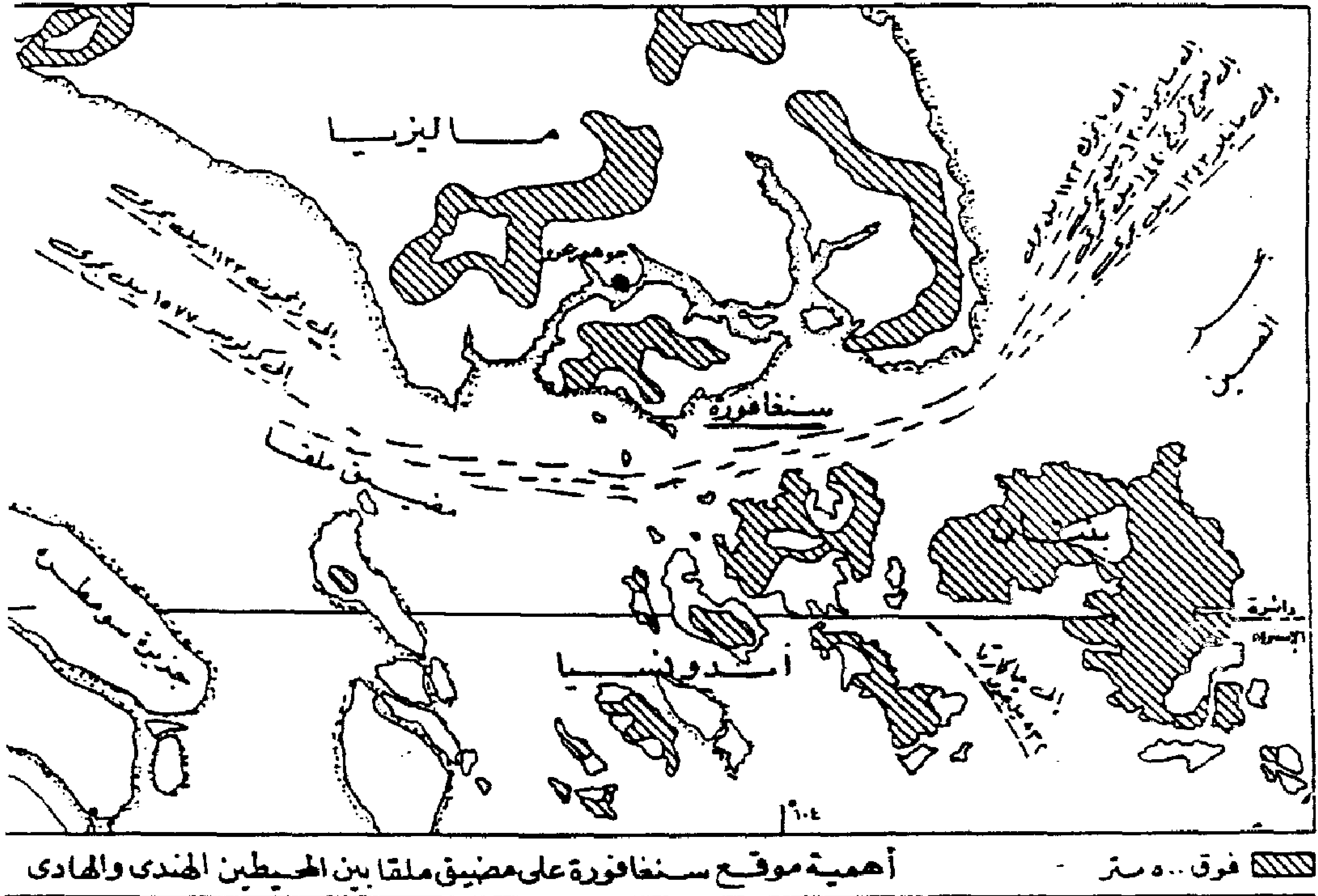
وكانت الغابات الاستوائية والمدارية الرطبة تغطي معظم أراضي جزيرة سنغافورة حتى بداية القرن الثامن عشر ولكن سرعان ما أزيلت، واستغلت الأراضي في الإنتاج الزراعي، وعملت العناصر الصينية والأوربية على استغلال أرض جزيرة سنغافورة في الزراعة العلمية للمطاط، وجوز النخيل. والفواكه المدارية. كما تصاد الأسماك من المسطحات المائية البحرية المجاورة لأرض الجزيرة.

الموقع الجغرافي واقتصاديات سنغافورة:

ويعد ميناء سنغافورة قلب الجزيرة النابض وتشغل المدينة القسم الأوسط من الساحل الجنوبي للجزيرة. ويسكن ميناء سنغافورة أكثر من نصف جملة سكان الجمهورية.

هذه الدولة الصغيرة الحجم والسكان التي تقوم في موقع استراتيجي بين المحيطين الهادي والهندي قدر لها أن تحقق ناتجا محليا إجماليا قدرة ٢١٢ مليار دولار، وتستثمر في قطاع الصناعة وحده نحو ١١ مليار دولار، وتصدر بنحو ٢٧٠ مليار دولار أي أكثر من ناتجها المحلي، ذلك أنها لا تصدر إنتاجها فحسب، بل تصدر معظم ما تستورده سواء بحالته أو بإجراء بعض العمليات عليه بحيث تبلغ قيمة

السلع المعاد تصديرها نحو ١٢٠ مليار دولار. ولعب موقعها الجغرافي أيضاً في دخولها باب تجارة الخدمات من أوسع الأبواب سواء في قطاع النقل، والاتصالات، فقد كانت محطة تموين enterpot للسفن العابرة، وخاصة تموينها بالفحم (نهاية شريان الملاحة البريطاني بورسعيد، كولمبور، واخيراً سنغافورة)، لموقعها الجغرافي الاستراتيجي الفريد عند رأس شبة جزيرة الملايو، وإشرافها على مدخل ملقا Malacca (فيما بين شبة جزيرة الملايو وجزيرة سومطره)، ومن ثم أصبحت من أهم المواني التجارية بإقليم جنوب شرقي آسيا. وسنغافورة الآن محطة رئيسية لاستقبال وإرسال ٧٠% من الحاويات المتجهة من وإلى شرقي آسيا، من ثم نجد فيها إلى جانب إنتاجها.ى كل إنتاج العالم تقريبا، ويستقبل ميناء سنغافورة نحو ٣,٢ مليون سائح ترانزيت سنويا حتى ليحق عليها القول بأنها روتردام آسيا؟!



شكل رقم (٢٦)

كل هذا لم يأت من فراغ، وإنما شهدت سنغافورة بنية تحتية ممتازة، وفي الميدان الصناعي وجدنا الصناعات الخفيفه فهناك التي تعتمد على التكنولوجيا المتقدمة ولا تعتمد على الموارد الكبيرة والثقيلة، الإلكترونيات، المستقبلات، الفيديو، التلفزيون، أجهزة الاتصالات والهوائيات وغيرها، وتقدمت كثير من الشركات في الأوطان الأمم واعتبرتها مركزاً متقدماً لصناعاتها، هكذا لم تصبح سنغافورة ميناء تموين فحسب، بل تسهم في التجارة العالمية بقدر وافر.

سلطنة بروناي Brunei

تقع أراضي سلطنة بروني في السهول الساحلية الشمالية لجزيرة بورنيو، وتجاور الحدود الشمالية الشرقية لسرواك، ولا تزيد مساحة السلطنة عن ٥٧٠٠ كم٢، ويبلغ جملة عدد سكانها نحو ٣٥٠ ألف نسمة. وقد كانت بروناي حتى القرن الخامس عشر إمارة كبيرة المساحة تضم تحت لوائها معظم أراضي جزيرة بورنيو. وفي نهاية القرن الخامس عشر وقعت بروناي تحت سيطرة دولة ملقا البحرية الإسلامية والعربية في جنوب شرقي آسيا. وبدأ ظهور الاستعمار الأوربي في القرن السادس عشر، بداية بالبرتغاليين وانكمشت مساحتها، وأصبح سلطان بروناي المسلم لا يحكم سوى جزءاً صغيراً جداً من إمارته السابقة التي كانت تشغل كل أراضي جزيرة بورنيو، ثم ظهرت بريطانيا على المسرح الاستعماري بجنوب شرقي آسيا خلال القرن الثامن عشر، انكمشت مساحة إمارة بروني مرة ثانية، وأصبحت تقتصر على ذلك الجزء الصغير من السهل الشمالي لجزيرة بورنيو.

وتتلخص الأهمية الاقتصادية لإمارة بروناي اليوم في حقول زيت البترول الذي اكتشف في إقليم سيريا Seria منذ عام ١٩٢٩ والغاز الطبيعي عام ١٩٨٤ وأصبحت من مناطق الإنتاج العالمية للبترول، وتزداد أهميتها نظراً لأن البحث في مياهها الإقليمية أثبت وجود البترول أيضا وكنتيجة لهذا أصبحت مصدر جذب للهجرات، ٧٠% من سكانها من ماليزيا ١٩% من الصين، ونتيجة لهذه الثروة

تتمتع بأكبر ناتج محلي في جنوب شرقي آسيا بحيث أصبح متوسط دخل الفرد اكثر من ١٤ ألف دولار، ويعيش معظم السكان بجوار حقول البترول في الركن الغربي من البلاد، وفي العاصمة بندر سري بيجاوان، وتظهر نعمة البترول في المباني والفنادق الفخمة، وفي مراكز التسويق على عكس ما ترى في بقية برنيو، وان كانت هناك فروقات إقليمية فمازالت هناك مناطق في الداخل شبه منعزلة تعيش على الزراعة المعيشية.

إندونيسيا (*)

جزر مبعثرة

إذا كانت الأرخبيلات تكثر في العالم حول شواطئ القارات، فلا شك أن أرخبيل إندونيسيا يعد من أعظمها، إذ تنتشر جزر إندونيسيا (نحو ١٣ ألف جزيرة) فكأنها عائمة فوق الماء في مساحة واسعة جنوب القارة الآسيوية، أجزاء منها شمال خط الاستواء وأخرى جنوبه، من ثم يعيش سكان إندونيسيا بعددهم الذي يزيد على ٢٠٠ مليون نسمة مبعثرين فوق الجزر، تفصلهم المسطحات المائية. ولكن مع ذلك من بين هذه الجزر هناك الخمس الكبار الذين لهم السيادة منها غينيا الجديدة في الشرق، ونصفها الغربي تابع لإندونيسيا، وأما الأربع الباقين فيعرفون باسم جزر سوندا الكبرى: جاوه أصغرهم مساحة وأكثرهم سكانا، سومطره في الغرب مطلة على مضيق ملقا مباشرة ومواجهة لماليزيا، وكليمنتان وتشمل معظم جزيرة بورنيو، وأخيرا سيليبس إلى الشرق. وتمتد مجموعة سوندا الصغرى إلى الشرق من جزيرة جاوة، وتضم مالي وتيمور، وبالتالي تعتبر جزيرة جاوا هي الجزيرة المركزية في المجموعة.

البشر في إندونيسيا :

كانت إندونيسيا تعرف قبل الاستقلال أيام الاستعمار الهولندي باسم جزر

(*) يطلق لفظ أرخيل Archipelago على المسطح المائي الذي تكثر به الجزر.

الهند الشرقية، واتخذ الهولنديون من جزيرة جاوه مركزا لإدارة المستعمرة وكانت بتافيا (جاكرتا الآن) هي العاصمة، وتعتبر جاوا اليوم هي قلب ونواة إندونيسيا بسكانها البالغين نحو ١٢٠ مليون نسمة، من ثم فهي من أكثر جهات العالم كثافة، وأكثرها إنتاجية في الزراعة. وإذ قدر لك أن تبحر إلى في جاوا ستجد مئات السفن التي تنتظر دورها للوصول إلى مرفأ جاكرتا، أحد أكبر الموانئ ازدحاما وحركة في جنوب شرقي آسيا، وفي الحقيقة أن هذا الميناء وظهيره يتميز بالنشاط الذي يدب فيه، وكذلك الموانئ الأخرى في سومطره جعل إندونيسيا تدخل نادي النمور الآسيوية، ذلك أن إندونيسيا تشجع استثمارات الشركات الأجنبية بما تمنحه لها من عمالة رخيصة، على استعداد العمل بثلث الأجر الذي تتقاضاه العمالة الماليزية والصينية.

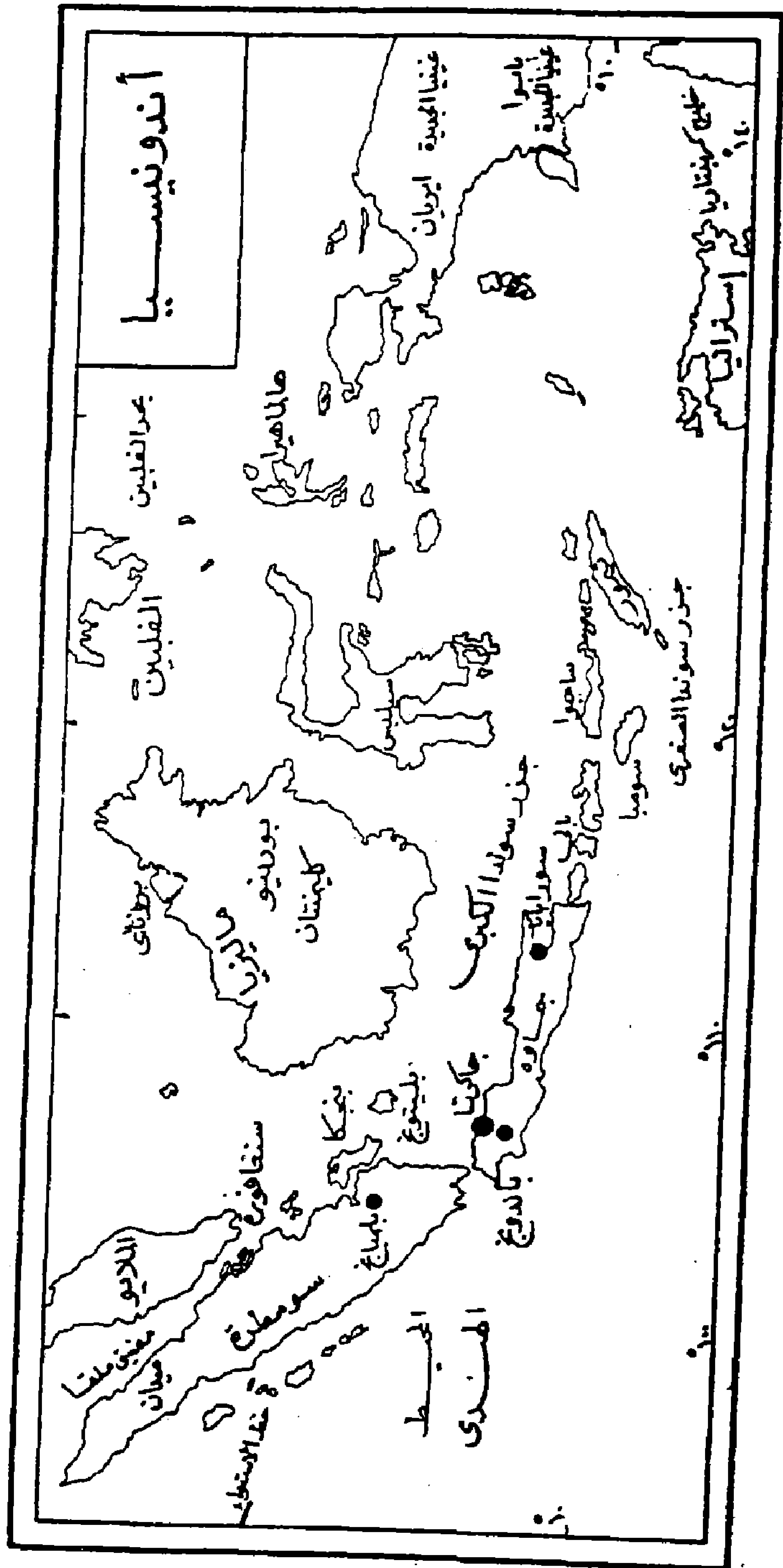
وفي الحقيقة لا توجد جزيرة في إندونيسيا يمكن أن تنافس جاوا من حيث حجم السكان والازدحام ودرجة الحضرية والإنتاجية، فالجاويون يمثلون نحو ٦٠% من سكان إندونيسيا، وتأتي سومطره بعدها من حيث عدد السكان (٤٢ مليون) وأن كانت أكبر مساحة. كما تأتي سومطره في المرتبة الثانية من حيث المكانة الاقتصادية، فتمتد فيها مزارع المطاط في سهولها الشرقية، ثم تأتي كليمنتان وهي الجزء الإندونيسي من جزيرة بورنيو، وأن كانت أكبر مساحة فلا يسكنها سوى ١٢ مليون نسمة، معظمهم يعيشون في المدن والقرى الساحلية، أما جزر سيليبس إلى شرق من بورنيو فيقدر سكانها بنحو ١٤ مليون نسمة. وإذا كانت جاوا هي الجزيرة الرائدة بين الجزر. فإن جاكرتا هي الرائدة بين المدن، يطلق البعض على جاكرتا عاصمة إندونيسيا بأنها كلكتا جنوب شرقي آسيا، فإذا وقفت على الطريق السريع من المطار الدولي ومركز المدينة سترى القرى التي أقيمت فوق تلال من (الزبالة) وينبش فيها الأولاد بحثا عن شئ ممكن الانتفاع به، وهذا أمر ليس شائعا فحسب، لا في إندونيسيا. وإنما في جنوب شرقي آسيا بعامه، ولكن ليست هذه الصورة الوحيدة لجاكرتا. ذلك أن التقدم الاقتصادي ظهرت آثاره أيضا في المباني الضخمة وغابات من أطباق الهوائيات، والسيارات من أقدمها إلى أحدثها إلى جانب الدراجات التي تعج بها الشوارع ليلا ونهارا، هكذا الأعراق والديانات والألسنة

واللهجات، مآذن الجوامع الفضية إلى جانب أجراس الكنائس، ومعابد الهندوس، وقد تضخمت المدينة (١٤ مليون) بعد أن كانت تجمع لعدة قرى على مصب نهر سيليوانج، وتغيرت بالتدريج حتى تحولت عاصمة في فترة الاستعمار الهولندي وعرفت باسم بتافيا، ولحسن الحظ أنها تقع في شمالي غربي ساحل جاوا، أكثر أجزاء الجزيرة إزدحاما بالسكان، وتزور مرفأها جميع جنسيات السفن من روسيا إلى أرجنتين ، وتدفع جاكرتا ضريبة التقدم الاقتصادي ممثلة في تلك السحب الرمادية المثقلة بالملوثات التي تجثم فوقها طول العام.

<u>العوامل الطبيعية المؤثرة في السكان توزيعا وتعقيدا :</u>

يتنوع البشر في إندونيسيا، فهناك أكثر من ٣٠٠ تجمع عرقي، وأكثر من ٢٥٠ لغة فضلا عن أنه لا يوجد معتقد ديني في العالم إلا وله في إندونيسيا نصيب، ومع ذلك فالحكومات الإندونيسية استطاعت أكثر من مرة التغلب على هذه النزاعات، فهذا التعقيد الثقافي يذهب بجهود ومال الدولة، وتظهر المشكلة السكانية مرة أخرى في الزيادة السكانية التي إذا استمرت على حالها فمعناها تضاعف اسكان في مدى ٤٣ عاما، وفي كل الظروف الحالية ترتفع الكثافة أحيانا إلى ٢٠٠٠ نسمة/كم٢ في جزيرتي جاوة ومادبرا، ولكن في المقابل هناك جزر تنخفض فيها الكثافة إلى ٣٠ نسمة لكم٢ كما في سومطره، ولتقليل الضغط على الأرض من ناحية، ولتذويب الفوارق بين السكان، للوصول إلى اندماج وطني، تقوم الحكومات بعملية نقل للسكان translocation للسكان من جاوا إلى أجزاء الدولة أخرى، أي محاولة إعادة توزيع السكان. وإذا كانت هذه السياسة تبدو معقولة، فإنها تقابل من سكان الجهات المستقبلة بعدم الرضا أحيانا لأنهم يدخلون وسائل وممارسات لا تتفق مع تقاليدهم.

وتعمل <u>التضاريس</u> إلى جانب المسطحات المائية الفاصلة بين الجزر على أن تكون عوامل الطرد أو الانفصال قوية من الناحية فزيوغرافية تتناوب إندونيسيا المرتفعات والمنخفضات اتي ترجع إلى أزمنة مختلفة منها القديم ومنها الحديث كالسلاسل الجبلية الألبية التي تمتد من جاوا إلى سومطره وبورنيو وسيليبس. وهو امتداد لسلاسل الالتوائية التي تمتد في وسط آسيا ثم تنحني في ميانمار إلى الجنوب،



شكل رقم (٢٧)

وبين هذه اسلاسل نجد الأحواض والمنخفضات، غير أهم الظاهرات الفزيوغرافية هي الصخور البركانية المرتبطة بالنشاط البركاني الذي يترك طابعه على المظهر الطبيعي، من هذه البراكين ما هو خامد، ومنها ما هو ثائر، فهناك حوالي ١٠٠

بركان ظلت تثور بين الحين والآخر منذ القرون السابع عشر، وفي جاوا وحدها ٣٢ بركان من الأنواع الثائرة ومن أشهر البراكين بركان كاراكتوا الموجود في جزيرة كاركاتوا بين سومطره وجاوا، ويعتبر النشاط البركاني هو السبب الرئيسي في خصوبة التربة في إندونيسيا، المساعد الرئيسي في وفرة محصولاتها المختلفة.

الإنتاج الزراعي :

تضافرت العوامل الطبيعية لتصبح إندونيسيا دولة زراعية من الدرجة الأولي، فهناك كما ذكرنا التربة البركانية الخصيبة التي تغطي سفوح المرتفعات وبالتالي المنخفضات، والتي تنحدر كل عام بفعل الأمطار المستمرة طول العام والتي تنحت المرتفعات وتضيف إلى التربة كل عام طبقة جديدة، فإذا أضفنا أن المطر يسقط طول العام، فإندونيسيا استوائية المناخ ولكن وقوعها في طريق الرياح الموسمية الصيفية الشتوية، جعلها أقرب الاستوائية إلى الموسمية، (أكثر من ١٥٠ سم سنويا)، فإذا أضفنا وفرة الحرارة طول العام بين ٢٠م ، ٢٣م، كل هذا معناه إمكان الزراعة في أي فصل من فصول السنة. فضلا عن استغلال كل شبر من الأرض لمواجهة الحاجة الأساسية لهذا الكم الضخم من البشر، فهي مستودع هائل للمحاصيل المدارية من المحاصيل الغذائية. كان من الطبيعي أن يكون الأرز طبق المائدة الأساسي، وتنتج الآن كل حاجتها من الأرز تقريباً بعد استغلال كل شبر من الأرض، بل تصدر بعض أنواع الأرز الجيدة، وتستورد مكانه أنواعاً أخرى أقل جودة. ويبلغ نصيب إندونيسيا من الأرز ٨% من الإنتاج العالمي، وتشبه حقول زراعة الأرز مع حقول الأرز في الهند، وتتبع نظام الزراعة الكثيفة، ومع الزيادة السريعة في السكان اتسعت مساحة زراعة الأرز وإمتدت على سفوح الجبال على المدرجات. بل وفي غرب جاوا يزرع المحصول مرتين أو ثلاثة في العام حيث المطر طول العام، ويزرع القمح في الأراضي الأقل خصباً وبدون رى، ومن ضمن المحصولات التي تزرع في مزراع واسعة المحصولات التجارية في جاوا وسومطره قصب السكر الذي توجد مزارعه تقريباً في جاوا الوسطي والشرقية. ومن المحاصيل التجارية الأخرى الشاي وحوالي ٣/٤ شاي إندونيسيا ينتج في جاوا وتعتبر ثالث

مصدر للشاي بعد الهند وسيلان، وتنتج نحو ٣% من الإنتاج العالمي، ومن المحاصيل التجارية أيضا الكاكاو والبن، والكاسافا وهناك أيضا المطاط ويزرع بكثرة في سومطره، وإلى جانب هذا تنتج جاوا معظم إنتاج العالم من الكينين (*) الذي يؤخذ من لحاء شجرة السنكونا التي نقلت من أمريكا الجنوبية حيث كان يستركز إنتاجها قبل ذلك وأصبحت إندونيسيا وتصدر أكثر من ٩٠% من هذا الدواء على المستوى العالمي.

وتأتي سومطره في المرتبة الثانية بعد جاوة من ناحية الإنتاج الزراعي فهي تنتج الجزء الأكبر من المطاط ويزرع على الساحل الشرقي، أما بورنيو الإندونيسية فمازال الاستغلال الاقتصادي فيها في أولي مراحله وتزرع التوابل، على رأسها الفلفل الأسود القرنفل والقرفة، وتنتشر زراعة نخيل الزيت. وفي كل جزر إندونيسيا ما عدا جاوا تنتشر المزارع الواسعة.

التعدين :

يعتبر زيت البترول والغاز الطبيعي أحد أهم ثروات إندونيسيا المعدنية، فقد كانا مسئولين عن ٧٥% قيمة الصادرات في الثمانينيات ثم انخفضت النسبة إلى ٤٠% في التسعينيات لانخفاض أسعار البترول. وتوجد حقوله في سومطره وخاصة حقول باليمبانج ودامبي في جنوبي الجزيرة، وميدان في شماليها وهناك حقول باليكابان وتارالكان في بورنيو، وحقول رمبانج في جاوا، وشجعت الحكومة إقامة الصناعات البترولية بدلا من تصديره خاما، وركزت إندونيسيا مع انخفاض أسعار البترول على تصدير الغاز المسال، وأصبحت الآن هي أكبر مصدر للغاز المسال، في آسيا، يتجه منها إلى اليابان وتايوان.

وهكذا أصبح البترول والغاز الطبيعي يمثل نحو نصف دخل الدولة، ونصف حصيلتها من العملة الصعبة. ويعدن الفحم في النصف الغربي من سومطره وبرنيو، ويستهلك محليا في تسيير الخطوط الحديدية. وإندونيسيا منتج رئيسي للقصدير الذي

(*) لعلاج الملاريا.

يصهر في جزيرة بنجكا، والنيكل في جزيرة سولواسي حيث يوجد مصهر ضخم له ويعدن البوكسيت ويحول إلى ألومينا في جزيرة بنتان، ويحول الالومينا إلى الومنيوم في أشان شمالي سومطره.

الصناعة :

الظاهرة الملفتة للنظر أن معظم صناعاتها باستثناء الصناعات الخشبية والتعدين تتركز في جاوا، وفي هذه الجزيرة يظهر بوضوح الاقتصاد الصناعي للبلاد. وكان لهبوط أسعار البترول في الثمانينيات أثرد في تشجيع الحكومة على البحث عن طرق جديدة لزيادة الإيرادات، فكانت الصناعة بطبيعة الحال في المقدمة. من ثم عملت على تشجيع الاستثمارات الأجنبية لتستغل رخص العمالة من ناحية، ووفرة الخامات من ناحية أخرى للدولة، وقد جذب هذا العامل استثمارات عديدة من اليابان، وتايوان، وكوريا الجنوبية، والولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا الغربية، فعلي سبيل المثال أقامت الاستثمارات الأجنبية نحو ٦٠٠ مصنع متيحة فرصة كبيرة للعمل في صناعات اللعب والأحذية، الورق، الإلكترونيات والبتروكيماويات. وفي ظل الاتجاه نحو التصنيع باعت الحكومة بعض المؤسسات التابعة للدولة للقطاع الخاص، وذلك لتنشيطها، كما أنفقت الدولة بسخاء على الصناعات الأساسية على اعتبار أنها مشجعة لكثير من الصناعات الخرى، شجعت قيام صناعة الصلب، والأسمدة، والكيماويات، والأسمنت، والبتروكيماوية، فعلى سبيل المثال قيام صناعة السيارات الصغيرة تحتاج إلى الصلب والمطاط والألومنيوم. وفي نفس الوقت فإن صناعة هذه السيارات ستكون في حاجة إلى مستلزمات أخرى كالبطاريات وشموع الاحتراق، وصناعة النسيج ستكون في حاجة إلى الآلياف الصناعية من البتروكيماويات ومواد الصناعة. وسيقوم عدد من الإندونيسيين بصناعة وحياكة الملابس الجاهزة.

وتعتبر جاركارتا العاصمة التي تقع في شمالي غربي جاوا أهم مراكزها الصناعية واحد موانيها الرئيسية، ومراكزها التجارية. ثم تأتي سورابايا كالمدينة والميناء الثاني في جاوا بسكانها البالغين نحو ٤ مليون نسمة كالمركز الصناعي الأول في إندونيسيا، على حين أن باندونج بسكانها البالغين ١,٥ مليون نسمة أقرب

إلى المنتجع، وفي جزيرة سومطره هناك ميدان موطن ٣ مليـــون نسـمة، ويقــوم ميناؤها بيلاوان بتصدير معظم منتجات الجزيرة. وتعتبر بيلمبانج مخرجـــاً رئيســيا لبترول الجزيرة ومطاطها. وتقوم فيها صناعة بناء السفن وبعض صناعات الحديـــد والصلب.

الفلبيـــــــــن

إلى الشمال من إندونيسيا وإلى الجنوب من تايوان، وعلى بعـــد ٨٠٠ كــم جنوب شرق الصين يقع أرخبيل الفلبين الذي يتكون من سبعة آلاف جزيرة أكثر مــن نصفها لا تزيد مساحته على كيلو متر ونصف ، ويسكنها نحو ٧٠ مليـــون نســمة، ويرجع أسمها إلى أحد ملوك الأسبان في القرن السادس عشر، خضعت للاســـتعمار الأسباني لأكثر من ثلاثمائة عام، ثم احتلتها الولايات المتحدة الأمريكية حتــى نـــالت استقلالها عام ١٩٤٦.

ويمكن تقسيم الجزر المسكونة فيها إلى ثلاثة مجموعات :

(١) لوزوون أكبرها ومانديرو في الشمال.

(٢) فيزايان Visayan في الوسط.

(٣) مندناو وهي أكبر الجزر مساحة في الجنوب، وفي الجنوب الغربي من مندناو في ارخبيل سولو تتمدد مجموعة من الجزر الصغيرة.

بشر الفلبين :

وكثير مما قيل عن العموميات في جنوبي شرقي آسيا يطلق على الفلبيـــن من حيث تعدد العناصر التي تعيش فيها: العناصر المالوية، مختلطـــة بالإندونيســية والعناصر الهندوسية وهذه يقل أثرها كلما اتجهنا شمالا، ثم آتت غزوات صينية فــي القسم الشمالي من جزيرة لوزون، كما وصلها الإســـلام وأن متـــأخرا، أتاهــا مــن الجنوب عن طريق إندونيسيا. ثم سرعان ما طغي الغزو الأسباني في القرن السادس عشر بمسيحيتة الكاثوليكية التي تسود في نحو ٧٠% من السكان، على حين لا يمثل البروتستانت سوى ١٠% والإسلام نحو ١٠%.

وقد خرجت الحضارة الفلبينية من هذا الوعاء الذين اختلطت فيه حضارات المغول، والعرب والصين واليابان والأسبان ورغم بقاء الأسبان نحو ٣٠٠ عام، فلا يتكلم الأسبانية سوى نحو ١%، وإذا كانت الفيزيان هي اللغة الشائعة، فإن ٥٠% من السكان يمكنهم التعامل باللغة الإنجليزية، وعندما حصلت الفلبين على الاستقلال اتخذت التاجلوج أو الفلبينو لغة رسمية، على أن تكون الإنجليزية هي المستخدمة في التخاطب العام. ولعل انتشار اللغة الإنجليزية في الفلبين يرجع إلى نصف قرن خضعت فيه الفلبين للاستعمار الأمريكي بدءا من عام ١٨٩٨ بمقتضى المعاهدة الأمريكية الأسبانية، والتي بمقتضاها تنازلت فيها أسبانا عن هذه الجزر للولايات المتحدة الأمريكية ونجحت اليابان في غزو الفلبين في الحرب العالمية الثانية. ثم رجعت مرة أخرى إلى الحظيرة الأمريكية بعد طرد اليابان.

ويتجمع سكان الفلبين حيث توجد الأراضي الزراعية وبطبيعة الحال في المناطق السهلية، والأحواض الطولية الممتدة بين السلاسل الجبلية، وقد تنخفض بعض هذه الأحواض إلى مستوى سطح البحر، والواقع أن هذه الجزر عبارة عن سلاسل التوائية تمثل الحافة النهائية الشرقية للقارة الآسيوية، وتمتد من الشمال إلى الجنوب. فهي عبارة عن جبال التوائية وانكسارية وبركانية.

وقد تغطت الصخور بطبقات حديثة تراكمت عليها ولكن بعض المناطق لا تزال تظهر على سطحها صخور عصر ما قبل الثالث، ومعظم الطبقات السطحية من اللافا البركانية.

أرض الزلازل والبراكين وعمق المحيط السحيق :

وتنتشر البراكين الثائرة في الفلبين، ومن أعظم براكين العالم مايون في جزيرة لوزون، كذلك بركان أبو في جزيرة مندناو وارتفاعه قد يصل إلى أكثر من ٣٠٠٠م فوق مستوي سطح البحر. وسواء كانت البراكين ثائرة أو خامدة فهي أهم مظاهر السطح السائد في الجزر الفلبينية، وكثيرا ما تتعرض الجزر التي تثور فيها البراكين لأخطار شديدة فقد تدمر القرى غير أن من فوائدها تربة بركانية خصبة

أثرت تأثيراً جيداً في اقتصاد الفلبين الزراعي، وهي أيضا من مناطق الزلازل التي تحدث كل عقد تقريبا، نذكر منها ذلك الذي حدث في جزيرة مندناو عام ١٩٧٦، وراح ضحيته نحو ٨ آلاف نسمة، وذلك الذي خرب جزيرة وزون فأودى بحياة ما يزيد على الآلف نسمة. وفي الناحية الجنوبية الشرقية من جزر الفلبين، بالقرب من السواحل الجنوبية الشرقية توجد أعمق منطقة في المحيط الهادي، فالمنطقة التي تجاور ساحل مندناو يصل عمقها إلى أكثر من ١٠ آلاف متر تحت مستوى سطح البحر. وهذا العمق يقترب جداً من السواحل حيث لا يبعد عن جزر مندناو بأكثر من ١١ كم. لذلك نجد أن أكبر كثافات سكانية في ثلاثة أقاليم هي :

- السهول الشمالية الغربية، والسهول الوسطى الجنوبية في جزيرة لوزون.
- السهول الجنوبية الشرقية لجزيرة لوزون.
- جزر بحر فيزايان بين جزيرتي لوزون ومندناو.

الإنتاج الزراعي:

لا تقتصر الزراعة على السهول، بل تعدتها إلى السفوح الجبلية حتى الشديدة الانحدار لبراعتهم في تحويلها إلى مدرجات تستغل في الإنتاج الزراعي.

ومازالت الفلبين دولة زراعية، يعمل بالزراعة نحو ٧٥% من السكان وبطبيعة الحال يأتي الأرز في المقدمة، يشغل نحو ٤٠% من المساحة المزروعة، يليه الذرة في نحو ٢٠% من المساحة، ثم القمح الذي يزرع في القسم الأوسط من جزر نجرس وشمالي مندناو، على حين يتركز قصب السكر في السهول الغربية، لجزر لوزون وباناي، وهناك المحاصيل الدرنية كالبام (يشبه القلقاس) والكاسافا (شبيه بالبطاطا ولكن حجمها كبير قد يصل إلى نصف متر مثل طولا)، كذلك الموز وجوز الهند.

ويخصص نحو ٣٠% من المساحة لزراعة المحاصيل النقدية وعلى رأسها قنب مانيلا Manlia Hemp الذي تصنع منه حبال السفن، وهو يحتاج إلى كثير من الجهد والعناية، وأعداد كبيرة من الأيدي العاملة. ويتركز نطاق زراعة قنب

مانيلا في إقليم تاجا (جزيرة لوزن)، وفي جزيرتي سامار Samar، وليت Leyte. ويمثل القنب أهم صادرات الفلبين وينقسم إلى نوعين:

* القنب الناعم. * القنب الخشن.

والنوع الثاني له أهمية خاصة في تجارة الفلبين الخارجية، ويحصل على أليافه من لحاء الأوراق الضخمة، ويشبه هذا النبات شجرة الموز لدرجة أنه لا يمكن التمييز بينهما، ويحتاج تربة جيدة الصرف وينمو عادة على سفوح الجبال والمنحدرات العالية حيث الأمطار غزيرة ومستمرة لمدة طويلة، ويقوم بزراعته الأهالي ولكن أقيمت الآن مزارع واسعة برأس مال أجنبي لغرض خدمة التجارة العالمية. وبعد أن ينضج نبات القنب يقطع ويوضع في الماء لعدة أيام لإزالة المادة اللزجة العالقة في الألياف. وتنزع قشرته وتحتاج هذه العملية إلى مهارة ودقة لأن أي تأخير أو تقديم في المواعيد يؤثر على نقاوته.

ويحتل نطاق زراعة الطباق القسم الأدنى والأوسط من حوض نهر تارلاك Tarlac في شمالي جزيرة لوزن، وفي بعض أجزاء من جزر ميندور وباناي.

التعدين والصناعة :

ويعدن النحاس في الفلبين، وتصنع الآلات، والأغذية المحفوظة، وتقوم صناعة تعدين النحاس والأغذية المحفوظة والصناعات الخشبية والمنسوجات وتجميع الأجهزة الإلكترونية، ويعمل نحو ١٠% من القوي العاملة في ميدان الصناعة، والذي يسهم بدوره بنحو ثلث دخل الدولة من السلع والخدمات، هذا ونظرا لطول سواحل الفلبين وتبعثر الجزر تكثر عمليات تهريب السلع وعلى رأسها المواد الكحولية والسجائر.

وتتألف معظم صادراتها من الكوبرا (جوز الهند المجفف) والسكر وألياف القنب والأخشاب.

الباب الخامس

آسيا الجنوبية الغربية (*)

إقليم الجفاف والبترول

الفصل الأول

في شخصية الإقليم

في الطرف الجنوبي الغربي للقارة الآسيوية، ومن المحيط الهندي إلى البحر الأسود، وجبال بنطس، وهضبة أرمينيا، وجبال البرز وهندكوش يمتد هذا الإقليم.

استراتيجية الموقع والمورد

يتميز الإقليم بموقعه الاستراتيجي الخطير من أقدم العصور حتى وقتنا هذا، فهو حلقة اتصال رئيسية Zone of junction بين فصوص العالم القديم أوربا آسيا، وهو إقليم عبور أو ممر Corridor ففيه يستدق اليابس أكثر ما يستدق، ويتقارب الماء أكثر ما يتقارب، فيصبح أشبه بالجسر بين هذه القارات، وهو إقليم البحار الخمسة كما أطلق عليه ماكنيدر : البحر المتوسط، والبحر الأسود، وبحر قزوين، والبحر الأحمر، والخليج العربي، ويشرف على أربع ممرات مائية عالمية، البسفور، والدردنيل، وقناة السويس، وباب المندب، ومضيق هرمز.

لذلك يمكن القول بأن الطبيعة قد عينت هذا الإقليم في وظيفة الوساطة التجارية، وكان هذا الأمر واضحا غاية الوضوح قبل ظهور البترول في بعض دوله. فكان ممرا للسلع المتجهة من الشرق الآسيوي إلى أوربا سواء براً أو بحراً، فالطرق البحرية عبرته حاملة السلع التي كانت تحتاجها أوربا في العصر الوسيط وعلى رأسها التوابل والبخور عن طريق الخليج العربي والعراق وسواحل الشلم، أو

(*) المقصود به الشرق الأوسط الآسيوي في الدراسات الاستراتيجية.

بحرا إلى جنوبي شبه جزيرة العرب إلى الشام، وساعد على هذا أن أهل شبه جزيرة العرب كانت لهم رحلات الشتاء والصيف أو عن الطريق البري الذي يربط بين شرقي آسيا وأوربا، من الصين إلى وسط آسيا والتركستان، وبحر قزوين، وشمالي إيران وبغداد ووسط تركيا إلى إستانبول، ومثل هذا الطريق لا يحمل فيه ولا يتحمل إلا ما خف حمله وغلا ثمنه، الحرير من ثم عرف بطريق الحرير.

ومازالت استراتيجية الطريق في العصر الحديث، رغم استخدام طريق رأس الرجاء الصالح.

وزاد من أهمية الإقليم الاستراتيجية أنه يضم منابع البترول الرئيسية في العالم احتياطيا وإنتاجا وتصديرا (العراق والخليج)، كما ظهر البترول حديثا على أطرافه الشمالية (دول آسيا الوسطي) ومن المعروف أن أمن الطاقة Energy security لفظ يتداول كثيراً في قاموس الدول الصناعية الأن وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية. ومعناه ضمان وتأمين مصادر وإيرادات رخيصة للطاقة لمواجهة احتياجاتها المتزايدة والتي تزداد باستمرار معتمدة على الاستيراد. ويمثل البترول وحده نحو ٤٠% من مصادر الطاقة كما يمثل الغاز الطبيعي نحو ٢٥% في الوقت الحاضر.

ولعل أحد أهداف الولايات المتحدة الأمريكية يتضح في غزوها لأفغانستان بحجة القضاء على تنظيم القاعدة في أفغانستان فإيران والعراق على يمينها. ودول آسيا الوسطي البترولية إلى شمالها وبالتالي فأفغانستان ذات موقع استراتيجي بالنسبة لمناطق إنتاج البترول " برج مراقبة " وقد تأخذ بعض أنابيب آسيا الوسطي طريقها إلى المياه الدافئة عبرها. وبالتالي تسيطر الولايات المتحدة الأمريكية على البترول من الخليج العربي شرقا حتى آسيا الوسطي، وهي بسيطرتها هذه تحقق هدفا ثانيا ورئيسيا أيضا، وهو الحيلولة دون وصول الصين أو روسيا الاتحادية إلى بترول الخليج وبترول بحر قزوين، أي تصبح لها القدرة على المنح والمنع.

* وضع هذا الإقليم تحت مجهر الولايات المتحدة الأمريكية فيما يختص

بالقوى النووية سواء المكرسة لإنتاج الأسلحة النووية أو الاستخدامات السلمية على حد سواء، بينما تعتبر إسرائيل القوة النووية الوحيدة في هذا الإقليم، وتفخر ولا تنكر أن لديها صواريخ نووية، وأنها لم توقع على معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية، فالولايات المتحدة الأمريكية تتهم إيران والعراق بأنهما يصنعان أسلحة نووية أو في طريقهما لصنعها، ورغم جهود هيئة الطاقة النووية وفرق التفتيش التي مسحت أرض العراق. ولم تجد شيئا، فإن الولايات المتحدة الأمريكية احتلت العراق، ووضعت وإيران ضمن محور الشر على حد تعبير السياسة الأمريكية.

فإذا كان الإقليم منتجا لنحو ٣٠% من الإنتاج العالمي للبترول ويصدر معظم إنتاجه لضعف التصنيع في موطنه وتحتوي أرضه على ثلثي الاحتياطي العالمي، وكذلك ثلث الاحتياطي العالمي للغاز الطبيعي، فلا عجب أن يسيل لعاب الولايات المتحدة الأمريكية وتحاول أن تنفرد بالكعكة منفردة، ويمكنها بإرادتها أن تعطي الفتات لهذا وذاك بحسب الظروف والأحوال.

البشــــــــر

يبلغ سكان هذا الإقليم نحو ٣٢٥ مليون نسمة، وبطبيعة الحال يتفاوت حجم السكان بين ٠,٥ مليون نسمة في قطر إلى ٦٦ مليون في إيران، و ٦٥ مليون في تركيا. وبذلك تصبح إيران وتركيا هما الدولتان الرائدتان سكانيا، وليس هناك تدرج سكاني بين دول الإقليم فيبلغ سكان تركيا أو إيران ثلاثة أضعاف الدول التي تليها، سكان العراق نحو ٢٣ مليون نسمة، وأوزبكستان ٢٤ مليونا أفغانستان ٢١ مليونا وكازاخستان ١٨ مليونا والسعودية ٢١ مليونا. ومن التحولات الديموجرافية التي سوف يشهدها الإقليم هو تضخم عدد السكان في المستقبل، بل سوف يزداد عدد سكان المملكة العربية السعودية إلى ثلاثة أمثال (أي حجم إيران الآن)، وسوف تصبح سوريا قوة ديمواجرافية تعدادها نحو ٥٠ مليون نسمة عام ٢٠٥٠، وسيكون العراق بنفس هذا الحجم. أما إيران فسوف تنتفخ لتضم أكثر من ١٦٠ مليون نسمة، كما أن أفغانستان فسيبلغ عدد سكانها نحو ٦٧ مليونا (عدد سكان مصر ١٩٩٩)

ويضاف إلى هذا ملمحا مميزا للسكان يزيد فيه عدد الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥، ٢٤ عاما، هذه التقديرات أن لم تعمل سياسات الحكومات فيها على الأخذ بسياسة تحديد النسل، وخفض معدلات المواليد فإن هذا سوف يلقي عبئا على الموارد.

يظهر أثر الموارد المائية واضحا سواء في توزيع المساحات المزروعة أو في توزيع السكان، ذلك أن أكثر جهات الإقليم كثافة هي في الهلال الخصيب (العراق وسهول الشام) والسهول المطلة على بحر قزوين. وبعض الأودية الزراعية الخصيبة في شمال غربي إيران، ثم تقل الكثافة في وسط آسيا الصغرى وشمال سوريا والأراضي المجاورة لدجلة والفرات، وأجزاء من شرقي وشمالي إيران واليمن، أما أقل جهات الإقليم كثافة فهو في القلب الصحراوي، أي وسط شبه الجزيرة العربية، وأواسط إيران.

وتتعدد القوميات في الإقليم، القومية التركية. والقومية الإيرانية. والقومية العربية مع قوميات أصغر هي القومية الكردية والقومية الأرمنية، والقومية الآشورية ولكن تشملهم جميعا وحدة الحضارة الإسلامية بكل ما تحمله من معان سامية، وحد بينهم القرآن وأسهم أبناء القوميات غير الغربية إسهاما ضخما في الحضارة العربية ذاتها مما يدل على أن العروبة لم تكن عنصرية.

وعاشت في هذه المنطقة الشعوب التي نطلق عليها الشعوب السامية، نسبة إلى سام ولفظ الساميين هي اسم مشترك لتلك الشعوب التي ينتمي إليها الاراميون والآشوريون والكنعانيون ومنهم العبريون (اليهود) والعرب، والتي تتضح قراباتها في لغاتها.

فكانت الجزيرة العربية سوريا وفلسطين وأرض الرافدين الموطن التاريخي للشعوب السامية، ثم انتشرت خارج هذا الإقليم، فبعض جماعاتهم أقاموا بصفة دائمة على الساحل الأفريقي المواجه لليمن، فقبل العصر المسيحي بزمن طويل أخذت قبائل عربية مختلفة تهاجر إلى ذلك الساحل الأفريقي، وانشأوا مراكز تجارية، ثم توغلوا

في الداخل وأقاموا فيه، فارضين حكمهم على السكان المحليين، وهذا هو أصل دولة أكسوم القديمة في أثيوبيا.

وانتشر الساميون أيضا خارج وطنهم بطريقة أخرى وهي إقامة المستعمرات، كالفينيقيين الذين أسسوا قواعد في نقط استراتيجية في حوض البحر المتوسط للمحافظة على تجارتهم، فكانت مستعمراتهم في الشمال الأفريقي، وكان هناك انتشار اليهود الذي بدأ قبل تخريب الرومان لبيت المقدس، وانتشر الساميون على نطاق كبير ممثلين في غرب شبه الجزيرة حاملين شعلة الإسلام إلى الشمال الأفريقي، وعبروا إلى الأندلس، وصقلية غربا وإلى الشرق حتى إندونيسيا وجنوبي الصين.

وكما خرجت منه هجرات، أتته هجرات، استقرت وعبرته من شمال شرقي آسيا إلى جنوبها الغربي، وأن كانت الحواجز الجبلية والصحاري خففت من حدة هذه الغزوات بحيث أمكن لسكان الإقليم أن يتشربوها، وأن كانت هناك من الهجرات البشرية الحديثة التي آتته هي التي عرفتها فلسطين. هجرات في النصف الثاني من القرن العشرين، منها هجرات غير مشروعة وذلك بسماح السلطة البريطانية المنتدبة على فلسطين قبل ١٩٤٨ بتدفق الهجرات اليهودية إلى البلاد، رغم احتجاج الفلسطينيين العرب، ثم تدفقت هذه الهجرات بعد اعتراف الأمم المتحدة بقيام إسرائيل، من ثم كان نمو السكان هنا غير طبيعي وغير منتظم، فعلى سبيل المثال تدفق إلى إسرائيل في التسعينيات من القرن الماضي نحو مليون يهودي روسي.

الظروف الطبيعية :

وللحركات التكتونية أكبر الأثر في تشكيل صورة الإقليم الحالية فهو إقليم هضاب وجبال بوجه عام، فتمتد الجبال الالتوائية الحديثة من الشرق إلى الغرب، وتحصر بينها هضاب الأناضول وإيران وتلتقي في عقدة أرمينيا والبامير، التي ترجع إلى الزمن الثالث، فضلا عن هضبة شبه جزيرة العرب التي تمثل الكتلة القديمة قاعدتها، وإذا كانت الالتواءات هي الغالبة على الإقليم. فلا شك أن الإنكسارات

الضخمة أيضا من سماته، ممثلة أصدق تمثيل في أخدود البحر الأحمر، والجبال الانكسارية التي تحده في شبة جزيرة العرب كجبال الحجاز وعسير، فضلا عن الانكسارات التي تصحب بعض الالتواءات في الشمال ويضاف إلى هذا وذاك الطفوح البركانية، وأبلغ تمثيل لها في هضبة اليمن. كما يقع الإقليم أيضا في نطاق الزلازل خاصة في الهضاب الشمالية في إيران والأناضول.

ويتميز الإقليم بسهولة القليلة، فسهوله الساحلية ضيقة بصورة عامة خاصة تلك المطلة على البحر الأحمر، وأن كانت الظاهرة السهلية واضحة في سهول دجلة والفرات والبحر المتوسط في قوس يعرف باسم الهلال الخصيب fertile crescent الجفاف غالب وكذلك التطرف الحراري، والإقليم متطرف في مناخه باستثناء السهول الساحلية. فقد ترتفع درجة الحرارة إلى ٤٠م في الصيف وتنخفض في ليل الشتاء إلى مادون ١٠م خاصة وسط إيران، وقد يرجع هذا التطرف الفصلي واليومي إلى انكشاف الأرض في معظم الأحوال من الغطاء النباتي، كما أن إحاطته بالجبال مما يقلل من المؤثرات المناخية للبحار من التوغل في الداخل، والتالي يقتصر تأثيرها على الجهات الساحلية وبالتالي تؤدي قلة التأثيرات البحرية في الداخل إلى سيادة صفاء السماء.

ولما كان المطر شتويا في معظم الإقليم ومرتبط بأعاصير الرياح العكسية الغربية التي تتكون على المحيط الأطلنطي أو البحر المتوسط، ثم تأخذ طريقها نحو الشرق، من ثم كان صيف الإقليم جافا، ويقل المطر كلما اتجهنا شرقاً حتى تسود الصبغة الصحراوية (أقل من ١٢ سم) على معظم أجزائه، ويتمثل الاستثناء في إستبس هضبة الأناضول وداخلية الشام، وتخرج الجبال عن هذا وذاك فهي صانعة مناخها فمطرها غزير، وهي ظاهرة في جبال بنطس وسواحل البحر الأسود الجنوبية. وكذلك في جبال زاجروس والبرز. وتمثل اليمن ظاهرة فريدة بمطرها الصيفي، كما أن هناك بعض مناطق متفرقة قليلة يسقط مطرها طول العام، ولها نظامها الخاص بها كشمالي إيران وساحل بحر قزوين وشرقي البحر الأسود.

وإن كان هذا لا يمنع من قلة المطر في بعض المناطق حيث تصل كمية

المطر السنوي حوال ١٢ سم، كصحراء بلاد العرب ووسط هضبة إيران ووسط هضبة الأناضول.

الأقاليم المناخية :

١ ــ إقليم الجفاف الشديد أو الإقليم الصحراوي في شبه الجزيرة العربية ووسط الهضبة الإيرانية ووسط هضبة الأناضول، وهو الغالب على الإقليم، لذلك أطلق عليه إقليم الجفاف.

٢ ــ إقليم البحر المتوسط أمطاره شتوية بسبب الأعاصير التي تتكون على المحيط الأطلنطي وتتخذ طريقها عبر البحر المتوسط ويتميز بصيف حار جاف كسواحل غرب الأناضول وسواحل الشام.

٣ ــ إقليم الاستبس حيث تقل الأمطار عن الإقليم السابق ويتمثل هذا النوع في صحراء الشام. وبعض مناطق شبة الجزيرة العربية التي تنمو فيها أنواع من الحشائش تشبه مناطق الاستبس في شماليها.

٤ ــ إقليم موسمي متدهور أي لا يقارن بموسمي الهند ويتمثل في اليمن وحضرموت، أما عمان فأمطارها شتوية.

٥ ــ بعض مناطق ذات نظام خاص تلك التي يسقط فيها المطر طول العام، وهي أجزاء متفرقة ويمكننا تمييزها في شمال إيران وساحل بحر قزوين وشرق البحر الأسود.

نباته انعكاس لمناخه :

ونظراً لارتباط الحياة النباتية بالظروف المناخية وغلبة الجفاف، فلابد لنباتات الإقليم الطبيعية أن تتراوح بين الصحراوية. ونباتات البحر المتوسط، وكلاهما مما يتحمل الجفاف، بأن تتم دورتها الحيوية في مدة قصيرة متفادية فصل الجفاف أو النباتات الحولية والعشبية كالقمح والشعير (البري)، أو تخزن الماء في أوراقها كالصبير أو تتحول أوراقها إلى شوكيات حتى يقل النتح منها، أو تضرب بجذورها في الأرض بحثا عن الماء كالنخيل، أما نباتات الجبال فتختلف ما بين الغابات المختلطة وتظهر على السفوح المنخفضة في المناطق الجبلية حتى ارتفاع

١٠٠٠ متر، وفي غابات المناطق المعتدلة الباردة خاصة التي تغطي السفوح المطلة على بحر قزوين وسفوح جبال بنطس وتتنوع أشجارها من البلوط إلى البندق والفواكه، والزان، والجوز.

والخلاصة أن هذا الإقليم يمثل مناخاً ونباتا إقليم انتقال بين المداريات في جنوبه والمعتدلات الباردة إلى شماله، لذلك فهي تستمد خصائص صيفها من الجنوب المداري وخصائص شتائها من الشمال بصورة عامة. وإن كانت التأثيرات القارية الآسيوية واضحة في معظمه. الرياح الباردة الجافة من وسط القارة شتاء والموسمية الصيفية الممطرة على الطرف الجنوبي الغربي لشبة جزيرة العرب.

ويمكن إيجاز الأقاليم النباتية في :

١ ـ نباتات البحر المتوسط: وهي محدودة التوزيع لأنها لا تظهر إلا في المناطق التي تتمتع بمناخ البحر المتوسط بالمعنى الصحيح، ولذا تظهر في فلسطين ولبنان وسوريا وجنوب الأناضول وسفوح الجبال المواجهة لأعاصير الأطلنطي وينمو في هذا الإقليم الزيتون الذي يحتل مكانة كبيرة لقدرته على مقاومة الجفاف.

كما نجد أنواعاً ليست من الإقليم كالموالح، ولكنها نجحت نجاحاً عظيماً، كذلك النباتات دائمة الخضرة في المناطق الجبلية. وأنواع الأبصال حيث نجحت على نظام المطر الشتوي وظروف التضاريس التي سبق وصفها.

٢ ـ نباتات الاستبس: وهو نوع من العشب له صفات مميزة لنباتات ذلك الإقليم حيث يتبع الأمطار الشتوية ويتحمل التباين في درجة الحرارة، ويظهر في المناطق التالية: ـ

* وسط الأناضول.
* الأجزاء الداخلية من الشام.
* غرب إيران وشمال تركستان.

ونباتات هذا النطاق تنمو بسرعة وموسمها قصير للغاية ويختلف المنظر العام للإقليم من فصل إلى آخر. ونطاق الاستبس هو نطاق الغزوات والهجرات البشرية العظيمة في العصور التاريخية في هذا الإقليم.

٣ ــ نباتات الصحراء في :

- الصحراء الممتدة من الأردن حتى غرب الرافدين في شبة الجزيرة العربية.
- الصحراء الممتدة في جزء كبير من الهضبة الإيرانية وبخاصة الجزء الجنوبي والأوسط.

ونباتات هذا النطاق كثيراً ما تختفي وتظهر الصحراء الرملية الصخرية، وقد ينمو العشب فيي بعض المناطق بعد سقوط أمطار الشتاء القليلة.

وقد تنمو بعض الأشجار ولكن هذه تعتبر مناطق شذوذ إلى حد كبير حيث تتفق مناطق الآبار والينابيع أو بمعني آخر مناطق الواحات.

٤ ــ نباتات الجبال: ويمكن أن نقسمها إلى أقسام أربعة تتمثل في : ــ

- الغابات المختلطة وتظهر على السفوح المنخفضة في المناطق الجبلية حتى ارتفاع ١٠٠٠ قدم.
- النباتات الألبية وهي غذاء صيفي هام للحيوانات أثناء الهجرة الفصلية كذلك التي يقوم بها سكان تركستان وأرمينيا والأناضول.
- الغابات التي تغطي سفوح الجبال المطلة على بحر قزوين وهي غابات كثيفة تقل مع سقوط الأمطار الغزيرة، ودرجة الحرارة المعتدلة، وأهم أشجارها البلوط والبندق والكمثري والفواكه، ومن أهم مميزاتها وجود نباتات متسلقة حول هذه الغابات وتعتبر بقايا غابات كانت أكثر اتساعا مما هي عليه الآن.
- غابات جنوب البحر الأسود: والمناخ السائد في هذه المنطقة يتميز بالرطوبة والدفء، وأهم أشجارها الزان والبلوط والجوز، كما نجد بعض النباتات المتسلقة.

٥ ــ نباتات المستنقعات: وهي نباتات المستنقعات التي تنمو عند المجاري الدنيا للأنهار كتلك التي توجد في مساحات كبيرة جنوب العراق. وأهم أشجارها الصفصاف. كما نجد حول هذه المستنقعات غابات واسعة من النخيل (المزروع) وكانت التمور تمثل أهم صادرات العراق قبل ظهور البترول.

نشاط الإنسان في غير البترول :

وفيما قبل البترول كان الإقليم إقليم رعي بالدرجة الأولى الإبل في المقام الأول ومعها الأغنام والماعز، أما الزراعة فهي جزرية داخل إطار الرعي، مطرية في أطرافه الشمالية اعتماداً على المطر الشتوي، وصيفية في أطرافه الجنوبية (اليمن)، أما الفيضية أي زراعة الري، فتمثل أصدق تمثيل في أراضي الرافدين (العراق)، أما النمط الزراعي الثالث فهو زراعة الواحات المتناثرة في بقعة الصحراء الشائعة.

ونظرا لأنه إقليم انتقالي بين المعتدلات الباردة والمدارية كانت محاصيله الزراعية (*) تشكل مركبا من المحاصيل الانتقالية أي التي تجمع بين خصائص المحاصيل المدارية والباردة، الحبوب كالقمح والشعير (كانت برية في الإقليم) والذرة والأرز، ومن فواكه الإقليم التين والزيتون، بينما الحمضيات كالبرتقال واليوسفي والليمون، وأن كان أصلها من الإقليم الصيني فقد نجحت فيه أيضا جنبا إلى جنب مع الموز والبن المداريان إلى الجوز والفستق والبندق تخصص المعتدلات الباردة. ومن المحاصيل الزراعية القطن الذي يزرع في بقاع متفرقة في الإقليم.

التصريف المائي :

تضافر المناخ الجاف مع ظروف التضاريس على إعطاء التصريف المائي صورته من حيث الكم ونوع التصريف، فصيفه بجفافه في مساحات واسعة تجعل موارد الماء محدودة، ثم كان للتضاريس المرتفعة سواء في جبال بنطس وطوروس، وزاجروس والبرز، وهضبة اليمن أثرها في اعتصار بخار الماء وسقوطه أمطارا على السفوح المواجهة للرياح، على حين أن الهضاب المحصورة بينها تقع في ظل المطر، وكأنها أحواض داخلية جافة أو شبه جافة، كالأناضول، وهضبة إيران. ويمكن إيجاز التصريف المائي فيما يلي : ــ

- <u>التصريف الخارجي</u>: أي الذي يصب في البحار، كما هو الحال في

(*) من المحاصيل التي كانت تتمركز بأصلية في جنوب غربي آسيا قبل أن تنتشر في بقية أنحاء العالم بعض أنواع من القمح، الشعير، الذرة الرفيعة، والفول، والكتان، الحمص والكروم والبطيخ.

نهري دجلة والفرات اللذان يصبان في الخليج العربي، ويستفيدان من ارتفاع هضبة أرمينيا – حيث المنابع – وبالتالي تتكون الثلوج شتاء، وتذوب في الربيع وأوائل الصيف، كما تغذيها أيضا بعض الروافد خاصة نهر دجلة الذي تأتيه روافد من سفوح زاجروس. أما الأنهار الأخرى دائمة الجريان ذات التصريف الخارجي فتوجد في الأناضول وجبال البرز شمالي إيران كذلك في سوريا والجهة الغربية المطلة على ساحل البحر المتوسط.

- التصريف الداخلي أي لا تنتهي أنهارها إلى بحار مفتوحة مثل الهضبة الداخلية في إيران، ولعلها أوسع مناطق التصريف الداخلي في الإقليم وهي عبارة عن حوض داخلي في موقعه لإحاطتها بالجبال من جميع جوانبها، وتبلغ مساحتها أكثر من نصف مساحة إيران، ولعزلتها وكثرة وجود البحيرات الضحلة والأحواض المغلقة، والتكوينات الملحية، ما جعل الإقليم غير جاذب للسكان إلا في مواضع معينة، وتتمثل تلك الوحشة الهائلة في صحراء الكفير العظمي.

وتشبه هضبة الأناضول الهضبة الإيرانية في كثير من الوجوه، وإن كانت أقل مساحة، فالجبال محيطة بها باستثناء الغرب، وتتكون فيها أيضا البحيرات الملحة، وتعتبر قليلة السكان وتعرف في تركيا باسم أوزو OZO، وهناك التصريف الداخلي لنهر الأردن في البحر الميت.

الفصل الثاني

دول عالم جنوبي غربي آسيا (*)

تركيـــــا" آسيا الصغرى "

آسيا الصغرى اسم على مسمي، فالاسم تصغـير لآسـيا سـواء بـالحجم، وصعوبة الاختراق الداخلي، والأطارات الجبلية التي تحصر بينها فيـها هضـاب أو بالقارية في معظمها وما يتبع ذلك من تطرف مناخي وجفاف شديد في الداخل.

وتبدو آسيا الصغرى كجسر أرضي ضخم يصل بين آسيا وأوربا خاصة وأن تركيا تتكون من :

آسيا الصغرى (الأناضول) بالإضافة إلى جزء صغير من أوربا (تراقيه)، ويفصل بين الجانبين الآسيوي والأوربي بحر مرمرة ومضيقا البسفور والدردنيـل، وهي ممرات مائية هامة تصل بين البحرين الأسود والمتوسط. وتأخذ الأرض التركية بصفة عامة شكل مستطيل طوله ١٤٥٠ كم٢ من الشرق إلـى الغـرب، وعرضـه ٥٠٠ كم من الشمال إلى الجنوب. وتبلغ مساحتها نحو ٧٨٠,٥٨٠ كم٢، حدودهـا من الناحية الأوربية مع كل من بلغاريا واليونان، بينما تجاور من الناحية الآسـيوية كلا من روسيا الاتحادية وإيران وسوريا، والعراق. وتبلغ نسبة الجزء الأوربي مـن تركيا ٢% من مجموع مساحة البلاد بينما نسبة الجزء الآسـيوي (الأنـاضول) ٩٨% من مجموع المساحة.

وتتمتع تركيا بموقع استراتيجي هام لأنها تشرف على بحار هامة وتتحكـم في مضايق تربط بين هذه البحار، فهي تطل على البحر الأسود من الشـمال، بينمـا تطل على بحر إيجه من الغرب، وعلى البحر المتوسط من الغرب والجنـوب. وهـي معبر بين أوربا وآسيا. وتم افتتاح جسر يعتبر الرابع من حيث الطول بين الجسـور المعلقة في العالم. ويربط هذا الجسر بين الجانبين الأوربي والآسـيوي مـن تركيـا

(*) يرجع لبقية دول الإقليم وهي دول الشام، والعراق، وشبه جزيرة العرب إلى كتابنا الوطن العربي.

ويمتد فوق مضيق البسفور. كما تعد تركيـا البوابـة البحريـة الجنوبيـة لروسـيا الاتحادية نحو المياه الدفيئة.

الفزيوغرافيا :

تؤلف المرتفعات أكثر من ٨٠% من مساحة الأرض التركيـة، وتـتركز السهول على طول سواحل البحار وفي تراقيه (الأراضي التركية الأوربية). وتمثـل هضبة الأناضول قاعدة بالنسبة للسلاسل الجبلية من حولها. وتشغل هـذه الهضبـة نحو ثلث مساحة تركيا تقريباً، وتحيط بالهضبة سلسـتان مـن الجبـال الإلتوائيـة الحديثة: إحداهما سلسلة جبال بنطس في الشمال، والثانية سلسلة جبال طوروس في الجنوب.

أ ــ وتتألف جبال بنطس من مجموعة سلاسل متتابعة من الجبال الإلتوائية، تمتد على محاور عامة من الغرب إلى الشرق، وقد تتفرع عن المحـاور الرئيسـية ألسنة جبلية في اتجاه البحر الأسود. وتوجد ثمة ثغرات نشأت نتيجـة الإنكسـارات، وأتاحت لبعض الأنهار أن تنساب خلالها في طريقها نحو البحر الأسود. وهكذا يبـدو السهل الساحلي المطل على البحر الأسود في شكل جيوب سـهلية متقطعـة بفعـل الجبال الممتدة نحو البحر الأسود، كما تبدو سلسلة جبال بنطس على شكل كتل جبلية متقطعة نتيجة الثغرات التي تخترقها أودية الأنهار. ويتراوح ارتفاع جبال بنطس بين ٨٠٠ ، ١٠٠٠ متر فوق سطح البحر.

٢ ــ أما سلسلة جبال طوروس فهي أقل تضرساً وأكثر ارتفاعا من جبـال بنطس (بين ١٠٠٠ ، ١٤٠٠ متر). كما أنها أكثر استمراراً وارتباطاً فيما بينـها على طول امتداد محورها العام من الغرب إلى الشرق. وتنحدر بشدة نحـو السـهل الساحلي الضيق المطل على البحر المتوسط، وتخرج منها بعض الألسـنة الجبليـة الممتدة نحو البحر مما يقطع أوصال السهل الساحلي ويجعله ضيقاً في الجهات التـي تتقدم فيها الجبال نحو البحر.

وتتلاقي سلاسل جبال بنطس وطوروس في أقصي الشرق، وتلتـف حـول

القطاع الشرقي لهضبة الأناضول. حيث تكون الكتلة الجبلية ضخمة شديدة التضـوس والتعقيد، المعروفه باسم هضبة أرمينيا. وترتفع هذه الكتلة الجبلية إلى أكـثر من ٣٠٠٠ متر في المتوسط عن سطح البحر.

وتنتشر مظاهر البركنة هنا وهناك ولكنها تتركز بصفة أساسية في عقـدة أرمينيا فهنا مثلا قمة جبل أرارات (٥٧٠٠ م) في أقصي الشرق، وتمثل واحداً من البراكين الحية، وتنحدر هذه الكتلة الجبلية نحو الشرق والجنوب الشرقي وتشـتمل على المجاري العليا لكل من نهري دجلة والفرات، كما تعرف تركيا أيضا الزلازل بين الحين والحين.

٣ ـ هضبة الأناضول وتتكون من مجموعة من الهضاب الداخليـة التـي تقطعت بفعل عوامل التعرية المائية، ويتراوح ارتفاعها ما بين ٨٠٠م في الأجـزاء الغربية و ٢٠٠٠م في الأجزاء الشرقية، وإذا كانت قمة جبل أرارات هي أعلى القمم الجبلية في الشرق، فيقابلها في الغرب قمة جبل أرسياس أو أرجايوس (٣٩٠٠م)، وإلى جانب القمم الجبلية. توجد بكثرة في هضبة الأنـاضول الأحـواض والسـهول المغلقة التي تحيط بها التلال. وبعبارة أخرى فإن الهضبة ذات أشكال أرضيـة غـير منتظمة. وتتكون في بعض الأحواض الداخلية بحيرات بعضها مالح والآخر عـذب، وأهم هذه البحيرات بحيرة وان التي ترتفع ١٧٢٠م عـن سـطح البحـر، وتبلـغ مساحتها ٤٠٠٠ كم٢. وهناك بحيرات أخرى مثل بحيرة الملح (طـوز)، وبحـيرة بيشهر، وبحيرة أجريدير وهويران.

وتغطي أجزاء من هضبة الأناضول مسطحات من " اللافا " حديثة التكويـن، لدرجة أن التربة لم تتكون بعد. كما تنتشر الصدوع في بعض الجهات، وبخاصة فـي الجزء الغربي حيث تكوّن مضيقا البسفور والدردنيل نتيجة هبوط الأرض على طـول الإنكسارات وانغمارها بمياه البحر. أما ساحل بحر إيجه بجزره وخلجانه فهو نـاتج عن حدوث انكسارين في اتجاهين مختلفين عملا على فصل اليابسة إلى كتل منعزلـة ذات أشكال مستطيلة، وقد هبطت الأجزاء السفلي وغمرتها مياه البحر. ويمكـن أن نعزو تكوين ساحل البحر الأسود إلى هبـوط حـدث علـى طـول مجموعـة مـن

الإنكسارات. ولم تتوقف الحركات التكتونية على طول هذه الصدوع والتشققات الأرضية حتى يومنا هذا، وهذا يفسر حدوث الزلازل والانزلاقات الأرضية المستمرة في شمال تركيا وغربها.

وفي حين تنحدر الهضبة انحداراً شديداً بحوافها الجبلية نحو الشمال والجنوب، فإنها تنحدر تدريجياً نحو الغرب حيث تجرى مجموعة من الأنهار عبر السهول الساحلية الغربية تصب في بحر إيجة، وتساعد أودية هذه الأنهار على تيسير مذ الخطوط الحديدية والطرق الرئيسية بين قلب الهضبة وبين الجبهة الساحلية الغربية، وأهم الأنهار التي تجري من الهضبة عبر إحدى الثغرات المنتشرة في جبال بنطس نهر كيزل ارماك الذي يصب في البحر الأسود. وتنبع بعض الأنهار من هضبة أرمينيا في الشرق مثل نهري دجلة والفرات فتجري أوديتها العليا في الأراضي التركية ثم تواصل سيرها إلى سورية والعراق.

٤ ـ يعد لواء الإسكندرونة الذي يتبع تركيا من الأقاليم الطبيعية المتصلة بإقليم جبال العلويين في سوريا، فسواحل الإسكندرونة هي امتداد لسواحل اللاذقية شمالاً، وجبال أمانوس ما هي إلا تكملة شمالية لجبال العلويين، وكلاهما ظهير لمينائي الإسكندرونة واللاذقية، ويجري نهر العاصي في لواء الإسكندرونة قادماً من سوريا حيث ينحني نحو الغرب فيصب في البحر المتوسط، وتقع عليه مدينة انطاكية.

وكان لظروف المناخ هذه أن أصبح لتركيا كما سنرى أيضا لإيران فيما بعد، تصريف مائي خارجي، من المرتفعات نحو البحر سواء الأسود ابتداء من يزل ارماك، وقيزل إرمك، وسقاريا إلى سيماف وويوك، مندريس في بحر إيجه. إلى سيهان وجيهان في البحر المتوسط، وكذلك لها صرف داخلي في قلب الهضبة، فهناك الحوض الداخلي الذي تقع فيه البحيرتان توز، وإيجيردير (بحيرتان ملحيتان)، كما تنتشر السبخات والمسطحات الملحة.

البحـر الأسـود
جورجيا
استانبول
بحر مرمرة
الدردنيل
قيزإرماك
يزل إرماك
أزمير
أنقرة
إيران
العـراق
سهول أضنة
أنطاليا
رودس
سوريا
البحـر المتوسط
قبرص
تضاريس تركيـا
أكثر من ٢٠٠٠ متر
١٠٠٠ – ٢٠٠٠ متر
أقل من ١٠٠٠ متر

شكل رقم (٢٨)

٥ ـ أما تراقيه فتتألف من جهات سهلية في الوسط وجبلية في الشمال والجنوب، ويجري فيها نهر أرجين وروافده المنحدرة من الشمال والجنوب، وهو بدوره يصب في نهر ماريتزاقيل أن يصب في بحر إيجه، وتمتد جبال استرانكا في تراقيه بشكل مواز لساحل البحر الأسود، كما تمتد جبال نوكير في الجنوب.

مناخ ونبات :

تتميز تركيا بمناخها القاري حيث تعزل الجبال المؤثرات البحرية إلا في الغرب. وإذا كانت القارية من سماتها، ويظهر هذا بصفة خاصة في انخفاض حرارتها شتاء إلى درجة التجمد وطول فترة الثلوج. والصقيع خاصة في أجزائها الشرقية والتي تعرف أحيانا " بسيبيريا تركيا، على حين ترتفع الحرارة صيفا إلى ٢٦م.

ويسود مناخ البحر المتوسط بمطره الشتوي على سواحل تركيا خاصة الجنوبية والغربية نتيجة مرور أعاصير الرياح العكسية الشتوية.

ويؤثر نظام التضاريس في توزيع المطر، فتظهر المفارقات، فهناك التركيز الواضح للمطر على السواحل والجبال التركيه حتى ليبلغ أقصاه على القسم الشرقي لساحل البحر الأسود بين ٥٠، ٧٠ سم.

أما إذا دخلنا قلب الهضبة ازداد الجفاف وتراوح بين ٢٥، ٤٠ سم، من ثم كان الأستبس هو الظاهرة النباتية الأساسية على الهضبة فالأرض خالية الأشجار إلا في مواضع محدودة، وتكتسحها العواصف الترابية صيفا التي وتعرف برياح المتلمي Merremi الحارة الجافة، على حين تغطي الأشجار المعتدلة الباردة السفوح الجبلية خاصة السفوح المطلة على السواحل حيث تغزر الأمطار، فيظهر البلوط والجوز والشربيين وغيرها.

البشر :

يبلغ عدد سكان تركيا نحو ٦٥ مليون نسمة أي ما يقرب من عدد سكان إيران. وعدد سكان مصر. ويغلب على الشعب التركي المزج بين عناصر البحر

المتوسط والعنصر الأرمني. وتزداد نسبة العنصر الأرمني كلما اتجهنا شرقا نحو حدود تركيا مع روسيا وإيران، كما يسكن القسم الجنوبي الشرقي من البلاد العنصر الكردي، ويتراوح عدد الأكراد بين ٣ ، ٥ مليون نسمة، وهناك عناصر أخرى اقل عددا كالعناصر العربية خاصة في لواء الإسكندرونة الذي كان يتبع سوريا، ثم أعطاه الفرنسيون لتركيا بعد احتلالها لسوريا في بداية الحرب العالمية الثانية، وهناك الشركس في الشمال الشرقي، وقد هاجر أجدادهم إلى تركيا فراراً من اعتداءات القياصرة الروسي عليهم لتمسكهم بإسلامهم. فأقطعهم السلطان عبد الحميد أراضي في سوريا والأردن، وهناك الأقلية اليونانية في الغرب وبصفة خاصة أزمير، كما أن هناك نحو ١,٢٥ مليون تركي مهاجرون إلى الخارج معظمهم في أوربا وخاصة في ألمانيا.

توزيع السكان انعكاس لظروف الجغرافية الطبيعية :

ويتركز السكان بصفة خاصة في الأطراف. ويقل كلما اتجهنا نحو الداخل أي إلى قلب هضبة الأناضول. وليس هذا إلا ترجمة وانعكاسا لظروف الجغرافية الطبيعية أرضا، ومناخا. فالمطر أغزر على الأطراف والقارية أشد على الهضبة، وحول الهضبة الداخلية المرتفعات الغزيرة المطر والسهول التي تطل بها على السواحل، بل والطريف أن الثروة المعدنية في معظمها على الأطراف الفحم والحديد والكروم، من ثم كان المعمور يتفق في انتشاره مع السفوح المطلة على البحر والسهول الساحلية حيث سهولة السطح، وجودة التربة، وغزارة المطر، والموقع، وأن كان ليس معنى هذا أن هذا النطاق المحيط بالهضبة عبارة عن عمران متصل، بل هناك انقطاع هنا وهناك بحسب الظروف الطبيعية، وفي نفس الوقت يلاحظ أن الأجزاء الغربية من تركيا المطلة على بحار أيجه ومرمرة، والبحر المتوسط أكثر سكانا من القسم الشرقي للبلاد لغناها بالإنتاج الزراعي والصناعي وانفتاحها على الخارج.

الأتراك بين الريف والحضر :

إذا قلنا أن الكثافات السكانية المرتفعة تمتد في نطاق حول الهضبة، كذلك الحضر، وقد ازدادت نسبة الحضرية ومازالت على حساب الريف. فكانت ٢٥% عام

١٩٤٥، ارتفعت إلى ٥٠% عام ١٩٩٩، وهي زيادة كبيرة وناتجه عن توزيع الثروة والدخل المتفاوت، خاصة ذلك المنخفض في شرقي البلاد، كما أن هناك من هربوا من جحيم حرب الاكراد في جنوبي شرقي البلاد.

وتعتبر استانبول المدينة الأولي بكل المقاييس، فهي ثلاث أضعاف أنقرة سكاناً، إذ يبلغ عدد سكانها نحو ١٠ مليون نسمة، على حين أن أنقرة العاصمة التي انتقل إليها مركز الحكم عام ١٩٢٣، يبلغ عدد سكانها نحو ٣ ملايين نسمة، أي ثلث عدد سكان المدينة الأولي. وكان اختيارها لأسباب سياسية واستراتيجية بالدرجة الأولي رغم أنها تقع في وسط رعوى، ذلك أن الموقع يضمن لها الحماية عكس استانبول التي كانت عاصمة الدولة العثمانية فمن السهل وقوعها في أيدي القوى البحرية الأوربية، كما أن أنقرة كانت عاصمة الحيثيين، أي أنها رمز للتاريخ القومي. ومن أجل إنعاشها اقتصاديا أقيمت فيها وحولها كثير من الصناعات.

وأزمير بسكانها الذين يزيدون على ثلاثة ملايين نسمة، كانت تعتبر المدينة الثانية حتى منتصف الستينيات. فهي بدورها مرفأ جيد على مصب خليج غارق، مما يعطي أمانا للسفن، وتعتبر أزمير هي مركز الإقليم الغربي من هضبة الأناضول بصفة عامة، كما كان لموقعها بين واديين كبيرين في الإقليم وادي جديز، ووادي مندريس ما أعطاها ميزة سهولة الاتصال بقلب الهضبة. ويغلب عليها النشاط التجاري بعامة، مصدرة للفاكهة من العنب والتين والزيتون والشعير والزيوت النباتية والجوز واللوز والبندق، وأخيراً وليس آخراً الأفيون. ولما كانت في نهاية الهضبة، فهي تصدر أيضاً منتجات الهضبة الرعوية ممثلة في الصوف والجلود واللحوم والسجاد والملابس الصوفية، في مقابل حركة عكسية ممثلة في الآلات. ومن ثروة البحر تصدر الأسماك والإسفنج وتقوم بها كثير من الصناعات كتكرير البترول، والصابون والمنسوجات. أما أضنه التي يبلغ عدد سكانها مليون نسمة فهي مركز إقليم سيهان، وتقع على طريق قديم بين آسيا الصغرى وسوريا والعراق، وتعتبر وظيفيا أشبه بأزمير في حركتها التجارية، وان كانت لبعدها عن البحر بنحو ٤٠ كم فلابد وان تشحن سلعها إلى ميناء مرسين لأن نهر سيهان غير صالح للملاحة. إلا لمسافة قصيرة حتى أضنه.

الزراعة :

تركيا قطر زراعي تقليدي، تسهم الزراعة في تشغيل ٣٦% من القوى العاملة. وبالرغم من الاعتماد الكبير على الزراعة فإن هذا القطاع لم يسهم إلا بنسبة ١٧% فقط من الإنتاج القومي وأخذت مساحة الأرض الزراعية تتزايد بصورة مستمرة حتى أصبحت نحو ثلث المساحة الكلية للبلاد. ومعظم المزارع التركية صغيرة المساحة أقرب إلى الزراعة العائلية، حيث يبلغ متوسط حجم المزرعة نحو ٢٠ فدانا، وتكفي البلاد نفسها من المواد الغذائية تقريبا، فضلا عن التصدير، وتمثل الصادرات الزراعية نحو ٢٠% من مجموع قيمة الصادرات.

وتشغل الحبوب حوالي نصف المساحة المزروعة، ويعد القمح أهم محاصيل الحبوب إذ يمثل أكثر من ٦٠% من مجموع إنتاج الحبوب، وتتركز المنطقة الرئيسية لزراعته في وسط هضبة الأناضول. غير أن إنتاجه يتذبذب تبعاً للأمطار. ويشغل الشعير والجودار والشوفان مكاناً هاماً أيضاً إلى جانب القمح في وسط الأناضول، بينما تزرع الذرة في الأقاليم الساحلية للبحر الأسود وبحر إيجه، وتزرع محاصيل البقول في ظهير أزمير. أما الأرز يزرع في جهات متفرقة في الجنوب، ويكفي إنتاجه بل وتمثل قيمة صادراته في السنوات الأخيرة ما معدله خمس مجموع قيمة الصادرات التركية. وينتج التبغ الجيد في عدة مناطق أهمها: منطقة بحر إيجه، وساحل البحر الأسود. ومنطقة مرمرة ـ تراقيا، وتعد منطقة سمسون من أشهر مناطق زراعة التبغ على ساحل البحر الأسود. ويصدر معظمه إلى الولايات المتحدة وأقطار أوربا الشرقية. كما نجحت زراعة بنجر السكر زراعيا بحيث غطى إنتاج السكر الاستهلاك المحلي. وإلى جانب ما ذكرنا من حبوب وقطن وتبغ تشتهر المنطقة الساحلية لبحر إيجه بالمحاصيل المتنوعة للأشجار المثمرة وبخاصة العنب، والتين، والزيتون، وللزبيب، وللتين المجفف أهمية في الصادرات، وتتصدر تركيا دول العالم بالنسبة لإنتاج الجوز الذي يزرع في مساحات واسعة من سواحل البحر الأسود حول طرابزون. ويزرع الشاي خاصة حول رايز في الجزء الشرقي من سواحل البحر الأسود، وتنتج تركيا بذور الزيت بأصنافها الرئيسية المختلفة كعباد

الشمس وبذور القطن والسمسم وبذور الكتان، وتشتهر تركيا بزراعة نبات الأفيون حيث الجفاف في وسط وغرب الهضبة. وتنتج تركيا منه نصف حصة العالم القانونية (المشروعة) وله شهرته فهناك أفيون قره حصار، وأفيون قونية، وإذا كان منه منا يصدر قانونيا لاستخدامه طبيا لصناعة المورفين. فإن الكثير منه يهرب أيضا بطرق غير شرعية.

هذا وتأمل تركيا أن تزيد المساحات الزراعية بنحو ١٦ مليون فدان بعد مشروعات السدود التي أقامت بعضها ومازال البعض الآخر قيد البحث على نهري دجلة والفرات.

الرعي :

ترتبط تركيا ارتباطاً حتمياً بالرعي والرعاة. تاريخياً هي من بيئات الرعي التقليدية. وكان للرعي بحكم ظروف البيئة الطبيعية من تضاريس ومناخ ونبات دور كبير بها. وقد تقلص دور الرعي في العصر الحديث. مع سياسة الدولة الحديثة في تثبيت وتسكين الرعاة. ومع ذلك يظل الرعي يحتل للآن مكاناً هاماً، فيسود في المناطق الجبلية، ويتراوح ما بين الترحل الكامل ونصف الترحل، كما يعرف الحركات الفصلية الرأسية في مناطق كثيرة. وهو كذلك يدخل إلى حد ما في الاقتصاد الزراعي الحديث على شكل الزراعة المختلطة، مثلما يدخل في سوق التصدير حيا أو جلوداً أو صوفاً. فضلاً عن أنه خامة لصناعة وطنية تقليدية متوطنة، ويكفي الإشارة إلى قيمة الرعي في الاقتصاد، بإن تركيا تتفوق على كل دول البحر المتوسط في إنتاج الصوف.

والرعي هنا له ملامح الرعي الجاف لا الرطب، والأغنام من نوع كرمان الذي يربي من أجل لحمه وصوفه. ولكن هناك أيضا المارينو من أجل الشعر. ولشعر ماعز أنجورا (نسبة إلى أنقرة) الحريري في الأناضول شهرة فائقة ويعرف بالموهير. وتعد تركيا المنتج الثاني له في العالم لهذا النوع.

الثروة المعدنية :

تضم الأراضي التركية كميات كبيرة من معادن البوكسيت والنحاس والحديد

والمنجنيز والكبريت والتنجستن ويسهم هذا القطاع بنحو ١٠% من مجمـوع قيمـة الصادرات. ويعزي ارتفاع قيمة صادرات المعادن مؤخراً إلى زيادة كميـات الكـروم وتعد تركيا من أكبر الدول المنتجة لهذا المعدن في العالم حيث تتركز أغني رواسـبه في جولمان جنوب شرقي تركيا وبالقرب من الإسكندرونة وفي المنطقـة المحيطـة بإسكي شهر، وفي شمال غربي الأناضول. وبالقرب من إنطاكية في الجنـوب وهـو أهم معدن في الصادرات التركية.

ويتركز الفحم البيتوميني حول زنجولدك على ساحل البحر الأسود، وهو من النوع الجيد للحصول على فحم الكوك الذي يستخدم في مصانع الصلب في كرابـوك القريبة منه، وينتشر فحم اللجنايت في أجزاء عديدة من وسط الأنـاضول وغربيـه. ويستخرج الحديد الخام من منجم دفرجي الواقع بين سيفاس وأرضروم في شـمالي شرقي تركيا، وتتراوح نسبة الحديد في الخام بين ٦٠ و ٦٦% ويقدر الاحتياطي من الحديد بنحو ٢٨ مليون طن. وقد بلغ إنتاج تركيا من الحديد الخام ٣,٤ مليون طـن عام ١٩٩٨.

ويعرف النحاس في تركيا منذ القدم، صدر معظمه إلـى ألمانيـا الغربيـة والمملكة المتحدة، والولايات المتحدة الأمريكية، ومناجمه الرئيسـية فـي إرجـاني وبورساكا، وتتعدد مناطق استخراج المنجنيز ولكن أهمها المناجم القريبة من إسـكى شهر، وأهميته كبيرة في صناعة الصلب، ويمد البوكسيت مصنـع الألومنيـوم فـي سيدزهير Seydisehir الذي شيد بمعونة السوفيت، واكتشف البترول، ولكن بكميات قليلة في جنوب شرقي البلاد في حدود ٣ مليون طن. من ثم كانت فـاتورة واردات البترول كبيرة للغاية. وتنتشر معامل التكرير في مرسين (طاقتها ٤.٥ مليون طـن) بتمان قرب ديار بكر، وأزمير ويخطط لمعامل تكرير بالقرب من استانبول. وبـالقرب من أنقرة وتراقيا ومرسين. وقد مدت أنابيب لنقل من مناطق إنتاجه احتياجات معامل التكرير.

تناقض بين توزيع السكان والإنتاج :

يلاحظ في تركيا كما سنلاحظ في إيران أن الإنتاج الزراعي بل وأيضاً أهم

أقاليم الثروة المعدنية الرئيسية ومراكز العمران الرئيسية تتركز بشدة في الشمال والغرب، على حين أن الوسط والشرق يعد متخلفا عن بقية البلاد، لذلك فالاتجاه الحديث في تركيا نحو الاتجاه الشرق والوسط حتى يحدث توازن إقليمي سواء في الزراعة أو التصنيع أو مد شبكة طرق النقل وبالتالي توزيع الثروة القومية، لأن ذلك لابد وأن ينعكس على تماسك جسم الدولة السياسي، وهذا واضح في مشروع سدود المياه على منابع رجلة والفرات GAP.

الصناعة :

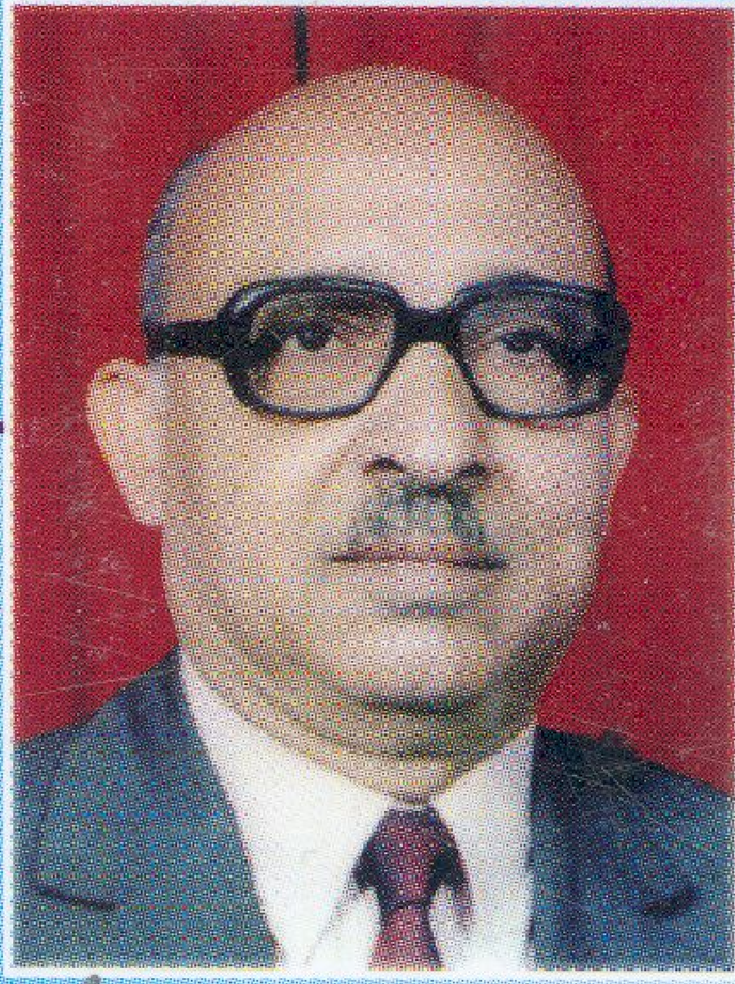
تعد تركيا دولة تمتص الصناعة أكثر من ١٥% من القوة العاملة في تركيا، تقدم جزءاً متناميا من الدخل القومي، وتحقق الكفاية الذاتية في بعض الخطوط الثانوية وفائضا للتصدير في بعضها.

وتملك تركيا منذ البداية صناعة حديد وصلب في كارابوك معتمدا على فحم إرجلي – زونجلداك على ساحل البحر الأسود. وفيما عدا هذا فإن الصناعات الخفيفة هي الأساس، وفي مقدمتها صناعة النسيج بأنواعه المختلفة من قطنيسة وصوفيسة وحريرية، وهي التي تمتلك البلدان خاماتها بدرجة كافية. وتلي ذلك الصناعات الغذائية العديدة التي تلائم طبيعة الإنتاج الزراعي والرعوي السائد.

ويجابه توزيع الصناعة مشكلة الإقليمية، فهناك تعارض جذري بين توزيع السكان والإنتاج وبين الرغبة في توزيع الثروة القومية بعدالة على رقعة الدولة كما ذكرنا. فالإنتاج الزراعي، ومعه السكان والمدن، مركزه بشدة في الشمال والغربي، أو في الشمال الغربي، بينما يعاني الوسط والشرق الرعوي من الفقر. وهكذا يتبلور التناقض الإقليمي بين الغرب التركي الغني المتطور، والشرق الفقير في تركيا.

من هنا اتجه التخطيط الصناعي منذ البداية وعن وعي إلى عدم تركيز الصناعات الجديدة في مدن ومراكز الشمال الغربي. وإنما إلى بثها في الوسط والشرق أيضاً. ومع ذلك فإن الجزء الأكبر من الصناعات يتوطن الآن في مدن الشمال والغرب: في استانبول وأزمير، وبروصه.

أوراسـيا



هذا الكتاب

شقيقتان هما ، كبراهما آسيا مساحة وسكانا ، وصغراهما أوروبا ، الأولى فى مشرق الشمس (آسو) والثانية فى مغربها (أرب) ، إذا نظرنا إليهما معا أحسسنا أن أوروبا ماهى إلا امتداد لآسيا ، فلا فاصل واضح بينهما ، حتى لقد احتار الكثيرون أين تنتهى آسيا ؟ وأين تبدأ أوروبا ؟ وتتكرر الظاهرة فى مظاهرهما الفزيوغرافية ، السهول الأوروبية ، والمرتفعات الوسطى ، والجزر وأشباه الجزر يتكرران فى القارتين ، ولكن رغما أنهما شقيقتان فهما ليسا بتوأم متطابق Identical ، فهناك الفروقات على سبيل المثال تبدأ آسيا من جنوب خط الاستواء ، من ثم تضم المداريات خاصة الموسميات ، على حين تبدأ أوروبا من المعتدلات ، ولئن كانت آسيا برية التوجيه ، فأوروبا بحريته ، وإن كانت آسيا مغولية السمات فى غالبيتها ، فأوروبا القوقازية ، وإن ظهرت المغوليات فى شرقيها بحكم الامتداد .

آسيا حاضنة البشرية وأم الحضارات الزراعية القديمة ، وأوروبا أم الانقلاب الصناعى ، وخالقته ، وتحركت الآن إلى مابعد الصناعة ، على حين ظلت آسيا خاملة حينا من الدهر إلى أن صحت من غفوتها فى الربع الأخير من القرن الماضى محاولة اللحاق بالركب ، فكانت النمور الآسيوية أولا ، ثم بدأ العملاق الصينى فى الظهور ، وأخذت صناعاته تغرق الأسواق ، بل ودخلت بعض الدول الآسيوية النادى النووى .

على العموم ، فالاختلاف بينهُما بيِّن ، رغم أنهما امتداد لبعضهما من ثم كان هذا الكتاب الذى يبحث فى التفاصيل التى تخفيها العموميات .

